

دراسة تاريخية لقرامطة هجر

٢٨١ - ٣٧٨ هـ

حسين بن حسن آل سلهام

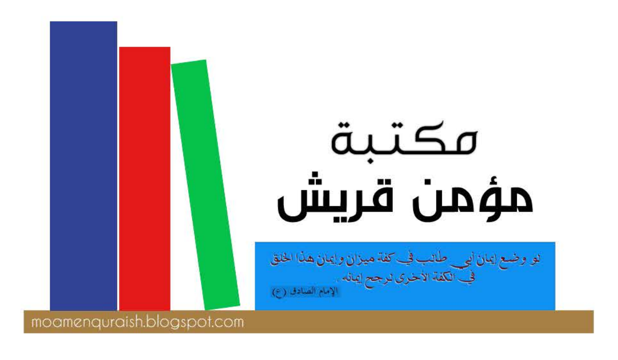
ساحل القرامطة

دراسة تاريخية لقرامطة هجر ٢٨١-٣٧٨هـ

حسين حسن مكي آل سلهام

ساحل القرامطة

دراسة تاريخية لقرامطة هجر ٢٨١-٣٧٨هـ



- صورة الغلاف الأمامي: من أرشيف عبدالرسول الغريافي
- صورة الغلاف الخلفي: حسين بن حسن آل سلهام



الطبعة الأولى

١٤٣٥هـ - ٢٠١٤م


بسم الله الرحمن الرحیم



روي عن رسول الله ﷺ أنه قال:

«يا عمار إن رأيت عليًّا قد سلك واديًا وسلك الناس واديًا غيره فأسلك مع علي ودع الناس، إنه لن يدلك علىٰ ردىٰ ولن يخرجك عن الهدىٰ».

مقدمة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام علىٰ أشرف الأنبياء والمرسلين وعلى آله والخلّص من صحابته ومن سار علىٰ نهجهم إلىٰ يوم الدين.

في حقبة من الزمن سيطرت حركة القرامطة علىٰ ارض واسعة من أراضي الأمة الإسلامية ومقدراتها. وحفرت في الذاكرة التاريخية مكانة لها ثم درس ذكرها وغلب علىٰ تاريخها غبار النسيان ولكن حب المعرفة ساعد الباحثين علىٰ تتبع مجريات الأمور لهذه الحقبة القرمطية. ولكن للأسف أن فترة حكم القرامطة أصبح ضمن المنطقة المظلمة في التاريخ بسبب انقراض تلك الحركة وانعدام فكرها. بل الأدهى ساهم أعداؤهم في إلصاق التهم والشوائب بهم حتى صعب الأمر علىٰ الباحث تتبع أثارهم، وأصبح من الضروري غربلة ما وردنا من تاريخ الحركة القرمطية لنتمكن من ربط حلقات التاريخ القرمطي بشكل أوضح.

وجدير بالذكر أنني أعيش ضمن منطقة البحرين القديم الذي قامت علىٰ أرضه دولة القرامطة، فوجدت نفسي أبحث في تاريخ المنطقة وأتوغل في الحقبة القرمطية، ولكن لم أجد من السهل الخوض في ذلك التاريخ القرمطي نظرًا لشحّ المصادر التي عنيت بتوثيق أعمالهم بشكل صادق، وأيضًا تضارب المعلومات الواردة عنهم،

فيحتاج الباحث في قراءة تاريخهم الكثير من التأني والصبر وعدم تطبيق الحكم المسبق علىٰ استنتاجاته، وللأسف معظم من كتب عنهم هم أعداؤهم الذين نافسوهم علىٰ السلطة كمؤرخي الفترة العباسية ذات الميول المذهبية الطائفية الذين ألصقوا كل الصفات السيئة بالقرامطة، كما كتب الكثير من الكتب مؤخرًا تحكي تاريخ القرامطة، بعين طائفية، المراد منها تسقيط الآخر المخالف لها، ولكن اللوم يقع أيضًا علىٰ القرامطة أنفسهم حيث لم يهتموا بالتوثيق والكتابة بالشكل المطلوب، الذي يحفظ تراثهم، كما فعل الفاطميون في مصر من بناء المساجد واهتمامهم بالثقافة الإسماعيلية، ولكن يبدو أن سيطرة الأعراب علىٰ مفاصل الحركة القرمطية حرفها عن مقاصدها، وأصبحت دعوة سلب ونهب وساعد في ذلك اعتمادهم بشكل رئيس علىٰ رجال البادية الذين عايشوا ثقافة السلب والنهب ولم تكن لديهم نظرة مستقبلية واعية مما أدى إلىٰ انقراض حركة القرامطة وضعف العائلة المؤسسة لهذه الحركة في البحرين وانقلاب الأعراب عليها، ساعد ذلك علىٰ عدم تسجيل إرث ثقافي يوضح تاريخها.

وبالرغم مما أشرنا إليه آنفًا، توكلنا علىٰ الله سبحانه وتعالى وشددنا العزم ويممنا شطر النصوص التاريخية التي توفرت بين أيدينا محاولين تقديم ما أمكن، رؤية تحليلية للنصوص المتضاربة حول تاريخ القرامطة، متجردين من الأحكام والآراء المسبقة ضدهم، متناسين توجهاتنا ومذاهبنا، للخروج بدراسة فيها بعض الحيادية قدر المستطاع، آملين تقديم ما ينفع ويزيل بعض الضبابية التي رافقت تاريخ القرامطة في كتب ومؤلفات من سبقونا في سبر أغوار الحركة القرمطية.

الفصل الأول

الخلافة الإسلامية والإختلاف

- سقيفة بني ساعدة
- وفاة الرسول 
- النزاع في أمر فدك
- الخطبة الشقشقية
- الشيعة والتشيع
- الشيعة الإسماعيلية

الخلافة الإسلامية والاختلاف

بدأ انقسام المسلمين والإختلاف بينهم وذلك منذ مرض رسول ﷺ، وكثرة التساؤل عن الإمام والخليفة للمسلمين بعد رسول الله ﷺ، واتسع هذا الانقسام بعد وفاة النبي ﷺ ونشأ أول صراع سياسي إسلامي بين الأنصار والمهاجرين في سقيفة بني ساعده في أمر الخلافة، بينما ذهب بعض الصحابة إلىٰ أن الخلافة محسومة للإمام علي عليه السلام علىٰ المسلمين بأمر من النبي ﷺ. ومع هذا الاختلاف قد يقول قائل: أن الرسول ﷺ أمر بالوصية قبل حلول المنية، فكيف يترك أمر الوصاية علىٰ المسلمين؟!

يبدو أن الإجابة علىٰ هذا السؤال محل اختلاف أيضًا. فمنهم من قال: أن الرسول ﷺ أوصى بالخلافة من بعده في غدير خم حين عودته ﷺ من حجة الوداع، وآخرين يرون خلاف ذلك.

وبوادر الخلاف الحقيقي بدأ بعد نهاية حجة الوداع، لما وصل ﷺ، إلىٰ محل بين مكة والمدينة يقال له غدير خم بقرب رابغ ونزل عليه قوله تعالى: ﴿يَاأَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنْ

النَّاسِ إِنَّ اللَّهَ لاَ يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ﴾[١]، وجمع الصحابة وخطبهم خطبة بين فيها فضل الإمام علي ﷺ قال فيها: «أني تارك فيكم الثقلين كتاب الله وعترتي أهل بيتي، ولن تفترقا حتى تردا علي الحوض»، كما قال أيضًا في حقِّ علي ﷺ: «ألست أولى بكم من أنفسكم(ثلاثًا) وهم يجيبونه ﷺ بالتصديق والاعتراف، ورفع ﷺ يد علي ﷺ وقال: من كنت مولاه فعلي مولاه اللهم وال من والاه وعاد من عاداه، وأحب من أحبه، وأبغض من أبغضه، وانصر من نصره، وأعن من أعانه، وأخذل من خذله، وأدر الحق معه حيث دار».[٢]

والواضح في كتب التاريخ والسير أن رسول الله ﷺ كان متخوفًا أن يدبّ الخلاف بين أصحابه بعد وفاته وهذا ما يستشف من وصاياه في آخر أيام حجة الوداع كما أوضحها اليعقوبي في تاريخه بقوله: «ثم قال: لا ترجعوا بعدي كفارا مضلين يملك بعضكم رقاب بعض، إني قد خلفت فيكم ما إن تمسكتم به لن تضلوا: كتاب الله وعترتي أهل بيتي، ألا هل بلغت؟ قالوا: نعم! قال: اللهم اشهد. ثم قال: إنكم مسؤولون فليبلغ الشاهد منكم الغائب»[٣].

ونلاحظ أن الرسول الأكرم ﷺ أعاد التأكيد علىٰ التمسك بكتاب الله وعترته حتى لا يضل أصحابه الطريق الصحيح، فقد ذكر اليعقوبي ذلك بقوله: «وخرج ليلًا منصرفًا إلىٰ المدينة، فصار إلىٰ موضع بالقرب من الجحفة يقال له: غدير خم، لثماني عشرة ليلة خلت من ذي الحجة، وقام خطيبًا وأخذ بيد علي بن أبي طالب فقال: ألست أولى بالمؤمنين من أنفسهم؟ قالوا: بلى يا رسول الله! قال: فمن كنت مولاه، فعلي مولاه، اللهم وال من والاه وعاد من عاداه.ثم قال: أيها الناس إني فرطكم وأنتم واردي علىٰ الحوض، وإني سائلكم، حين تردون علي، عن الثقلين فانظروا كيف

---

(١) سورة المائدة ـ آية ٦٧.

(٢) السيرة الحلبية في سيرة الأمين المأمون إنسان العيون ـ علي الحلبي ج٣ص٣٣٦.

(٣) تاريخ اليعقوبي ـ ج٢ ص١١١.

تخلفوني فيهما. وقالوا: وما الثقلان يا رسول الله؟ قال: الثقل الأكبر كتاب الله سبب طرفه بيد الله وطرف بأيديكم، فاستمسكوا به ولا تضلوا، ولا تبدلوا، وعترتي أهل بيتي»[١].

وبالرغم من هذه الخطبة التي أمر فيها رسول الله ﷺ بأن يكون علي ؑ الولي علىٰ المسلمين بقوله من كنت مولاه فعلي مولاه، إلا أن هناك من لم يعجبه هذه الموالاة كما نقل لنا الحلبي في السيرة قوله: «ولما شاع قوله صلى الله عليه (وآله) وسلم (من كنت مولاه فعلي مولاه) في سائر الأمصار وطار في جميع الأقطار، بلغ الحارث بن النعمان الفهري، فقدم المدينة فأناخ راحلته عند باب المسجد، فدخل والنبي ﷺ جالس وحوله أصحابه، فجاء حتى جثا بين يديه، ثم قال: يا محمد إنك أمرتنا أن نشهد أن لاإله إلا الله وأنك رسول الله فقبلنا ذلك منك، وانك أمرتنا أن نصلي في اليوم والليلة خمس صلوات ونصوم شهر رمضان ونزكي أموالنا ونحج البيت فقبلنا ذلك منك، ثم لم ترض بهذا حتى رفعت بصبعي ابن عمك ففضلته، وقلت من كنت مولاه فعلي مولاه، فهذا شيء من الله أو منك؟ فاحمرت عينا رسول الله ﷺ وقال: والله الذي لاإله إلا هو إنه من الله وليس مني، قالها ثلاثًا، فقام الحارث وهو يقول: اللهم إن كان هذا هو الحق من عندك) وفي رواية (اللهم إن كان ما يقول محمد حقًا فأرسل علينا حجارة من السماء أو ائتنا بعذاب اليم، فوالله ما بلغ باب المسجد حتى رماه الله بحجر من السماء فوقع علىٰ رأسه فخرج من دبره فمات وانزل الله تعالى: ﴿سأل سائل بعذاب واقع للكافرين ليس له دافع﴾ الآية، وكان ذلك اليوم الثامن عشر من ذي الحجة»[٢].

قال الدكتور الشيخ أحمد الوائلي: «روى هذا الموضوع مائة وعشرون صحابيًا وأربعة وثمانون تابعيًا وكان عدد رواته من أئمة الحديث يتجاوز ثلاثمائة

---

(١) تاريخ اليعقوبي ـ ج٢ ص١١٢.

(٢) السيرة الحلبية في سيرة الأمين المأمون إنسان العيون ـ علي الحلبي ج٣ ص٣٣٧.

وستين راويا»[١].

ولكن يرى البعض أن المقصود من المولى أي ينبغي محبته ويجتنب بغضه، وبالتالي يرى هذا الفريق بعدم النص بخلافة الإمام علي ﵇ في خطبة الرسول ﷺ في غدير خم.

وخلال تلك الأجواء المترقبة والمختلفة علىٰ معرفة خليفة رسول الله ﷺ ووصيه من بعده استمر الحال حتى أن مرض الرسول ﷺ فيبدو أن الترقب في الشارع الإسلامي بلغ رسول الله ﷺ فأراد أن يضع النقاط علىٰ الحروف ويجمعهم علىٰ ما اختلفوا فيه فجمع الصحابة كما جاء في صحيح مسلم قوله:... عن ابن عباس قال: لما حضر رسول الله ﷺ وفي البيت رجال فيهم عمر بن الخطاب، فقال النبي ﷺ: «هلم أكتب لكم كتابًا لا تضلون بعده» فقال عمر: إن رسول الله ﷺ قد غلب عليه الوجع، وعندكم القرآن، حسبنا كتاب الله، فأختلف أهل البيت، فاختصموا، فمنهم من يقول: قربوا يكتب لكم رسول الله ﷺ كتابا لن تضلوا بعده، ومنهم من يقول ما قال عمر، فلما أكثروا اللغو والاختلاف عند رسول الله ﷺ قال رسول الله ﷺ: «قوموا». قال عبيد الله: فكان ابن عباس يقول: أن الرزيّة كل الرزيّة ما حال بين رسول الله ﷺ وبين أن يكتب لهم ذلك، من اختلافهم ولغطهم.[٢]

وفاة الرسول ﷺ:

لما قدم النبي المدينة أقام أيامًا وعقد لأسامة بن زيد بن حارثة علىٰ جلة من المهاجرين والأنصار وأمره أن يقصد أرض الشام وكان ضمن الجيش أبو بكر وعمر، وتكلم قوم وقالوا: حدث السن، وابن سبع عشرة سنة! فقال: لئن طعنتم عليه، فقبله طعنتم علىٰ أبيه، وإن كان لخليقين للإمارة، واشتكى رسول الله ﷺ قبل أن ينفذ

---

(١) هوية التشيع ـ الدكتور الشيخ أحمد الوائلي ص١١٠.

(٢) صحيح مسلم ـ أبي الحسين مسلم بن الحجاج النيسابوري ـ ص٦٢١.

الجيش، وكان أسامه مقيمًا بالجرف، فلما اشتدت عليه قال: أنفذوا جيش أسامه! فقالها مرارًا، وأعتل أربعة عشر يومًا، وتوفي يوم الإثنين لليلتين خلتا من شهر ربيع الأول.[١]

(١) تاريخ اليعقوبي -ج٢ ص١١٣.

سقيفة بني ساعدة

توفي النبي ﷺ واجتمعت الأنصار في سقيفة بني ساعده، فقالوا: نولي هذا الأمر بعد محمد ﷺ سعد بن عبادة، وأخرجوا سعدًا إليهم وهو مريض وخطب فيهم، إلىٰ أن قال لهم: استبدوا بهذا الأمر فإنه لكم دون الناس.

فأجابوه بأ جمعهم: أن وفقت في الرأي وأصبت في القول ولن نعدو ما رأيت، ونوليك هذا الأمر فإنك فينا مقنع ولصالح المؤمنين رضا. ثم إنهم ترادوا الكلام بينهم، فقالوا: فإن أبت مهاجرة قريش، فقالوا: نحن المهاجرون وصحابة رسول الله الأولون، ونحن عشيرته وأولياؤه، فعلام تنازعوننا هذا الأمر بعده! فقالت طائفة منهم، فإنا نقول إذًا: منا أمير ومنكم أمير، ولن نرضى بدون هذا الأمر أبدًا. فقال سعد بن عبادة حين سمعها: هذا أول الوهن.

وأتى عمر الخبر فأقبل إلىٰ منزل النبي ﷺ فأرسل إلىٰ أبي بكر وأبو بكر في الدار وعلي بن أبي طالب عليه السلام دائب في جهاز رسول الله ﷺ فأرسل إلىٰ أبي بكر أن أخرج إليَّ، فأرسل إليه، إني مشتغل، فأرسل إليه أنه قد حدث أمر لا بد لك من حضوره، فخرج إليه، فقال: أما علمت أن الأنصار قد اجتمعت في سقيفة بني ساعدة يريدون أن يولوا هذا الأمر سعد بن عبادة، وأحسنهم مقالة من يقول: منا أمير ومن قريش أمير!

فمضيا مسرعين نحوهم، فلقيا أبا عبيدة بن الجراح، فتماشوا إليهم ثلاثتهم، فلقيهم عاصم بن عدي وعويم بن ساعدة، فقالا لهم: ارجعوا فإنه لا يكون ما تريدون، فقالوا لانفعل، فجاءوا وهم مجتمعون. فقال عمر بن الخطاب: أتيناهم وقد كنت زوّرت كلامًا أردت أن أقوم به فيهم، فلما أن دفعت إليهم ذهبت لأبتدئ المنطق، فقال لي أبو بكر: رويدًا حتى أتكلم ثم انطق بعد بما أحببت، فنطق، فقال عمر: فما شيء كنت أردت أن أقوله إلا وقد أتى به أو زاد عليه.[١]

فخطب فيهم أبو بكر فذكر ما ختص به المهاجرين وفضائلهم... حتى قال في آخر خطبته: فنحن الأمراء وأنتم الوزراء، لا تفتاتون بمشورة، ولانقضي دونكم الأمور.

فقام الحباب بن الجموح فقال: يا معشر الأنصار، املكوا عليكم أمركم فإن الناس في فيئكم وفي ظلكم، ولن يجترىء مجترئ علىٰ خلافتكم، ولن يصدر الناس إلا عن رأيكم، أنتم أهل العز والثروة، وأولو العدد والمنعة والتجربة، ذوو البأس والنجدة، وإنما ينظر الناس إلىٰ ما تصنعون، ولا تختلفوا فيفسد عليكم رأيكم، وينتقض عليكم أمركم، فإن أبى هؤلاء إلا ما سمعتم، فمنا أمير ومنهم أمير.

فقال عمر: هيهات لا يجتمع اثنان في قرن! والله لا ترضى العرب أن يؤمروكم ونبيها من غيركم.

فأختلف الأنصار والمهاجرين في سقيفة بني ساعدة. وكثر القول بينهم، إلىٰ أن قال أبو بكر: هذا عمر، وهذا أبو عبيدة، فأيهما شئتم فبايعوا. فقالا: لا والله لا نتولى هذا الأمر عليك، فإنك أفضل المهاجرين وثاني اثنين إذ هما في الغار، وخليفة رسول الله في الصلاة، والصلاة أفضل دين المسلمين، فمن ذا ينبغي له أن يتقدمك أو يتولى هذا الأمر عليك! ابسط يدك نبايعك. فلما ذهبا ليبايعاه سبقهما إليه بشير بن سعد فبايعه

---

(١) تاريخ الطبري ـ أبي جعفر الطبري ـ ج٢ ص٢٤٢.

فناداه الحباب بن منذر: يا بشير بن سعد: عقّتك عقاق، ما أحوجك إلىٰ ما صنعت، أنفست علىٰ ابن عمك الإمارة! فقال لا والله، ولكني كرهت أن أنازع قومًا حقًّا جعله الله لهم. ولما رأت الأوس ما صنع بشير بن سعد، وما تدعوا إليه قريش وما تطلب الخزرج من تأمير سعد بن عبادة، قال بعضهم لبعض، وفيهم أسيد بن حضير، وكان أحد النقباء: والله لئن وليتها الخزرج عليكم مرة لا زالت لهم عليكم بذلك الفضيلة، ولا جعلوا لكم معهم نصيبا أبدًا، فقوموا فبايعوا أبا بكر، فقاموا إليه فبايعوه فانكسر علىٰ سعد بن عبادة وعلى الخزرج ما كانوا أجمعوا له من أمرهم، فأقبل الناس من كل جانب يبايعون أبا بكر وكادوا يطؤون سعد بن عبادة، فقال ناس من أصحاب سعد: اتقوا سعدا لا تطؤوه، فقال عمر: اقتلوه قتله الله،! ثم قام علىٰ رأسه، فقال: لقد هممت أن أطأك حتى تندر عضدك، فأخذ سعد بلحية عمر، فقال والله لو حصصت منه شعرة ما رجعت وفيك واضحة، فقال أبو بكر: مهلًا يا عمر! الرفق ها هنا أبلغ. فأعرض عنه عمر. وقال سعد: أما والله لو أن بي قوة ما، أقوى علىٰ النهوض، لسمعت من في أقطارها وسككها زئيرًا يجحرك وأصحابك، أما والله لألحقناك بقوم كنت فيهم تابعًا غير متبوع! احملوني من هذا المكان، فحملوه فأدخلوه في داره، وترك أيامًا ثم بعث إليه أن أقبل فبايع فقد بايع الناس وبايع قومك، فقال: أما والله حتى أرميكم بما في كنانتي من نبلي، وأخضب سنان رمحي، وأضربكم بسيفي ما ملكته يدي، وأقاتلكم بأهل بيتي ومن أطاعني من قومي، فلا أفعل، وأيم الله لو أن الجن اجتمعت لكم مع الإنس ما بايعتكم، حتى أعرض علىٰ ربي، وأعلم ما حسابي.(١)

أحداث السقيفة وصداها في بني هاشم:

جاء البراء بن عازب، فضرب الباب علىٰ بني هاشم وقال: يا معشر بني هاشم، بويع أبو بكر. فقال بعضهم: ماكان المسلمون يحدثون حدثًا نغيب عنه، ونحن أولى بمحمد. فقال العباس: فعلوها، وربّ الكعبة.

---

(١) تاريخ الأمم والملوك ـ أبي جعفر الطبري ـ ج٢ ص٢٤٢ـ ٢٤٤.

وكان المهاجرون والأنصار لا يشكون في علي ﷺ، فلما خرجوا من الدار قام الفضل بن العباس، وكان لسان قريش، فقال: يا معشر قريش، إنه ما حقت لكم الخلافة بالتمويه، ونحن أهلها دونكم، وصاحبنا أولى بها منكم.

وقام عتبة بن أبي لهب فقال:

ما كنت أحسب أن الأمر منصرف عن هاشم ثم منها عن أبي الحسن
عن أول الناس إيمانا وسابقه وأعلم الناس بالقرآن والسنن
وآخر الناس عهدًا بالنبي ومن جبريل عون له في الغسل والكفن
من فيه ما فيهم لا يمترون به وليس في القوم ما فيه من الحسن

فبعث إليه علي ﷺ فنهاه وتخلف عن بيعة أبي بكر قوم من المهاجرين والأنصار ومالوا مع علي بن أبي طالب، منهم العباس بن عبد المطلب، والفضل بن العباس، والزبير بن العوام بن العاص، وخالد بن سعيد، والمقداد بن عمرو، وسلمان الفارسي، وأبو ذر الغفاري، وعمار بن ياسر، والبراء بن عازب، وأبي بن كعب.

فأرسل أبو بكر إلىٰ عمر بن الخطاب وأبي عبيدة بن الجراح والمغيرة بن شعبة، فقال: ما الرأي؟ قالوا: الرأي أن تلقى العباس بن عبد المطلب فتجعل له في هذا الأمر نصيبًا يكون له ولعقبه من بعده، فتقطعون به ناحية علي بن أبي طالب ﷺ حجة علىٰ علي ﷺ، إذا مال معكم، فانطلق أبو بكر وأبو عبيدة بن الجراح والمغيرة حتى دخلوا علىٰ العباس ليلًا، فحمد أبو بكر الله وأثنى عليه، ثم قال: إن الله بعث محمدًا نبيًّا وللمؤمنين وليًّا، فمن عليهم بكونه بين أظهرهم، حتى أختار له ما عنده، فخلى علىٰ الناس أمورًا ليختاروا لأنفسهم في مصلحتهم مشفقين، فاختاروني عليهم واليًا ولأمورهم راعيًا، فوليت ذلك، وما أخاف بعون الله وتشديده وهنًا، لا حيرة، ولا جبنًا وما توفيقي إلا بالله، عليه توكلت، وإليه أنيب، وما انفك يبلغني عن طاعن يقول الخلاف علىٰ عامة المسلمين، يتخذكم لجأ، فتكون حصنه المنيع وخطبه البديع. فإما دخلتم مع الناس فيما اجتمعوا عليه، وإما صرفتموهم عما مالوا إليه، ولقد جئناك

ونحن نريد أن لك في هذا الأمر نصيبًا يكون لك ويكون لمن بعدك من عقبك إذ كنت عم رسول الله، وإن كان الناس قد رأوا مكانك ومكان صاحبك.. عنكم، وعلى رسلكم بني هاشم، فإن رسول الله منا ومنكم.

فكان الرد من العباس بعد أن حمد الله وأثنا عليه قال: إن الله بعث محمدًا كما وصفت نبيًّا وللمؤمنين وليًّا، فمن علىٰ أمته به، حتى قبضه الله إليه، واختار له ما عنده، فخلى علىٰ المسلمين أمورهم ليختاروا لأنفسهم مصيبين الحق، لا مائلين بزيغ الهوى، فإن كنت برسول الله فحقًّا أخذت، وإن كنت بالمؤمنين فنحن منهم، فما تقدمنا في أمرك فرضًا، ولا حللنا وسطًا، ولا برحنا سخطًا، وإن كان هذا الأمر إنما وجب لك بالمؤمنين، فما وجب إذ كنا كارهين. ما أبعد قولك من أنهم طعنوا عليك من قولك إنهم اختاروك ومالوا إليك، وما أبعد تسميتك بخليفة رسول الله من قولك خلى علىٰ الناس أمورهم ليختاروا فاختاروك، فأما ما قلت إنك تجعله لي، فإن كان حقًّا للمؤمنين، فليس لك أن تحكم فيه، وإن كان لنا فلم نرض ببعضه دون بعض، وعلى رسلك، فإن رسول الله من شجرة نحن أغصانها وأنتم جيرانها. فخرجوا من عنده.

وكان فيمن تخلف عن بيعة أبي بكر أبو سيفان بن حرب وقال: أرضيتم يا بني عبد مناف أن يلي هذا الأمر عليكم غيركم؟ وقال لعلي بن أبي طالب: امدد يدك أبايعك، وعلي معه قصي، وقال:

بني هاشم لا تطمعوا الناس فيكم	ولا سيما تيم بن مرة أو عدي
فما الأمر إلا فيكم وإليكم	وليس لها إلا أبو حسن علي
أبا حسن، فاشدد بها كف حازم	فإنك بالأمر الذي يرتجى ملي
وإن امرئ يرمى قصي وراءه	عزيز الحمى والناس من غالب قصي

وكان خالد بن سعيد غائبًا، فقدم فأتى عليًا فقال: هلم أبايعك، فو الله ما في الناس أحد أولى بمقام محمد منك، واجتمع جماعة إلىٰ بيت علي بن أبي طالب

يدعونه إلىٰ البيعة له، فقال لهم: اغدوا علىٰ هذا محلقين الرؤوس. فلم يغد عليه إلا ثلاثة نفر.

وبلغ أبو بكر وعمر أن علي بن أبي طالب في منزل فاطمة الزهراء سلام الله عليها مجتمعًا في جماعة من الأنصار والمهاجرين، فأتوا في جماعة حتى هجموا ودخلوا الدار.(١)

ويذكر الطبري قوله: حدثنا ابن حميد، قال: حدثنا جرير، عن مغيرة، عن زياد بن كليب، قال: أتى عمر بن الخطاب منزل عليّ ﷺ وفيه طلحة والزبير ورجال من المهاجرين، فقال: «والله لأحرقن عليكم أو لتخرجن إلىٰ البيعة. فخرج عليه الزبير مصلتا بالسيف، فعثر فسقط السيف من يده، فوثبوا عليه فأخذوه».(٢)

وقد أورد اليعقوبي في تاريخه: أن أبو بكر تأسى في مرضه الذي توفي فيه علىٰ ثلاث خصال تمنى أنه لم يصنعها، ومنها قوله «ليتني لم أفتش بيت فاطمة بنت رسول الله وأدخله الرجال، ولو كان أغلق علىٰ حرب»(٣).

---

(١) تاريخ اليعقوبي ج٢ ص١٢٦.

(٢) تاريخ الأمم والملوك ـ أبى جعفر الطبري ـ ج٢ ص ٢٣٣.

(٣) تاريخ اليعقوبي ج٢ ص١٣٧.

النزاع في أمر فدك

دب الخلاف بين سيدتنا وسيدة العالمين فاطمة الزهراء ﷺ وبين أبو بكر بعد أمر السقيفة ومبايعته خليفة علىٰ المسلمين ومنعها أرض فدك التي كانت لرسول الله ﷺ بعد فتح خيبر كما جاء في السيرة «قال ابن إسحاق: فلما فرق رسول الله ﷺ من خيبر قذف الله في قلوب أهل فدك، حين بلغهم ما وقع الله تعالى بأهل خيبر، فبعثوا إلىٰ رسول الله ﷺ يصالحونه علىٰ النصف من فدك، فقدمت عليه رسلهم بخيبر، أو بالطائف، أو بعدما قدم المدينة، فقبل ذلك منهم، فكانت فدك لرسول الله ﷺ خالصة، لأنه لم يوجف عليها بخيل ولا ركاب».[1]

مطالبة فاطمة الزهراء ﷺ بإرثها بعد وفاة أبيها ﷺ

ذكر المؤرخون مطالبة فاطمة الزهراء ﷺ بإرثها واحتجاجها علىٰ ابوبكر ومطالبتها بحقها، وذكرت تفاصيل احتجاجها سلام الله عليها في خطبة ذكرها ابن طيفور في كتابه بلاغات النساء بشكل مفصل وذلك قوله: «لما أجمع أبو بكر علىٰ منع فاطمة بنت رسول الله ﷺ فدك وبلغ ذلك فاطمة ﷺ لاثت خمارها علىٰ رأسها،

---

(١) السيرة النبوية ـ لأبي محمد عبد الملك بن هشام ج٣ ص٣٧٢ المكتبة العصرية ـ صيدا بيروت.

وأقبلت في لمة من حفدتها، تطأ ذيولها، ما تخرم من مشية رسول الله ﷺ شيئًا حتى دخلت علىٰ أبي بكر وهو في حشد من المهاجرين والأنصار، فنيطت دونهما ملاءة، ثم أنّت أنّة أجهش القوم لها بالبكاء، وارتج المجلس، فأمهلت حتى سكن نشيج القوم وهدأت فورتهم، فافتتحت الكلام بحمد الله، والثناء عليه، والصلاة علىٰ رسول الله ﷺ فعاد القوم في بكائهم، فلما أمسكوا، أعادت في كلامها، فقالت: ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾، فإن تعرفوه تجدوه أبي دون آبائكم، وأخا ابن عمي دون رجالكم فبلغ النذارة صادعًا بالرسالة، مائلًا علىٰ مدرجة المشركين، ضاربًا لثبجهم، آخذًا بكظمهم يهشم الأصنام، وينكث الهام، حتى هزم الجمع، وولوا الدبر، وتغرّي الليل عن صبحه، وأسفر الحق عن مخضه، ونطق زعيم الدين، وخرست شقاشق الشياطين، وكنتم علىٰ شفا حفرة من النار مذقة الشارب، ونهزة الطامع، وقبسة العجلان، وموطئ الإقدام، تشربون الطرق، وتقتاتون الورق، أذلة خاشعين، تخافون أن يتخطفكم الناس من حولكم، فأنقذكم الله برسوله ﷺ بعد التيا والتي، وبعد ما مني ببهم الرجال وذؤبان العرب، ومردة أهل الكتاب، كلما حشوا نارًا للحرب أطفأها، ونجم قرن للضلال، وفغرت فاغرة من المشركين، قذف بأخيه في لهواتها، فلا ينكفئ حتى يطأ صماخها بأخمصه، ويخمد لهبها بحدة، مكدودًا في ذات الله، قريبًا من رسول الله، سيدًا في أولياء الله، وأنتم في بلهينة وادعون آمنون حتى إذا اختار الله لنبيه دار أنبيائه، ظهرت خلة النفاق وسمل جلباب الدين، ونطق كاظم الغاوين، ونبغ خامل الآفلين، وهدر فنيق المبطلين، فخطر في عرصاتكم، وأطلع الشيطان رأسه من مغرزه صارخًا بكم، فوجدكم لدعائه مستجيبين، وللغرة فيه ملاحظين، فاستنهضكم فوجدكم خفافًا، وأجمشكم فألفكم غضابًا، فوسمتم غير إبلكم، وأوردتموها غير شربكم، هذا والعهد قريب، والكلم رحيب، والجرح لما يندمل بدار زعمتم خوف الفتنة، ألا في الفتنة سقطوا ﴿وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌ بِالْكَافِرِينَ﴾ فهيهات منكم، وأني

بكم ﴿فَأَنَّا تُؤْفَكُونَ﴾[1] وهذا كتاب الله بين أظهركم، وزواجره بينه، وشواهده لائحة، وأوامره واضحة، أرغبه عنه تدبرون أم بغيره تحكمون؟ بئس للظالمين بدلًا، ﴿أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْمًا لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾[2] ويها معشر المهاجرين أؤبتز إرث أبي؟ أفي الكتاب أن ترث أباك، ولا أرث أبي؟ لقد جئت شيئًا فريًّا، فدونكها مخطومة مرحولة تلقاك يوم حشرك، فنعم الحكم الله والزعيم محمد، والموعد القيامة، وعند الساعة يخسر المبطلون، ولكل نبأ مستقر وسوف تعلمون. ثم انحرفت إلىٰ قبر النبي ﷺ وهي تقول:

قد كان بعدك أنباء وهنبثة لو كنت شاهدها لم تكثر الخطب
إنا فقدناك فقد الأرض وإبلها واختل قومك فأشهدهم ولا تغب

قال: فما رأينا يومًا كان أكثر باكيًا ولا باكية من ذلك اليوم»[3].

وقد كان لمطالبة فاطمة الزهراء ﷺ وغضبها علىٰ أبو بكر، وقع كبير عليه، فكانت هناك محاولات لإزالة هذا الغضب، و إثناء الخلاف في قضية فدك قال عمر لأبي بكر: انطلق بنا إلىٰ فاطمة فانا قد أغضبناها. فانطلقا فاستأذن عليها فلم تأذن لهما فأتيا عليًا فكلماه، فأدخلهما. فلما قعدا عندها حولت وجهها إلىٰ الحائط فسلما عليها فلم ترد عليهما السلام، فتكلم أبو بكر فقال: يا حبيبة رسول الله، والله إن قرابة رسول الله أحب إلىٰ من قرابتي، وانك لأحب إلىٰ من عائشة ابنتي، ولوددت يوم مات أبوك أني مت ولا أبقى بعده، أفتراني أعرفك وأعرف فضلك وشرفك وأمنعك حقك وميراثك من رسول الله؟ إلا إني سمعت أباك رسول الله ﷺ يقول: لا نورث، ما تركناه صدقة. فقالت: أرأيتكما إن حدثتكما حديثا عن رسول الله تعرفانه وتفعلان به؟. قالا: نعم. فقالت: نشدتكما الله ألم تسمعا رسول الله يقول: رضا فاطمة من

---

(١) سورة الأنعام آية ٩٥.
(٢) سورة المائدة آية ٥٠.
(٣) كتاب بلاغات النساء ـ أبي الفضل بن طيفور ـ ص٣٢.

رضائي وسخطها من سخطي؟. قالا: نعم سمعناه من رسول الله. قالت: فاني أشهد الله وملائكته إنكما أسخطتماني وما رضيتما ني، ولئن لقيت النبي لا شكونكما إليه. فقال أبو بكر: أنا عائذ بالله تعالى من سخطه وسخطك يا فاطمة، ثم انتحب وبكى حتى كادت نفسه تزهق، ثم خرج فاجتمع إليه الناس فقال لهم: يبيت كل رجل منكم معانقًا حليلته مسرورًا بأهله وتركتموني وما أنا فيه؟ لا حاجة لي في بيعتكم. أقيلوني بيعتي.[1]

قال الحلبي في السيرة: «وفي كلام سبط ابن الجوزي رحمه الله أنه (أبو بكر) رضي الله تعالى عنه كتب لها بفدك، ودخل عليه عمر رضي الله تعالى عنه فقال: ما هذا. فقال كتاب كتبته لفاطمة ﷺ بميراثها من أبيها فقال: مماذا تنفق علىٰ المسلمين وقد حاربتك العرب كما ترى، ثم أخذ عمر الكتاب فشقه». انتهىٰ[2]

---

(١) فاطمة الزهراء والفاطميون ـ عباس محمود العقاد ـ ص٤٤.

(٢) السيرة الحلبية ـ الحلبي ـ ج٣ ص٤٨٨.

وفاة فاطمة الزهراء ﷺ

توفيت ﷺ بعد وفاة أبيها ﷺ بأربعين ليلة وقال قوم بسبعين ليلة، وقال آخرون ثلاثين ليلة، وقال آخرون ستة أشهر، وأوصت عليًا زوجها ﷺ أن يغسلها، فغسلها وأعانته أسماء بنت عميس، وكانت تخدمها وتقوم عليها.

ودخل إليها في مرضها نساء رسول الله وغيرهن من نساء قريش فقلن: كيف أنت؟ قالت: أجدني والله كارهة لدنياكم، مسرورة لفراقكم، ألقى الله ورسوله بحسرات منكن، فما حفظ لي الحق، ولا رعيت مني الذمة، ولا قبلت الوصية، ولا عرفت الحرمة.[1]

وقد أوصت فاطمة الزهراء ﷺ أن تدفن ليلًا حتى لا يصلى الرجلان عليها كما أورد ذلك ابن أبي الحديد قوله: «على ما وردت به الروايات المستفيضة الظاهرة التي هي كالتواتر، أنها أوصت بأن تدفن ليلًا حتى لا يصلى الرجلان عليها، وصرّحت بذلك وعهدت فيه عهدًا بعد أن كانا استأذنا عليها في مرضها ليعوداها، فأبت أن تأذن لهما، فلما طالت عليهما المدافعة رغبا إلىٰ أمير المؤمنين ﷺ في أن يستأذن لهما،

(١) تاريخ اليعقوبي - ج٢ ص١١٥.

وجعلاها حاجة إليه، وكلمها ﷺ في ذلك، وألح عليها، فأذنت لهما في الدخول، ثم أعرضت عنهما عند دخولهما ولم تكلمهما، فلما خرجا قالت لأمير المؤمنين ﷺ: هل صنعت ما أردت؟ قال: نعم، قالت: فهل أنت صانع ما آمرك به؟ قال نعم، قالت: فاني أنشدك الله ألا يصليا علىٰ جنازتي، ولا يقوما علىٰ قبري!

وروي أنه عفى قبرها وعلم عليه، ورش أربعين قبرًا في البقيع، ولم يرش قبرها حتى لا يهتدي إليه، وأنهما عاتباه علىٰ ترك إعلامهما بشأنها، وإحضارهما الصلاة عليها». [1]

---

(١) شرح نهج البلاغة ـ أبن أبي الحديد ـ ج١٦، ص٢٨١.

الإمام علي ﷺ والخطبة الشقشقية

لقد لخّص الإمام علي ﷺ الكثير من محطات الخلاف بينه وبين بعض الصحابة، في الخطبة المعروفة بالشقشقية، وفي الحقيقة أنها توضح تفاصيل ذلك الاختلاف ورغبة مني ليكن القارئ في جو الاختلاف في تلك الفترة. نورد قول الإمام علي ﷺ:

«أما والله لقد تقمصها ابن أبي قحافة، وإنه ليعلم أن محلّي منها محل القطب من الرحا، ينحدر عني السيل، ولا يرقى إلىٰ الطير. فسدلت دونها ثوبًا، وطويت عنها كشحًا، وطفقت أرتئي بين أن أصول بيد جذّاء، أو أصبر علىٰ طخية عمياء، يهرم فيها الكبير، ويشيب فيها الصغير، ويكدح فيها مؤمن حتى يلقى ربه، فرأيت أن الصبر علىٰ هاتا أحجى، فصبرت وفي العين قذى، وفي الحلق شجا. أرى تراثي نهبًا. حتى مضى الأول لسبيله، فأدلى بها إلىٰ ابن الخطاب بعده.

شتان ما يومي علىٰ كورها ويوم حيان أخي جابر

فيا عجبًا! بينا هو يستقيلها في حياته، إذ عقدها لآخر بعد وفاته! لشد ما تشطرا ضرعيها! فصيرها في حوزة خشناء يغلظ كلمها، ويخشن مسها، ويكثر العثار فيها، والاعتذار منها، فصاحبها كراكب الصعبة، إن أشنق لها خرم، وإن أسلس لها تقحم

فمنى الناس لعمر الله بخبط وشماس، وتلون واعتراض، فصبرت علىٰ طول المدة، وشدة المحنة.

حتى إذا مضى لسبيله، جعلها في ستة زعم أني أحدهم، فيا لله وللشورى! متى اعترض الريب في مع الأوّل منهم حتى صرت أقرن إلىٰ هذه النظائر! لكني أسففت إذ أسفوا، وطرت إذ طاروا، فصغا رجل منهم لضغنه، ومال الآخر لصهره، مع هن وهن. إلىٰ أن قام ثالث القوم نافجًا حضنيه، بين نثيله ومعتلفه، وقام معه بنو أبيه يخضمون مال الله خضم الإبل نبتة الربيع، إلىٰ أن انتكث فتله، وأجهز عليه عمله، وكبت به بطنته، فما راعني إلا والناس إلىٰ كعرف الضبع، ينثالون عليّ من كل جانب، حتى لقد وطئ الحسنان، وشق عطفاى، مجتمعين حولي كربيضة الغنم. فلمّا نهضت بالأمر نكثت طائفة، ومرقت أخرى، وفسق آخرون، كأنهم لم يسمعوا كلام الله حيث يقول: ﴿تِلْكَ الدَّارُ الآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لاَ يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الأَرْضِ وَلاَ فَسَادًا وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾[1]، بلى والله سمعوها ووعوها، ولكنهم حليت الدنيا في أعينهم، وراقهم زبرجها، أما والذي فلق الحبة، وبرأ النسمة، لولا حضور الحاضر، وقيام الحجة، بوجود الناصر، وما أخذ الله علىٰ العلماء ألا يقاروا علىٰ كظّة ظالم، ولاسغب مظلوم، لألغيت حبلها علىٰ غاربها، ولسقيت آخرها بكأس؟ أولها، ولألفيتم دنياكم هذه أزهد عندي من عفطة عنز.

قالوا: وقام إليه رجل من أهل السواد عند بلوغه إلىٰ هذا الموضع من خطبته، فناوله كتابًا فأقبل ينظر فيه، فلما فرغ من قراءته قال له ابن عباس رضي الله عنهما: يا أمير المؤمنين، لو اطّردت مقالتك من حيث أفضيت! فقال: هيهات يا بن عباس! تلك شقشقه هدرت ثم قرّت.

قال ابن عباس: فوالله ما أسفت علىٰ كلام قط كأسفي علىٰ هذا الكلام ألا

---

(١) سورة القصص آية ٨٣.

يكون أمير المؤمنين بلغ منه حيث أراد». انتهى [1]

وقد أسهب ابن أبي الحديد في شرح تفاصيل الخطبة الشقشقية وقد أفرد ما يزيد علىٰ خمسين صفحة في شرحها.

(١) شرح نهج البلاغة ـ أبن أبي الحديد ـ ج١ ص١٥١ـ٢٠٣.

الشيعة والتشيّع

نتج عن محطات الاختلاف السابقة خطوط سياسية كانت بمثابة البذور الحقيقية للمذاهب الإسلامية التي ما زالت قائمة حتى تاريخنا المعاصر ومنها المذهب الشيعي وكذلك المذهب السني والمذاهب الإسلامية الأخرى أيضًا.

وبما أننا في صدد البحث عن ما له صلة بالحركة القرمطية التي هي أحد فروع المذهب الإسماعيلي المتفرع من الخط الشيعي، عليه لا بد من توضيح وتعريف التشيع لما له صلة بالموضوع الذي نحن بصدده.

الشيعة في اللغة:

قال ابن منظور: الشيعة القوم الذين يجتمعون علىٰ أمر، وكل قوم اجتمعوا علىٰ أمر، فهم شيعة، وكل قوم أمرهم واحد يتبع بعضهم رأي بعض، فهم شيع.[1]

عرّف الشهرستاني الشيعة، قال: «الشيعة هم الذين شايعوا عليًا رضي الله عنه(ﷺ) علىٰ الخصوص. وقالوا بإمامته وخلافته نصًا ووصيةً، إما جليًا، وإما خفيًا، واعتقدوا أن الإمامة لا تخرج من أولاده، وإن خرجت فبظلم يكون من غيره، أو بتقيه

(١) لسان العرب ـ ابن منظور ج٨ ص١٨٨.

من عنده. وقالوا: ليست الإمامة قضية مصلحية تناط باختيار العامة وينتصب الإمام بنصبهم، بل هي قضية أصولية، وهي ركن الدين لا يجوز للرسل عليهم الصلاة والسلام إغفاله وإهماله، ولا تفويضه إلىٰ العامة وإرساله»[1] .

وقد أبدع العلامة الشهيد محمد باقر الصدر في تعريف التشيع وتاريخه بقوله: «فلا يجوز بحال من الأحوال أن نبني تصوراتنا عن الانقسام العقائدي داخل إطار الرسالة الإسلامية إلىٰ شيعة وغيرهم علىٰ الناحية العددية. كما لا يجوز أيضًا أن نقرن ولادة الأطروحة الشيعية في إطار الرسالة الإسلامية بولادة كلمة الشيعة أو التشيع كمصطلح وأسم خاص لفرقة محددة من المسلمين لأن ولادة الأسماء والمصطلحات شيء ونشوء المحتوى وواقع الاتجاه والأطروحة شيء آخر، فإذا كنا لا نجد كلمة الشيعة في اللغة السائدة في حياة الرسول ﷺ أو بعد وفاته فلا يعني هذا أن الأطروحة والاتجاه الشيعي لم يكن موجودًا، فبهذه الروح يجب أن نعالج قضية التشيع والشيعة ونجيب علىٰ السؤالين التالين:ـ كيف ولد التشيع وكيف ولد الشيعة؟»[2]

وقد أسهب الشهيد السيد محمد باقر الصدر في الإجابة عن كيفية ولادة التشيع من خلال اعتماده علىٰ أطروحة أن التشيع وجد من خلال أن النبي ﷺ كان يعد الإمام علي عليه السلام لمواصلة قيادة الدعوة الإسلامية حتى توصل إلىٰ نتيجة التشيع بقولة: «وهكذا وجد التشيع في إطار الدعوة الإسلامية متمثلًا في هذه الأطروحة النبوية التي وضعها النبي ﷺ بأمر من الله للحفاظ علىٰ مستقبل الدعوة هكذا وجد التشيع لا كظاهرة طارئة علىٰ مسرح الأحداث بل كنتيجة ضرورية لطبيعة تكون الدعوة وحاجاتها وظروفها الأصلية التي كانت تفرض علىٰ الإسلام أن يلد التشيع وبمعنى آخر كانت تفرض علىٰ القائد الأول للتجربة أن يعد للتجربة قائدها الثاني

---

(١) الملل والنحل ـ الشهرستاني ص١٦٣.

(٢) تاريخ الامامية ـ الدكتور عبد الله فياض ـ ص٤.

الذي تواصل علىٰ يده ويد خلفائه نموها الثوري وتقترب نحو اكتمال هدفها التغيري في اجتثاث كل رواسب الماضي الجاهلي وجذوره وبناء أمة جديدة علىٰ مستوى متطلبات الدعوة ومسؤولياتها».[1]

وقال السيد محمد باقر الصدر: «أننا إذا تتبعنا المرحلة الأولى من حياة الأمة الإسلامية في عصر النبي نجد اتجاهين رئيسيين مختلفين قد رافقا نشوء الأمة وبداية التجربة الإسلامية منذ السنوات الأولى، وكانا يعيشان معا داخل إطار الأمة الوليدة التي انشأها الرسول القائد. وقد أدى هذا الاختلاف بين الاتجاهين إلىٰ انقسام عقائدي عقيب وفاة الرسول مباشرة شطر الأمة الإسلامية إلىٰ شطرين قدر لأحدها أن يحكم فأستطاع أن يمتد ويستوعب أكثرية المسلمين بينما أقصي الشطر الآخر عن الحكم وقدر له أن يمارس وجوده كأقلية معارضة ضمن الإطار الإسلامي العام وكانت هذه الأقلية هي الشيعة». انتهىٰ[2]

بدأ التشيع لآل بيت النبوة ﷺ:

يذهب الكثير أن التشيع بدأ في عهد النبي ﷺوهو الذي أطلق عليهم لفظ الشيعة، ونذكر ما نقله الكاتب هاشم الموسوي في كتابه التشيع نشأته..معالمه[3]، عن مجموعة من الآراء التي ترى أن الرسول ﷺ هو الذي أطلق هذا الاسم علىٰ مؤيدي علي ﷺ وأتباعه:

«ما نقله السيد محسن الأمين عن أبي محمد الحسن بن موسى النوبختي في كتابه الفرق والمقالات (الشيعة هم فرقة علي بن أبي طالب، المسمون بشيعة علي في زمان النبي ﷺ وما بعده، معروفون بانقطاعهم إليه والقول بإمامته).

---

(١) تاريخ الامامية ـ الدكتور عبد الله فياض ـ ص١٩.

(٢) المصدر السابق.

(٣) التشيع نشأته .. معالمه ـ هاشم الموسوي ص٢٦.

أما أبو حاتم السجستاني فيقول: (إن لفظ الشيعة كان علىٰ عهد رسول الله، لقب لأربعة من الصحابة، سلمان وأبي ذر والمقداد وعمار).

أما العالم المفسّر السيوطي فيقول في تفسير قوله تعالى: ﴿أُوْلَئِكَ هُمْ خَيْرُ الْبَرِيَّةِ﴾ يقول: أخرج ابن عساكر عن جابر بن عبد الله قال كنا عند النبي ﷺ فأقبل علي، فقال النبي: والذي نفسي بيده إن هذا وشيعته لهم الفائزون يوم القيامة، قال وأخرج ابن مردويه عن علي قال: قال لي رسول الله ﷺ ألم تسمع قول الله: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُوْلَئِكَ هُمْ خَيْرُ الْبَرِيَّةِ﴾[1]، أنت وشيعتك، وموعدي وموعدكم الحوض، إذا جاءت الأمم للحساب تدعون غرًّا محجّلين.

ونقل ابن الأثير ما نصه: (وفي حديث علي ﷺ ستقدم علىٰ الله أنت وشيعتك، راضين مرضيين، ويقدم عليه عدوك غضابًا مقمحين، ثم جمع يده إلىٰ عنقه، يريهم كيف الاقماح).

ونقل الشبلنجي أن ابن عبّاس ﷺ قال: لما نزلت هذه الآية ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُوْلَئِكَ هُمْ خَيْرُ الْبَرِيَّةِ﴾ قال النبي ﷺ لعلي: هو أنت وشيعتك تأتي يوم القيامة أنت وهم راضين مرضيين، ويأتي أعداؤك غضابًا مقمحين.

وتحدث ابن حجر عن نطق النبي ﷺ بهذا المصطلح فقال: الآية الحادية عشرة قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُوْلَئِكَ هُمْ خَيْرُ الْبَرِيَّةِ﴾.

أخرج الحافظ جمال الدين الزرندي عن ابن عباس: إن هذه الآية لمّا نزلت، قال ﷺ لعلي ﷺ: هو أنت وشيعتك يوم القيامة، راضين مرضيين، ويأتي عدوك غضابًا مقمحين».[2]

وقد بدأ شيعة الإمام علي ﷺ في الظهور بشكل علني وذلك بتخلفهم عن بيعة

---

(١) سورة البينة آية ٧.

(٢) التشيع نشأته.. معالمه ـ هاشم الموسوي ص٢٨.

أبي بكر ومالوا مع علي ﷺ كما ذكرهم اليعقوبي في تاريخه وقوله: «منهم: العباس بن عبد المطلب، والفضل بن العباس، والزبير بن العوام بن العاص، وخالد بن سعيد، والمقداد بن عمرو، وسلمان الفارسي، وأبو ذر الغفاري، وعمار بن ياسر، والبراء بن عازب، وأبي بن كعب».(١)

وقال ابن النديم: أن الشيعة برزوا بهذه التسمية عندما خالف طلحة والزبير عليا ﷺ، وأبيا إلا الطلب بدم عثمان بن عفان، وقصدهما علي ﷺ ليقاتلهما حتى يفيئا إلىٰ أمر الله جل أسمه، تسمى من أتبعه علىٰ ذلك الشيعة، فكان يقول: شيعتي، وسماهم، الأصفياء، الأولياء، شرطة الخميس، الأصحاب.(٢)

---

(١) تاريخ اليعقوبي ج٢ ص١٢٤.

(٢) الفهرست ـ لابن النديم ص٣٧٢.

الشيعة الإسماعيلية

وكما أسردنا آنفًا، عرف الشيعة منذ العهد النبوي، وبدأ التشيع في الظهور بشكل علني من خلال التخلف عن المبايعة لأبو بكر والميل نحو علي ﷺ.

وقسم الشهرستاني الشيعة إلىٰ خمسة أقسام وهي:

- الشيعة الإمامية.
- الشيعة الزيدية.
- الشيعة الإسماعيلية.
- الشيعة الكيسانية.
- الشيعة الغلاة.

وفي بحثنا هذا نحن بصدد الاطلاع علىٰ الشيعة الإسماعيلية التي تفرعت منها الحركة القرمطية.

الاسماعيلية:

برز الشيعة الإسماعيلية بعد الانشقاق الذي حدث في صفوف أتباع المذهب

الإمامي بعد وفاة الإمام جعفر بن محمد (الصادق) ﷺ عام ١٤٨هـ فالقسم الذي تابع الإمامة في ابنه موسى الكاظم ﷺ حتى الإمام الثاني عشر الإمام المهدي عجل الله فرجه وسهل مخرجه عرفوا باسم الامامية الاثني عشرية، أما القسم الآخر فهم الإسماعيلية ويرون إثبات الإمامة لإسماعيل ابن الإمام جعفر الصادق ﷺ وهو الابن الأكبر للإمام ﷺ وقد اختلف في موته في حياة أبيه فمنهم من يعتقد أنه توفي في حياة أبيه وأن الإمامة انتقلت إلىٰ محمد بن إسماعيل بتنصيبه من قبل الإمام جعفر الصادق ﷺ بعد موت إسماعيل في حياته، ومنهم من يرى أنه أظهر موته تقية حتى لا يقصد بالقتل، وهكذا اتجه فقهاء الاسماعيليه بخلاف ما يراه الشيعة الامامية الاثني عشرية الذين يثبتون أن الإمامة بعد الإمام جعفر الصادق ﷺ انتقلت إلىٰ الإمام موسى بن الإمام جعفر الصادق ﷺ.

وقد انبرى الدعاة لنشر المذهب الاسماعيلي بشكل سري وبطريقة مبرمجة وتدرجوا في نشر فكر المذهب للمتلقي فنلاحظ إنهم اتبعوا أسلوب تثقيفي لأتباعهم من خلال كتب التبليغ المتدرجة ومنها كتاب البلاغ الأول للعامة وكتاب البلاغ الثاني ـ لفوق هؤلاء قليلًا وكتاب البلاغ الثالث لمن دخل المذهب سنة. وكتاب البلاغ الرابع ـ لمن دخل في المذهب سنتين وكتاب البلاغ الخامس ـ لمن دخل في المذهب ثلاث سنوات. وكتاب البلاغ السادسة ـ لمن دخل في المذهب أربع سنوات. وكتاب البلاغ السابع ـ وفيه نتيجة المذهب والكشف الأكبر.

وقد نجح الإسماعيليون في توسيع النطاق الجغرافي لدعوتهم، فكانت بداياتهم في سواد الكوفة فتفرق الدعاة إلىٰ إقليم البحرين (هجر)، والشام، واليمن، وإفريقيا، مما أدى إلىٰ استنفار الحكم العباسي للقضاء علىٰ الدعوة الإسماعيلية، وعوملوا بشكلٍ قاسٍ كما سنبين ذلك لاحقًا، وهذا ما أدى إلىٰ ردة فعل من قبل القرامطة الإسماعيليين في طريقة نشر مذهبهم فكانت القسوة رد طبيعي من قبل الفكر القرمطي الاسماعيلي في قبل أعدائهم العباسيين وكذلك ضد من يختلف

معهم. وهنا نتذكر أحد دعاة الإسماعيلية (القرمطية) المعروف بصاحب الخال وهو حسين بن زكرويه. يقول الذهبي: كان شجاعًا فاتكًا شاعرًا ومن شعره يقول:

متى أرى الدنيا بلا كاذب ولا حروري ولا ناصبي
متى أرى السيف علىٰ كل من عادى علي بن أبي طالب[1]

الإسماعيلية وبداياتها في سواد الكوفة:

قد اختلفت مسميات أتباع المذهب الاسماعيلي باختلاف المواقع الجغرافية وكذلك باختلاف اسم الداعية الرئيس الذي يرجع له أتباعه، فعلى سبيل المثال عرف بعضهم بإتباع الدعوة الميمونية، نسبة إلىٰ الداعية عبد الله من ميمون (الداعية الأول في الحركة الإسماعيلية) كما أطلق مسمى الحركة القرمطية علىٰ قسم من أتباعهم في سواد الكوفة وإقليم البحرين، والشام، واليمن، كما عرفوا في إفريقيا ومصر بإتباع الحركة الفاطمية أو المذهب الفاطمي نسبة إلىٰ أحفاد فاطمة الزهراء عليها السلام، بل عرفوا أيضًا بالسعيديين نسبة إلىٰ سعيد بن برهام الجنابي الداعية القرمطي في منطقة البحرين (هجر). ولكن في الحقيقة كل هذه المسميات والحركات هي فروع للمذهب الاسماعيلي.

روي في كتب التاريخ بداية الدعوة الإسماعيلية (القرمطية) أن رجل من دعاة أهل البيت ـ صلوات الله عليهم أجمعين ـ أسمه رمضان وله ولد يقال له ميمون نشأ علىٰ التشيع والعلم بأسرار الدعاء لأهل البيت، ثم نشأ لميمون ولد يقال له: عبد الله بن ميمون القداح[2]، كان يعالج العيون ويقدحها، فسمي القداح، واطلع علىٰ أسرار

---

(١) الذهبي ـ تاريخ الإسلام. ج٢٢ ص٥١.

(٢) جاء ذكر عبد الله بن ميمون في كتاب ـ الفهرست ـ لشيخ الطائفة أبي جعفر محمد بن الحسن الطوسي، ويقول: له كتاب، اخبرنا به ابن أبي جيد عن محمد بن الحسن بن الوليد عن الصفار عن أبي طالب عبد الله بن الصلت القمي عنه، واخبرنا عبد الله عن احمد بن محمد عن جعفر بن محمد بن عبد الله عنه، ورواه أيضا محمد بن علي عن حمزة بن محمد العلوي، ومحمد بن علي عن علي بن إبراهيم عن أبيه عنه . ص ١٣٣ منشورات مكتبة أحمد عيسى زواد ـ سيهات ـ السعودية.

الدعوة من أبيه، ويقال أنه من أهل قوزح العباس بقرب مدينة الأهواز، وسار من نواحي الكرخ وأصبهان إلىٰ الأهواز والبصرة وسليمة من ارض الشام يدعو الناس إلىٰ أهل البيت وكانت دعوته إلىٰ الإمام عبيد الله المهدي، أول أئمة الإسماعيليين القائمين ببلاد المغرب.(١)

وبعد وفاة عبد الله بن ميمون، نشأ له ولد يسمى أحمد فقام مكان أبيه في الدعوة وصحبه رجل يقال له رستم بن الحسين بن حوشب النجار من أهل الكوفة، فأرسله أحمد إلىٰ اليمن فدعا الشيعة باليمن إلىٰ عبيد الله المهدي فأجابوه.

كما بعث محمد بن عبد الله بن ميمون ـ وهو بسلمية ـ الحسين الأهوازي داعية إلىٰ العراق، فلقي حمدان بن الأشعث قرمطًا بسواد الكوفة ومعه ثور ينقل عليه، فقال له الحسين الأهوازي: كيف الطريق إلىٰ قس بهرام؟ فعرفه حمدان أنه قاصد إليه، وسأله الأهوازي عن قرية تعرف ببانبورا من قرى السواد، فذكر أنها قريبة من قريته وكان حمدان هذا من قرية تعرف بالدور علىٰ نهر هد من رستاق مهروسا من طسوج فرات باقلي، قال: فتماشيا ساعة، فقال له حمدان: إني أراك جئت من سفر بعيد، وأنت معي فاركب ثوري هذا، فقال له الحسين: لم أومر بذلك، فقال له حمدان: كأنك تعمل بأمر أمر لك؟ قال نعم، قال: من يأمرك وينهاك؟ قال: مالكي ومالكك من له الدنيا والآخرة، قال: فبهت حمدان قرمط مفكرًا، وأقبل ينظر إليه ثم قال له: يا هذا ما نملك ما ذكرته إلا الله تعالى! قال: صدقت، والله يهب ملكه لمن يشاء، قال له حمدان: فما تريد في القرية التي سألتني عنها؟ قال:دفع إليّ جراب فيه علم سر من أسرار الله تعالى، وأمرت، أن أشفي هذه القرية وأغني أهلها واستنقذهم وأملكهم أملاك أصحابهم.

وابتدأ يدعوه فقال له حمدان: يا هذا نشدتك الله إلا دفعت إلي من هذا العلم

(١) الفهرست لابن النديم ـ صبح الأعشى ـ القلقشندي .

الذي معك وأنقذتني ينقذك الله!! قال له: لا يجوز ذلك أو آخذ عليك عهدًا وميثاقًا أخذه الله تعالى علىٰ النبيين والمرسلين وألقى عليك ما ينفعك، قال: فما زال حمدان يضرع إليه حتى جلسا في بعض الطريق وأخذ عليه العهد، ثم قال له: ما اسمك؟ قال: قرمط، ثم قال له قرمط: قم معي إلىٰ منزلي حتى تجلس فيه، فإن لي إخوانًا أصير بهم إليك لتأخذ عليهم العهد للمهدي، فصار معه إلىٰ منزله، فأخذ علىٰ الناس العهد هناك، وأقام في منزل حمدان وأعجبه أمره وعظمه وكرمه، وكان علىٰ غاية ما يكون من الخشوع، صائمًا نهاره قائمًا ليله، وكان المغبوط من أخذه إلىٰ منزله ليلة، وكان ربما خاط لهم الثياب وتكسب بذلك، وكانوا يتبركون به وبخياطته. قال: وأدرك التمر فاحتاج أبو عبد الله محمد بن عمر بن شهاب العدوى إلىٰ عمل تمره، وكان من وجوه أهل الكوفة ومن أهل العلم والفضل والتوحيد، فوصف له هذا الرجل فنصبه لحفظ تمره والقيام في حظيرته، فأحسن حفظها واحتاط في أداء الأمانة، وظهر منه من التشديد في ذلك ما خرج به عن أحوال الناس في تساهلهم في كثير من الأمور، وذلك في سنة أربع وستين ومائتين، فاستحكمت ثقة الناس به، وثقته بحمدان قرمط وسكونه إليه، فأظهر له أمره وكشف له الغطاء.[1]

انتهاء الدعوة الفاطمية الإسماعيلية في مصر:

كانت نهاية الدولة الفاطمية الإسماعيلية المذهب علىٰ يد ما يعرف بصلاح الدين عندما خان الوزارة التي أوكله عليها آخر حاكم فاطمي (العاضد) وكانت نهايته مأساويه، حيث منذ أن استعان العاضد بأسد الدين في دمشق لحرب الفرنج واستوزره، وحلف أسد الدين علىٰ النصيحة للحاكم الفاطمي.

ولكن بعد أيام قلائل من وزارته توفي أسد الدين، فمال الحاكم الفاطمي العاضد إلىٰ اختيار ـ صلاح الدين الأيوبي ـ للوزارة بعد وفاة عمه أسد الدين مكافأة

---

(١) نهاية الأرب في فنون الأدب النويري .

له علىٰ خدماته السالفة، بالرغم من اعتراض الكثير من المقربين للعاضد. وما أن تمكن صلاح الدين من وزارته، استبد بالأمور مما أدى إلىٰ إضعاف أمر العاضد الفاطمي، وكان صلاح الدين طائفيًا، وأول أعماله في مصر، قام بهدم دار المعرفة وبناها مدرسة للشافعية وبنى دار الغزل كذلك للمالكية وعزل قضاة الشيعة وأقام قاضيًا شافعيًا في مصر.

وعندما استقام الأمر لصلاح الدين عزل الشيعة من مناصبهم وجراء هذه الاعمال العدائية التي قام بها حاول الشيعة جمع أمرهم ضده، لكن هناك من وشى بهم، فقبض عليهم وشنقهم في يوم واحد، مما أدى إلىٰ ثورة شعبية علىٰ جنود صلاح الدين بعد هذه الحادثة وقدر عدد الثائرين خمسون ألفا وقاتلوا أجناد صلاح الدين ولكنهم هزموا وحرقت بيوتهم وأموالهم حتى أولادهم، وركبهم السيف.

وبعد هذه الحوادث ضعف أمر العاضد الفاطمي وتحكم في قصره، فقطعت الخطبة للحاكم الفاطمي في مصر، وخطب بها للمستنصر العباسي في أول جمعه من المحرم سنة سبع وستين وخمسمائة . وتوفي الحاكم الفاطمي بعد ذلك في العاشر من المحرم بعد انقطاع الخطبة للفاطميين، فقام صلاح الدين بمصادرة أملاك العاضد ومنها من الكتب مايناهز مائة وعشرين ألف سفر، وحبس رجال الشيعه ونساءهم حتى ماتوا وانقرض أمر الشيعة بمصر بموت العاضد الفاطمي، وقام صلاح الدين بتحويل الدعوة من الفاطمية إلىٰ العباسية. وقامت عدة محاولات لإعادة الدعوة الفاطمية لكن نجح صلاح الدين في إفشالها وقتل قادتها.[1]

---

(١) تاريخ ابن خلدون ص٩٥٠.

الفصل الثاني



الحركة القرمطية

- الحركة القرمطية وابتدائها
- عوامل ساعدت في انتشار الفكر القرمطي
- طريقة الحكم القرمطي
- التنجيم والقرامطة
- عادات وتقاليد قرمطية
- القرامطة وكتبهم

الحركة القرمطية وابتدائها

ذكر في كتب التاريخ أنه لما حضرت أحمد بن عبد الله بن ميمون الداعية الاسماعيلي الوفاة جعل مقامه حمدان بن الأشعث المعروف بقرمط، فأخذ علىٰ أكثر أهل السواد وكان ذكيًا، و ممن أجابه من أصحابه الذين صار لهم ذكر زكرويه بن مهرويه السلماني وجلندي الرازي، وعكرمة البابلي، وإسحاق السوراني، وعطيف النيلي وغيرهم، وبث دعاته في السواد يأخذون علىٰ الناس، وكان أكبر دعاته عبدان متزوجًا أخت قرمط أو قرمط متزوجًا أخته، وكان عبدان رجلا ذكيًا خفيفًا فطنًا، خارجًا عن طبقة نظرائه من أهل السواد ذا فهم، فكان يعمل عند نفسه علىٰ حد قد نصب له، ولا يرى أنه يجاوزه إلىٰ غيره من خلع الإسلام، ولا يظهر غير التشيع والعلم ويدعو إلىٰ الإمام من آل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، محمد بن إسماعيل بن جعفر، وكان أحد من تبع عبدان زكرويه بن مهرويه، وكان زكرويه شابًا فيه ذكاء وفطنة، وكان من قرية بسواد الكوفة يقال لها المنسانية تلاصق قرية الصوان، وهاتان القريتان علىٰ نهرهد نصبه عبدان علىٰ إقليم نهرهد وطسوج السالفين وإقليم نهر يوسف داعية، ومن قبله جماعة دعاة متفرقون في عمله، يدور كل واحد منهم في عمله في كل شهر مرة، وكل ذلك بسواد الكوفة، ودخل في دعوته من العرب

من بني ضبيعة بن عجل ـ وهم من ربيعة ـ رجلان، أحدهما يعرف برباح والآخر يعرف بعلي بن يعقوب القمر، فأنفذهما دعاة إلىٰ العرب في أعمال الكوفة وسورا وبربسما وبابل، ودخل في دعوته من العرب أيضًا رفاعة من بني يشكر، ثم من بكر بن وائل رجل يعرف بسند وآخر يعرف بهارون، فجعلهما دعاة نخيلة وما والاها في العرب خاصة إلىٰ حدود واسط، فمال إليه هذان البطنان ودخلا في دعوته فلم يكد يختلف رفاعي ولا ضبعي، ولم يبق من البطون المتصلة بسواد الكوفة بطن إلا دخل في الدعوة منه ناس كثير أو قليل، من بني عايش وذهل وغيره وبني عنز وتيم الله وثعل وغيرهم، وفيهم نفر يسير من بني شيبان، فقوى قرمط بهم وزاد طعمه فأخذ في جمع أموالهم.

قرمط يجمع الأموال:

فرض قرمط علىٰ من دخل في دعوته واستجاب له استئصال أموالهم من اليسير إلىٰ الكثير حتى استقام له أمرهم كان أول ما ابتدأ به أن فرض عليهم وامتحنهم بتأدية درهم واحد، وسمى ذلك الفطرة من كل رأس من الرجال والنساء والصبيان فسارعوا إلىٰ ذلك، فتركهم مديدة ثم فرض عليهم الهجرة، وهو دينار علىٰ كل رأس أدرك الحنث، وتلا عليهم قوله تعالى: ﴿خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا وَصَلِّ عَلَيْهِمْ إِنَّ صَلاتَكَ سَكَنٌ لَهُمْ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾، وقال: هذا تأويل هذا، فدافعوا ذلك مبادرين به إليه، وتعاونوا عليه فمن كان فقيرًا أسعفوه، فتركهم مديدة ثم فرض عليهم البلغة: وهي سبعة دنانير، وزعم أن ذلك هو البرهان بقوله تعالى: ﴿قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾، وزعم أن ذلك بلاغ من يريد الإيمان والدخول في السابقين ـ أولئك المقربون، وصنع لهم طعامًا طيبًا حلوًا لذيذًا وجعله علىٰ قدر البنادق، يطعم كل من أدى إليه سبعة دنانير واحدة منها، وزعم أنه طعام أهل الجنة نزل إلىٰ الإمام، واتخذ ذلك كالخواتيم ينقل إلىٰ الداعي منها مائة بلغة ويطالبه بسبعمائة دينار، فلما توطأ له هذا الأمر فرض عليهم أخماس ما يملكون وما يتكسبون، وتلا

عليهم قوله تعالى: ﴿وَاعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ ... الآيِةِ﴾ فقوموا جميع ما يملكونه من ثوب وغيره وأدوا خمسة إليه، حتى كانت المرأة تخرج خمس ما تغزل، والرجل خمس ما يكسب، فلما تم ذلك له واستقر فرض عليهم الألفة، وهو أن يجمعوا أموالهم في موضع واحد وأن يكونوا في ذلك أسوة واحدة، لا يفضل أحد منهم صاحبه وأخاه في ملك يملكه، وتلا عليهم قوله تعالى: ﴿وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَاناً﴾، وتلا عليهم قوله تعالى: ﴿لَوْ أَنْفَقْتَ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعاً مَا أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ إِنَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾، وعرفهم أنه لا حاجة بهم إلىٰ أموال تكون معهم، لأن الأرض بأسرها ستكون لهم دون غيرهم، وقال لهم: هذه محنتكم التي امتحنتم بها ليعلم كيف تعلمون، وطالبهم بشراء السلاح وإعداده، وذلك كله في سنة ست وسبعين ومائتين.[١]

دار الهجرة في سواد الكوفة :

ذكر المقريزي أن دعاة القرامطة الاسماعيليين أسسوا أول دار هجرة لهم في سواد الكوفة في قرية مهتماباد حيث قال: «ثم أن الدعاة اجتمعوا واتفقوا علىٰ أن يجعلوا لهم موضعا يكون وطنا ودار هجرة يهاجرون إليها، ويجتمعون بها، فاختاروا من سواد الكوفة في طسوج الفرات من ضياع السلطان المعروفة بالقاسميات قرية تعرف بمهتماباد، فحاذوا إليها صخرا عظيما، وفرغوا من ذلك في أسرع وقت، وبنوا فيها البناء العظيم، وانتقل إليها الرجال والنساء من كل مكان، وسميت دار الهجرة، وذلك في سنة سبع وتسعين ومائتين فلم يبق حينئذ أحد إلا خافهم، ولا بقى أحد يخافونه لقوتهم وتمكنهم في البلاد». انتهىٰ[٢]

---

(١) نهاية الأرب في فنون الأدب النويري .

(٢) اتعاظ الحنفاء ـ المقريزي.

ويقال أن كل من القرمطي حمدان بن الأشعث وداعيته عبدان تراجعا عن الدعوة الإسماعيلية بعد وفاة أحمد بن عبد الله بن ميمون، وأخذ الأمر من بعده ابنه، و كتب إلىٰ حمدان قرمط كتابًا، فلما ورد عليه الكتاب وقرأه أنكر ما فيه، وتبين فيه ومنه ألفاظًا قد تغيرت، واستراب قرمط من الأمر فأنفذ عبدان ليتعرف علىٰ من أصبح الحجة للإمام المنتظر، فسار إليه ولما وصل اجتمع به وسأله عن الحجة ومن الإمام بعده، الذي يدعو إليه، فقال الابن: ومن الإمام؟ قال عبدان: محمد بن إسماعيل بن جعفر صاحب الزمان الذي كان أبوك يدعو إليه، وكان حجته، فأنكر ذلك عليه وقال: محمد بن إسماعيل لا أصل له، ولم يكن الإمام غير أبي وهو من ولد ميمون بن ديصان، وأنا أقوم مقامه، فعرف عبدان القصة واستقصى الخبر وعلم أن محمد بن إسماعيل ليس له في هذا الأمر حقيقة، وإنما هو شيء يحتالون به علىٰ الناس، وأنه ليس من ولد عقيل بن أبي طالب، فرجع عبدان إلىٰ قرمط فعرفه الخبر، فأمره قرمط أن يجمع الدعاة ويعرفهم صورة الأمر وما تبين منه، ويقطع الدعوة، ففعل عبدان ذلك وقطعت الدعوة من ديارهم، ولم يمكنهم قطعها من غير ديارهم.

وذكر المقريزي في توبة عبدان القرمطي قوله: «وكان قرمط إنما يدعوا إلىٰ إمامة محمد بن اسماعيل، فلما قطعوها من ديارهم لم يمكنهم قطعها من غير ديارهم، لأنها امتدت في سائر الأقطار، ومن حينئذ قطع الدعاة مكاتبة الذين كانوا بسليمة.

وكان رجل منهم قد نفذ إلىٰ الطالقان يبث الدعوة، فلما انقطعت المكاتبة طال انتظاره، فشخص يسأل عن قرمط، فنزل علىٰ عبدان بسواد الكوفة، فعتبه وعتب الدعاة في انقطاع كتبهم، فعرفه عبدان قطعهم الدعوة، وأنهم لا يعودون فيها، وأنه تاب من هذه الدعوة حقيقة، فانصرف عنه إلىٰ زكرويه بن مهرويه ليدعو كما كان أبوه، ويجمع الرجال، فقال زكرويه: إن هذا لايتم مع عبدان لأنه داعي البلد كله والدعاة من قبله، والوجه أن نحتال علىٰ عبدان حتى نقتله، وباطن علىٰ ذلك جماعة من قرابته وثقاته، وقال لهم إن عبدان قد نافق وعصى وخرج من الملة، فبيتوه ليلا وقتلوه».

انتهى [١]

لابد لنا هنا من وقفة لهذه الرواية السابقة التي فيها محاولة من التوهين والتشكيك في الدعوة الإسماعيلية، وفي الحقيقة أنني لاعتقد في تراجع حمدان بن الأشعث ولا عبدان عن هذه الدعوة الإسماعيلية، ولكن هذه من ألاعيب مؤرخي الدولة العباسية في تشويه الحركة الإسماعيلية التي أنتجت الدولة الفاطمية ونافست الدولة العباسية علىٰ زعامة العالم الإسلامي آنذاك، وحاول مؤرخي البلاط العباسي ومن تبعهم العمل علىٰ تشويه تاريخ الدولة الفاطمية وبالخصوص محاولة إبعاد نسب أهل البيت عن الفاطميين، بالرغم من إثبات النسب من قبل الشريف الرضي كما سيأتي. وهذا حال مؤرخي الدولة العباسية وكذلك يفعلون.

ولاطلاع القارئ حول تفاصيل ما أورده المؤرخون في ذلك النسب الفاطمي نذكر مايلي:

١. أورد السمعاني في الأنساب قوله: «القداحي: بفتح القاف والدال المهملة المشددة وفي آخرها الحاء المهملة بعد الألف، هذه النسبة لطائفة من الباطنية، يقال لهم القداحية، وهم ينتمون إلىٰ عبد الله بن ميمون القداح، وهو جد زعيم بناحية المغرب، وكان هذا القداح ثنويًا، ومولى عتيقًا من موالي جعفر الصادق فمخرق علىٰ غلاة الروافض بأنه منهم، حتى أجابه قوم منهم إلىٰ ضلالته، وكانت دعوته إلىٰ بدعته سنة مائتين وعشر من الهجرة، وكان ميمون غلام جعفر، وعبد الله كان مع محمد بن إسماعيل بن جعفر في الكتاب فلما مات محمد كان يخدم إسماعيل. فلما مات إسماعيل أدعى عبد الله أنه ابن إسماعيل، وانتسب إليه، وهو ابن ميمون». [٢]

---

(١) اتعاظ الحنفاء ـ المقريزي.

(٢) الأنساب ـ السمعاني .

٢. وذكر ابن الأثير ضمن سرده عن الدولة العلوية بإفريقيا (الفاطمية) يقول فيها: أول من ولي منهم محمد عبيد الله فقيل هو محمد بن عبد الله بن ميمون بن محمد بن إسماعيل بن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب رضي الله عنهم، ومن ينسب هذا النسب يجعله عبد الله بن ميمون القداح الذي ينسب إليه القداحيه، وقيل هو عبيد الله بن أحمد بن إسماعيل بن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن أبي طالب ﷺ رضي الله عنهم.

وقد أختلف العلماء في صحة نسبه، فقال هو وأصحابه القائلون بإمامته: إن نسبة صحيح علىٰ ما ذكرناه، ولم يرتابوا فيه، وذهب كثير من العلويين العالمين بالأنساب إلىٰ موافقتهم أيضًا، ويشهد بصحة هذا القول ما قال الشريف الرضي:

ما مقامي علىٰ الهوان وعندي	مقول صارم وأنف حمي
البس الذل في بلاد الأعادي	وبمصر الخليفة العلوي
من أبوه أبي، ومولاه مولا	ي إذا ضامني البعيد القصي
لف عرقي بعرقه سيد النا	س جميعا: محمد وعلي
إن ذلي بذلك الجو عز	وأوامي بذلك النقع ري

ويتابع ابن الأثير قوله: وإنما لم يودعها في بعض ديوانه خوفًا، ولا حجة بما كتبه في المحضر المتضمن القدح في أنسابهم.

ويوضح ابن الأثير قصة السلطان العباسي القادر بالله وغضبه من هذه الأبيات التي قالها الشريف الرضي وإرساله القاضي أبا بكر بن الباقلاني إلىٰ والد الشريف الرضي وطلب من ولده الاعتذار إلىٰ الخليفة ويذكر أن نسب المصري مدخول وأنه مدع في النسب، فقال لا أفعل.

ويقول ابن الأثير «ففي امتناع الرضي من الاعتذار، ومن أن يكتب طعنًا في

نسبهم مع الخوف، دليل قوي علىٰ صحة نسبهم»[1].

٣. يذكر العقاد سبب هذا الطعن في النسب الفاطمي قوله: «كان الفاطميون يطلبون الخلافة ويعتمدون في طلبها علىٰ انتسابهم إلىٰ الأكثرون من أتباع الدول الإسلامية الذين تسري بينهم دعوى آل البيت، غير مستثنى منهم أتباع الدولة العباسية في ذلك العهد علىٰ الخصوص وهو عهد النقص والإدبار الذي يكثر فيه طلاب الزوال أو طلاب العلل بالحق وبالباطل، وعلى الإنصاف الواضح أو علىٰ الجور الصراح، كان مضي الخلافة إلىٰ الفاطميين نذير بزوال عروش كثيرة، منها عروش العباسيين في بغداد والإخشيديين في مصر والاغالبة في افريقية الشمالية والأمويين في الأندلس، والأمراء الصغار المنبثين في هذه الرقعة هنا وهناك ممن يطيب لهم القرار علىٰ ما هم فيه ولا يطيب لهم التبديل والانتقال وكان هؤلاء المالكون غرباء عن أهل البيت ماعدا العباسيين، ولكن العباسيين في ذلك العهد خاصة كانوا أخوف الخائفين من نسب الفاطميين».

كما يوضح العقاد في موضع آخر انحسار أكذوبة العباسيين. يقول: «كان المنتفعون بالطعن في نسب الفاطميين كثيرين متعددين، كلهم كما تقدم من ذوي السلطان أو أتباع ذوي السلطان، وقد استعانوا بالحول والحيلة في ترويج مطاعنهم واختراع أقاويلهم فاستمالوا إليهم في البلاد الإسلامية من لا مصلحة له في مطاعنهم، ولكننا نحسب ـ بعد مراجعة أخبار العصر وحوادثه ـ أن المطاعن في النسب لم تكسب من المصدقين إلا القليل الذين ينظرون إلىٰ الأمر كله بغير اكتراث أو يكترثون له ولكنهم عيال علىٰ الحوادث لا يقدمون ولا يؤخرون».[2]

---

(١) الكامل في التاريخ ـ ابن الأثير ج٨ ص٢٦ ـ دار صادر بيروت.

(٢) فاطمة الزهراء والفاطميون ـ عباس محمود العقاد ـ ص٧٠ ـ ص٧٩.

عوامل ساعدت في ظهور الحركة القرمطية

ساعدت في ظهور الحركة القرمطية عوامل متعددة كانت جميعها تصب في صالح تلك الحركة الفتية، وأصبحت هذه العوامل من أسباب نجاح الحركة القرمطية، وسنوضح هنا بعض منها:

أولا: غيبة الإمام المهدي ﷺ.

كان الولاء لأهل بيت النبوة منتشرًا في مناطق سواد الكوفة والبحرين واليمن، وكانوا في انتظار مهدي آل البيت ﷺ.

توفي الإمام أبو محمد الحسن بن علي (العسكري ﷺ الإمام الحادي عشر من أئمة أهل البيت) عام ٢٦٠هـ بسامراء وانتقلت الائتمامة لابنه من بعده الإمام أبو القاسم محمد بن الحسن (المهدي المنتظر) سلام الله عليه وعجل الله فرجه،وغاب عن الأبصار بأمر من الله سبحانه وتعالى عام ٢٦٥هـ وسبب الغيبة ما رواه الإمام الصادق ﷺ عن رسول الله قوله: «لا بد للغلام من غيبة. فقيل له ولم يا رسول الله قال يخاف القتل» وأكد المرتضى علة الغيبة هي أنه غاب خوفًا علىٰ نفسه وكانت عن

الأعداء أولاً ثم اقتضت إرادة الله أن تكون الغيبة عن الأعداء والأولياء معًا[١].

وقد يتساءل البعض لم هذا الخوف؟ أليس إباؤه كانوا ظاهرين ولم يخافوا ولا صاروا بحيث لا يصل إليهم أحد؟ للإجابة علىٰ هذا السؤال وجدنا ضالتنا في كتاب الغيبة للطوسي قولة: «آباؤه ﷺ حالهم بخلاف حاله لأنه كان المعلوم من حال آبائه لسلاطين الوقت وغيرهم أنهم لا يرون الخروج عليهم ولا يعتقدون أنهم يقومون بالسيف ويزيلون الدّول، بل كان المعلوم من حالهم أنهم ينتظرون مهديًا لهم، وليس يضر السلطان اعتقاد من يعتقد إمامتهم إذا أمنوهم علىٰ مملكتهم ولم يخافوا خبلتهم (الفتنة) وليس كذلك صاحب الزمان ﷺ، لأن المعلوم منه أنه يقوم بالسيف ويزيل الممالك ويقهر كل سلطان، ويبسط العدل ويميت الجور، فمن هذه صفته يخاف خبلته ويتقى فورته (حدته) فيتتبع ويرصد ويوضع العيون عليه، ويعنى به، خوفًا من وثبته ورهبته من تمكنه، فيخاف حينئذ ويحوج إلىٰ التحرز والاستظهار بأن يخفى شخصه عن كل من لا يأمنه من ولي وعدو إلىٰ وقت خروجه».[٢]

بعد غيبة الإمام المهدي ﷺ بدأ الهرج، وهذا ما أخبر عنه الرسول الأكرم ﷺ،.. عن الأسود بن سعيد الهمداني قال: سمعت جابر بن سمرة يقول: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «يكون بعدي اثنا عشر خليفة كلهم من قريش» قال: فلما رجع إلىٰ منزله؟ أتته قريش فقالوا: ثم يكون ماذا؟ فقال: «ثم يكون الهرج».[٣]

وما أن غاب إلامام المهدي ﷺ بدأت الحركات ذات المطامع السياسية بالانتشار والتوسع واستغل بعضهم غيبة الإمام لمصالح دنيوية ومحاولة الاستفادة من الولاء لأهل البيت في الشارع الإسلامي فبرزت حركات تدّعي تمثيل أهل البيت ﷺ ومنها حركة القرامطة.

---

(١) تاريخ الامامية ـ الدكتور عبد الله فياض ـ ص١٦٠.

(٢) كتاب الغيبة ـ الطوسي ـ ص٢٢٣.

(٣) كتاب الغيبة ـ الطوسي ـ ص٩٨.

ذكر المسعودي[1] خلال استعراضه تاريخ القرامطة أن هذه الدعوة أحدثت باصبهان سنة ٢٦٠هـ. وهنا يتضح من قول المسعودي مدى استفادة هذه الدعوة من غيبة الإمام المهدي سلام الله عليه وعجل فرجه.

كما أن ابن خلدون أوضح ذلك بقوله: «والذي حملهم (القرامطة) علىٰ ذلك إنما هو ما اشتهر بين الشيعة من أمر المهدي مستندين فيه إلىٰ الأحاديث التي خرجها بعضهم وقد أريناك عللها في مقدمة الكتاب الفاطمي فلهجوا به، وبالدعوة إليه فمن الصادق فيمن يعنيه وإن كان كاذبًا في استحقاقه، ومنهم من بنى أمره علىٰ الكذب والانتحال، عساه يستولي بذلك علىٰ حظ من الدنيا ينال بها صفقة». انتهىٰ[2]

ثانيا: قسوة وظلم الدولة العباسية:

عرف عن حكام بني العباس استخدام القوة والإبادة ضد أهل البيت ومحبيهم وشيعتهم أدت هذه القسوة إلىٰ الثورة الجماهيرية علىٰ النظام العباسي والالتحاق بالحركات السياسية والدينية وهناك قصص كثيرة وردت في كتب التاريخ توضح القسوة العباسية نذكر بعضها علىٰ سبيل المثال:

يقول المسعودي: «وكان آل أبي طالب قبل خلافته (المنتصر العباسي) في محنة عظيمة، وخوفًا علىٰ دمائهم، قد منعوا زيارة قبر الحسين والغري من أرض الكوفة، وكذلك منع غيرهم من شيعتهم حضور هذه المشاهد. وكان الأمر بذلك من المتوكل سنة ست وثلاثين ومائتين، وفيها أمر المعروف بالذيريج بالسير إلىٰ قبر الحسين بن علي رضي الله تعالى عنهما وهدمه ومحو أرضه وإزالة أثره، وأن يعاقب من وجد به، فبذل الرغائب لمن تقدم علىٰ هذا القبر، فكل خشى العقوبة وأحجم». انتهىٰ[3]

---

(١) التنبيه والإشراف ـ المسعودي ـ ص٣٩٥ طبعة ليدن.

(٢) تاريخ ابن خلدون ص٩٥٤.

(٣) مروج الذهب ومعادن الجوهر ـ المسعودي ـ ج٤ ص١٥٤.

وأشار ابن الأثير في تاريخه «أن المتوكل العباسي أمر بهدم قبر الإمام الحسين بن علي ﷺ وهدم ماحوله من المنازل والدور وأن يبذر ويسقى موضع قبره، وأن يمنع الناس من إتيانه، فنادى عامل صاحب الشرطة بالناس في تلك الناحية من وجدناه عند قبره، بعد ثلاثة، حبسناه في المطبق فهرب الناس وتركوا زيارته وحرث وزرع، وكان المتوكل شديد البغض لعلي بن أبي طالب ﷺ ولأهل بيته وكان يقصد من يبلغه عنه أنه يتولى عليًا وأهله بأخذ المال والدم وكان من جملة ندمائه عبادة المخنث، وكان يشد علىٰ بطنه تحت ثيابه مخدة ويكشف رأسه، وهو أصلع ويرقص بين يدي المتوكل والمغنون يغنون قد أقبل الأصلع البطين خليفة المسلمين يحكى بذلك عليا، ﷺ والمتوكل يشرب ويضحك، ففعل ذلك يومًا والمنتصر حاضر: فأومأ إلىٰ عبادة يتهدده، فسكت خوفًا منه فقال المتوكل ما حالك؟ فقام وأخبره، فقال المنتصر: يا أمير المؤمنين؟ إن الذي يحكيه هذا الكاتب، ويضحك منه الناس، هو ابن عمك، وشيخ أهل بيتك، وبه فخرك، فكل أنت لحمه، إذا شئت ولا تطعم هذا الكلب وأمثاله منه! فقال المتوكل للمغنين غنوا جميعًا:

غـــار الـفـتـى لابـــن عمه   رأس الـــفـتـى جـر أمـه

فكان هذا من الأسباب التي استحل بها المنتصر قتل المتوكل». انتهىٰ[1]

وكمثال لقسوة الحكام العباسيين ذكر المسعودي في مروجه أن الخليفة العباسي المعتضد كان شديد الرغبة في أن يمثل بمن يقتله، وكان إذا غضب علىٰ القائد النبيل والذي يختصه من غلمانه، أمر أن تحفر له حفيرة بحضرته ثم يدلى علىٰ رأسه فيها ويطرح التراب عليه، ونصفه الأسفل ظاهر علىٰ التراب، ويداس التراب، فلا يزال كذلك حتى تخرج روحه من دبره.[2]

كما ذكر قصه أخرى، وفيها قضى علىٰ أحد اللصوص وكان الحد الذي أقامه

(١) الكامل في التاريخ ـ ج٧ ص٥٥.

(٢) مروج الذهب ومعادن الجواهر ـ المسعودي ص ٢٦١ ج٤.

ضده ينم عن مدى قسوة الرجل، قال المسعودي: «ثم أمر فقبض علىٰ يديه ورجليه وأوثق، ثم أمر بمنفاخ في دبره، وأتي بقطن فحشي في أذنيه وفمه وخيشومه، وأقبل ينفخ، وخلى عن يديه ورجليه من الوثاق وأمسك بالأيدي وقد صار كأعظم ما يكون من الزِّقاق المنفوخة، وقد ورم سائر أعضائه وعظم جسمه، وعيناه قد امتلأتا وبرزَتَا، فلما كاد أن ينشقَّ أمر بعض الأطباء فضربه في عرقين فوق الحاجبين، وهما في الجبين، فأقبلت الريح تخرج منهما مع الدم ولها صوت وصفير إلىٰ أن خمد وتلف، وكان ذلك أعظم منظر رؤى في ذلك اليوم من العذاب، وقيل: إن البدَرَ كانت عَيْنًا وإن عددها كان أكثر مما وصفنا».(١)

وذكر الذهبي في أحداث سنة إحدى وثلاثمائة أوضح فيها ماحل علىٰ القرامطة من ظلم قوله: «قال ثابت: وكان علي بن عيسى أشار بمكاتبة أبي سعيد بن بهرام الجنابي والأعذار إليه وحضه علىٰ الطاعة، ووبخه علىٰ مايحكى عنه وعن أصحابه من ترك الصلاة والزكاة واستباحة المحرمات ثم توعده وتهدده. فبلغ الرسل وهم بالبصرة مقتله، فكتبوا إلىٰ الوزير، فكتب إليهم: أن سيروا إلىٰ من قام بعده. فساروا وأوصلوا الكتاب إلىٰ أولاده، فكتبوا جوابه، فكان: للوزير أبي الحسن من إخوته، سلام علىٰ الوزير، فإنا نحمد إليه الله الذي لاإله إلىٰ هو، ونسأله أن يصلي علىٰ سيدنا محمد ﷺ. وفيه: فأما ماذكره عنا من انفرادنا عن الجماعة فنحن بل أفردنا عنها، وأخرجنا من ديارنا، واستحلوا دماءنا، ونحن نشرح للوزير حالنا: كان قديم أمرنا أنا كنا مستورين مقبلين علىٰ تجارتنا ومعايشنا ننزه أنفسنا عن المعاصي، ونحافظ علىٰ الفرائض، فنقم علينا سفهاء الناس وفجارهم ممن لا يعرف بدين، وأكثروا التشنيع علينا حتى جمع الناس علينا، وتظاهروا وشهدوا علينا بالزور، وأن نساءنا بيننا بالسوية وأنا لا نحرم حراما ولانحللُ حلالًا، فخرجنا هاربين، ومن بقي منا جعلوا في رقابهم الحبل والسلاسل إلىٰ أن قال: فأجلونا إلىٰ جزيرة، فأرسلنا إليهم نطلب

---

(١) مروج الذهب ومعادن الجواهر ـ المسعودي.

أموالنا وحرمنا، فمنعوناها وعزموا علىٰ حربنا، فحاكمناهم إلىٰ الله، وقال تعالى: ﴿ذَٰلِكَ وَمَنْ عَاقَبَ بِمِثْلِ مَا عُوقِبَ بِهِ ثُمَّ بُغِيَ عَلَيْهِ لَيَنْصُرَنَّهُ اللَّهُ﴾، فنصرنا الله عليهم وأما ما أدعى علينا من الكفر وترك الصلاة فنحن تائبون مؤمنون بالله. فكتب الوزير يعدهم الإحسان». انتهى[(١)]

ثالثا: بدأ القرامطة من حيث انتهى صاحب الزنج:

استفادت الحركة القرمطية من دعوة حركة الزنج التي دعت إلىٰ أهل بيت النبوة في نشر دعوتها وهم في حقيقة أمرهم من أشد أعداء أهل البيت ﷺ، وهنا وجه الشبه كما يبدو لي أن حركة القرامطة وأن كانت دعوتها ظاهريا تنتسب إلىٰ الدعوة الإسماعيلية، لكن حقيقة أعمالها من الإسراف في القتل، يعطي انطباعًا علىٰ أنها امتداد طبيعي لحركة صاحب الزنج الذي قتل في عام ٢٧٠هـ فهناك وجه شبه بين الدعوتين:

١. استخدام التعاطف من قبل الشارع مع أهل بيت النبوة الذين كانوا يمثلون المعارضة الحقيقية للدولة العباسية، إضافة لظلم العباسيين وتسلطهم علىٰ رقاب الناس وقتلهم وتعذيبهم لمن يخالفهم.

٢. هناك تواصل بين دعاة القرامطة وصاحب الزنج قبل أن يقتل وهذا ما شار إليه الطبري بلقاء المدعو قرمط مع صاحب الزنج نقلا عن سلف زكروية أنه قال: «قال لي قرمط: صرت إلىٰ صاحب الزنج، ووصلت إليه، وقلت له: إني علىٰ مذهب، وورائي مائة ألف سيف؛ فناظرني، فإن اتفقنا علىٰ المذهب ملت بمن معي إليك، وإن تكن الأخرى انصرفت عنك. قال: فناظرته إلىٰ الظهر، فتبين لي في آخر مناظرتي إياه أنه علىٰ خلاف أمري، وقام إلىٰ الصلاة،

---

(١) الذهبي ج٢٣ ص١٠.

فانسللت، فمضيت خارجًا من مدينته، وصرت إلىٰ سواد الكوفة».[1]

وبالتالي فحركة القرامطة استفادت من اندحار حركة صاحب الزنج التي كانت تدعوا ظاهرا إلىٰ أهل بيت النبوة وهي في الحقيقة حركة ترى رأي الازارقة من الخوارج كما أورد المسعودي في مروجه قوله: «وظهر من فعله مادل علىٰ تصديق مارمى به من أنه كان يرى رأي الأزارقة من الخوارج، لأن أفعاله في قتل النساء والأطفال وغيرهم من الشيخ الفاني وغيره ممن لايستحق القتل يشهد بذلك عليه، وله خطبة يقول في أولها: الله أكبر، لااله إلا الله والله أكبر، ألا لا حكم إلا لله»[2] وهذه الأمور التي ذكرها المسعودي تنطبق أيضًا علىٰ الحركة القرمطية.

٣. كما استفادت الحركة القرمطية انتظار عامة سكان سواد الكوفة وما حولها، المخلص المنتظر الإمام المهدي عليه السلام فكما كان صاحب الزنج ادعى نسب آل البيت وقال أنه علي بن محمد بن الفضل بن حسن بن عبد الله بن العباس بن علي بن أبي طالب عليه السلام ودعا في بداية الأمر أهالي هجر إلىٰ طاعته وذلك عام ٢٤٩هـ حتى اتضح أمره وهرب عنهم إلىٰ الاحساء في حي بني تميم، ثم هروبه بعد هزيمته إلىٰ البصرة، كذلك كانت الدعوة القرمطية فيها بوادر النجاح والقبول لدى عامة الناس في بدايتها كما يبدو من حسن مقاصدها الظاهرة دون علم أهالي هجر في بادئ الأمر ببواطنها .وهناك تناقض وازدواجية في الفكر القرمطي الهجري منذ بداية تأسيسها دولتهم حتى آخر أيامها وبدا ذلك في عدائها للدولة العباسية في ابتدائها، والولاء إلىٰ مؤسس الدولة الفاطمية في افريقيا وبعد اقتلاع الحجر الأسود من الكعبة أختلف الولاء إلىٰ عداء والعداء إلىٰ ولاء، حيث غضب عليهم الزعيم الفاطمي،

---

(١) تاريخ الأمم والملوك ـ الطبري .

(٢) مروج الذهب ومعادن الجواهر ـ المسعودي ص٢٢٢ ج٤.

وتقرب العباسيون منهم، ومن ثم العودة في فتره لاحقة إلىٰ العداء الطبيعي إلىٰ الدولة العباسية ولكن هذا العداء انتهى بتحالف من قبل آخر حاكم من أسرة أبو سعيد القرمطي الحسن بن أحمد (الأعصم) المتوفى عام ٣٦٣هـ مع الدولة العباسية (السنية المذهب) وملوك بني بويه (الزيدية المذهب، ويقال إمامية اثنا عشرية) للقضاء علىٰ الدولة الفاطمية (الإسماعيلية المذهب) التي استولت علىٰ مصر من الإخشيديين الذين كانوا يدفعون إتاوة لقرامطة هجر، فكانت النتيجة أن استفادت الدولة العباسية من انشغال قرامطة هجر الاسماعيلي المذهب مع الفاطميين مؤسسي المذهب الاسماعيلي، من هنا يتبين مدى الشكوك التي تحوم حول صحة إقتداء القرامطة وحبهم لأهل البيت كما يزعمون. واعتناقهم للمذهب الاسماعيلي وتشيعهم، بل كانوا أقرب إلىٰ الخوارج في أفعالهم من التشيع لأهل البيت وسيتبين للقارئ ذلك في الأحداث التي سنوردها في صفحات هذا الكتاب.

٤. تحالف القرامطة مع الأعراب، كان هذا التحالف من العوامل الرئيسة لنجاح هذه الحركة وكان هؤلاء الأعراب هم أيضًا الذين كانوا في جيش صاحب الزنج ويبدو تحالف تلك القبائل مع صاحب الزنج جليًا فيما ذكره المسعودي قوله: وجواثًا، وكان بها العريان بن الهيثم الربعي، وقد ذكره علي بن محمد المنتمي إلىٰ أبي طالب صاحب الزنج الناجم بالبصرة عند ظهوره بالبحرين في تميم وكلاب ونمير وغيرهم، وذلك قبل مصيره إلىٰ البصرة، وكان العريان أوقع بهم في عبد القيس، وبني عامر بن صعصعة، ومحارب بن خصفة بن قيس بن عيلان وغيرهم وقعات متتابعات، فأخرجه عن البحرين ونواحيها، وقتل من أصحابه خلقًا كثيرًا، فلما وقع طرفه بالصمان علىٰ الطائر المعروف بالمكاء، قال كلمته التي أولها:

أيا طائر الصمان مالك مفردًا تأسيت بي أم عاق إلفك عـائق

فقال فيها:

عدمت عتاق الخيل إن لم أزر بها عليها الكماة الدارعون البطارق
عليها رجال من تميم وقصرها كليب بن يربوع الكرام الصادق
وجثوتها سعد وفي جنباتها نمير وبيض من كلاب عواتق
وإن لم أصبح عامرًا ومحاربًا بخطة خسف أو تعقني العوائق
أيحسبني العريان أنسى فوارسي غداة نزال الردم والموت عالق

وقال في كلمة أخرى يذكر عبد القيس:

أتحسب عبد القيس أني نسيتها ولست بناسيها ولا تاركًا تبلى[1]

وهكذا بعد القضاء علىٰ حركة صاحب الزنج أصبح أعراب منطقة الاحساء من تميم وكلاب وغيرهم في انتظار من يتبنى مواهبهم الشيطانية في الغزو والسلب، واكتشف أبو سعيد هذه المواهب، وتحالف معهم، كمرتزقة لهم نصيب في كل غزوة علىٰ المدن والقرى الحضرية بهجر ونواحيها.

رابعا: الدعوة إلى آل البيت ﷺ والأخذ بثأرهم ممن ظلمهم.

كان الهدف الرئيس المعلن في دعوة القرامطة هو مناصرة آل البيت ضد أعدائهم من النواصب والخوارج، ومن خلال هذا الهدف استطاع القرامطة نشر دعوتهم بسهولة ويسر في سواد الكوفة والبحرين (من البصرة إلىٰ عمان) واليمن والشام، ومعظم تلك المناطق هي بطبيعتها التاريخية موالية لآل البيت فعندما يقوم القرامطة بالتأكيد علىٰ هذه المبادئ في تلك المناطق فتعتبر من دواعي السرور لديهم، وهكذا تقبل أهالي تلك المناطق الدعوى الظاهرية للقرامطة وهي مناصرة أهل البيت والقضاء علىٰ ظالميهم من النواصب وأعوانهم من حكام الدولة العباسية الظلمة.

وقد عمد القرامطة علىٰ إظهار ولائهم لأهل البيت في أشعارهم وذلك ما ورد

---

(١) التنبيه والإشراف ـ المسعودي ص٣٥٦ دار ومكتبة الهلال.

عن القرمطي المعروف بصاحب الخال قوله:

متى أرى الدنيا بلا كاذب ولا حروري ولا ناصبي
متى أرى السيف علىٰ كل من عادى علي بن أبي طالب[١]

بل قاموا بالإعلام عن دعوتهم الداعية لآل بيت النبوة من خلال صك النقود المكتوب عليها كلمات الولاء كما قام القرمطي المعروف بصاحب الناقة بضرب دراهم ودنانير في الشام كتب عليها: قل جاء الحق وزهق الباطل، وفي الوجه الآخر: لا إله إلا الله، قل لا أسألكم عليه أجرا إلا المودة في القربى.[٢]

وكانت رايات القرامطة وأعلامهم في الحروب فيها دعوة صريحة لأهل البيت وقد ذكر ابن الأثير ذلك قوله: أن الخليفة المقتدر بالله أرسل إلىٰ حريث بن مسعود، هارون بن غريب والى عيسى بن موسى صافي النصري، فأوقعوا بهم وانهزمت القرامطة وقتل أكثرهم وأسروا وأخذت أعلامهم وكانت بيضاء[٣] وعليها مكتوب ﴿وَنُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ علىٰ الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا فِي الْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ﴾ فدخلت بغداد منكوسة، واضمحل أمر القرامطة بالسواد.[٤]

كل هذه الأمور ساعدت علىٰ انتشار الحركة القرمطية بشكل طبيعي وسريع حتى أن السلطة العباسية لم تستطع إيقاف تقبلها في مناطق نفوذها.

خامسا: استقطاب القبائل البدوية.

من أسباب نجاح الحركة القرامطة هي معرفتهم بخطورة البدو وضرورة

---

(١) الذهبي ـ تاريخ الإسلام ج٢٢ ص٥١.

(٢) اتعاظ الحنفاء بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفاء ـ المقريزي.

(٣) نلاحظ أن رايات القرامطة كانت بيضاء، وهو لون رايات جيش الامام علي ﷺ في حروبه كما أشار المسعودي في مروجه واصفا قدوم علي ﷺ إلىٰ البصرة مع جيشه وكانت اعلامهم بيضاء ـ مروج الذهب ج٢ ص٣٩٧.

(٤) الكامل في التاريخ.

كسبهم لصالحهم، حيث كان البدو يحصلون علىٰ أعطيات من الخلفاء العباسيين ولكن الخليفة المعتصم بعد اعتماده علىٰ الأتراك منع تلك الأعطيات، وقد فرض هذا الوضع عليهم أن يعيشوا كمرتزقة،أو غزاة يغيرون علىٰ الجيش العباسي وكان من أسباب فشل ثورة الزنج سنة ٢٤٩هـ وقوف البدو ضدها، وانتبه القرامطة إلىٰ خطورة البدو ورأوا ضرورة كسبهم إلىٰ جانبهم ونجحوا في ذلك.[١]

(١) الاسماعيليون بين الاعتزال والتشيع ـ محمد أمين أبو جوهر ص٧١.

طريقة الحكم القرمطي

كان الحكم القرمطي الهجري هو حكم وراثي (ملكي) حيث استطاع أبو سعيد أن يستخدم الدعوة القرمطية في قيام دولة وراثية باسم الدعوة القرمطية ولكنها بالأساس كانت بعيدة كل البعد عن الدولة الدينية، لهذا استمر أبناء أبو سعيد في الحكم وانتهت الدولة القرمطية بانتهاء حكم عائلة أبو سعيد الجنابي.

أما بالنسبة لما ينقل عن القرامطة أنهم اتسموا بنظام متقدم في أسلوب حكمهم للرعية فهذا بعيد عن الواقع.

وكما هو متعارف أن القرامطة، يعتمدون علىٰ السلب والنهب للمدن التي يغزونها ومعظم رجالهم من الأعراب كما وصفهم أبو سعيد الجنابي.

وكما يبدو أيضًا من غزوات أبو طاهر الجنابي لأرض العراق دون أن يقيم نظام حكم في الأراضي التي يسيطر عليها، إلا أنهم استطاعوا أن يقيموا حكم شبيه بالحم الشيوعي من خلال استخدام نظام الملكية الجماعية للأراضي وفي الحقيقة اعتمدوا هذا النظام الشيوعي لطبقة العبيد فقط، نظرًا أن القبائل البدوية الذي يتكون منه الجيش القرمطي تحتقر المهن وتعتمد الغزو أسلوب للحياة، ولابد لمن يقوم

بالمهن كالفلاحة، والحدادة...الخ فاحتاجوا إلىٰ من يقوم بها، فاستعبدوا أسراهم الذين جلبوهم من ارض هجر وقراها وسواد العراق، من حرفيين وفلاحين وأعطوهم أراضي زراعيه ومطاحن، والات مهنية، ليكون هناك حركة اقتصادية منتجه، يستفاد منها هؤلاء الأعراب، دون جهد، ولهذا استفادوا من طريقة الملكية الجماعية التي طبقوها علىٰ العبيد الذين أسروهم في الحروب وفي حقيقة حكمهم هو استعباد ورق للآخرين من قبل الأعراب المكون الرئيس للجيش القرمطي، وكانت طريقة حكمهم طريقة إقطاعيه طبقية، ويتضح ذلك لوصف ناصر خسروا لمدينة القرامطة الاحساء، وقام بوصف طريقة الحكم فيها والحياة الاقتصادية فيها، وكيف استطاع ابوسعيد مؤسس دولة القرامطة بهجر وضع أسس الحكم من خلال وصيته لأبنائه، قال خسرو:

«وقد أوصى أبناءه قائلًا يرعى الملك ويحافظ عليه ستة من أبنائي يحكمون الناس بالعدل والقسطاس ولا يختلفون فيما بينهم حتى أعود، ولهؤلاء الحكام الآن قصر منيف هو دار ملكهم وبه تخت يجلسون هم الستة عليه ويصدرون أوامرهم بالاتفاق وكذلك يحكمون ولهم ستة وزراء علىٰ تخت آخر ويتداولون في كل أمر كان لهم في ذلك الوقت ثلاثون ألف عبد زنجي حبشي يشتغلون بالزراعة وفلاحة البساتين وهم لا يأخذون عشورًا من الرعية وإذا افتقر إنسان أو استدان يتعهدونه حتى يتيسر عمله وإذا كان لأحدهم دين علىٰ آخر لا يطالبه بأكثر من رأس المال الذي له وكل غريب ينزل في هذه المدينة وله صناعة يعطى ما يكفيه من المال حتى يشتري ما يلزم صناعته من عدد وآلات ويرد إلىٰ الحكام ما أخذ حين يشاء وإذا تخرب بيت أو طاحون أحد الملاك ولم تكن لديه القدرة علىٰ الإصلاح أمروا جماعة من عبيدهم بان يذهبوا إليه ويصلحوا المنزل أو الطاحون ولا يطلبون من المالك شيئًا وفي الحسا مطاحن مملوكة للسلطان تطحن الحبوب للرعية مجانا ويدفع فيها السلطان نفقات إصلاحها وأجور الطحانين وهؤلاء السلاطين الستة يسمون السادات ويسمى وزراؤهم الشائرة وليس في مدينة الحسا مسجد جمعة ولا تقام بها صلاة أو خطبة إلا إن رجلًا فارسيًا

اسمه علي بن أحمد بنى مسجدًا وهو مسلم حاج غني كان يتعهد الحجاج الذين يبلغون الحسا والبيع والشراء والعطاء والأخذ يتم هناك بواسطة رصاص في زنابيل يزن كل منها ست آلاف درهم فيدفع الثمن عددا من الزنابيل وهذه العملة لا تسري في الخارج وينسجون هناك فوطًا جميلة ويصدرونها للبصرة وغيرها وإذا صلى أحد فإنه لا يمنع ولكنهم أنفسهم لا يصلون ويجيب السلاطين من يحدثهم من الرعية برقة وتواضع ولا يشربون مطلقًا وعلى باب قبر أبي سعيد حصان مهيأ بعناية عليه طوق ولجام يقف بالنوبة ليلًا ونهارًا يعنون بذلك إن أبا سعيد يركبه حين يرجع إلىٰ الدنيا ويقال إنه قال لأبنائه حين أعود ولا تعرفونني إضربوا رقبتي بسيفي فإذا كنت أنا حييت في الحال وقد وضعت هذه الدلالة حتى لا يدعي أحد أنه أبو سعيد.

وقد ذهب أحد هؤلاء السلاطين بجيش إلىٰ مكة أيام خلفاء بغداد فاستولى عليها وقتل من كان يطوف بالكعبة وانتزع الحجر الأسود من مكانه ونقله إلىٰ الحسا وقد زعموا إن هذا الحجر مغناطيس يجذب الناس إليه من أطراف العالم ولم يفقهوا إن شرف محمد المصطفى صلى الله عليه وسلم وجلاله هما اللذان يجذبان الناس فقد لبث الحجر الأسود في الحسا سنين عديدة ولم يذهب إليها أحد وأخيرًا اشتري منهم الحجر الأسود وأعيد إلىٰ مكانه.

وفي الحسا تباع لحوم الحيوانات كلها من قطط وكلاب وحمير وبقر وخراف وغيرها وتوضع رأس الحيوان وجلده بقرب لحمه ليعرف المشتري ماذا يشتري وهم يسمنون الكلاب هناك كما تعلف الخراف حتى لا تستطيع الحركة من سمنها ثم يذبحونها ويبيعون لحمها».[1]

وتعليقا علىٰ ماذكره خسروا: أرى أنه قام برحلته إلىٰ المنطقة في أواخر العهد القرمطي وكانت في عام ٤٣٨هـ وفي تلك الفترة لم يكن أبناء أبو سعيد هم حكام

---

(١) سفرنامة ناصر خسرو.

القرامطة بل قام بهذا الدور القبائل المتحالفة مع القرامطة، كما أن آخر حاكم من أحفاد أبو سعيد هو الحسن بن أحمد (الأعصم) الذي توفي سنة (٣٦٦هـ) ومجلس السادة في فترة عائلة أبو سعيد كان مجلس استشاري ماعدا الفترة التي توفي فيها أبو سعيد، أمسك مجلس السادة الحكم حتى كبر أبناء أبو سعيد وتقلد الحكم أبو طاهر.

كما أن ناصر خسرو كان داعية للدعوة الإسماعيلية التي ساءت علاقتها مع القرامطة بسبب أعمال حسن القرمطي (الأعصم) الذي تحالف مع العباسيين ضد الفاطميين لهذا كان خسرو متحاملًا كثيرًا علىٰ القرامطة في الاحساء.

وهناك رأي آخر لطريقة الحكم الوراثي لعائلة أبو سعيد بهجر يبين أن الحكم وراثي شورى بين أولاد أبو سعيد كما أشار إليه مسكويه قوله: «وكان لهم سبعة من الوزراء أكبرهم ابن سنبر وكان أبو طاهر له أخوان أبو القاسم سعيد بن الحسن وأبو العباس الفضل بن الحسن ولهم أخ آخر لايدخل معهم في أمورهم يقال له أبو يعقوب اسحق مقبل علىٰ الشراب والقصف وأمر الثلاثة واحد وكلمتهم واحدة لايختلفون فكانوا إذا أرادوا عقد أمر أو ورد عليهم أمر ركبوا وأصحروا واتفقوا علىٰ مايعملون ولا يطلعون أحد علىٰ أمرهم فإذا انصرفوا أمضوا ما أتفقوا عليه». انتهىٰ[1]

ويبدو أن ماذكره مسكويه في كتابه من نظام اتباع الشورى فيما يخص اتخاذ قرار الحرب والغزو وذلك ما أوضحه أيضًا ابن حوقل قوله: «وكان من رسومهم أن تقع شوراهم بالجرعاء فيمن يخرجونه لما فدحهم وأهمهم فإن اتفق رأيهم علىٰ خروجهم بأ جمعهم لم يتخلفوا ونفذوا وتركوا في البلد أوثقهم وأشفهم منزلة عندهم ولما أنفذوا قديما أباعلي بن أبي المنصور إلىٰ عمان وتعذر عليه فتحها ساروا بأجمعهم إليها فافتتحوها، ولما أنفذوا أبا علي بن أبي المنصور إلىٰ الشام وعاد عنها ظنت به خيانة فيما صار إليه من الغنائم فرد إليها كسرى بن أبي القسم وصخر بن أبي

---

(١) كتاب تجارب الأمم ـ مسكويه ـ ج٢ ص٥٦.

إسحق فكان منهم مع أبي محمد الحسن بن عبيد الله بن طغج ما سيرد في مواضعه من أخبارهم وبالله القوة». انتهى[١]

توزيع الأموال في الدولة القرمطية:

أما بالنسبة لطريقة توزيع الأموال في دولة أبو سعيد القرمطي فكانت كما ذكر ابن حوقل في كتابه الذي فرغ منه في عام ٤٧٩هـ قال: «وأما البحرين ومدنها وهي هجر والاحساء والقطيف والعقير وبيشه والخرج وأوال وهي جزيرة كان لأبي سعيد الحسن بن بهرام ولولده سليمان بها الضريبة العظيمة علىٰ المراكب المجتازة بهم وإلى وقتنا هذا هي لمخلّفيها ونسلهما ويكون نسل أبي سعيد لظهره بين مرة ورجل نحو الأربع مائة نسمة، وبها أموال وعشور ووجوه مرافق وقوانين ومراصد وضروب مرسومة من الكلف إلىٰ ما يصل إليهم من بادية البصرة والكوفة وطريق مكة بعد إقطاع ما بالبحرين من الضياع بضروب ثمارها ومزارعها من الحنطة والشعير والنخل لأتباعهم المعروفين كانوا بالمؤمنين، ومبلغها نحو ثلثين ألف دينار وما عدا ذلك من المال والأمر والنهي والحل والعقد وما كان يصل إليهم من طريق مكة ومال عمان وما وصل إليهم من الرملة والشام فمتساو فيه آراء ولد أبي سعيد الباقين ومفاوضة أبي محمد سنبر بن الحسن بن سنبر وكان أكمل القوم وأشدهم ثم تمكنا من نفسه فإذا هموا بقسمة مايصل إليهم من مال السنة كان ذلك ليوم معلوم مذ لم يزالوا فيعزل منه الخمس بسهم صاحب الزمان والثلاثة الأخماس لولد أبي سعيد علىٰ قوانين وضعوها بينهم وكان الخمس الباقي للسنابرة مسلمًا إلىٰ أبي محمد ليفرقه في ولد أبيه وولده ويكونون نحو عشرين رجلًا، وكان ولد أبي طاهر فيهم يعظمون ويكرمون وكان أجلهم سابور فلما قتله أعمامه تشتتت كلمتهم وتغيرت أحوالهم، وكان لهم من الثلاثة الأخماس مال معلوم دون الجرايات عليهم من الغنائم بحسب منازلهم دون مالهم من الضياع والنعمة المختصة بهم إلىٰ سنة

(١) كتاب صورة الأرض ـ أبي القاسم ابن حوقل النصيبي ق١ ص٢٦.

ثمان وخمسين فإنهم لما فتكوا بسابور استوحش بعضهم من بعض وانقبضوا عن الالتقاء بالجرعاء وغيرها». انتهى[1]

بعد أن ذكرنا طريقة توزيع الأموال في دولة قرامطة البحرين فقد اتضح للقارئ بما لاشك فيه أن ما يشاع من أن القرامطة كانوا يطبقون الفكر الاشتراكي في إدارة الحكم في بلدهم هذا غير صحيح ولكن كانوا القرامطة يمارسون الفكر الإقطاعي لفئة النبلاء وكبار القوم.إما بالنسبة للعبيد الذين كانوا يمثلون العمال والفلاحين والطبقة المحرومة والمستعبدة فقد طبقت عليهم الاشتراكية وهكذا يتضح ازدواجية المعايير في دولة القرامطة.

الاشتراكية القرمطية:

تميز القرامطة بتنظيم اجتماعي واقتصادي عرف مؤخر بالنظام الاشتراكي، وقد طبق هذا النظام كما ذكرنا علىٰ العمال والفلاحين وأصحاب المهن فقط (وهم في الحقيقة طبقة مستضعفة ومستعبده بالنسبة للقرامطة) دون علية القوم والطبقة الحاكمة، وذلك من أجل استمرار الإنتاج في دولتهم وبالخصوص في دار حكم القرامطة وهي مدينة الاحساء التي نزحوا إليها بعد اختلافهم مع أهالي القطيف، ويصف الرحالة والمؤرخ ناصر خسروا الذي زار القرامطة في الاحساء وأطلع علىٰ أمورهم، قوله: «وهم لا يأخذون عشورًا من الرعية وإذا افتقر إنسان أو استدان يتعهدونه حتى يتيسر عمله وإذا كان لأحدهم دين علىٰ آخر لا يطالبه بأكثر من رأس المال الذي له وكل غريب ينزل في هذه المدينة وله صناعة يعطى ما يكفيه من المال حتى يشتري ما يلزم صناعته من عدد وآلات ويرد إلىٰ الحكام ما أخذ حين يشاء وإذا تخرب بيت أو طاحون أحد الملاك ولم تكن لديه القدرة علىٰ الإصلاح أمروا جماعة من عبيدهم بان يذهبوا إليه ويصلحوا المنزل أو الطاحون ولا يطلبون من المالك

---

(١) كتاب صورة الأرض ـ أبي القاسم ابن حوقل ـ ق١ ص٢٥.

شيئًا وفي الحسا مطاحن مملوكة للسلطان تطحن الحبوب للرعية مجانا ويدفع فيها السلطان نفقات إصلاحها وأجور الطحانين». [1]

وفي الحقيقة طبق النظام الاشتراكي علىٰ الطبقة المستعبدة وليس علىٰ نبلاء القوم، بل كانت الطريقة القبلية هي السائدة بينهم.

---

(١) سفر نامة ـ ناصر خسرو .

التنجيم والقرامطة

اعتمد القرامطة علىٰ التنجيم كثيرا كما هو في عقيدتهم وإيمانهم الراسخ بمدى فعالية التنجيم في تسيير ألأمور الدنيوية، وقد ظهر ذلك جليا في غزوات أبو طاهر الجنابي عندما قفل راجعًا من الكوفة متوعدا لهم بالعودة بعد أن تسمح حركة النجوم بذلك وقوله:

أغركم مني رجوعي إلىٰ هجر	فعما قريب سوف يأتيكم الخبر
إذا طلع المريخ في أرض بابل	وقارنه النجمان، فالحذر الحذر
فمن مبلغ أهل العراق رسالة	بأني أنا المرهوب في البدو والحضر
أنا الداع للمهدي لا شك أنني	أنا الضيغم الضرغام والحية الذكر[1]

وفي شرح للأبيات أعلاه ذكر الدكتور. اللاذقاني في كتابه قوله: «يؤكد دي خويه أن البيت يشير إلىٰ سنة ٣١٧هـ وهي سنة غزو الكعبة لأنه في ذلك العام حصل قران بين المريخ وزحل في برج الجدي، وهذا القران يبشر بانتصار الديانة البيضاء أي عقيدة القرامطة». انتهىٰ[2]

---

(١) فاطمة الزهراء والفاطميون ـ عباس محمود العقاد ص١٣٣.

(٢) ثلاثية الحلم القرمطي ـ د. محي الدين اللاذقاني ص١٨٩.

ويتضح أن اعتماد القرامطة علىٰ النجوم هو من مبادئ عقيدتهم الإسماعيلية الأم وفلسفتها، فقد ورد في كتاب ـ رسائل إخوان الصفا ـ وذلك في رسالة النجوم قولهم: «وقد ظن كثير من الناس ممن لا علم لهم ولا معرفة عندهم أن ما يجري في العالم الأرضي والمركز السفلي لا يكون إلا منه ولا يظهر إلا عنه، وقد عدموا معرفة الأصل في ذلك، ولو علموا وتحققوا أن الحركة هي سبب النشوء لبان لهم أن أصل الحركة الدورية هو الفلك المحيط، والمحرك له هو النفس الكلية بأمر الباري، جل جلاله، ولذلك أهملوا النظر في علم النجوم ودعاهم جهلهم بمعرفتها إلىٰ الرد علىٰ أصحاب العلم، وعادوهم وانحازوا عنهم فانفردوا منهم ونسبوا جميع ما يجري في العالم من الخير والشر، والعرف والنكر، والمحمود والمذموم، إلىٰ فعل الباري، سبحانه، وأنه هو مريده والأمر فيحكمه الباري، عزا أسمه، بخلاف ما ظنوه وغير ما تخيلوه، إذ كان أصل الخلقة خيرا كله، جودا كله، لا تفاوت في خلقه النوراني وفيضه الروحاني...

وأعلم يا أخي أن معرفة خلق الكواكب علىٰ ما وصفتها الحكماء وأخبرت بها العلماء مما ينبغي لك تعلمه ولا يسعك أن تجهله، وأعلم أنه العلم الذي كانت الكهنة يقدرون به علىٰ ما يعلمونه من الأعمال المستحسنة، وكذلك الزجر والفال».[١]

وقسموا علم النجوم إلىٰ ثلاثة أقسام، قسم منها هو معرفة تركيب الأفلاك وكمية الكواكب، وأقسام البروج وأبعادها وعظمها وحركتها، وما يتبعها من هذا الفن ويسمى هذا القسم ـ علم الهيئة ـ وقسم آخر لمعرفة حل الزيجات وعمل التقاويم واستخراج التواريخ،والقسم الثالث يسمى ـ علم الأحكام ـ وهذا القسم لمعرفة كيفية الاستدلال بدوران الفلك وطوالع البروج وحركات الكواكب.

ومن أقوالهم في التنجيم: «أن العاقل الفهم إذا نظر في علم النجوم، وفكر في

(١) رسائل إخوان الصفا.

سعة هذه الأفلاك، وسرعة دورانها، وعظم هذه الكواكب وعجيب حركاتها، وأقسام هذه البروج وغرائب أوصافها، كما وصفنا قبل، تشوقت نفسه إلىٰ الصعود إلىٰ الفلك والنظر إلىٰ ما هناك معانيه، ولكن لا يمكن الصعود إلىٰ ما هناك بهذا الجسد الثقيل الكثيف، بل النفس إذا فارقت هذه الجثة ولم يعقها شيء من سوء أفعالها، أو فساد آرائها، وتراكم جهالاتها، أو رداءة أخلاقها، فهي هناك في أقل من طرفة عين بلا زمان، لان كونها حيث همتها ومحبوبها، كما تكون نفس العاشق حيث معشوقه، فإذا كان عشقها هو الكون مع هذا الجسد ومعشوقها هذه الذات المحسوسة المحرقة الجرمانية وشهواتها هذه الزينة الجسمانية، فهي لا تبرح من هاهنا ولا تشتاق الصعود إلىٰ عالم الأفلاك».[1]

هكذا كانت فلسفة المذهب الاسماعيلي الذي يعتنقه القرامطة وبالتالي فكانت تصرفاتهم تحكمها ما يمليه عليهم المنجمين وحركة الأفلاك. لأنهم يرون أن مشيئتهم لا بد أن ترتبط بمشيئة الكون كله، ليتحقق ما يريدون، وإذا اختلفت مشيئتهم مع مشيئة الكون (النجوم والأفلاك) لن يصبوا إلىٰ مبتغاهم.

---

(١) رسائل إخوان الصفا.

عادات وتقاليد القرامطة

أشتهر القرامطة ببعض العادات والتقاليد التي انفردوا بها في حياتهم الاجتماعية وتعاملهم مع الآخر ومن هذه العادات والتقاليد نذكر بعض ما تيسر لنا جمعه ومنها:

محنة القرامطة:

يذكر القاضي التنوخي قصة أحد القرامطة نقموا عليه قومه وحكموا عليه بمحنة القرامطة حيث يقول: «حدثني أبو القاسم عبيد الله بن محمد بن عبيد الله، قال: كنت مع إبراهيم بن نافع العقيلي، المعروف بابن البارد الطوق، وبعض العرب تسميه بباري الطوق، وكانت العامة تسميه: ابن البارد الطوق، وخبروني أنه سمي بذلك أبوه، لأنه ضرب رجلًا في عنقه طوق، فبراها بالضربة، قال: وكان أبو إسحاق بن البارد هذا، إذ ذاك، أمير نهر الأيسر الذي بين رستاق البصرة والأهواز، وهو إذ ذاك يليها من قبل معز الدولة. فورد عليه رجل، قد هرب من القرامطة، من بني عقيل، يعرف بمختار بن فرناس، وكان من حي إبراهيم، من بني معاوية بن حزن. وكان في عنق المختار هذا، طوق فضة.

وكان سبب هربه، علىٰ ما سمعت خلقًا من بني عقيل، يخبرون بذلك، إذ

ذاك، أنه قتل أخاه، وابن عمه، لأجل ضيف أضافه. وذلك، أنه كان مع الضيف، مالٌ صامت، فأعمل أخوه، علىٰ الغدر بالضيف، وأخذ المال منه، وعلم المختار بذلك فمنعه، واقتتلا بالسيوف، فقتل أخاه، فجاء ابن عمه يلومه، وتخاطبا، إلىٰ أن تجاذبا السيوف، وتخابطا بها، فقتل ابن عمه أيضًا، وسكن من نفس الضيف، حتى لا يذعر، ولم يكن له ما يطعمه تلك الليلة، فعرقب فرسه، وذبحه، واشتوى من لحمه، وأوقد حتى اصطلى به الضيف.

فلما أصبح، وارتحل الضيف، خاف أن يبلغ القرامطة خبره، فيأمر العريف بأخذه وإسلامه إلىٰ المحنة، فهرب إلىٰ إبراهيم، فرأيت رسول القرامطة، قد جاء إلىٰ إبراهيم، فأخذه علىٰ صلح وأمان، ورجع إلىٰ حيه، ثم بلغنا أنهم محنوه بعد ذلك، تأديبًا له، فما سمع برجل في زماننا من أهل البادية، أشجع، ولا أكرم، ولا آدب منه.

والمحنة عند القرامطة، أنهم إذا نقموا علىٰ رجل، استدعوه من حيه، إلىٰ الأحساء بلدهم، فطرحوه، إما مقيدًا يكدى في البلد، أو سائسًا للخيل، أو راعيًا للغنم والإبل أو ضربوه، وجددوا عليه في كل يوم لونًا من العقاب، ولا يزال عندهم حولًا، وأكثر. وبما عاقبوه «٧٢» بألوان أخر. فجميع ما يعملون من التأديب، يسمونه محنة».[١]

البداوة والقرامطة:

كما يبدو من البدايات التي قامت علىٰ أساسها الحركة القرمطية واستمدت قوتها وخصوصا قرامطة البحرين كانت القبائل البدوية هي العمود الفقري لها واليد الضاربة وهي قبائل (بني كلاب وبني عقيل وبني سليم) وبالتالي فكانت معظم العادات والتقاليد التي سادت قرامطة البحرين هي عادات وتقاليد بدوية قبلية باستثناء علية القوم من الأسرة الحاكمة من عائلة أبي سعيد الجنابي والعوائل القطيفية

(١) نشوار المحاضرة ـ القاضي التنوخي.

التي أنطوت تحت المظلة القرمطية وأما الأكثرية فهم بداة التحقوا بالدعوة القرمطية لهدف المكاسب الدنيوية جراء السلب والنهب في الحروب والغزوات القرمطية الكثيرة.

وقد تعرفنا علىٰ بداوة القرامطة من طريقة تعاملهم مع أعدائهم من استخدام القوة الغير مبررة وعدم الرحمة في معاملة الأسرى وقتلهم وحرقهم كما فعلوا في القطيف والزارة وهجر وقد وردت بعض النصوص التاريخية التي تبين بداوة القوم، يذكر ابن الجوزي رسالة أبو سعيد الجنابي التي أرسلها إلىٰ المعتضد العباسي بواسطة أسيره عباس الغنوي يقول فيها: «قل للمعتضد يا هذا، لم تخرق هيبتك، وتقتل رجالك، وتطمع أعدائك في نفسك، وتبعث في طلبي الجيوش وأنا رجل مقيم في فلاة، لازرع فيها ولا ضرع، وقد رضيت لنفسي بخشونة العيش والعز بأطراف هذه الرماح، ولا اغتصبتك بلدا ولا أزلت سلطانك عن عملك، ومع هذا فوالله لو أنفذت إلي جيشك كله ما جاز يظفر بي، لأني رجل نشأت في القشف، فأعتد ته أنا ورجالي، ولا مشقة علينا فيه وأن تنفذ جيوشك من الجيوش والثلج والريحان، فيجيئون من المسافة البعيدة الشاقة، وقد قتلهم السفر قبل قتالنا وإنما غرضهم أن يبلغوا غرضا من مواقفتنا ساعة، ثم يهربون، وان هم هزموني بعد عشرين فرسخا أو ثلاثين، وجلت في الصحراء شهرا أو شهرين ثم كسبتهم علىٰ غرة فقتلتهم، وان كانوا محتزبين فما يمكنهم أن يطوفوا خلفي في الصحاري ولا تحملهم الإقامة في أماكنهم، فأنت تنفق الأموال وتكلف الرجال الأخطار وأنا سليم من ذلك وهيبتك تخترق في الأطراف كلما جرى عليك هذا فان احترت بعد محاربتي فاستخرت الله، وان أمسكت فذلك إليك». انتهىٰ[1]

يتبين من الرسالة حال البداوة التي يعيشها قرامطة البحرين كما جاء في وصف زعيمهم أبو سعيد حالهم مما اعتادوا عليه من البداوة وتعودهم علىٰ حياة الصحاري.

---

(١) المنتظم ـ ابن الجوزي.

وهناك نص آخر يبين حياة البداوة التي يمارسها القرامطة وهو وصف الرحالة ناصر خسرو الذي زار القرامطة في الاحساء وتعرف عليهم من قرب يقول عنهم: «وعندي إن كل البدو يشبهون أهل الحسا فلا دين لهم ومنهم أناس لم يمس الماء أيديهم مدة سنة أقول هذا عن بصيرة لا شيء فيه من الأراجيف فقد عشت في وسطهم تسعة شهور دفعة واحدة لا فرقة بينها ولم أكن أستطيع إن أشرب اللبن الذي كانوا يقدمونه إلي كلما طلبت ماء لأشرب فحين أرفضه وأطلب الماء يقولون أطلبه حيثما تراه ولكن عند من تراه وهم لم يروا الحمامات أو الماء الجاري في حياتهم». انتهى[1]

حرق منازل الأعداء من تقاليد القرامطة:

من التقاليد التي أشتهر بها القرامطة هي إشعال النار في بيوت منافسيهم، وبمعنى أدق في بيوت المدن التي يهاجمونها ويستولون عليها فيقتلون الأهالي حتى النساء والأطفال ويحرقون بيوتهم وقد فعلوا ذلك في الكثير من المواقع وقد ذكر الطبري قوله «وفي يوم الخميس لإحدى عشرة خلت من شوال ارتحل المعتضد من مضربه بباب الشماسية في طلب وصيف خادم بن أبي الساج، وكتم ذلك، وأظهر أنه يريد ناحية ديار مضر.

وفي يوم الجمعة لاثنتي عشرة خلت منه، ورد الخبر ـ فيما ذكر ـ علىٰ السلطان أن القرامطة بالسواد من أهل جنبلاء وثبوا بواليهم بدر غلام الطائي، فقتلوا من المسلمين جمعًا فيهم النساء والصبيان، وأحرقوا المنازل.[2]

كما ذكر ابن الأثير تفاصيل معركة آفان بين القرامطة والجيش العباسي في منطقة القطيف وأشار إلىٰ حرق من أسر من الجيش العباسي بقوله «فلما أصبح العباس باكر الحرب فاقتتلوا قتالًا شديدًا ثم حمل نجاح غلام أحمد بن عيسى بن

(١) سفرنامة ـ ناصر خسرو .

(٢) تاريخ الأمم والملوك ـ الطبري.

الشيخ من ميسرة العباس في مائة رجل علىٰ ميمنة أبي سعيد، فتوغلوا فيهم، فقتلوا عن آخرهم وحمل الجنابي ومن معه علىٰ أصحاب العباس، فانهزموا وأسر وأحتوى الجنابي علىٰ ماكان في عسكره فلما كان الغد أحضر الجنابي الأسرى فقتلهم جميعًا وحرقهم».[1]

كما يذكر الحميري قوله: «ودخل أبو سعيد هذا مدينة هجر من بلاد اليمن سنة سبع وثمانين ومائتين بعد حصار أربع سنين، فدخل علىٰ قوم هلكوا جوعًا وهزلًا وبعد أن كان الوباء وقع فيهم فمات منهم خلق، وقتل منهم القرمطي ثلاثمائة ألف فطرحهم أحياء في النار، ونجا قليل منهم إلىٰ جزيرة أوال، ولم يبق من أهل هجر يومئذ إلا عشرون رجلا».[2]

ذكر المسلم أيضا في كتابة: «ولما استفحل أمره (أبو سعيد) أزمع علىٰ احتلال القطيف فسار إليها بجموعه، فلم تستطع قوات علي أبي الحسن بن مسمار وإخوته أن تقف أمام زحفه فاعتصموا بالزارة التي يرأسها الحسن بن العوام من الازد، وقد ضيق عليهم الخناق حتى أذعنوا للتسليم، فما كان منه إلا أن أعدم من كان بها، وأحرق هذه المدينة ودمرها تدميرا كاملا فلم تقم لها قائمة منذ ذلك الحين». انتهىٰ[3]

وبعد ما يقارب ألف ومائة وأربعون سنة، عثر مؤخرا في بعض الحفريات التي قام بها الباحث خبير الآثار الأستاذ/ نزار عبد الجبار في منطقة الزارة بالقطيف علىٰ أثار الحريق علىٰ جدران وأبنية الزارة وهذا يذكرنا بقول الشاعر ابن المقرب:

وحرقوا عبد القيس في منازلها وصيروا الغرّ من ساداتها حمما[4]

---

(١) الكامل في التاريخ ـ ابن الأثير .

(٢) الروض المعطار في خبر الأقطار ـ الحميري ص١٧٦.

(٣) ساحل الذهب الأسود ـ محمد سعيد المسلم ـ ص١٣٩.

(٤) ديوان ابن المقرب ـ تحقيق وشرح محمد الحلو ـ ص٥٣١.

استعباد الناس:

منذ بدأ أبو سعيد كقوة في منطقة البحرين قام بتكرار هجومه علىٰ البصرة وسلب ممتلكاتهم واستعباد أسراهم فكان ذلك دأبه لا يغفله وعظمت بلاده وعظمت حتى وفاته علىٰ يد خادمه، وأصبح استعباد الناس من عادات القرامطة.

أبو سعيد يوسم صبيان العرب ويستخدمهم كجنود:

ذكر المقريزي أن أبو سعيد كان يوسم الصبيان من الأسرى حتى لا يختلطون بغيرهم وفي الحقيقة ذلك نوع من الاستعباد، كما قال: «فلما اجتمع إليه العرب مناهم ملك الأرض كلها، ورد إلىٰ من أجابه من العرب ما كان أخذ منهم من أهل وولد، ولم يرد عبدًا ولا أمة ولا إبلًا ولا صبيًا إلا أن يكون دون الأربع سنين. وجمع الصبيان في دور وأقام عليهم قومًا، وأجرى عليهم ما يحتاجون إليه، ووسمهم لئلا يختلطون بغيرهم، ونصب لهم عرفاء، وأخذ يعلمهم ركوب الخيل والطعان، فنشأوا لا يعرفون غير الحرب».[1]

ليلة الماشوش:

من العادات التي اتهم بها القرامطة هي ليلة الماشوش كما أشار إليها ابن المقرب[2] في شعره مفتخرًا أن عائلته هي التي قضت علىٰ بدعة الماشوش حيث

---

(١) اتعاظ الحنفاء ـ المقريزي .

(٢) هو علي بن المقرب من شعراء الأحساء في القرن السادس الهجري ولد عام ٥٧٢ هـ وهو سليل عائلة حكمت البحرين، بعد أفول نجم القرامطة بعد أن هاجمهم الأصفر عام ٣٧٨هـ وحاصر الاحساء، وانقلاب الأعراب علىٰ القرامطة بعد ضعفهم وتشتتهم، مما أدى إلىٰ انتهاء دولتهم، وظهرت الحكومات المحلية ومنها حكومة العيونيين الذين كان ولائهم للحكومة العباسية ووزرائهم من السلاجقة الذي عرف عنهم نصبهم العداء لشيعة أهل البيت، لهذا أخذ ابن المقرب بأن العيونيين هم من أنهى الحكم القرمطي وهذا بعيد عن الصحة لان العيونيين استلموا حكم المنطقة التي كانوا عليها كما حكم أهالي القطيف مناطقهم وكذلك أهالي جزيرة أوال، واصبحت حكومات محلية، ولكن كما يبدو أن تحالف عيوني، سلجوقي قام بعد ذلك، أدى إلىٰ سيطرة العيونيين علىٰ الحكومات المحلية بعد أفول نجم القرامطة في المنطقة .

قال:

ويوسف وأبو شكر وإخوته حلى العلا وكهام الدهران عزما
منا الذي أبطل الماشوش فانقطعت آثاره وانمحى في الناس وانطسما

وفي شرح ديوان ابن المقرب الطبعة الهندية يبين شارح الديوان غير المعروف، قوله في شرحه للبيت المذكور آنفا: «الذي أبطل الماشوش أبو شكر المبارك بن الحسن بن أبي المقرب العيوني والماشوش بدعة ابتدعها القرامطة في البحرين وجعلوها دينا وهو أن يجتمع الرجال والنساء في ليلة عندهم معلومة في السنة ويشعلون الشمع ويقومون يرقصون ويختلطون وفيهم أخوات الرجل وأمه وبناته وعماته وخالاته فإذا استكفوا من الرقص أطفئوا الشمع واختلطوا وقبض كل رجل منهم يدا مرأة من الجمع وواقعها أن كانت من محارمه أو جنبيه فحين ملك عبد الله بن علي العيوني البحرين وصارت تلك الليلة ركب أبو شكر المبارك وركب معه غلمانه وهجموا علىٰ جمع الفساد فضربوهم وسلبوهم ومضوا هاربين فصار فيهم رجل ضريرا فصار يقول يامولانا والله ما نحن في شيء مما يضر بدولتكم إنما هذا مذهب نراه في ديننا فقال له الأمير لئن اجتمع منكم اثنان علىٰ هذا الأمر لأعملن فيكم السيف لا العصى فأمات هذه البدعة من البحرين فما بقيت فيه تعرف». انتهىٰ[1]

وأشار الشارح في الهامش قوله: هي الليلة العاشرة من محرم وأول ليلة من برج الحمل المسمى بالنيروز.

في الحقيق أن مايذكره الشارح بقصده ليلة العاشر من المحرم كما ذكر، هي ليلة يحيها عامة الشيعة في جميع المعمورة، وليس فقط القرامطة الذين هم فرع من المذهب الاسماعيلي الشيعي، وفيها يذكر قصة انتصار المظلوم علىٰ الظالم قصة انتصار الشهيد الإمام الحسين ﷺ علىٰ يزيد ابن معاوية، وهي مناسبة دينية يعم فيها

---

(١) ديوان ابن المقرب ـ الطبعة الهندية ص٤٦٥.

الحزن، وليس الفرح كما يذكر، ويبتعد الشيعة في هذه المناسبة عن كل ملذات الدنيا، ويجتمع الرجال في مجالس العزاء المخصصة للرجال ويجتمع أيضا النساء في مجلس العزاء المخصصة للنساء، تضامننا مع مصيبة سيد شباب أهل الجنة الإمام الحسين ﷺ، وهذه التهمة التي لفقها بشرحه لبيت الشعر، محاولة منه لتشويه المذهب الشيعي، فقد عرف عن شارح هذا الديوان (الطبعة الهندية) نصبه العداء لأهل البيت ﷺ من خلال محاولته إبعاد القصائد التي فيها مدح لأهل البيت ﷺ في هذا الديوان، وقد ذكرت قصائد مدح أهل البيت في معظم مخطوطات ديوان ابن المقرب ولكن هذا الشارح الغير معروف، وليس معروف متى قام بشرح الديوان أيضا المطبوع عام ١٣١١هـ ابعد كل فضيلة ذكرها ابن المقرب في أهل البيت، بل حاول تشويه سمعة القرامطة وشرفهم لأنهم فقط ينتمون إلىٰ المذهب الاسماعيلي الشيعي، وليس بغريب علينا أن نقرأ مثل هذه الخزعبلات [١]، فقد سبق لي وأن قرأت للكاتب الباكستاني إحسان إلهي ظهير، الذي اشتهر بنصبه العداء لشيعة أهل البيت من خلال كتبه الذي نشر فيها الكثير من الأكاذيب ومنها ليلة العاشر من المحرم، والذي اعتبرها ليلة إباحية يجتمع فيها النساء والرجال لعمل الفاحشة، ولكن الحمد لله رب العالمين، ﴿يُرِيدُونَ أَنْ يُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَيَأْبَى اللَّهُ إِلاَّ أَنْ يُتِمَّ نُورَهُ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ﴾[٢] بالرغم من محاولة النواصب إخفاء مظلومية أهل البيت من خلال إلصاق التهم والتشويه، ولكن الأيام تثبت استحالة محو ذكر أهل البيت

---

(١) ويقول الدكتور ـ محي الدين الاذقاني في كتابه ثلاثية الحلم القرمطي عن تهمة ليلة (الإفاضة) التهمة الإباحية التي لحقت بقرامطة اليمن أيضا من قبل الراوي / يحيى بن الحسين، صاحب كتاب غاية الأماني، يقول أنه رجل بلغ فيه فساد الحس التاريخي إلىٰ درجة تصديق كل الإشاعات والخرافات لدرجة أنه يروي الحادثة التالية كقضية مسلم بها «وهذه السنة وقع في اليمن مطر عظيم فيه برد كبار وقعت في بلدان متفرقة، منها بردة وقعت بالقرب من واحة بني شريف كالجبل الصغير يدور حولها عشرون رجلا لا يرى بعضهم بعضا، وأخرى في بلاد عنس حاول قلبها أربعون رجلا فلم يقدروا فسبحان المخوف بالآيات رب الارضين والسماوات». انتهى ص٥٤.

(٢) سور التوبة آية ٣٢.

ومظلوميتهم، فهانحن في القرن الواحد والعشرين، قرن الفضائيات التي أصبح العالم فيه قرية صغيرة يستطيع كل من في المعمورة مشاهدة شيعة أهل البيت وهم يحيون ليلة العاشر من المحرم، من خلال القصائد في رثاء الإمام الحسين عليه السلام واثبات مظلومية أهل البيت، وإظهار الحزن (وليس الفرح كما يذكرون).

وقد ذكر ابن الأثير في كتابه الكامل، عن ليلة العاشر من المحرم قوله: «في هذه السنة (سنة ثمان وخمسين وثلاثمائة) عاشر المحرم، عمل أهل بغداد ما قد صار لهم عادة من إغلاق الأسواق، وتعطيل المعاش، وإظهار النوح والمأتم، بسبب الحسين بن علي رضوان الله عليهما (عليهما السلام)». انتهى[١]

وبالبحث عن ليلة الماشوش في مصادر أخرى تبين لنا أن ياقوت الحموي أشار إلىٰ ليلة الماشوش، وأرجع مصدرها إلىٰ دير مسيحي هو (دير الخوات) حيث قال: دير الخوات: جمع أخت: بعكبرا، وأكثر أهله نساء، ولعله دير العذارى أو غيره، وهو في وسط البساتين نزه جدا، وعيده الأحد الأول من الصوم، يجتمع إليه كل من قرب من النصارى، قال الشابشتي: وفي هذا العيد ليلة الماشوش وهي ليلة يختلط فيها الرجال والنساء فلا يرد أحد يده عن شيء، وفيه يقول ابو عثمان الناجم:

آح قلبي من الصبابة، آح	من جوار مزينات ملاح
أهل دير الخوات بالله ربي	هل علىٰ عاشق قضى من جناح
وفتاة كأنها غصن بان	ذات وجه كمثل نور الصباح[٢]

ويتضح من قول الحموي المتوفى سنة ٦٢٦هـ(١٢٢٨م) ان هذه الليلة احتفال للمسيحيين وليس بدعة ابتدعها القرامطة كما ذكر شارح ابن المقرب الذي طبع شرحه في الهند (بمبي) في ١٥/ ٢/ ١٣١١هـ والشارح مجهول، ويبدو أن هذا الشارح حاول اسقاط ليلة الماشوش المسيحية بكل تفاصيلها علىٰ القرامطة.

---

(١) الكامل في التاريخ ـ ابن الأثير ج٨ ص٦٠٠.

(٢) معجم البلدان ياقوت الحموي ج٢ ص٥٠٨.

القرامطة وكتبهم

كانت هناك محاولات لطمس هوية القرامطة وتراثهم من قبل منافسيهم السياسيين في الحقبة القرمطية وما بعدها وبالخصوص الدولة العباسية، كما يخبر المؤرخون[1] أن الوراقين في بغداد قد أجمعوا في عهد المعتضد وحلفوا بعدم نسخ كتب الفلسفة والتعاطي بها ومنها كتب عبدان صهر حمدان القرمطي، ويعتبر عبدان عراب القرامطة، مما أدى أن كسدت مهنة الوراقة في بغداد.

وبالرغم من هذا الحظر علىٰ كتب فلاسفة ومنظِرين القرامطة فقد حفظ المؤرخون الكثير منها وفيما يلي نذكر أهمها والتي نسبت معظمها إلىٰ فيلسوف القرامطة المعروف بعبدان صهر حمدان القرمطي:

جاء في فهرست ابن النديم[2] قوله في عبدان: وهو أكثر الجماعة كتبًا وتصنيفًا، وكل من عمل كتابا نحله إياه، ولعبدان فهرست يحتوي علىٰ ماصنفه من الكتب، فمن ذلك:

١. كتاب الحدود والإسناد.

---

(١) ابن الأثير في الكامل ـ ابن الجوزي في المنتظم (نقلا من كتاب ثلاثية الحلم القرمطي ص ٢٤٢).

(٢) الفهرست لابن النديم ـ محمد إسحاق النديم ص٣٩٩.

٢. كتاب الرحا والدولاب.

٣. كتاب الزاهر.

٤. كتاب اللامع.

٥. كتاب الميدان.

ومن كتبه الكبار:

١. كتاب المقصد.

٢. كتاب الملاحم.

٣. كتاب النيران.

ويذكر ابن النديم أن هذه الكتب «هي الموجودة والمتداولة وباقي مافي الفهرست فقل ما رأيناه أو عرفنا إنسان أنه رآه». ومن قول ابن النديم يتضح أنه أورد الكتب التي شاهدها في الفترة التي صنف كتابه الفهرست عام ٣٧٧هـ بينما فيلسوف القرامطة عاش وألف كتبه في فترة نهاية القرن الثالث الهجري. بينما ابن النديم ولد عام ٣٢٥هـ وصنف الفهرست كما ذكرنا في نهاية القرن الرابع الهجري. وخلال تلك الفترة كما يبدو اختفى الكثير من مؤلفات عبدان القرمطي والتي يذكر ابن النديم أنه لم يرها.

وللقرامطة كتب البلاغات السبعة:

١. كتاب البلاغ الأول ـ للعامة

٢. كتاب البلاغ الثاني ـ لفوق هؤلاء قليلا.

٣. كتاب البلاغ الثالث ـ لمن دخل المذهب سنة.

٤. كتاب البلاغ الرابع ـ لمن دخل في المذهب سنتين.

٥. كتاب البلاغ الخامس ـ لمن دخل في المذهب ثلاث سنوات.

٦. كتاب البلاغ السادسة ـ لمن دخل في المذهب أربع سنوات.

٧. كتاب البلاغ السابع ـ وفيه نتيجة المذهب والكشف الأكبر.

ومن الكتب التي تنسب إلىٰ العقيدة الإسماعيلية هو كتاب ـ رسائل إخوان الصفا ـ الذي جاء في مقدمة هذا الكتاب قولهم: «هذه فهرست رسائل إخوان الصفا وخلان الوفا، وأهل العدل وأبناء الحمد، بجمل، جمع جملة، أي جملة الشيء، معانيها وماهية، حقيقة، أغراضهم فيها، وهي اثنان وخمسون رسالة في فنون العلم وغرائب الحكم، وطرائف الآداب، وحقائق المعاني، عن كلام الخلصاء الصوفية صان الله قدرهم وحرسهم حيث كانوا في البلاد».[1]

ومن هذه الرسائل رسالة في النجوم، وفيها شرح مفصل لتأثير الأفلاك والبروج والكواكب علىٰ انفعال الأمهات والمواليد، والكون.

وفي الحقيقة ممكن أن نقول أن كل ما ينسب من كتب وتصنيفات إلىٰ المذهب الاسماعيلي هو في الحقيقة من كتب القرامطة لأنهم فرع من الدعوة الإسماعيلية.

---

(١) رسائل إخوان الصفا.

الفصل الثالث



القرامطة والتغيير الديموغرافي لمنطقة هجر

- أحساء القرامطة
- مدينة هجر
- نهر محلم أشهر انهار العرب
- القطيف
- جواثا

القرامطة وعلاقتهم بالتغيير الديموغرافي لمنطقة البحرين القديم «هجر وقراها»

لقد ساهم القرامطة بشكل مباشر بتدمير التركيبة السكانية لمنطقة البحرين القديم أو ما يعرف بهجر، من خلال تدميرهم مدن عبد القيس العامرة بأهلها وأجلوا سكانها عنها وأصبحت بيوتها أثرا بعد عين وقتلوا معظمهم ونقلوا آخرين واستعبدوهم للعمل في مدينتهم بالاحساء وعملوا هناك كالعبيد بالسخرة بل عملوا علىٰ وشم وجوهم من أجل عدم الهروب واستخدموهم في فلاحة الأراضي الزراعية وهكذا، بل قاموا بنقل قبائل ومجموعات مواليه لهم وتم توطينهم في منطقة هجر كأعراب بني عقيل وبني كلاب وبني سليم، وكذلك القرامطة البقلية المعروفين بالآجاميين، كما نزحت قبائل كلاب من الصحراء إلىٰ قرى هجر واستولت علىٰ مقدرات المنطقة وخيراتها وأنهت الزعامات في تلك القرى وحلت زعامات قرمطية بديلة للزعامات المحلية، مما أدى إلىٰ صعوبة البحث في تاريخ هجر وتحديد مدنها المدمرة، لهذا عندما نذكر مدينة من مدن البحرين لابد من تحديد موقعها قبل تاريخ القرامطة، وقد تكون بعد القرامطة تعرف في غير موقعها كما هي مدينة هجر أكبر مدن البحر، وقطيف الأمس ومدينتها عنك علىٰ البحر، ومدينة القطيف الحالية التي كانت تعرف

في السابق بالفرضة، وقد يختلط علىٰ غير المتخصص مواقع هذه القرى والمدن عند قراءته لتاريخ المنطقة، وذكرنا ذلك علىٰ سبيل المثال وسنأتي علىٰ ذكر تلك المواقع، موضحين ما نعتقده، معتمدين علىٰ مجموعة من النصوص التاريخية.

وليس من السهل تحديد مواقع تلك المدن بشكل جلي ودقيق، ولكن علىٰ الباحث الغوص في أعماق التاريخ وسبر أغواره وليس بالعمق القريب بل يتجاوز ألف ومائتان سنة هجرية حتى يصل إلىٰ الفترة الزمنية التي كانت عليها قرى هجر ومواقعها، وتلك الحصون من حولها والنخيل المكرعات من نخيل ابن يامن الهجري، ويحتاج كل ذلك إصرار وعزيمة باحث كرس جهده للوصول إلىٰ الهدف المنشود.

ونظرا إننا نعيش في محيط تلك المدن الدارسة، وشممنا عبقها، وكانت روابي طفولتنا وشبابنا، لهذا كان من الواجب علينا ونحن أبناء هذه المنطقة أن نقوم بهذه المهمة، ومن خلال جهد طال عدة سنوات في البحث عن مواقع تلك المدن الدارسة وعلى رأسها، مدينة هجر، ومدينة القطيف، ومدينة الخط، ومدينة الاحساء(القرمطية)، وهي القصبات الرئيسة لساحل القرامطة (مدن البحرين في أيام القرامطة).

لهذا بعد التقصي والبحث اتضح لنا أن مدينة الاحساء التي يعتقد البعض أنها مدينة هجر الدارسة هي في الحقيقة تعد خارج منطقة البحرين الهجرية وذلك ما قبل الإسلام حتى العهد القرمطي، وأصبحت ضمن مدن البحرين فيما بعد، كما سنوضح للقارىءالكريم، ان مدينة الاحساء التي اسسها ابو سعيد الجنابي القرمطي ومن ثم انتقل اليها الحكم القرمطي في عهد ابو طاهر هي في الحقيقة تقع في صحراء البياض بين احساء اليوم ومنطقة القطيف، وليس كما يشاع اليوم ان مدينة القرامطة التي عمروها هي أحساء اليوم.

مدن البحرين القديم

أطلق مسمى البحرين علىٰ المنطقة بسبب عينان كانت تسيح بالمياه بين قصبتي منطقة البحرين، القطيف وهجر، وأشار حمد الجاسر إلىٰ ذلك قوله: «جاء في كتاب نصر: قال الأصمعيُ: إنما سميت البحرين لأنهما عينان بينهما مسيرة ثلاث: إحداهما محلم[١]، والأخرى قضباء وهي خبيثة الماء، علىٰ إحداهما هجر، والأخرى قطيف، وهي الخط». انتهى'[٢]

أحساء القرامطة كانت خارج مدن البحرين القديم[٣]:

كانت الأحساء قبل حكم القرامطة خارج مدن البحرين ولكن بعد أن حكم

---

(١) قال الفرزدق:

قد كان في هجر ونخل محلم   تمر للملتمس الطعام فقير.

وقال الحفصي: محلم نهر بالبحرين وهو نهر لعبد القيس .(حمد الجاسر في معجمه ق٤ ص١٥٨٥).

وأقول هنا يجب علينا لمعرفة اين تقع هجر ونهرها محلم معرفة مواقع سكنى قبيلة عبد القيس وفي الحقيقة قبيلة عبد القيس لم تسكن الاحساء بل كانت مناطقها في الخط والقطيف حتى الظهران، وكان بنو سعد من تميم هم سكان الاحساء.

(٢) معجم البلاد العربية السعودية/ المنطقة الشرقية للشيخ حمد الجاسر ـ القسم الرابع ـ ص١٤٣٨.

(٣) سبق لي أن نشرت هذا التحقيق في شبكة راصد بعنوان (اكتشاف موقع مدينة هجر وتحديدها بالمسافات) في ١٣/ ٧/ ٢٠٠٧م.

القرامطة المنطقة وانتقلوا إلىٰ برية الأحساء وبنوا مدينتهم، أصبحت ضمن مدن البحرين المعروفة أيضًا بمدن هجر ولتوضيح ما ذهبنا إليه نقول:

أولًا: لم تكن الأحساء ضمن أراضي البحرين القديم قبل الإسلام، كما بين الشاعر الجاهلي الحارث بن حلزة بن بكر بن وائل، قوله:

هل علمتم أيام ينتهب الناس غوارا لكل حيٍ عواء

إذ ركبنا الجمال من سعف البحرين سير أ حتى نهاها الحساء

ثم ملنا علىٰ تميم فأحرمنا وفينا بنات مرٍ إماء[1]

ثانيًا: كما لم تكن الأحساء ضمن مدن البحرين حتى بدايات القرامطة، وهذا ما أوضحه أبن خرداذبة المتوفى عام ٣٠٠هـ في كتابه المسالك والممالك بقوله: «قرى البحرين وهي الخط والقطيف، والآرة، وهجر، والفروق وبينونة، قال النابغة الجعدي:

عليهن من وحش بينونة نعاج مطافيل في ربرب

والمشقر، والزارة، وجواثا، قال الشاعر:

ماضر اشناس لا يكون له يوم جواثا ويوم ذي قار

وسابون ودارين والغابة، والشنون». انتهى[2]

ثالثًا: سكن الاحساء بني تميم وبني سعد ولم يسكن الأحساء أفراد قبيلة عبد القيس الهجرية.

وهذا ما ذكرته النصوص التاريخية:

قال المسعودي: «مدن البحرين، وكان أهلها في نهاية العدة والقوة كالقطيف،

---

(١) شرح المعلقات العشر ـ أحمد الأمين الشنقيطي ـ ص١١٣.

(٢) المسالك والممالك ـ خرداذبة ص١٥٢ مكتبة الثقافة الدينية.

وكان بها علي بن مسمار وإخوته، وهم من عبد القيس، وقتله عليًا والزارة، وكان بها الحسن بن العوام من الأزد وصفوان، وكان بها بنو حفص وهم من عبد القيس أيضًا والظهران والإحساء[١]، وكان بها بنو سعد من تميم وجواثًا، وكان بها العريان بن الهيثم الربعي». انتهى[٢]

أوضح المسعودي أن بنو سعد من تميم كانوا في الظهران والإحساء وذلك في عرض حديثه عن بدايات القرامطة أي في نهاية القرن الثالث الهجري، وقد يرد إلىٰ البعض بعد المسافة بين الاحساء والظهران واشتراك بنو سعد في إقامتهم فيهما، وكما هو متعارف عليه حتى وقتنا الراهن موقع مدينة الظهران الواقعة في أقصى جنوب القطيف، مازالت معالمها معروفه ومازال بقايا بعض نخيلها متناثر في أرجاء الظهران المجاورة لمدينة الخبر الحديثة. وبالتالي فحدود قبائل بني سعد التميمية من الاحساء حتى الظهران، وأعتقد أن بني سعد كانوا ينتشرون في بادية الظهران إلىٰ الأحساء (أحساء القرامطة)، أما سكان الظهران فهم من الحضر المزارعين من بني عامر من قبيلة عبد القيس كما أشار الحموي في معجمه واشتهرت قديما بالثياب الظهرانية، وقد أوضح الدكتور جواد علي موطن عبد القيس قوله: «فنزلت جديمة بن عوف بن بكر بن عوف بن انمار بن عمرو بن وديعة بن لكيز الخط وأفناءها ونزلت شن بن افصي طرفها وأدناها إلىٰ العراق ونزلت نكرة بن لكيز القطيف وما حولها والشفار والظهران إلىٰ الرمل وما بين هجر إلىٰ قطر وبينونة»[٣] فهذه مواقع تواجد عبد القيس ولم تكن الأحساء موقع سكناهم قبل الحكم القرمطي.

---

(١) نلاحظ أن المسعودي في كتابه التنبيه والإشراف الذي انتهيمن تأليفه عام ٣٤٥هـ اعتبر الأحساء ضمن مدن البحرين بخلاف ابن خرداذبة الذي توفي عام ٣٠٠هـ لم يعد الأحساء من مدن البحرين، وهذا يوضح أن الأحساء كانت تعد خارج مدن البحرين حتى قيام الحركة القرمطية وتأسيس وبناء مدينة الأحساء.

(٢) التنبيه والإشراف ـ المسعودي.

(٣) المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام ـ ج ٤ ـ ص ٤٨٥.

كما أشار البكري في معجمه لمواقع ربوع بني تميم وبني سعد بقوله: «وظهرت تميم بن مر بن أد بن طابخة، وضبة بن أد بن طابخة، وعكل بن أد، إلىٰ بلاد نجد وصحاريها، فحلوا منازل بكر وتغلب، التي كانوا ينزلونها في الحرب التي كانت بينهم، ثم مضوا حتى خالطوا أطراف هجر، ونزلوا مابين اليمامة وهجر، ونفذت بنو سعد بن زيد مناة بن تميم، إلىٰ يبرين وتلك الرمال حتى خالطوا بني عامر بن عبد القيس في بلادهم قطر، ووقعت طائفة منهم إلىٰ عمان وصارت قبائل منهم بين أطراف البحرين إلىٰ مايلي البصرة». انتهى[1]

مرابع عبد القيس في القطيف وساحلها المعروف بساحل هجر ويتضح لنا ذلك من قول الحموي: «وقال الحفصي: القطيف قرية لجديمة عبد القيس، وقال عمرو بن أسوى العبدي:

وتركـن عنتر لايقاتل بعـدها أهل القطيف قتـال خيل تنفع

ولما قدم وفد عبد القيس علىٰ النبي، صلى الله عليه (وآله) وسلم، قال لسيديها الجون والجارود وجعل يسألهما عن البلاد فقالا: يارسول الله دخلتها؟ قال: نعم دخلت هجر وأخذت اقليدها، وكان نجدة الحروري أنفذ ابنه المطرح في خيل إلىٰ عبد القيس بالقطيف ليتصدّقهم فقتل المطرّح في الحرب ثم انتصرت الخوارج عليهم، فقال حمل بن المعنى العبدي:

نصحت لعبد القيس يوم قطيفها فما خير نصـح قيل لم يتقبّل
فقد كان في أهل القطيف فوارس حماة إذا ما الحرب ألقت بكلكل[2]

وذكر ابن الأثير في الكامل موقع قبيلة بني تميم قوله: «قال أبو عبيدة: كانت بكر بن وائل قد أجدبت بلادهم فانتجعوا بلاد تميم بين اليمامة وهجر». انتهى[3]

---

(١) معجم ما ستعجم ـ البكري ـ ق١ ص٨٨.

(٢) معجم البلدان ـ ياقوت ـ ج٤ ص٣٧٨.

(٣) الكامل في التاريخ ـ ابن الأثير ج١ ص٦٠٤.

كما أن الشاعر الاخنس بن شهاب التغلبي حدد مواقع قبائل المنطقة في شعره حيث قال:

لكل أناس من معد عمارة عروض إليها يلجؤون وجانب
لكيز لها البحران والسيف دونها وإن يأتها بأس من الهند كارب
تطاير عن أعجاز حوش كأنها جهام هراق ماءه فهو آيب
وبكر لها بر العراق، وإن تخف يحل دونها من اليمامة حاجب
وصارت تميم بين قف ورملة لها من جبال منتأى ومذاهب
وكلب لها خبت فرملة عالج إلىٰ الحرّة الرجلاء حيث تحارب[1]

رابعًا: كانت الأحساء قبل القرامطة بريه يعيش فيها الأعراب ولم تذكر كتب التاريخ أن الأحساء ضمن مدن البحرين قبل القرامطة كما ذكر المؤرخون أن مدينة هجر قصبة البحرين تبعد عن الأحساء القرمطية حوالي مسير منتصف الليل حتى الصباح. وأشار الجاسر قوله: «ورد في كتاب بلاد العرب أن الأحساء من هجر علىٰ ميلين، وهو يقصد مدينة الأحساء القديمة التي أصبحت القاعدة منذ عهد القرامطة». انتهىٰ[2]

أين تقع مدينة الأحساء القديمة التي بناها القرامطة وسكنها أبو سعيد عندما حاصر مدينة هجر؟

سيكون بداية مفتاح المعرفة لمواقع المدن الدارسة بالبحرين هو تحديد مدينة الأحساء التي بناها القرامطة ومن هنا سنتمكن من تحديد موقع هجر ومن ثم القطيف والزارة والخط وقرى هجر الأخرى.

---

(١) معجم البلدان ـ ياقوت الحموي ـ ج٤ ص٣٦٩.

(٢) المعجم الجغرافي ـ (البحرين قديما) القسم الرابع ص١٥٨٢.

أحساء القرامطة (المؤمنية)

الأحساء:

يجب أن نبين للقارئ الكريم أن موقع الأحساء التي أقامها القرامطة تختلف عن أحساء اليوم التي اقتربت من حدود قطر بينما كانت بدايات مدينة الأحساء هي تلك المدينة التي بناها القرامطة عام ٣١٤هـ وقيل عام ٣١٧هـ عندما حدث خلاف بين العقدانية (المجلس القرمطي) وأهل البحرين وشكل أزمة حادة، اضطر بسببها أبو طاهر أن ينقل مركز ثقله إلىٰ الاحساء وأسس مدينته ـ المؤمنية[١] ـ وفي الحقيقة أن مدينة القرامطة تلك كانت بالقرب من منطقة القطيف ولكن أندرس ذكرها كما أندرس ذكر القرامطة.

حتى أصبح من الصعب علىٰ أبي الفداء المتوفى عام ٧٣٢هـ تحديد أحساء القرامطة حيث قال: «الأحساء علم لموضع من بلاد العرب وهي أحساء بني سعد بن هجر وهي دار القرامطة بالبحرين وقيل أحساء بني سعد غير أحساء القرامطة وليس للأحساء سور»[٢]. وسنوضح للقارئ ذلك بالتفصيل.

---

(١) ساحل الذهب الأسود ـ محمد سعيد المسلم ـ ص١٤٣.

(٢) كتاب تقويم البلدان ـ أبي الفداء ـ ص٩٩.

موقع الأحساء القرمطية:

قبل البدء بتحديد موقعها قد يقول البعض أن هناك الكثير من المناطق عرفت بالاحساء ومنها أحساء القطيف، فمن الصعب تحديد تلك الأحساء التي سكنها القرامطة. هنا يسعفنا بالإجابة قول الأزهري: «وقد رأيت بالبادية أحساء كثيرة علىٰ هذه الصفة، منها أحساء بني سعد بحذاء هجر وقراها، قال: وهي اليوم دار القرامطة وبها منازلهم».[1]

كما بينا آنفًا إن الأحساء التي سكنها القرامطة هي أحساء بني سعد الذين كانت مرابعهم بين الظهران والاحساء.

أما السبب الذي حدى بابي سعيد الجنابي (مؤسس دولة القرامطة) بالانتقال إلىٰ الصحراء وبناء دار له في منطقة صحراوية عرفت لاحقا بالمؤمنية (بعد انتقال ابنه أبو طاهر إليها عام ٣١٤هـ) وذلك في حقيقة الأمر بسبب تخوف أبو سعيد من هجوم مرتقب من الحكومة العباسية انتقاما من قتلاهم في موقعة آفان الذي انكسر فيه الجيش العباسي بقيادة عباس الغنوي، مما أدى إلىٰ تعهد الخليفة العباسي المعتضد بالانتقام من أبي سعيد، وكذلك رسالة أبي سعيد إلىٰ المعتضد وإيضاحه أن قوة القرامطة في البحرين بسبب تمتعهم بالبداوة وأنهم يعيشون في الصحراء ولديهم القدرة علىٰ المناورة وتغيير مواقعهم بسرعة دون تمكن الجيش العباسي من محاصرتهم في موقع محدد، كل هذه الأمور أدت إلىٰ انتقال أبو سعيد من أرض القطيف إلىٰ البرية القريبة من القطيف، لمحاصرة مدينة هجر، وفي نفس الوقت أخذ الحيطة والحذر من هجوم مفاجئ من الجيش العباسي.

مواصفات وحدود أحساء القرامطة:

ذكر المقريزي أن الأحساء تبعد عن هجر ميلان حيث قال: «وكان لا يظفر بقرية

---

(١) لسان العرب ـ ابن منظور.

إلا قتل أهلها ونهبها، فهابه الناس، وأجابه كثير منهم، وفر منه خلق كثير إلىٰ بلدان شتى خوفًا من شره، ولم يمتنع عليه إلا هجر وهي مدينة البحرين ومنزل سلطانها، وبها التجار والوجوه فنازلها شهورًا يقاتل أهلها، ثم وكل بها رجلا.وارتفع فنزل الأحساء وبينها وبين هجر ميلان فابتنى بها دارا، وجعلها منزلا، وتقدم في زراعة الأرض وعمارتها، وكان يركب إلىٰ هجر، ويحارب أهلها، ويعقب قومه علىٰ حصارها». انتهىٰ[1]

حدود أحساء القرامطة كما وصفها خسرو:

الرحالة المؤرخ ناصر خسرو الذي زار أحساء القرامطة وكتب بالتفصيل معالم هذه المدينة والمسافات التي تربطها بمحيطها، يقول خسرو «وحين يسير المسافر من الحسا إلىٰ الشمال سبعة فراسخ يبلغ جهة القطيف وهي مدينة كبيرة بها نخل كثير»، كما يقول في موضع آخر: «ومن اليمامة (الخرج) إلىٰ الحسا أربعون فرسخا» وأيضا يقول: «والبحر علىٰ مسيرة سبعة فراسخ من الحسا إلىٰ ناحية الشرق فإذا اجتازه المسافر وجد البحرين».[2]

من قول خسرو يتبين للقارئ أن المسافة بين الاحساء والبحر من جهة الشرق، هي المسافة ذاتها بين الاحساء والقطيف من جهة الشمال وهي سبعة فراسخ. والفرسخ كما هو متعارف عليه ثلاثة أميال أي مايعادل(٥٤٤ ,٥) كيلومتر. وبالتالي المسافة بين الاحساء القرمطية والقطيف (٣٨,٨٠٨) كلم وذلك بالحساب الفقهي.

ولكن عرف عن الرحالة أنهم يعتمدون في حساباتهم علىٰ الميل اللغوي، الذي هو عندهم مدى البصر ومنتهاه، كما ذكر الحموي في معجمه قوله: «قال ابن السكيت:وقيل للاعلام المبنية في طريق مكة أميال، لأنها بنيت علىٰ مقادير مدى

---

(١) اتعاظ الحنفاء للمقريزي.

(٢) سفرنامة ـ ناصر خسرو .

البصر كل مرئي فإنا نرى الجبل من مسيرة أيام، إنما نعني أن ينظر الصحيح البصر مامقداره ميل، وهي بنية ارتفاعها عشر أذرع أو قريبًا من ذلك وغلظها مناسب لطولها وهذا عندي أحسن ماقيل فيه». انتهىٰ[1]

ولمعرفة تقريبية لمسافة الفرسخ لدى الرحالة خسرو، نقول أن خسروا ذكر أن من اليمامة إلىٰ ألاحساء (٤٠) فرسخ، ومن الاحساء إلىٰ القطيف (٧) فراسخ، وبالتالي المسافة بين اليمامة والقطيف مجموعها سبعة وأربعون فرسخًا.وكما هو معروف أن اليمامة في أيامنا هذه تعرف بمدينة الخرج قرب العاصمة السعودية الرياض والمسافة التقريبية بين القطيف والخرج أربعمائة كيلومتر تقريبا.فإذا قسمنا أربعمائة علىٰ سبعة وأربعون فرسخ فالنتيجة يكون فرسخ ناصر خسرو يساوي (٨,٥١) كلم وبالتالي فالمسافة بين الخرج واحساء القرامطة تساوي (٣٤٠) كلم، بينما المسافة بين أحساء القرامطة والقطيف (٦٠) كلم

وبالتالي إذا أردنا تحديد أحساء القرامطة في أيامنا هذه نقول أنها تقع في الطريق بين مدينة بقيق الحديثة و مدينة القطيف علىٰ بعد ستون كيلومتر من القطيف.

وكما هو معرف أن أحساء اليوم وقصبتها مدينة الهفوف، تقع علىٰ بعد(١٧٠) كلم تقريبا من منطقة القطيف وبها عدة مدن وقرى وأراضيها شاسعة، وبالتالي يتبين لنا أن أحساء اليوم تبتعد عن أحساء القرامطة حوالي مائة وعشرة كيلومتر تقريبا،وبالتالي فالقطيف أقرب إلىٰ أحساء القرامطة(المؤمنية) من أحساء الهفوف.

ولمعرفة أكثر عن الاحساء القرمطية نستذكر ما قاله خسروا المعاصر للفترة المتأخرة من القرامطة بوصفه للاحساء بشيء من التفصيل يقول «والحسا مدينة وسواد أيضًا وبها قلعة ويحيط بها أربعة أسوار قوية متعاقبة من اللبن المحكم البناء بين كل اثنين منها ما يقرب من فرسخ وفي المدينة عيون ماء عظيمة تكفي كل منها

---

(١) معجم البلدان ـ الحموي ـ ج١ ص٣٦.

لإدارة خمس سواق ويستهلك كل هذا الماء بها فلا يخرج منها ووسط القلعة مدينة جميلة بها كل وسائل الحياة التي في المدن الكبيرة وفيها أكثر من عشرين ألف محارب وقيل إن سلطانهم كان شريفًا وقد ردهم عن الإسلام وقال إني أعفيتكم من الصلاة والصوم ودعاهم إلىٰ إن مرجعهم لا يكون إلا إليه وأسمه أبو سعيد وحين يسألون عن مذهبهم يقولون إنا أبو سعيديون وهم لا يصلون ولا يصومون ولكنهم يقرون بمحمد المصطفى صلى الله عليه وسلم وبرسالته وقد قال لهم أبو سعيد إني أرجع إليكم يعني بعد الوفاة وقبره داخل المدينة وقد بنوا عنده قبرًا جميلًا وقد أوصى أبناءه قائلًا يرعى الملك ويحافظ عليه ستة من أبنائي يحكمون الناس بالعدل وللقسطاس ولا يختلفون فيما بينهم حتى أعود ولهؤلاء الحكام الآن قصر منيف هو دار ملكهم وبه تخت يجلسون هم الستة عليه ويصدرون أوامرهم بالاتفاق وكذلك يحكمون ولهم ستة وزراء علىٰ تخت آخر ويتداولون في كل أمر كان لهم في ذلك الوقت ثلاثون ألف عبد زنجي حبشي يشتغلون بالزراعة وفلاحة البساتين وهم لا يأخذون عشورًا من الرعية وإذا افتقر إنسان أو استدان يتعهدونه حتى يتيسر عمله وإذا كان لأحدهم دين علىٰ آخر لا يطالبه بأكثر من رأس المال الذي له وكل غريب ينزل في هذه المدينة وله صناعة يعطى ما يكفيه من المال حتى يشتري ما يلزم صناعته من عدد وآلات ويرد إلىٰ الحكام ما أخذ حين يشاء وإذا تخرب بيت أو طاحون أحد الملاك ولم تكن لديه القدرة علىٰ الإصلاح أمروا جماعة من عبيدهم بان يذهبوا إليه ويصلحوا المنزل أو الطاحون ولا يطلبون من المالك شيئًا وفي الحسا مطاحن مملوكة للسلطان تطحن الحبوب للرعية مجانًا ويدفع فيها السلطان نفقات إصلاحها وأجور الطحانين وهؤلاء السلاطين الستة يسمون السادات ويسمى وزراؤهم الشائرة وليس في مدينة الحسا مسجد جمعة ولا تقام بها صلاة أو خطبة إلا إن رجلًا فارسيًا اسمه علي بن أحمد بنى مسجدًا وهو مسلم حاج غني كان يتعهد الحجاج الذين يبلغون الحسا والبيع والشراء والعطاء والأخذ يتم هناك بواسطة رصاص في زنابيل

يزن كل منها ست آلاف درهم فيدفع الثمن عددا من الزنابيل وهذه العملة لا تسري في الخارج وينسجون هناك فوطًا جميلة ويصدرونها للبصرة وغيرها وإذا صلى أحد فإنه لا يمنع ولكنهم أنفسهم لا يصلون ويجيب السلاطين من يحدثهم من الرعية برقة وتواضع ولا يشربون مطلقًا وعلى باب قبر أبي سعيد حصان مهيأ بعناية عليه طوق ولجام يقف بالنوبة ليلًا ونهارًا يعنون بذلك إن أبا سعيد يركبه حين يرجع إلىٰ الدنيا ويقال إنه قال لأبنائه حين أعود ولا تعرفونني إضربوا رقبتي بسيفي فإذا كنت أنا حييت في الحال وقد وضعت هذه الدلالة حتى لا يدعي أحد أنه أبو سعيد.

وقد ذهب أحد هؤلاء السلاطين بجيش إلىٰ مكة أيام خلفاء بغداد فاستولى عليها وقتل من كان يطوف بالكعبة وانتزع الحجر الأسود من مكانه ونقله إلىٰ الحسا وقد زعموا إن هذا الحجر مغناطيس يجذب الناس إليه من أطراف العالم ولم يفقهوا إن شرف محمد المصطفى صلى الله عليه وسلم وجلاله هما اللذان يجذبان الناس فقد لبث الحجر الأسود في الحسا سنين عديدة ولم يذهب إليها أحد وأخيرًا اشتري منهم الحجر الأسود وأعيد إلىٰ مكانه.

وفي الحسا تباع لحوم الحيوانات كلها من قطط وكلاب وحمير وبقر وخراف وغيرها وتوضع رأس الحيوان وجلده بقرب لحمه ليعرف المشتري ماذا يشتري وهم يسمنون الكلاب هناك كما تعلف الخراف حتى لا تستطيع الحركة من سمنها ثم يذبحونها ويبيعون لحمها. والبحر علىٰ مسيرة سبعة فراسخ من الحسا إلىٰ ناحية الشرق فإذا اجتازه المسافر وجد البحرين وهي جزيرة طولها خمسة عشر فرسخًا والبحرين مدينة كبيرة أيضًا بها نخل كثير ويستخرجون من هذا البحر اللؤلؤ ولسلاطين الحسا نصف ما يستخرجه الغواصون منه وإذا سار المسافر جنوب الحسا يبلغ عمان وهي في بلاد العرب وثلاثة جوانب منها صحراء لا يمكن اجتيازها وولاية عمان ثمانون فرسخًا في مثلها وهي حارة الجو ويكثر بها الجوز الهندي المسمى نارجيل وإذا أبحر المسافر من عمان نحو الشرق يبلغ شاطئ كيش ومكران وإذا سار جنوبًا

يبلغ عدن فإذا سار في الجانب الآخر يبلغ فارس. وفي الحسا تمر كثير حتى أنهم يسمنون به المواشي ويأتي وقت يباع فيه أكثر من ألف من بدينار واحد وحين يسير المسافر من الحسا إلىٰ الشمال سبعة فراسخ يبلغ جهة القطيف وهي مدينة كبيرة بها نخل كثير وقد ذهب أمير عربي إلىٰ أبواب الحسا ورابط هناك سنة واستولى علىٰ سور من أسوارها الأربعة وشن عليها غارات كثيرة ولكنه لم ينل من أهلها شيئًا وقد سألني حين رآني عما تنبئ به النجوم قال أريد إن أستولي علىٰ الحسا فهل أستطيع أم لا فإن أهلها قوم لا دين لهم فأجبته بما فيه الخير له. وعندي إن كل البدو يشبهون أهل الحسا فلا دين لهم ومنهم أناس لم يمس الماء أيديهم مدة سنة أقول هذا عن بصيرة لا شيء فيه من الأراجيف فقد عشت في وسطهم تسعة شهور دفعة واحدة لا فرقة بينها ولم أكن أستطيع إن أشرب اللبن الذي كانوا يقدمونه إلي كلما طلبت ماء لأشرب فحين أرفضه وأطلب الماء يقولون أطلبه حيثما تراه ولكن عند من تراه وهم لم يروا الحمامات أو الماء الجاري في حياتهم». [١]

---

(١) سفرنامه ـ ناصر خسرو.

مدينة هجر[1]

هجر هي قصبة البحرين ولكن هذه المدينة دمرت علىٰ يد القرامطة عام ٢٨٧هـ تقريبا، واختلف المؤرخون في تحديد موقعها واختلط علىٰ البعض ممن هم خارج المنطقة حتى نسبوا هجر إلىٰ مدينة الاحساء بعد أن اعتمدوا أن قرامطة هجر سكنوا الاحساء، خافيا عليهم أن قرامطة هجر أطلق عليهم هذا الاسم عندما حكموا قرى هجر (القطيف، والزارة، والخط) قبل انتقالهم إلىٰ الاحساء القرمطية (التي تبعد عن القطيف حوالي ٦٠ كلم) التي لم تكن أصلا من قرى هجر والتي يسكنها أعراب بني تميم.بينما يسكن هجر وقراها قبائل عبد القيس.

مدينة هجر تعتبر الرقم الصعب للباحثين في وقتنا الراهن وقد نسبها بعض مؤرخي الاحساء المتأخرين إلىٰ أحسائهم دون تحقيق وتثبت بل نسبوا قرى هجر إلىٰ الاحساء (بالطبع لم يستطعوا أن يقولوا القطيف والزارة والخط من قرى هجر، بينما جميع المؤرخين الأوائل يذكرون أن قرى هجر هي القطيف والخط والزارة) ولكن بحثوا في قراها الدارسة ونسبوها إلىٰ الاحساء كما عملوا جاهدين علىٰ تصحيف

---

(١) قال الصحابي الجليل عمار بن ياسر في حرب صفين «والله لو هزمونا حتى يبلغوا بنا سعفات هجر لعلمنا انا علىٰ الحق، وأنهم علىٰ الباطل» انتهيشرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ج١٠ ص١٠٤.

بعض قرى الاحساء إلىٰ قرى هجر الدارسة وهكذا أصبحت قصبة البحرين ـ هجر ـ في قلب الاحساء ومن المسلمات الخاطئة لمؤرخي هذه المرحلة.

بينما نجد الجغرافي أبي عبد الله ياقوت الحموي المتوفي سنة ٦٢٦هـ كان أنصف وأعرف منهم حيث قال: «وهجر مدينة وهي قاعدة البحرين، وقيل ناحية البحرين كلها هجر، وهو الصواب». انتهى[1]

وانا أعذر الحموي لعدم قدرته علىٰ تحديد موقع مدينة هجر بسبب انه تفصله عن تاريخ هذه المدينة ما يقارب ٣٣٩سنة منذ تخريبها علىٰ يد أبو سعيد القرمطي وليس بتلك السهولة التعرف علىٰ موقع هجر.

وهكذا نجد المستشرق جي. لوريمر قال: «هجر وخط هجر:أسماء قديمة لم تزل نهائيًا، ولكن استعمالها أصبح غير محدد وهنالك وجهة نظر تقول بأن الهجر كانت تعني واحة الحسا وأن كوت هجر كان يعني في الأصل المنطقة الساحلية من رأس تنورة إلىٰ دوحة سلوى، ولذلك فهي تشمل واحة القطيف وبر الظهران وبر العقير وبر القارة. ويقال إن هذه المنطقة كانت مأهولة ولكنها الآن صحراء يقال بأن اسم البحرين كان يشمل جزءا من بر الجزيرة العربية الرئيسي بالإضافة إلىٰ الأرخبيل الذي يحمل الاسم الآن». انتهى[2]

ولكي نعطي تصور أقرب لموقع هجر بحثنا في بعض النصوص التاريخية التي توضح للقارئ موقع هجر بشكل حسابي كما ذكرت المسافات الموضحة لموقع هجر، لنتمكن بعدها من تحديد موقع هجر التقريبي.

هجر في اللغة :

قال البكري: «هجر: بفتح أوله وثانيه: مدينة البحرين، معروفه. وهي معرفة

---

(١) معجم البلدان ياقوت الحموي ج٥ ص٣٩٣.

(٢) دليل الخليج القسم الجغرافي ج٢ ص٧٧٤.

لا تدخلها الالف واللام. ومثل للعرب: (سطي مجر، ترطب هجر) ولم يقولوا: يرطب. وهو اسم فارسي معرب، أصله هكر. وقيل إنما سميت بهجر بنت مكنف من العماليق. وقال الفرزدق فذكر هجر ولم يصرفها:

منهن أيام صدق قد عرفت بها   أيام فارس والأيـام من هجرا [١]

وقال الحموي في معجمه: «وهجر: مدينة وهي قاعدة البحرين، وربما قيل الهجر، بالألف واللام، وقيل: ناحية البحرين كلها هجر، وهو الصواب، قال ابن الكلبي عن الشرقي: إنما سميت عين هجر بهجر بنت المكفف وكانت من العرب المتعربة وكان زوجها محلَم بن عبد الله صاحب النهر الذي بالبحرين يقال له نهر محلم وعين محلم، وينسب إليها هاجري علىٰ غير قياس» ... إلىٰ أن قال «وقال قوم: هجر بلاد قصبتها الصفا، وقد ذكرت في موضعها، بينها وبين اليمامة عشرة أيام». انتهى' [٢]

قال القزويني: «هجر: مدينة كبيرة قاعدة بلاد البحرين، ذات خيرات كثيرة من النخل والرمان والتين والاترج والقطن. وبقلاتها شبه رسول الله، صلى الله عليه (وآله) وسلم نبق الجنة، وكذلك قال، صلى الله عليه (وآله) وسلم: إذا بلغ الماء قلتين لم يحمل خبثا. أراد بهما قلال هجر سعتهما خمسمائة رطل، من عجائبها: من سكنها عظم طحاله». [٣]

اشتهرت هجر بنخيلها الكثيرة حتى أصبحت مضرب أمثال العرب ومنها قولهم: كمستبضع التمر إلىٰ هجر «وهجر معدن التمر» [٤] وجاء ذكر هجر علىٰ لسان الصحابي الجليل عمار بن ياسر في حرب صفين وهو يقاتل ضد جيش معاويه وهو

---

(١) معجم ماستعجم ـ البكري ـ ج٤ ص١٣٤٦.
(٢) معجم البلدان ـ الحموي ج٥ ص٣٩٣.
(٣) آثار البلاد وأخبار العباد ـ الغزويني ص٢٨٠.
(٤) العقد الفريد ـ بن عبد ربه الأندلسي ج٣ ص٦٢.

يقول: والذي نفسي بيده، لقد قاتلت بهذه الحربة مع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ثلاث مرات، وهذه الرابعة، والذي نفسي بيده لو ضربونا حتى يبلغوا بنا سعفات هجر لعرفت أنا علىٰ حق وإنهم علىٰ باطل. ثم جعل يقول صبرا عباد الله الجنة تحت ظلال السيوف.(١)

أين تسكن قبيلة عبد القيس؟

ذكر البكري قوله: «ونزلت نكرة بن لكيز بن أفصي بن عبد القيس القطيف وما حولها.

وقال ابن شبه: نزلت نكرة الشفار والظهران إلىٰ الرمل ومابين هجر إلىٰ قطر وبينونة». انتهىٰ(٢)

وتقع مدينة هجر بالقرب من حصن الصفا كما أورد الحموي قوله: «المشقر حصن بالبحرين عظيم لعبد القيس يلي حصنا لهم آخر يقال له الصفا قبل مدينة هجر والمسجد الجامع بالمشقر وبين الصفا والمشقر نهر يجري يقال له العين وهو يجري إلىٰ جانب مدينة محمد بن الغمر.

ولذلك قال يزيد بن المفرغ يهجو المنذر بن الجارود وكان قد أجاره فحقد عبيد الله بن زياد جواره وأخذه منه فنكل به ونسب المشقر إلىٰ عبد القيس وهم أهل البحرين فقال:

تركت قريشا أن أجاور فيهم وجاورت عبد القيس أهل المشقر(٣)

وقال امرؤ القيس في شعره:

أو المكرعات من نخيل أبن يامن دوين الصفا اللائي يلين المشقرا

---

(١) العقد الفريد ـ ج٥ ص٨٦.

(٢) معجم ماستعجم ـ البكري ج١ ص٨١.

(٣) معجم البلدان ـ الحموي ج٥ ص١٣٤.

امرؤ القيس مخاطبا أهل هجر:

فان تمنعوا منا المشقر والصفا فانا وجدنا الخط جما نخيلها.

تقع هجر على شط بحر فارس:

ذكر ابن حوقل: «والبحرين في ناحية نجد وأكبر أعمالها ومدنها هجر وهي أكثر تمورا وليست من الحجاز وهي علىٰ شط بحر فارس ومقام القرامطة بها وهي دارهم، ولهم قرى كثيرة وقبائل من مضر ذوو عدة وعدد اغتصبت لضعف السلطان من أربابها». انتهىٰ[(١)]

وذكر البكري في معجمه في رسم جزيرة العرب قوله: «عن الزبير قال: حدثني محمد بن فضالة: إنما سميت جزيرة لإحاطة البحر بها، والأنهار من أقطارها. وذلك أن الفرات أقبل من بلاد الروم، فظهر بناحية قنسرين، ثم انحط عن الجزيرة، وهي مابين الفرات ودجلة، وعن سواد العراق، حتى دفع في البحر من ناحية البصرة والأبلة، وامتد إلىٰ عبدان، وأخذ البحر من ذلك الموضع مغربًا مطيفًا ببلاد العرب، منعطفا عليها، فأتى منها علىٰ سفوان وكاظمة، ونفذ إلىٰ القطيف وهجر وأسياف عمان والشحر». انتهىٰ[(٢)]

وذكر محمد بن عبد الله الخطيب الاسكافي في كتابه لطف التدبير: «وجاءت تميم لقبض العطاء في حصن بالبحرين يقال له المشقر علىٰ البحر». انتهىٰ

وذكر البكري في توضيح موقع سيف هجر الذي يكثر فيه زراعة النخيل قوله: «ورواه ابن الاعرابي قراحيه، نسبها إلىٰ قراح، وهو سيف هجر. وأصل الفسيل منه». انتهىٰ[(٣)]

---

(١) كتاب صورة الأرض ـ ابن حوقل ـ ص٣١.

(٢) معجم ما ستعجم ـ البكري ـ ج ١ ص٧.

(٣) معجم ما استعجم ـ البكري ـ ج١ ص٢٤٧ .

كما ذكر البكري في موضع آخر: «قراح بضم أوله أيضا وزيادة الف بين الراء والحاء: موضع بساحل البحرين، قال النابغة:

كأن الظعن حين طفون ظهرا سفين الشحر يممت القراحا

وقيل: قراح مدينة وادي القرى، وأنظره في رسم بزاخه. وقال عمارة بن عقيل: هو ساحل هجر، وأنشد لجده جرير:

ظعائن لم يدن مع النصارى ولم يدرين ما سمك القراح[١]

وذكر الحموي: «قراح: قرية علىٰ شاطئ البحر، وقراحية نسبة إليها والقراحي والقرحان: الذي لم يشهد الحرب، وفي كتاب الحازمي قال أبو عبيدة في بيت النابغة: قراحية نسبها إلىٰ قراح سيف هجر، والزارة سيف القطيف». انتهىٰ[٢]

بين الأحساء وهجر ميلان (الميل مد البصر) وماء عين هجر إلىٰ البحر!

قال المقريزي: «واتفق أن البلد كان واسعًا، ولأهله عادة بالحروب، وهم رجال شداد جهال، فظفر أبو سعيد باشتهار دعوته في تلك الديار، فقاتل بمن أطاعه من عصاه، حتى اشتدت شوكته.

وكان لا يظفر بقرية إلا قتل أهلها ونهبها، فهابه الناس، وأجابه كثير منهم، وفر منه خلق كثير إلىٰ بلدان شتى خوفًا من شره، ولم يمتنع عليه إلا هجر وهي مدينة البحرين ومنزل سلطانها، وبها التجار والوجوه فنازلها شهورًا يقاتل أهلها، ثم وكل بها رجلا.

وارتفع فنزل الأحساء وبينها وبين هجر ميلان فابتنى بها دارا[٣]، وجعلها منزلا،

---

(١) معجم ما استعجم ـ البكري ـ ج٣ ص١٠٥٦.

(٢) معجم البلدان ـ ياقوت الحموي ـ ج٤ ص٣١٥.

(٣) كما يبدو أن أبو سعيد خلال محاصرته لمدينة هجر قام بوضع حجر الأساس لبناء مدينة الاحساء التي تبعد ميلان من مدينة هجر وبالتالي فان انتقال الحكم القرمطي من القطيف إلىٰ الاحساء كان مابين عام

وتقدم في زراعة الأرض وعمارتها، وكان يركب إلىٰ هجر، ويحارب أهلها، ويعقب قومه علىٰ حصارها.

ودعا العرب فأجابه بنو الأضبط من كلاب، وساروا إليه بحرمهم وأموالهم، فأنزلهم الأحساء، وأطمعوه في بني كلاب، وسائر من يقرب منه من العرب فضم إليهم رجالا، وساروا فأكثروا من القتل، وأقبلوا بالحريم والأموال والأمتعة إلىٰ الأحساء، فدخل الناس في طاعته، فوجه جيشًا إلىٰ بني عقيل فظفر بهم، ودخلوا في طاعته.

فلما اجتمع إليه العرب مناهم ملك الأرض كلها، ورد إلىٰ من أجابه من العرب ما كان أخذ منهم من أهل وولد، ولم يرد عبدًا ولا أمة ولا إبلا ولا صبيا إلا أن يكون دون الأربع سنين. وجمع الصبيان في دور وأقام عليهم قومًا، وأجرى عليهم ما يحتاجون إليه، ووسمهم لئلا يختلطون بغيرهم، ونصب لهم عرفاء، وأخذ يعلمهم ركوب الخيل والطعان، فنشأوا لا يعرفون غير الحرب، وقد صارت دعوته طبعًا لهم. وقبض كل مال في البلد، والثمار، والحنطة، والشعير. وأقام رعاةً للإبل والغنم، ومعهم قوم لحفظها، والتنقل معها علىٰ نوب معروفة. وأجرى علىٰ أصحابه جرايات فلم يكن يصل لأحد غير ما يطعمه. هذا وهو لا يغفل عن هجر، وطال حصاره لهم علىٰ نيف وعشرين شهرًا حتى أكلوا الكلاب، فجمع أصحابه، وعمل دبابات، ومشى بها الرجال إلىٰ السور، فاقتتلوا يومهم، وكثر بينهم القتلى، ثم انصرف عنهم إلىٰ الأحساء، وباكرهم فناشوه، فانصرف إلىٰ قرب الأحساء، ثم عاد في خيل، فدار حول هجر يفكر فيما يكيدهم به، فإذا لهجر عين عظيمة كثيرة

٢٨٧هـ - ٢٩٠هـ ولكن هناك رأي آخر يتبناه المرحوم الشيخ/ محمد علي التاجر قوله أن أبو طاهر هو الذي نقل مركز ثقله إلىٰ الاحساء وأسس مدينته المؤمنية بعد أن أختلف أهل البحرين مع العقدانية (أهل الحل والعقد القرمطي) وذلك عام ٣١٤هـ. (عقد اللآل في تاريخ أوال ص٨٣). وهذا ماذكره أيضا محمد سعيد المسلم في كتابه ساحل الذهب الأسود - ص١٤٣.

الماء، تخرج من نشز من الأرض غير بعيد منها، فيجتمع ماؤها في نهر يستقيم حتى يمر بجانب هجر، ثم ينزل إلىٰ النخل فيسقيه، فكانوا لا يفقدون الماء في حصارهم. فلما تبين له أمر العين انصرف إلىٰ الأحساء، ثم غدا فأوقف علىٰ باب المدينة رجالًا كثيرًا، ورجع إلىٰ الأحساء، وجمع الناس كلهم، وسار في آخر الليل فورد العين بكرة بالمعاول والرمل وأوقار الثياب الخلقان ووبر وصوف، وأمر بجمع الحجارة ونقلها إلىٰ العين، وأعد الرمل والحصى والتراب، ثم أمر بطرح الوبر والصوف وأوقار الثياب في العين، وطرح فوقها الرمل والحصى والتراب والحجارة، فقذفته العين، ولم يعن ما فعله شيئًا، فانصرف إلىٰ الأحساء بمن معه. وغدا في خيل فضرب البر حتى عرف أن منتهى العين بساحل البحر، وأنها تنخفض كلما نزلت، فرد جميع من كان معه، وانحدر علىٰ النهر نحوا من ميلين، ثم أمر بحفر نهر هناك، وأقبل يركب هو وجمعه في كل يوم والعمال يعملون حتى حفره إلىٰ السباخ، ومضى الماء كله فصب في البحر ثم سار فنزل علىٰ هجر وقد انقطع الماء عنهم ففر بعضهم فركب البحر، ودخل بعضهم في دعوته، وخرجوا إليه فنقلهم إلىٰ الأحساء، وبقيت طائفة لم يفروا لعجزهم، ولم يدخلوا في دعوته فقتلهم، وأخذ ما في المدينة، وأخربها فبقيت خرابًا، وصارت مدينة البحرين هي الأحساء. ثم أنفذ سرية إلىٰ عمان في ستمائة، وأردفهم بستمائة أخرى، فقاتلهم أهل عمان حتى تفانوا، وبقي من أهل عمان خمسة نفر، ومن القرامطة ستة نفر، فلحقوا بأبي سعيد، فأمر بهم فقتلوا، وقال: هؤلاء خاسوا بعهدي ولم يواسوا أصحابهم الذين قتلوا. وتطير بهلاك السرية، وكف عن أهل عمان».[1]

كما يذكر الحميري قوله: «ودخل أبو سعيد هذا مدينة هجر من بلاد اليمن[2] سنة سبع وثمانين ومائتين بعد حصار أربع سنين، فدخل علىٰ قوم هلكوا جوعًا

---

(١) اتعاظ الحنفاء ـ المقريزي.

(٢) يرى الحميري أن منطقة البحرين تقع ضمن نطاق اليمن وقد أشار إلىٰ ذلك في ص ١٧٦ فيما يتعلق بجزيرة جنابا وحددها أنها جزيرة في البحر من جزائر البحرين باليمن .

وهزلا وبعد أن كان الوباء وقع فيهم فمات منهم خلق، وقتل منهم القرمطي ثلاثمائة الف فطرحهم أحياء في النار، ونجا قليل منهم إلىٰ جزيرة أوال، ولم يبق من أهل هجر يومئذ إلا عشرون رجلا».[١]

هجر أعظم مدن البحرين في ساحل هجر:

قال المسعودي: «وجزيرة أوال فيها بنو مَعْن وبنو مسمار وخلائق كثيرة من العرب بينها وبين مدن ساحل البحرين نحو يوم، بل أقل من ذلك، وفي ذلك الساحل مدينة الزارة والعقل والقطيف من ساحل هجر».

قال المسعودي أيضًا: «مدن البحرين، وكان أهلها في نهاية العدة والقوة كالقطيف، وكان بها علي بن مسمار وإخوته، وهم من عبد القيس، وقتله عليًا والزارة، وكان بها الحسن بن العوام من الأزد وصفوان، وكان بها بنو حفصن وهم من عبد القيس أيضًا والظهران والإحساء، وكان بها بنو سعد من تميم وجواثًا، وكان بها العريان بن الهيثم الربعي». انتهىٰ

إلى أن قال: «وهجر وكانت أعظم مدن البحرين، وكان بها عياش المحاربي، وكان أعظمهم عدة، وأشدهم شوكة».[٢]

مدينة هجر بالقرب من قرية آفان القطيفية:

قال الفرزدق في مدح عمر بن هبيره:

أنت رجائي بأرضي إنني فرق	من واسط والذي نلقاه ننتظر
اسأل زيادا ألم ترجع رواحلنا	ونخل أفأن مني بعده نظر
وما فرقت وقد كانت محاضرنا	منها قريبا حذاري وردها هجر[٣]

---

(١) الروض المعطار في خبر الأقطار ـ الحميري ص١٧.

(٢) التنبيه والإشراف ـ المسعودي.

(٣) ديوان الفرزدق، دار صادر بيروت، ص٢٢٩ ج١.

وقد شرح الشيخ المرحوم / حمد الجاسر، شعر الفرزدق، قوله: وأفان: قرية بالقطيف، للأزد وعبد القيس. وهجر: لأخلاط من العرب الأزد وغيرهم يقول: قد كانت القطيف مني بقدر مايدركها. كما أشار الجاسر أن بلدة سيهات (القطيفية) يظهر أنها قامت علىٰ أنقاض بلدة أفان.[١]

تقع مدينة هجر على ساحل شاطىء نصف القمر:

من النصوص السابقة وأقوال المسعودي نستشف أن بني تميم أراضيهم من الظهران إلىٰ الاحساء بينما يسكن هجر أفراد من قبيلة عبد القيس وهي دار إقامتهم، وبالتالي مدينة هجر تقع ضمن أراضي عبد القيس، وقراهم كانت متناثرة بين الخط والقطيف والزارة والظهران وكانت هجر أعظمها وكان نهر محلم يسقي نخيل هجر وقراها.

من قول المقريزي أيضًا في حصار أبو سعيد لهجر يتضح أن عين هجر بالقرب من البحر، وأن أبو سعيد انتقل من الاحساء القرمطية (التي تبعد مايقارب ٦٠ كلم عن القطيف) في منتصف الليل ووصل مدينة هجر في الصباح باكرا، وهجر تبعد عن أحساء القرامطة ميلان (ثمانية ألاف ذراع) وبالتالي أتوقع أن هجر تبعد عن القطيف (من ٤٠الى ٥٠) كلم تقريبا.

وأيضا من شرح الشيخ حمد الجاسر لشعر الفرزدق الذي أوضح قربه من قرية آفان القطيفية وهو في هجر، وبالتالي فأعتقد أن هجر تقع في الأراضي الواقعة بالقرب من ساحل شاطىء نصف القمر (الواقع بين الظهران وبقيق في المنطقة الشرقية من المملكة العربية السعودية) بالقرب من القطيف وقرية آفان الدارسة، ويؤكد قولنا ما أوضحه جواد علي، قوله: «ونزلت نكرة بن لكيز القطيف وماحولها والشفار

(١) التصحيف في أسماء المواضع الواردة في الأخبار والأشعار، الشيخ حمد الجاسر، ص٣٠.

والظهران إلىٰ الرمل ومابين هجر إلىٰ قطر وبينونة»[١] انتهى. فكانت هجر بعد مدينة الظهران، ومن خلا النصوص السابقة يتمكن القارىء الكريم من معرفة موقع هجر بشكل تقريبي وبالتالي يتمكن من تصور التاريخ القرمطي خلال استعراضنا القادم.

---

(١) المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام - ج٤ - ص٤٨٥.

نهر محلِم أشهر نهر في بلاد العرب[1]

لإكمال ما بدأنا به من عرض النصوص التاريخية لإيضاح مانراه أن موقع هجر علىٰ ساحل البحر بالقرب من قراها التاريخية القطيف والزارة والخط وجواثا

ولاطلاع القراء علىٰ المزيد من النصوص التاريخية التي تزيل غبار تلك السنين الخوالي عن صفحاته ولتحديد أحساء بني سعد التي كانت في الحقب التاريخية القديمة مأوى للأعراب الذين تحالفوا علىٰ محاربة قبيلة عبد ألقيس، ومنهم صاحب الزنج عندما طرده أهالي القطيف فذهب إلىٰ الأحساء وشن حربه ضد القطيف وهزم بتحالف قبائل عبد القيس، وفي المرة الأخرى عندما طرد أهالي القطيف أبو سعيد القرمطي من القطيف تحالف أيضا مع أعراب الأحساء فشنوا حملة ضد عبد القيس في القطيف وهجر ونجحوا في تدمير قرى هجر والقطيف. وقاموا بتشريد وقتل وحرق الأهالي في بيوتهم، وآخر اكتشاف أثري قام به مجموعة من العاملين في متحف الدمام وعلى رأسهم الأستاذ نزار العبد الجبار الذين اكتشفوا أثار حريق بيوت الزارة من قبل القرامطة ومرتزقتهم من أعراب الأحساء في تلك الحقبة الزمنية.

---

(١) مقال للمؤلف نشر في موقع شبكة راصد الاخباريه بتاريخ ٢٥/ ٥/ ٢٠٠٧م.

وفي الحقيقة أن مدينة هجر ظلم أهلها من قبل محتل أباد فيها الأطفال والنساء والرجال والشيوخ وحرقهم في بيوتهم حتى بلغ عدد القتلى ثلاثمائة ألف من أهالي هجر ودمرت بالكامل بعد أن كانت ذات يوم أعظم مدن البحرين، ودرس موقعها بعد تدميرها عام ٢٨٧هـ. وأصبح أسم مدينة هجر يطلق علىٰ المنطقة بأكملها، ولكن بدون مدينة هجر.

حتى أن الجغرافي المعروف بالحموي المتوفي عام ٦٢٦هـ لم يعرف موقع هجر وقال فيها: قال الحموي في معجمه: «وهجر: مدينة وهي قاعدة البحرين، وربما قيل الهجر، بالألف واللام، وقيل: ناحية البحرين كلها هجر، وهو الصواب». انتهىٰ[1]

كما أن المستشرق جي جي لوريمر يقول: هجر وخط هجر: أسماء قديمة لم تزل نهائيا، ولكن استعمالها أصبح غير محدد وهنالك وجهة نظر تقول بأن الهجر كانت تعني الواحة الحسا وأن كوت هجر كان يعني في الأصل المنطقة الساحلية من رأس تنوره إلىٰ دوحة سلوى، ولذلك فهي تشمل واحة القطيف وبر الظهران وبر العقير وبر القارة. ويقال أن هذه المنطقة كانت مأهولة ولكنها الآن صحراء. انتهىٰ[2]

ولمعرفة موقع هجر نتتبع أقول المؤرخين، قربها من نهر محلم، وحصني المشقر والصفا من هنا سنبدأ البحث عن تلك المعالم.

نهر محلم:

يقول الشيخ حمد الجاسر: محلم ـ بضم الميم وفتح الحاء وكسر اللام المشددة وآخره ميم:ـ أسم رجل أضيف إليه نهر، عرف باسم نهر محلم، كان أشهر نهر في بلاد العرب.

---

(١) معجم البلدان ياقوت الحموي ج٥ ص٣٩٣.

(٢) دليل الخليج القسم الجغرافي ج٢ ص٧٧٤.

وتكاد تجمع أقوال المتقدمين علىٰ أنه في هجر، من بلاد البحرين، فقد ذكر ابن جرير في تاريخه في خبر بناء المشقر في هجر: نهر محلم يقع بين حصني المشقر والصفا، وذكر الأزهري في (تهذيب اللغة) أن السريَ والصفا نهران يتخلجان من نهر محلم، تسقي قرى هجر كلها، وأورد في(النقائض): قال الفرزدق يهجو بني عامر بن صعصعة:

قد كان في هجر ونخل محلم تمر للملتمس الطعام فقير[1]

قال الحموي في معجمه: «وهجر: مدينة وهي قاعدة البحرين، وربما قيل الهجر، بالألف واللام، وقيل: ناحية البحرين كلها هجر، وهو الصواب، قال ابن الكلبي عن الشرقي: إنما سميت عين هجر بهجر بنت المكفف وكانت من العرب المتعربة وكان زوجها محلَم بن عبد الله صاحب النهر الذي بالبحرين يقال له نهر محلم وعين محلم، وينسب إليها هاجري علىٰ غير قياس»... إلىٰ أن قال: «وقال قوم: هجر بلاد قصبتها الصفا، وقد ذكرت في موضعها، بينها وبين اليمامة عشرة أيام». انتهىٰ[2]

أين يقع نهر محلم؟

أشار حمد الجاسر إلىٰ موقع نهر محلم في معجمه: «جاء في كتاب نصر: قال الأصمعيُ: إنما سميت البحرين لأنهما عينان بينهما مسيرة ثلاث: إحداهما محلم، والأخرى قضباء وهي خبيثة الماء، علىٰ إحداهما هجر، والأخرى قطيف، وهي الخط» انتهىٰ.

مما ذكر أعلاه يتبين لنا أن نهر محلم يقع بين القطيف ومدينة هجر.

هناك قول آخر: نهر محلم بالاحساء.

---

(١) المعجم الجغرافي ـ حمد الجاسر ـ ق٤ ص١٥٨١.

(٢) معجم البلدان ـ الحموي ج٥ ص٣٩٣.

وهو قول شارح ديوان ابن المقرب في طبعته الهندية ـ طبعت عام ١٣١١هـ وشارح الديوان غير معروف، واعتقد أنه ليس من العوائل الموالية لأهل البيت التي كانت في زمن الشاعر حيث في زمن أبن المقرب كان السكان من الموالين لأهل البيت مع اختلاف مذاهبهم ولا يوجد غيرهم إلا الغريب عن المنطقة، بل كما يبدو أنه من الوافدين عليها (من العوائل النازحة للإحساء في القرن الحادي عشر الهجري) كما نلاحظ في هذه الطبعة حذفت القصائد التي أبدع فيها الشاعر في مدح أهل البيت، وأعتقد أنه قام بشرح الديوان في السنوات الأولى من القرن الرابع الهجري حيث كان يركز في أكثر شرحه علىٰ أن هجر هي الإحساء، ويذكر مواضع حديثه في الاحساء، وسيتبين لنا ذلك من خلال شرحه لهذه الأبيات لابن المقرب:

صدقتم في عيصكم بفعالكم ... ما قاله العلماء من عدنان

نسبوكم فعزوا بيوتا منكم ... مشهورة لسواد خورستان

نقلت أوائلهم إلىٰ البحرين كي ... يبنوا مشقرها انوشروان

فحاول جاهدا أن ينقل هجر إلىٰ الهفوف فقال في شرحه: «العيص الأصل شجر ملتفة وخورستان من بلاد فارس والمشقر حصن بهجر من البحرين بين ملحم وسليسل نهرين بهجر قيل كان عرض جداره سبعين لبنة كسروية». انتهىٰ[1]

نلاحظ هنا انه استحدث أسماء جديدة لنهرين ليس لهم صلة بنهر محلم ونهري الصفا والسري المتخلجين من نهر محلم. ولكن خطأه هذه المرة فاضح جرده من الحقيقة من خلال استبدال نهر محلم بنهر ملحم (إحدى الأسر الأحسائية النازحة

---

(١) ديوان ابن المقرب ـ الطبعة الهندية ـ مجهول الشارح وقد يكون من قام بطبعه هو الشارح، ويعرف نفسه بقوله: أفقر الورى إلىٰ ربه عبده الأقل كثير الخطايا والزلل، عبد العزيز بن أحمد بن محمد العويضي الخالدي حسبا الاحسائي وطنا، كما يقول في موضع آخر، انه قرض عليه الإمام الفاضل والجهبذ العلامة الكامل فخر الزمان وتاج ذوي العرفان حضرت سيدنا ومولانا السيد عبد الله السيد محمد صالح الزواوي المدرس بالمسجد الحرام . انتهىٰ ـ طبعة سنة في الخامس عشر من شهر صفر عام ١٣١١هـ .ص٥٤٨، ص٥٧٣.

من نجد) ونهر سليسل[١]، وحاول ربطهما بحصن المشقر في هجر، كما أخطأ في موقعهما أيضا، فالمؤرخين ذكروا أن نهر محلم يقع بين حصني الصفا والمشقر، ولكن الشارح قال المشقر بين ملحم وسليسل.

وقد حاول الشيخ حمد الجاسر تصحيح الخطأ الذي وقع فيه الشارح، وذلك من خلال قوله: «وكلمة(محلم) لاشك أنها تحريف محلم، أما سليسل فهو نهر كان في عهدنا (الشيخ حمد الجاسر) يتجمع من فضلات مياه العيون، الواقعة شرق الهفوف ويسقي بعض القرى الشرقية بقرب جبل القارة». انتهىٰ[٢]

بينما ذكر الأزهري المعاصر للقرامطة في (تهذيب اللغة) أن السريَ والصفا نهران يتخلجان من نهر محلم، تسقي قرى هجر كلها.

والسري قرية في القطيف ذكرت في قانون نامة، والصفا كما أورد محمد سعيد المسلم باعتقاده أنها مدينة صفواء.

وهكذا يبين هذا الشارح المجهول مدى محاولاته في نقل هجر ونهر محلم إلي الهفوف.ومن الواضح انه قام بشرحه في القرن الرابع عشر الهجري. وأصبح من المصادر الرئيسية لدى المؤرخين المتأخرين. حيث تم طباعته في الهند عام ١٣١١هـ. بواسطة عبد العزيز الخالدي.

حتى أن مواصفات عين محلم لاتنطبق علىٰ عيون الاحساء باعتراف كبير مؤرخيهم الشيخ محمد بن عبد القادر قوله: «عين محلم: قال في المعجم هي بضم أوله وفتح ثانيه وكسر اللام المشددة ثم ميم وهو أسم رجل نسبت العين إليه قال

---

(١) سليسل أسم لنهر أيضا كان ضمن روافد عين داروش بمدينة صفواء(صفوى) القطيفية وكانت تتخلج منها عدة انهر منها نهر سليسل ونهر مضر ونهر العوسجي هذا ما زودنا به الحاج / أبو همام وكذلك الأستاذ/ ياسر الخميس من مدينة صفواء.

(٢) المعجم الجغرافي ـ حمد الجاسر ـ ق٤ ص١٥٨٢.

الكلبي: هو محلم بن عبد الله زوج هجر بنت المكفف من الجرامقة قال: أبو منصور الأزهري: هي عين فوارة بالبحرين لم تر عيني أكثر ماء منها وماؤها حار في منبعه فإذا فارقه برد وهو ماء عذب، ولهذه العين إذا جرت في نهرها خلج كثيرة تتخلج منها تسقي نخيل جواثى، وعسلج، وقريات من قرى هجر انتهىٰ قلت: هذه الصفة تنطبق علىٰ عدة عيون من العيون الموجودة ألان بالاحساء إلا أنها بعيدة من جواثى وعسلج».[1]

ولا غرابة في ذلك إذا عرفنا أن قرية جواثى في الخط كما أشار إلىٰ ذلك ابن الاعرابي بقوله: «جواثا مدينة الخط والمشقر مدينة هجر». انتهىٰ

كما أوضح ياقوت في معجمه أن نخيل جواثا تسقي من عين محلم وذلك بقوله: «محلَم عين فواره بالبحرين وما رأيت عينا أكثر ماء منها وماؤها حار في منبعها فإذا برد فهو ماء عذب ولهذه العين إذا جرت في نهرها خلج كثيرة تتخلج منها تسقي نخيل جواثاء وعسلج وقريات من قرى هجر». انتهىٰ

يتضح من النص السابق أن نهر محلَم يسقي جواثا وقرى هجر من خلال خلجان كثيرة تتخلج منه، ومن هذه الخلجان الصفا و السري كما أشار إليهما لبيد في شعره بقوله:

سحق يمتعها الصفا وسريه ... عم نواعم بينهن كروم

وذكرهما ابن منظور في كتابه لسان العرب فقال: «والصفا والسري: نهران متخلجان من نهر محلَم الذي بالبحرين لسقي نخيل هجر كلها». انتهىٰ

وسرية إحدى قرى القطيف الدارسة ذكرت في قانون نامه لواء القطيف العثماني ويبدو أن مسمى القرية الدارسة سرية أقتبس من نهرها وهي من ضمن القرى التي تسقيها مياه نهر محلَم والله أعلم.

---

(١) تحفة المستفيد بتاريخ الاحساء في القديم والجديد ـ محمد آل عبد القادر ـ ص٢١.

حتى أن صاحب كتاب تحفة المستفيد حاول أن يطبق قول شارح ابن المقرب علىٰ أن نهر ملحم (الذي صحفه المؤرخون المتأخرين إلىٰ محلم) يسقي منطقة جواثا الاحسائيه، فلم يستطع وقال: «هذه الصفة تنطبق علىٰ عدة عيون من العيون الموجودة ألان بالاحساء إلا أنها بعيدة من جواثى وعسلج».[١]

ولمعرفة المزيد عن نهر محلم القطيفي:

نورد الكثير من الروايات التي توضح موقع هذا النهر ومنها:

قال البكري: «محلم: بضم أوله وفتح ثانيه، بعده لام مكسورة مشددة: نهر بالبحرين».

وقال الخليل: نهر باليمامة، قال لبيد:

نخل كوارع في خليج محلم حملت فمنها موقر مكموم

وقال الأعشى:

ونحن غداة العين يوم فطيمة منعنا بني شيبان شرب محلم

وقال أعشى همدان:

ولما نزلنا بالمشقر والصفا وساق الاعاريب الركب فأبعدوا

بدأنا فغورنا مياه محلم لعل بقية جية القوم تنهد

الجية: حفيرة يجتمع فيها الماء، وقال الأخطل:

تسلسل فيها جدول من محلم فلو زعزعتها الريح كادت تميلها[٢]

وقال الطبري في كتابه تاريخ الرسل والملوك: «فأدخلهم المشقر وهو حصن حياله حصن يقال له الصفا، وبينهما نهر يقال له محلَم» انتهىٰ

---

(١) تحفة المستفيد بتاريخ الاحساء في القديم والجديد ـ محمد آل عبد القادر ص٢١.

(٢) معجم مااستعجم ـ البكري ـ ج٤ ص١١٩٣.

وفي لسان العرب قال ابن منظور: ومحلَم في قول الأعشى:

ونحن غـداة العين يـوم فطيمة　　منعنا بني شيبان شرب محلَم

هو نهر يأخذ من عين هجر، قال لبيد يصف ظعنا ويشبهها بنخيل كرعت في هذا النهر:

عصب كـوارع في خليج محلَم　　حملت فمنها موقر مكموم [١]

وفي معجم البلدان لياقوت الحموي: «وقال خبال بن شبه بن غيث بن مخزوم بن ربيعة بن مالك بن قطيعة بن عبس الجاهلي:

ابني جديمة نحن أهل لوائكم　　وأقلكم يـوم الطعان جبانا

كانت لنا كـرم المواطن عادة　　تصل السيوف إذا قصرنا خطانا

وبـهـن أيـام المشقر والصفا　　ومحلَم يبكي علىٰ قتلانا [٢]

بعد تحديد موقع نهر محلم بالقرب من حصني المشقر والصفا نقول أين يقع حصن المشقر؟

حصن المشقر:

قال البكري: «المشقر: بضم أوله، وفتح ثانيه، بعده قاف مفتوحة مشددة، وراء مهملة:

قصر بالبحرين. وقيل: هي مدينة هجر. وبني المشقر معاوية بن الحارث ابن معاوية الملك الكندي، وكانت منازلهم ضرية، فانتقل أبو الحارث إلىٰ الغمر، ثم بنى ابنه المشقر، قال امرؤ القيس:

أو المكرعات من نخيل ابن يامن　　دوين الصفا اللائي يلين المشقر

---

(١) لسان العرب ـ ابن منظور .

(٢) معجم البلدان ـ ياقوت الحموي ..

ابن يامن رجل من أهل هجر، لايدري ممن هو؟ قال ابن الكلبي: هو يهودي من أهل خيبر. وقال أبو عبيدة: هو ملاح من أهل البحرين.

وقال ابن الاعرابي المشقر: مدينة عظيمة قديمة، في وسطها قلعة، علىٰ قارة تسمى عطالة، وفي أعلاها بئر تثقب القارة، حتى تنتهي إلىٰ الأرض، وتذهب في الأرض. وماء هجر يتحلب إلىٰ هذه البئر في زيادتها. وتحلبها: نقصانها.انتهى [1]

ذكر الحموي قوله: «المشقر بضم أوله، وفتح ثانيه، وتشديد القاف، وراء، كأنه مأخوذ من الشقرة وهي الحمرة، أو من الشقر وهي شقائق النعمان، قال ابن الفقيه هو حصن بين نجران والبحرين يقال إنه من بناء طسم وهو علىٰ تل عال ويقابله حصن بني سدوس ويقال إنه من بناء سليمان بن داود، عليهما السلام،وقال غيره: المشقر حصن بالبحرين عظيم لعبد القيس يلي حصنا لهم آخر يقال له الصفا قبل مدينة هجر والمسجد الجامع بالمشقر وبين الصفا والمشقر نهر يجري يقال له العين وهو يجري إلىٰ جانب مدينة محمد بن الغمر.

ولذلك قال يزيد بن المفرغ يهجو المنذر بن الجارود وكان قد أجاره فحقد عبيد الله بن زياد جواره وأخذه منه فنكل به ونسب المشقر إلىٰ عبد القيس وهم أهل البحرين فقال:

تركت قريشا أن أجاور فيهم وجاورت عبد القيس أهل المشق[2]

ذكر البكري في معجمه: «فغلبت عبد القيس علىٰ البحرين واقتسموها بينهم، فنزلت جديمة بن عوف بن بكر بن عوف بن أنمار بن عمرو بن وديعة بن لكيز بن أفصي بن عبد القيس، الخط وأعناءها ونزلت شن بن أفصي بن عبد القيس طرفها وأدناها إلىٰ العراق، ونزلت نكرة بن لكيز بن أفصي بن عبد القيس القطيف وماحولها.

---

(١) معجم مااستعجم البكري ـ ج٤ ص١٢٣٣.

(٢) معجم البلدان ـ الحموي ج٥ ص١٣٤.

وقال ابن شبه: نزلت نكرة الشفار والظهران إلىٰ الرمل ومابين هجر إلىٰ قطر وبينونة». انتهىٰ [1]

يتضح من النصوص السابق أن المشقر حصن لقبيلة عبد القيس، يقع في هجر.

المشقر في الروايات الشريفة:

جاء في كتاب المعرفة والتاريخ للفسوي قوله: «حدثنا أبو يوسف حدثني عثمان بن الهيثم المؤذن حدثنا عوف بن أبي جميلة عن أبي الغموص زيد بن علي عن أحد الوفد الذين وفدوا إلىٰ نبي الله وفد من عبد القيس إلا أن يكون قيس بن النعمان فأني نسيت اسمه قال: وأهدينا إليه فيما أهدينا خطوطا وقربة من تعضوض فوضعناها بين يديه قال: فحسبت أنه تناول تمرة منها ثم أعادها إلىٰ موضعها فقال: بلغوها آل محمد. فقال رجل منا: يا رسول الله أن أرضنا أرض جادة وبيئة وأنه لا يوافقنا إلا الشرب فما الذي يحل لنا من ألانية ومالذي يحرم علينا؟ قال: لا تشربوا في الدباء ولا النقير والمز فت وأشربوا في الحلال الموكي عليه، فان أشتد متنه فاكسروه بالماء، فان أعياكم فأهر يقوه قال: قلنا: يا رسول الله وما يدريك مالدباء والنقير والمز فت؟ قال: أنا لا أدري! أي هجر أعز قال: قلت: المشقر. قال فو الله لقد دخلتها وأخذت أقليدها وقمت علىٰ عين الزارة علىٰ الحجر من حيث يخرج الماء. قال: ثم ابتهل في الدعاء لعبد القيس قال ووجهه عن عين القبلة. ورفع يديه وهو يقول اللهم اغفر لعبد القيس اللهم اغفر لعبد القيس رافعا يديه وهو يستدير حتى استقبل القبلة وهو يقول اللهم اغفر لعبد القيس إذ أسلموا طائعين وغير خزايا وغير موتورين إذ بعض قوم لم يسلموا حتى يخزوا أو يوتروا، خير أهل المشرق، خير أهل المشرق عبد القيس». انتهىٰ [2]

---

(١) معجم ماستعجم ـ البكري ج١ ص٨١.

(٢) المعرفة والتاريخ ـ الفسوي.

كما جاء ذكر المشقر برواية أخرى في مسند احمد بن حنبل: «حدثنا إسماعيل بن إبراهيم قال حدثنا عوف حدثني أبو القموص زيد بن علي قال حدثني أحد الوفد الذين وفدوا علىٰ رسول الله من عبد القيس قال: وأهدينا له فيما يهدى نوطا أو قربة من تعضوض[1] أو برني فقال ما هذا قلنا هذه هدية قال وأحسبه نظر إلىٰ تمرة منها فأعادها مكانها وقال ابلغوها آل محمد قال فسأله القوم عن أشياء حتى سألوه عن الشراب فقال لا تشربوا في دباء ولا حنتم ولا نقير ولا مزفت اشربوا في الحلال الموكي عليه فقال له قائلنا: يا رسول الله وما يدريك مالدباء والحنتم والنقير والمز فت؟ قال: أنا لأدرى ماهيه، أي هجر أعز قلنا المشقر قال فو الله لقد دخلتها وأخذت اقليدها قال وكنت قد نسيت من حديثه شيئا فأذكرنيه عبيد الله بن أبي جروة قال وقفت علىٰ عين الزارة ثم قال اللهم أغفر لعبد القيس إذ أسلموا طائعين غير كارهين غير خزايا ولا موتورين». انتهى[2]

الهروب عن الروايتين من قبل بعض الكتاب:

الروايتان أعلاه فيهما من تحديد موقع هجر وأعزها مدينة المشقر مايكفي للباحث أن يثبت أن المشقر في ارض القطيف وبالتحديد في منطقة الزارة وأكثر دقة في موقع عين الزارة القريبة من بحر ساحل العوامية، ولهذا نلاحظ أن الشيخ أحمد الجاسر بالرغم من اطلاعه الكبير لم يورد هاتين الروايتين في رسم المشقر في معجمه، نظرا لحكمه المسبق أن المشقر في الاحساء قرب نهر ملحم وسليسل الاحسائيين المذكورين في النسخة الهندية لشرح ابن المقرب، بخلاف نهر محلم

---

(١) واعتقد انه التمر المعروف حاليا بتمر الخنيزي التي تشتهر به منطقة القطيف الذي يكون أوله بسر أحمر قبل أن يتمر وهنا نتذكر قول أمرؤ القيس:

أو المكرعات من نخيل أبن يامن ... دوين الصفا اللائى يلين المشقر

سـوامق جبـار أثيـت فروعه ... وعالين قنوانا من البسر أحمر

(٢) مسند أحمد أبن حنبل.

القطيفي ونهريه المتفرعين عنه السري والصفا. ولو أتى بهاتين الروايتين لفند قول شارح قصيدة ابن المقرب ـ النسخة الهندية.

وهكذا ذهب صاحب كتاب تاريخ هجر لمؤلفه المعاصر عبد الرحمن آل ملا.

فعندما أورد ذكر المشقر في كتابه لم يستطع أن يذكر الرواية الواردة في كتاب المعرفة والتاريخ، بأكملها بل اجتزأها وأورد ما نصه: «وقد كانت المشقر أعز أرض في هجر كما يدل علىٰ ذلك إجابة وفد عبد القيس حين سألهم الرسول صلى الله عليه (وآله) وسلم عن أي هجر أعز». انتهىٰ[1]. لم يستطع أيضا الملا إكمال الرواية لحكمه المسبق أن هجر في الاحساء بينما الرواية ستثبت للقارئ أن المشقر في القطيف، فاقتطع الرواية كيفما شاء. وعلى هذا الأساس تصبح هجر بالنسبة للملا «هجر. شرق مدينة الهفوف» حسب قوله. وهكذا تبعهم من الكتاب من حاول معرفة موقع هجر.

الزارة:

الزارة إحدى قرى هجر الدارسة وما زالت أثارها باقية حتى أيامنا هذه وما زالت عين الزارة حتى وقتنا الراهن في منطقة القطيف.

قال البكري: وأصل الزارة الأجمة، أجمة القصب، وهي مأوى الأسد، قال أبو زبيد:

يشق الزار يحمل عبقريا ... قرى قد مسه منه مسيس

أي قرى لأشباله. انتهىٰ[2]

جاء في الروايتين السابقتين أن الرسول صلى الله عليه وآله وسلم قال لوفد عبد

---

(١) تاريخ هجر ـ آل ملا ـ ج١ ص١٤٩.

(٢) معجم ما استعجم ـ البكري ـ ج٢ ص٦٩٢.

القيس عندما سألهم أي هجر أعز قالوا المشقر، قال لهم فو الله لقد دخلتها وأخذت أقليدها وقمت علىٰ عين الزارة علىٰ الحجر من حيث يخرج الماء، وهذا يثبت أن المشقر مدينة فيها عين الزارة والحصن الشهير المشقر.

وقد بين محمد بن عبد الله الخطيب الاسكافي في كتابه لطف التدبير موقع المشقر قوله:ـ «وجاءت تميم لقبض العطاء في حصن بالبحرين يقال له المشقر علىٰ البحر» انتهىٰ، وهذا وصف دقيق لموقع الزارة وحصنها المشقر المجاور للبحر.

ولمزيد من إيضاح موقع المشقر:

قال يزيد بن المفرغ يهجو المنذر بن الجارود وكان قد أجاره فحقد عبيد الله بن زياد جواره وأخذه منه فنكل به ونسب المشقر إلىٰ عبد القيس وهم أهل البحرين فقال:

تركت قريشا أن أجاور فيهم وجاورت عبد القيس أهل المشقر[1]

قال الحموي كما أسلفنا: المشقر حصن بالبحرين عظيم لعبد القيس يلي حصنا لهم آخر يقال له الصفا قبل مدينة هجر والمسجد الجامع بالمشقر وبين الصفا والمشقر نهر يجري يقال له العين وهو يجري إلىٰ جانب مدينة محمد بن الغمر.

وقال امرؤ القيس في شعره:

أو المكرعات من نخيل أبن يامن دوين الصفا اللائي يلين المشقرا

ولمزيد من التوضيح نقول: ابن يامن هو من أشهر مالكي السفن في العصر الجاهلي بالبحرين القديم ومن بيت الشعر السابق يتبين انه من ملاك بساتين النخيل أيضا فنخيل ابن يامن قريبه من ساحل البحر وهذا شيء طبيعي لملاح يملك الكثير من السفن وقد أشار طرفة ابن العبد في معلقته شهرة سفن ابن يامن بقوله:

---

(١) معجم البلدان ـ الحموي ج٥ ص١٣٤.

كأن حدوج المالكية غدوة ... خلايا سفين بالنواصف من دد
عدولية أو من سفين أبن يامن ... يجور بها الملاح طورا ويهتدي

وهنا نتمكن من الربط بين نخيل أبن يامن وما أورده الحموي قوله: وقالوا في تفسير قول الأعشى:

فان تمنعوا منا المشقر والصفا ... فانا وجدنا الخط جما نخيلها

الخط خط عبد القيس بالبحرين وهو كثير النخل. انتهى[1]

وقد عرف ابن المقرب موقع الخط في زمنه بقوله:

والخط من صفواء حازوها فما ... أبقوا بها شبرًا إلى الظهران.

حصن الصفا:

قال الحموي في معجمه: «والصفا أيضا: نهر بالبحرين يتخلج من عين محلم، قال لبيد:

سحق بمنسعة الصفا وسرية ... عم نواعم بينهن كروم

وقال لبيد أيضًا:

فرحن كأن الناديات عن الصفا ... مذراعها والكارعات الحواملا
بذي شطب أحداجهم إذ تحملوا ... وحث الحداة الناجيات الذواملا

والصفا: حصن بالبحرين وهجر، وقال ابن الفقيه: الصفا قصبة هجر، ويوم الصفا: من أيامهم، قال جرير:

تركتم بوادي رحرحان نساءكم ... ويوم الصفا لاقيم الشعب أوعرا[2]

يتضح نخيل الخط (منطقة القطيف) تقع بين المشقر والصفا.

---

(١) معجم البلدان ـ ياقوت الحموي .
(٢) معجم البلدان ـ ياقوت الحموي ـ ج٣ ص٤١١ .

أقول بعد النصوص التاريخية الآنفة أن حصن المشقر في الزارة بينما حصن الصفا بالقرب من هجر الواقعة بعد مدينة الظهران علىٰ الساحل، وبين الحصنين يجري نهر محلم، ويسقي نخيل الخط.

نهر محلم في الخرائط الأوربية :

لقد ساعدنا كتاب ـ الجزيرة العربية في الخرائط الأوربية القديمة[١] ـ في اكتشاف موقع نهر محلم وامتداده من شط العرب إلىٰ منطقة القطيف ومن ثم إلىٰ البحر وكذلك يتفرع جزءا منه إلىٰ الصحراء القريبة. وذلك كما يبدو من خلال اتصاله بالعيون المتناثرة في واحة البحرين القديم.

وهناك أكثر من خريطة تبين هذا النهر نذكر منها علىٰ سبيل المثال الخريطة الواردة في الصفحة رقم ٢٧٩ للهولندي ـ مول هيرمان (١٦٨٨ـ ١٧٤٥م) توضح بلاد العرب ويظهر فيه نهر ممتد من شط العرب إلىٰ منطقة القطيف، واسماه (sehat) وهذا الاسم ينطبق علىٰ مدينة سيهات إحدى مدن القطيف حيث كانت في سنة رسم الخريطة تعتبر من المدن الرئيسة في منطقة القطيف، ولها أيضا خور بحري يعرف باسم سيهات. وليس من المستبعد أن تكون سيهات محط ذلك النهر ففيها أحد أشهر عيون المنطقة عين الكعبة التي نقل إلىٰ منطقتها الحجر الأسود من قبل القرامطة، واعتقد أنها عين هجر التي كانت تغذي نهر محلم.

وجدير بالذكر أن هناك مجموعة كبيرة من الخرائط تطلق علىٰ النهر نفس الاسم وهذا دليل علىٰ موقع نهر محلم في القطيف مجاور لمدينة هجر الدارسة وحصن المشقر بالزارة، والصفا بالقرب من الظهران القريبة من هجر.

---

(١) الجزيرة العربية في الخرائط الأوربية القديمة ـ مجموعة خالد العنقري ـ معهد العالم العربي.

مدينة هجر تقع على ساحل البحر:

كما نشير أن مدينة هجر التي دمرها القرامطة كانت تقع علىٰ البحر وليس في قلب الصحراء كما يعتقد البعض. هجر مدينة ساحليه نافست القطيف والخط علىٰ مسمى الساحل، وقد ورد الكثير من النصوص التاريخية التي تبين ذلك ومنها:

ذكر البكري في معجمه في رسم جزيرة العرب قوله: «عن الزبير قال: حدثني محمد بن فضالة: إنما سميت جزيرة لإحاطة البحر بها، والأنهار من أقطارها وأطرارها. وذلك أن الفرات أقبل من بلاد الروم، فظهر بناحية قنسرين، ثم انحط عن الجزيرة، وهي مابين الفرات ودجلة، وعن سواد العراق، حتى دفع في البحر من ناحية البصرة والأبله، وامتد إلىٰ عبدان، وأخذ البحر من ذلك الموضع مغربا مطيفا ببلاد العرب، منعطفا عليها، فأتى منها علىٰ سفوان وكاظمة، ونفذ إلىٰ القطيف وهجر وأسياف عمان والشحر». انتهىٰ[(١)]

ذكر ابن حوقل: «والبحرين في ناحية نجد وأكبر أعمالها ومدنها هجر وهي أكثر تمورا وليست من الحجاز وهي علىٰ شط بحر فارس ومقام القرامطة بها وهي دارهم، ولهم قرى كثيرة وقبائل من مضر ذوو عدة وعدد اغتصبت لضعف السلطان من أربابها». انتهىٰ[(٢)]

ذكر محمد بن عبد الله الخطيب الاسكافي في كتابه لطف التدبير: وجاءت تميم لقبض العطاء في حصن بالبحرين يقال له المشقر علىٰ البحر.

قال المسعودي في التنبيه والإشراف طبعة مكتبة الهلال: «وهجر وكانت أعظم مدن البحر وكان بها عياش المحاربي، وكان أعظمهم عدة وأشدهم شوكة». انتهىٰ

أيضًا ذكر المسعودي في مروج الذهب: «وفي ذلك الساحل مدينة الزارة

---

(١) معجم مااستعجم ـ البكري ـ ج ١ ص٧.

(٢) كتاب صورة الأرض ـ ابن حوقل ـ ص٣١.

والعقل والقطيف من ساحل هجر» انتهىٰ.

قال أمرؤ القيس مخاطبا أهل هجر:

فان تمنعوا منا المشقر والصفا فانا وجدنا الخط جما نخيلها.

نقول أن الشاعر أوضح صلة حصني المشقر والصفا الهجريين و نخيل الخط ـ القطيف ـ وهذا دليل واضح علىٰ أن حصن المشقر والصفا علىٰ ساحل الخط ـ من صفواء حتى الظهران.

كما قال أمرؤ القيس في شعره:

أو المكرعات من نخيل أبن يامن دوين الصفا اللائي يلين المشقرا

وابن يامن هو من أشهر مالكي السفن في العصر الجاهلي بالبحرين القديم ومن بيت الشعر السابق يتبين انه من ملاك بساتين النخيل أيضا فنخيل ابن يامن قريبه من ساحل البحر وهذا شيء طبيعي لملاح يملك الكثير من السفن وقد أشار طرفة ابن العبد في معلقته شهرة سفن ابن يامن بقوله:

كـأن حـدوج المالكية غـدوة خلايا سفين بالنواصـف من دد
عدولية أو من سفين أبن يامن يجور بها الملاح طورا ويهتدي

قال الانباري في شرح هذا البيت قوله «وابن يامن: ملاح من أهل هجر أيضا» انتهىٰ[1]، وهنا نتمكن من الربط بين نخيل أبن يامن وما قاله أمرؤ القيس في البيت السابق:

فان تمنعوا منا المشقر و الصفا فانا وجدنا الخط جما نخيلها.

كل ما ذكرنا يبين أن نخيل أبن يامن الملاح البحري قريبه من الصفا والمشقر علىٰ ساحل البحر وليس بقلب الصحراء.

---

(١) شرح القصائد السبع الطوال ـ الانباري ص١٤٦.

أوضح ابن حبيب في كتابه المحبر في ذكر المشقر قال «ثم يرتحلون أي العرب ـ منها ـ أي دومة الجندل إلي المشقر بهجر فتقوم سوقها أول يوم من جمادى الآخرة إلىٰ آخر الشهر، فتوافي بها فارس يقطعون البحر إليها ببياعتهم ثم تنقشع عنها إلىٰ مثلها من قابل». انتهىٰ

ومازال أهل فارس يقطعون البحر للوصول إلىٰ شواطئ البحرين ودبي والكويت لعرض بضائعهم علىٰ شواطئ تلك الدول وهكذا كانوا في هجر سابقا ـ هجر الساحلية.

كما جاء في رواية إسلام وفد بني عبدا لقيس أن رسول الله سألهم: «أي هجر أعزّ؟ قلنا: المشقر، قال: فو الله لقد دخلتها وأخذت اقليدها وقمت علىٰ عين الزارة علىٰ الحجر من حيث يخرج الماء». انتهىٰ. والزارة قرية في قلب القطيف بالقرب من ساحل البحر.

وردفي كتاب نهاية الأرب للنويري يوضح فيه كيف استطاع أبي سعيد الجنابي فتح هجر، وفي هذا النص يتبين قرب هجر من ساحل البحر:

«فدار حول هجر وفكر فيما يكيدهم به، وإذا لهجر عين عظيمة كثيرة الماء يخرج من نشز من الأرض غير بعيد منها، ثم يجتمع ماؤها في نهر ويستقيم حتى يمر بجانب هجر ملاصقا ثم ينزل إلىٰ النخيل فيسقيها فكانوا لا يفقدون الماء في حصارهم، فلما تبين له أمر العين انصرف إلىٰ الاحساء، ثم غدا فأوقف علىٰ باب المدينة عسكرا، ثم رجع إلىٰ الاحساء، وجمع الناس كلهم، وسار في آخر الليل، فورد العين بكرة «هنا يتضح أن هجر بعيدة عن الاحساء بمسيرة آخر الليل حتى الصباح» بالمعاول والرمل واوقار الثياب الخلقان ووبر وصوف، وأمر قوما بجمع الحجارة وآخرين ينفذون بها إلي العين، وأعد الرمل والحصى والتراب فلما اجتمع أمر أن يطرح فوقها الرمل والحصى والتراب والحجارة، ففعل ذلك، فقذفته العين،

ولم يغن ما فعلوه شيئا فانصرف إلي الاحساء هو ومن معه،وغدا في خيل، فضرب في البر، وسأل عن منتهى العين فقيل له إنها تتصل بساحل البحر، وأنها تنخفض كلما نزلت، فرد جميع من كان معه، وانحدر علىٰ النهر نحوا من ميلين ثم أمر بحفر نهر هناك، ثم أقبل هو وجمعه يأتون في كل يوم والعمال يعملون حتى حفره إلىٰ السباخ، ومضى الماء عنهم فصب في البحر، فلما تم ذلك نزل علىٰ هجر، وقد أنقطع الماء عمن بها، فأيقنوا بالهلاك، فهرب بعضهم نحو البحر، فركبوه إلىٰ جزيرة أوال وسيراف وغيرهما، ودخل قوم منهم في دعوته، وخرجوا إليه فنقلهم إلىٰ الاحساء، وبقيت طائفة لم يقدروا علىٰ الهرب، ولم يدخلوا في دعوته، فقتلهم وأخذ ما في المدينة ثم أخربها، وصارت الاحساء مدينة البحرين». انتهىٰ

يتضح مما سبق أن مدينة هجر ساحليه بينها وبين البحر أرض سبخة لهذا تم تحويل مياه عين هجر إلىٰ السباخ القريبة ثم صب في البحر المجاور للمدينة. كما أن بعض أهالي هجر هرب إلىٰ البحر فركبوه إلىٰ جزيرة أوال وسيراف وغيرهما.

كل ما ذكر أعلاه يدل علىٰ أن هجر مدينة ساحليه تجاورها نخيل الخط وكانت تنافس الخط علىٰ مسمى الساحل.

وليس بدعا من القول أن هجر بالقرب من القطيف وان نخيل «الخط» تجاور مدينة هجر. فالمسعودي المؤرخ الشهير أشار في كتابه مروج الذهب لحملة عباس الغنوي وتوجهه إلىٰ هجر لمحاربة أبى سعيد القرمطي بقوله:ـ «في رجب من هذه السنة وهي سنة سبع وثمانية ومائتين كان خروج العباس بن عمرو من البصرة في جيش عظيم ومعه خلق من المطوعة نحو هجر، فالتقى هو وأبو سعيد الجنابي فكانت بينهم وقائع انهزم فيها أصحاب العباس وأسر وقتل من أصحابه نحو سبعمائة صبرًا دون من هلك من الرمل العطش، فأحرقت الشمس أجسادهم، ثم أن أبا سعيد منّ علىٰ العباس بن عمرو بعد ذلك فأطلقه فصار إلىٰ المعتضد فخلع عليه وبعد هذه الواقعة افتتح أبو سعيد مدينة هجر بعد حصار طويل».

وكل أحداث هذه الحملة جرت علىٰ ارض القطيف حيث كان القرمطي متمركزا في قرية آفان القطيفية بالقرب من ساحل البحر.

و ذكر النويري في كتاب نهاية الأرب في فنون الأدب «وفي سنة عشرة وثلاثمائة حج بالناس منصور الديلمي، وسلموا في مسيرهم حتى آتو مكة فوافاهم أبو طاهر القرمطي بمكة يوم التروية وهو يوم الاثنين لثمان خلون من ذي الحجة فنهب هو وأصحابه أموال الحاج وقتلوهم حتى في المسجد الحرام والبيت، وقلعوا الحجر الأسود وأنفذوه إلىٰ هجر». انتهىٰ

وكما هو معروف لدى أهالي منطقة القطيف أن الحجر الأسود جلب إلىٰ أرض القطيف التي كان يطلق عليها هجر وتلك المنطقة تعرف بعين الكعبة «منطقة مزارع نخيل» شمال غرب سيهات وهي المنطقة التي جلب إليها الحجر الأسود ومازالت عين الكعبة شاهد عيان علىٰ تلك الحقبة التاريخية وهذه المنطقة كانت موقع قرية آفان الدارسة التي وقعت بها المعركة بين عباس الغنوي وأبى سعيد الجنابي، و تعتبر إحدى قرى مدينة هجرالعظمى. وكما جاء في كتاب صفة جزيرة العرب للهمداني«مدينة البحرين العظمى هجر وهي سوق بني محارب من عبد القيس ومنازلها ما دار بها من قرى البحرين».انتهىٰ [1]

---

(١) كتاب صفة جزيرة العرب للهمداني.

القطيف

مدينة القطيف قبل القرامطة تختلف موقعها عن ما يعرف حاليا بمدينة القطيف التي كانت تعرف بالفرضه. وذلك لان القرامطة دمروا قرى هجر ومنها القطيف واختلف المؤرخون في مواقع تلك القرى، ولرفع الالتباس لدى القارئ رأينا أن نوضح بعض تاريخ القطيف والتغيرات التي طرأت عليها حتى تغيرت معالمها وموقعها وانتقل مسماها إلىٰ موقع آخر:

عرفت القطيف في بداية العصر الإسلامي أنها إحدى قرى هجر، ومنطقة هجر تعني مدينة هجر وماحولها من القرى كالقطيف، والخط، والزارة، وغيرها من القرى التي ذكرها المؤرخون وسيأتي ذكرها بالتفصيل، ولكن بعد أن قام القرامطة بتدمير مدينة هجر في أواخر القرن الثالث الهجري تنافست مدينة القطيف والخط علىٰ مسمى منطقة هجر ويبدو أن مسمى القطيف شمل جميع منطقة هجر وقراها بما فيها الخط حتى أندرس مسمى قرية الخط أو منطقة الخط (واقليم الخط وساحلها) وعرفت المنطقة بالقطيف منذ القرن السابع الهجري وهو القرن الذي كانت فيه حركة نزوح إلىٰ منطقة القطيف وقيام قرى جديدة واندرست قرى قائمة، حتى أختلط الأمر لدى المؤرخين بالنسبة لمواقع قرى القطيف التي كانت قائمة قبل قيام دولة

القرامطة، ولتوضيح ذلك سنقوم بتوضيح ما ذكر بشيء من التفصيل لمعرفة تأثير الحركة القرمطية علىٰ موقع مدينة القطيف وقراها:

كان لي مقال سابق بعنوان مدينة القطيف الدارسة[1] أوضحت فيه موقع القطيف وتاريخها وهو كما يلي:

«مدينة القطيف الدارسة من أهم ثلاث مدن رئيسه في إقليم البحرين القديم «من البصرة حتى عمان» وهي الخط وهجر والقطيف وتنافست هذه المدن الثلاث علىٰ مسمى المنطقة والتي تعرف حاليا بالمنطقة الشرقية بالمملكة العربية السعودية.

القطيف في اللغة:

قال ياقوت الحموي: «القطيف بفتح أوله وكسر ثانيه فعيل من القطف وهو القطع للعنب ونحوه كل شيء تقطفه عن شيء فقد قطعته، والقطف الخدش وهي مدينة بالبحرين وهي اليوم قصبتها وأعظم مدنها وكان قديما اسما لكورة هناك غلب عليها الآن أسم هذه المدينة، وقال الحفصي: القطيف قرية لجديمة عبد القيس، وقال عمرو بن أسوى العبدي:

وتركن عنتر لا يقاتل بعدها   أهل القطيف قتال خيل تنفع»[2]

قال البكري: «القطيف: علىٰ بناء فعيل، من قطفت الثمر وهي إحدى مدينتي البحرين والأخرى هجر، وإلى القطيف انحاز الجارود بعبد القيس حين ارتدت بنو بكر واشتد حصار بكر للقطيف ولجواثى» انتهىٰ[3]

القطيف والخط وهجر:

في فترات مختلفة كان يطلق مسمى إحدى المدن الثلاث «القطيف، الخط،

---

(١) مقال بعنوان مدينة القطيف الدارسة ـ علىٰ شبكة راصد الاخبارية، بتاريخ ٣١/ ٧/ ٢٠٠٥م.

(٢) معجم البلدان ـ ياقوت الحموي ـ ج٤ ـ ٣٧٨.

(٣) معجم ماأستعجم ـ البكري ـ ج٣ ص١٠٨٤.

هجر» علىٰ إقليم البحرين بأكمله وازدهرت تلك المدن الثلاث الدارسة حتى بدايات سيطرة القرامطة حيث قاموا بتدميرها ولم تبق سوى مسمياتها مما أدى إلىٰ اختلاف المؤرخين في مواقعها بعد أن طمست معالمها ولم يتبق سوى أسمائها ونحن في هذه الدراسة المتواضعة سوف نسلط الضوء علىٰ مدينة القطيف الدارسة التي حدد موقعها المسعودي المعاصر للقرامطة وعرّف موقعها قبل تدميرها، وليس مدينة القطيف المعاصرة التي يعتقد أنه تم تشيدها من قبل القرامطة بعد خراب الزارة.

القطيف أقدم المدن على الخليج:

مدينة القطيف الدارسة تعتبر من أقدم المدن المطلة علىٰ الخليج العربي الذي عرف قديما بخليج القطيف كما أوضح (شبرنكر) وكما تشير له الخرائط الأوربية القديمة ويمكن مشاهدة ذلك في كتاب «الجزيرة العربية في الخرائط الأوربية» للدكتور/ خالد العنقري.

أشار الدكتور/ جواد علي[١] أن أقدم نص ورد فيه ذكر القطيف هو نص وسمه العلماء بـ (شرف الدين ٤٢) وقد ورد فيه «أن الملك شمريهرعش أمر قواته بغزو أرض ملك أو مالك أو ملك أسد فتقدمت نحوها. واتجهت منها نحو أرض (قطوف) أي القطيف، حتى بلغت موضع كوكبن (أو كوكبان) (كوكب)[٢] ثم ملك فارس وأرض تنوخ، وقد دون النص قائدان من قواد شمر يهرعش» انتهىٰ.

والملك شمر يهرعش هو أحد ملوك سبأ ويطلق عليه «ملك سبأ وذي ريدان

---

(١) تاريخ العرب قبل الإسلام ـ د/ جواد علي ص١٥٥ (ج٢).

(٢) كوكب المشار إليها في النص أعتقد أنها قلعة الكويكب التي أصبحت في تاريخنا المعاصر ضمن مدينة القطيف الحديثة وبالتالي فهي اقدم من قلعة القطيف التي شيدها القرامطة عام (٢٨٣هـ). أما بالنسبة لما ذكر عن ارض ملك فاعتقد أن هناك صلة بين خور ملك المعروف الذي يتجه غربا حتى يصل بالقرب من ساحل عنك والقطيف ويقع بجانبه برج أبو الليف وقد تكون ارض ملك أو مدينة ملك في محاذاة الخور المعروف والله أعلم.

وحضرموت ويمنت» وشمر يهرعش هو أبن الملك (ياسر يهنعم) الذي يزعم بعض أهل الأخبار أنه حكم بعد الملكة (بلقيس بنت أيليشرح) معاصرة (سليمان) ١٠٢١ ـ ٩٨١ ق. م، لكن الدكتور/ جواد علي له رأي آخر يقول فيه «أن والد شمر يهرعش (ياسر يهنعم) أنه عاش في القرن الثالث للميلاد وبينه وبين سليمان مئات من السنين وأنه لا يمكن أن يكون قد خلف (بلقيس) معاصرة سليمان... إلي أن يقول وإذا كان حكم (ياسر يهنعم) في النصف الثاني من القرن الثالث الميلادي فإنه يكون من المعاصرين لملكة تذمر»[١].

وقد يتساءل القارئ أين تقع القطيف التي أشير لها في النص السابق؟

أقول للإجابة علىٰ هذا السؤال يجب التفرقة بين مدينة القطيف قبل القرامطة وبين قطيف بعد القرامطة.

قطيف ما قبل القرامطة:

قال المسعودي: القطيف إحدى مدن البحرين وكان أهلها في نهاية العدة والقوة وكان بها علي بن مسمار وإخوته وهم من عبد القيس وقد قام أبو سعيد بقتل عليا[٢]. وذلك في بدايات الدعوة القرمطية.

كما ذكر المسعودي في التنبيه والإشراف بشكل محدد موقع مدينة القطيف عندما ذكر موقع آفان بقوله عن أحداث عام ٢٨٧هـ «جرد العباس بن عمرو الغنوي للقاء أبي سعيد القرمطي في السبخة المعروفة بـآفان، و آفان ماء ونخل أراد العباس نزولها وذلك عند ارتحاله من الماء المعروف بالأعباء، فسبقه أبو سعيد إلىٰ الماء، وطول هذه السبخة سبعة أميال، وبينها وبين البصرة سبعة أيام، وهي علىٰ يومين من ساحل البحر، وهي القطيف، وبين القطيف وبين البحر ميل، ولها مدينة علىٰ الساحل

(١) المصدر السابق ص٥٤٣.

(٢) التنبيه والإشراف ـ المسعودي.

يقال لها عنك» انتهىٰ[١]

وكما يتضح أن القطيف قبل تدميرها من قبل القرامطة كانت تقع علىٰ مسافة ميل من البحر وهذا ما أشار إليه المسعودي بتحديده لـ (آفان) بشكل واضح بقوله وهي القطيف «أي أن آفان قد تكون قصبة القطيف» وأن لها مدينة علىٰ الساحل يقال لها عنك أي أن القطيف القصبة ليس علىٰ الساحل كما هي القطيف الحالية التي بنيت في العهد القرمطي.

وذكر أبن الأثير في الكامل أحداث سنة ٢٨٦هـ يقول: «وفيها ظهر رجل يعرف بأبي سعيد الجنابي بالبحرين فاجتمع إليه جماعة من الأعراب والقرامطة، وقوي أمره، فقتل ما حوله من أهل القرى، ثم سار إلىٰ القطيف وقتل من بها»انتهى[٢]

هذه هي القطيف التي تبعد ميل عن البحر وهاجمها القرامطة وقتلوا من بها.

هل قلعة القطيف اليوم هي القطيف الدارسة؟

قطيف اليوم كان مسماها الفرضة وهكذا أشار إليها ابن بشرفي كتابه عنوان المجد في تاريخ نجد، بمسمى الفرضة.[٣]

وذكر ياقوت الحموي مانصه «الفرضة: بضم أوله وسكون ثانيه وضاد معجمة، وقد تقدم اشتقاقه في فراض. قرية بالبحرين لبني عامر بن الحارث بن القيس يكثر بها التعضوض نوع من التمر. ينسب إليها أحمد بن هبة الله بن محمد بن أحمد بن سلم الفُرضي أبو عبد الله المقرىء» انتهىٰ.[٤]

كما أشار المرحوم محمد سعيد المسلم بقوله «اطلعت علىٰ بعض وثائق

---

(١) التنبيه والإشراف للمسعودي.

(٢) الكامل في التاريخ ص٤٩٣ ج٧.

(٣) عنوان المجد في تاريخ نجد ص ١١٠ ج١.

(٤) معجم البلدان ـ ياقوت الحموي ـ ج٤ ص٢٥١ .

المبايعات، فتعرف البائع والمشتري بأنه من أهل الفرضة إذا كان من سكان قلعة القطيف» انتهى[(١)]

ولكن أصبحت القلعة موقع الإمارة والحكم لمنطقة القطيف منذ قرون مضت حتى أطلق عليها القطيف وأختزل مسمى القطيف في القلعة.

متى تم الانتقال إلى قطيف اليوم؟

قال محمد سعيد المسلم «وكانت مدينة الخط معروفة حتى ظهور الإسلام، كم تحدثنا به أخبار الردة وتسمى أيضا الفرضة، وكان يسكنها بنو عامر بن الحارث بن عبد القيس كما يذكر الحموي ولعل مركز الثقل انتقل إليها بعد أن دمرت عاصفة هوجاء مدينة القطيف القديمة، التي تبعد عن الساحل مسافة كبيرة، فانتقل سكانها إلىٰ هذا الموقع الذي يسمى محلة الصيادين سابقا فعمروه وأرخوا هجرتهم بكلمة «حجرة» أي سنة ٢١٦هـ ثم تركزت هجرة السكان فيها بعد تدمير الزارة أي سنة ٢٨٣هـ فغدت حاضرة لمنطقة الواحة بأجمعها». انتهى[(٢)]

يتضح من قول المسلم أن مدينة القطيف الحالية ليس القطيف السابقة التي ذكرها المؤرخون وإنما بنيت في القرن الثالث الهجري وهاجر السكان إليها بعد تدمير الزارة وقيام القرامطة بقتل أهل القطيف عام ٢٨٦هـ كما أشرنا آنفًا.

أما ماذهب إليه المرحوم المسلم بقوله أن مدينة الخط هي الفرضة (أي القطيف) فنرى خلاف ذلك فمدينة الخط ليس القطيف الحالية وليس القطيف السابقة أيضًا.

أين تقع مدينة الخط؟

بعد البحث في النصوص التأريخيه أتضح لدينا أن مدينة الخط ليس كما أشار

---

(١) واحة علىٰ ضفاف الخليج ص٧٤.

(٢) واحة علىٰ ضفاف الخليج ص٢٧.

المرحوم المسلم بأنها القطيف (الفرضة)، ولكن مدينة الخط الدارسة تقع في جزيرة تاروت وفيما يلي نذكر النصوص التي تعزز ذلك.

قال البكري: «الخط بفتح أوله، وتشديد ثانيه: ساحل مابين عمان إلىٰ البصرة، ومن كاظمية إلىٰ الشحر، قال سلامة بن جندل:

حتى تركنا وما تثنى ظعائننا يأخذن بين سواد الخط فاللوب

واللوب: الحرار، حرار قيس، وإذا كانت من حرار قيس إلىٰ ساحل البحر فهي نجد كلها. وقيل الخط: قرية علىٰ ساحل البحرين، وهي لعبد القيس، فيها الرماح والجياد.

وقال أيضًا: قال أحمد بن محمد الهروي: إنما قيل الخط لقرى عمان، لان ذلك السيف كالخط علىٰ جانب البحر بين البدو والبحر. وقال ابن الأنباري:يقال لسيف البحرين خط، ولاينبت بالخط القنا ولكنه مرسى سفن القنا، كما قيل مسك دارين، وليس بدارين مسك، ولكنه مرفأ سفن الهند» انتهى[١]

يقول الحموي «ومن قرى الخط القطيف والعقير وقطر» ويبدو ذلك مدى المنافسة علىٰ مسمى المنطقة في الفترات التاريخية.

وذكرها ابن المقرب بقوله:

والخط من صفواء حازوها فما أبقوا بها شبرًا إلىٰ الظهران

جاء في كتاب الأغاني قوله «والخطي: رماح نسبها إلىٰ الخط وهي من جزيرة بالبحرين ترفأ إليها سفن الرماح. والوشيج» انتهى[٢]

يبدو أن الخط كانت من المدن الرئيسة في ساحل هجر حتى قيل أن الرسول ﷺ

---

(١) معجم ماستعجم ـ البكري ـ ج٢ ص٥٠٣.

(٢) الأغاني لابو الفرج الأصفهاني.

ولى العلاء علىٰ ناحية من البحرين منها القطيف وأبان بن سعيد علىٰ ناحية فيها الخط.[١]

كما أن أفراد قبيلة عبد القيس سكنوا الخط بعد أن تغلبوا علىٰ البحرين فنزلت جديمة بن عوف الخط وافناءها ونزلت نكرة بن لكيز وسط القطيف (الدارسة) وما حولها.

هنا يتضح أن القطيف ليس الخط فسكان الخط هم فرع جديمة بن عوف، أما سكان القطيف هم فرع نكرة بن لكيز.

وذكر ابن سعد في الطبقات الكبرى قوله «فخرج العلاء بن الحضرمي من المدينة في ستة عشر راكبا معه فرات بن حيان العجلي دليلا وكتب أبو بكر كتابا للعلاء بن الحضرمي أن ينفر معه كل من مر به من المسلمين إلىٰ عدوهم فسار العلاء فيمن تبعه منهم حتى نزل بحصن جواثا فقاتلهم فلم يفلت منهم أحد ثم أتى القطيف وبها جمع من العجم فقاتلهم فأصاب منهم طرفا وانهزموا فانضمت الأعاجم إلىٰ الزارة فأتاهم العلاء فنزل الخط علىٰ ساحل البحر فقاتلهم وحاصرهم إلىٰ أن توفي أبو بكر رحمه الله وولي عمر بن الخطاب وطلب أهل الزارة الصلح فصالحهم العلاء ثم عبر العلاء إلىٰ أهل دارين فقاتهلم فقتل المقاتلة وحوى الذراري». انتهى[٢]

يتضح من قوله(ثم عبر) المقصود ليس عبور البحر بين فرضة القطيف وتاروت بل المقصود هو عبور البحر بين مدينة الخط (تاروت) ومدينة دارين، حيث كانت دارين حتى وقت قريب عبارة عن جزيرة تفصلها عن جزيرة تاروت ممر مائي.

وكما جاء في صبح الأعشى «قلت أما المسك الداري فانه منسوب إلىٰ دارين

---

(١) معجم البلدان لياقوت الحموي.

(٢) الطبقات الكبرى ـ ابن سعد.

وهي جزيرة في بحر فارس معدودة من بلاد البحرين».[١]

وعليه فان جزيرة دارين كانت منفصلة عن جزيرة تاروت وبالتالي فان العلاء الحضرمي عبر إلىٰ دارين من جزيرة تاروت التي كانت فيها مدينة الخط الذي وصفها آنفا أبو الفرج بأنها من جزيرة بالبحرين.

قطيف ما بعد القرامطة:

قال أبي الفداء المتوفي عام ٧٣٢هـ «والقطيف بلدة بناحية الاحساء وهي علىٰ شط بحر فارس ولها مغاص وهي في شرقي الاحسآء بشمال علىٰ نحو مرحلتين منها ولها نخيل دون نخيل الاحسآء وعن بعض أهلها قال وللقطيف سور وخندق ولها أربعة أبواب والبحر إذا مدّ يصل إلىٰ سور القطيف وإذا جزر ينكشف بعض الأرض وللقطيف خور من البحر يدخل فيه المراكب الكبار الموسقة في حال المد والجزر». انتهىٰ.[٢]

يبدو من وصف أبي الفداء المتوفي في القرن الثامن الهجري انه يقصد قصبة القطيف الجديدة وهي القلعة التي يلاحظ انه يصفها بما وصل إلىٰ سمعه ولم يشاهدها بنفسه وذلك بقوله «وعن بعض أهلها قال وللقطيف..» حيث وقع في خطأ كبير وهو أن للقطيف خور من البحر يدخل فيه المراكب الكبار الموسقة في حال المد والجزر وهذا خلاف الواقع.

ذكر المستشرق ج. ج لوريمر «والرسو في القطيف غير مناسب لأن القوارب التي يزيد غاطسها عن ست أقدام لا تستطيع في أي ظرف من الظروف الدخول إلىٰ المرسى الداخلي. وتمتد الشعب الصخرية في البحر في مواجهة المدينة لمسافة

---

(١) صبح الأعشى ـ القلقشندذي.

(٢) تقويم البلدان ـ عماد الدين إسماعيل بن محمد بن عمر المعروف بأبي الفداء صاحب حماه.

عشرة أميال». انتهى[١]

وقلعة القطيف كانت قائمة في القرن الثامن الهجري وهو القرن الذي توفي فيه أبي الفداء بدليل ما أوضحه المرحوم محمد سعيد المسلم من آثار القلعة «جامع قديم يرجع بناؤه إلىٰ القرن الثامن الهجري، وقد كتب تاريخ بناؤه علىٰ لوحة حجرية موجودة بداخله». انتهى[٢]

أين تقع القطيف الدارسة؟

القطيف التي هاجمها (شمر يهرعش) والذي سكنها فرع نكرة بن لكيز بن عبد القيس، والقطيف التي كان عليها العلاء واليا من قبل رسول الله القطيف التي هاجمها القرامطة وقتلوا من فيها هي القطيف الدارسة ولمعرفة موقعها يجب علينا أن نعتمد علىٰ النصوص الواردة في فترة القرامطة وما قبلها ومن الخطأ الاعتماد علىٰ النصوص التي تصف القطيف بعد فترة سيطرة القرامطة والتي أصبحت الفرضة هي قصبة القطيف واختزل مسمى القطيف فيها، وأوضح نص يتضح فيه موقع القطيف بجلاء هو ما ذكره المسعودي في التنبيه والإشراف بتحديده موقع (آفان) وفيه يقول وهي القطيف وقد سبق أن أشرنا إليه آنفًا.

- يتساءل البعض هل الزارة كانت قصبة القطيف قديما؟ وبالتالي هي القطيف، الزارة لم تكن قصبة القطيف بل كانت إحدى المدن المزدهرة وتجاور مدينة القطيف والدليل علىٰ ذلك أن النصوص تبين مدينة الزارة والقطيف ضمن ساحل هجر واليك بعض النصوص التاريخية:

قال الحموي «قال أبو أحمد العسكري: الخط والزارة والقطيف قرى بالبحرين

---

(١) دليل الخليج القسم الجغرافي ج٥ ص١٨٩١.
(٢) ساحل الذهب الأسود ـ محمد سعيد المسلم ص٤٧.

وهجر» انتهىٰ.[١]

قال المسعودي «وفي ذلك الساحل مدينة الزارة والعقل والقطيف من ساحل هجر». انتهىٰ[٢]

قال البلاذري «قالوا: وتحصن المكعبر الفارسي صاحب كسرى الذي كان وجهه لقتل بني تميم حين عرضوا لعيره ـ وأسمه فيروز بن جيشيش بالزارة وأنضم إليه مجوس كانوا تجمعوا بالقطيف». انتهى[٣]

وهناك الكثير من النصوص التي تبين أن مدينة القطيف كانت تجاور مدينة الزارة وليست الزارة قصبة القطيف. وإذا اعتمدنا علىٰ النص الذي أورده المسعودي قوله «و آفان ماء ونخل أراد العباس نزولها وذلك عند ارتحاله من الماء المعروف بالأعباء، فسبقه أبو سعيد إلىٰ الماء، وطول هذه السبخة سبعة أميال، وبينها وبين البصرة سبعة أيام، وهي علىٰ يومين من ساحل البحر، وهي القطيف، وبين القطيف وبين البحر ميل، ولها مدينة علىٰ الساحل يقال لها عنك» انتهىٰ.[٤]

اعتمادا علىٰ أن آفان هي القطيف وبين القطيف وبين البحر ميل ولها مدينة علىٰ الساحل يقال لها عنك فيمكننا أن نقول أن القطيف الدارسة هي الأراضي الواقعة علىٰ الشريط الرملي المحاذي لصحراء البياض غربا ويحدها من الجهة الشمالية ارض العوامية (الزارة) وفي أقصى الجهة الجنوبية تقع مدينة سيهات (سبخة أفان) ومن ضمن أراضيها تل جبل القرين الأثري، وقرية آفان الدارسة وقرية الحناة (غرب سبهات) وعين الحناة القريبة من عين الكعبة «أشهر ينبوع في المنطقة وقد يكون هو المقصود بعين هجر الذي يسقي نهر محلم والذي تشير إليه الخرائط ألاروبيه بنهر

---

(١) معجم البلدان ـ ياقوت الحموي .

(٢) مروج الذهب ـ المسعودي.

(٣) فتوح البلدان ـ البلاذري.

(٤) التنبيه والإشراف ـ المسعودي.

سيهات الممتد من شط العرب حتى أراضى سيهات».

وليس غريبا أن نذهب إلىٰ أن القطيف الدارسة في هذه المواقع اعتمادا علىٰ النصوص التأريخيه التي أشار إليها بعض المستشرقين عن موقع الجر هاء الدارسة بالقطيف.

جبل القرين والجرهاء إحدى قرى القطيف الدارسة:

اختلف المستشرقون في تحديد موضع مدينة الجرعاء، فبعضهم قال أنها القطيف (أكثر الآراء) وبعضهم أشار إلىٰ أنها مدينة الهفوف والبعض أشار إلىٰ أنها سلوى وبعضهم قال أنها العقير ويرى بعضهم أنها مدينة ثاج الأثرية بالقرب من الجبيل. وذهب بعضهم أنها في منطقة القطيف وبالتحديد في موقع جبل القرين الأثري الذي لم يكتشف بعد أغواره. ومن هؤلاء (ر. ستييهل) و(هـ. فون ويسمن)[٥]

وبالبحث والتحقيق في النصوص التاريخية الواردة فيها مدينة الجرهاء الدارسة تكون لدي ثقة بان جبل القرين (التل الأثري بمدينة سيهات) هو موقع مدينة الجرعاء (الجر هاء) القطيف الدارسة.

ويبدو أن ما يعتقده بعض المستشرقين من أن جبل القرين هو المدينة الدارسة التي عرف ساكنوها بالثراء الفاحش ترتبط بما يتناقله الأهالي عن ساكني جبل القرين الأقدمين.

إذ يقال أن ساكني جبل القرين كانوا أثرياء حتى أنهم لم يحمدوا الله سبحانه وتعالى علىٰ نعمة الثراء واستخدموا النعم في غير محلها فخسف الله بهم وجعلهم صخورا في أعلى الجبل والله اعلم.

ويلاحظ حتى أيامنا الراهنة قبور ما قبل الإسلام المحفورة في صخور تل جبل

---

(٥) الخليج العربي في العصور القديمة ـ دانيال ت. بوتس.

القرين الذي لم يكتشف أسراره بعد.

ومازالت بعض أطلال القطيف الدارسة شاهد علىٰ عظم هذه المدينة التي أطلق مسماها علىٰ الخليج فلو تتبع القارئ قول المسعودي أن بين القطيف والبحر ميل، ولها مدينة علىٰ الساحل يقال لها عنك.

ويبتعد عن عنك قرابة الميل جهة الغرب لاكتشف أقدم آثار القطيف وهي ينبوع عين الكعبة وينبوع الحناة «عين الحناه نبع مائي في تل صخري مرتفع مازالت صخور النبع مرتبة بطريقة رائعة تبين الفن المعماري لبناء ينابيع المياه لمنطقة القطيف كما لازالت بعض الفخاريات متناثرة حول النبع الصخري ولشاهد بالقرب تل القرين الأثري المعروف بجبل القرين». انتهىٰ[1]

---

(١) مقال للمؤلف علىٰ الشبكة العنكبوتيه بمسمى مدينة القطيف الدارسة.

جواثا «جواثى» قرية الخط الدارسة[1]

جواثا:

قرية جواثا إحدى قرى هجر كان يسكنها العريان بن الهيثم الربعي زعيم جواثا وقد كانت بطولة ضد صاحب الزنج وأخرجه عن البحرين قال المسعودي: «وجواثًا، وكان بها العريان بن الهيثم الربعي، وقد ذكره علي بن محمد المنتمي إلىٰ أبي طالب صاحب الزنج الناجم بالبصرة عند ظهوره بالبحرين في تميم وكلاب ونمير وغيرهم، وذلك قبل مصيره إلىٰ البصرة، وكان العريان أوقع بهم في عبد القيس، وبني عامر بن صعصعة، ومحارب بن خصفة بن قيس ابن عيلان وغيرهم وقعات متتابعات، فأخرجه عن البحرين ونواحيها، وقتل من أصحابه خلقًا كثيرًا، فلما وقع طرفه بالصمان علىٰ الطائر المعروف بالمكاء، قال كلمته التي أولها:

أيا طائر الصمان مالك مفردًا   تأسيت بي أم عاق إلفك عائق

فقال فيها:

عدمت عتاق الخيل إن لم أزر بها   عليها الكماة الدارعون البطارق

---

(١) مقال سبق أن نشرته في شبكة راصد الاخبارية في شبكة الانترنت بتاريخ ٢٠/ ٢/ ٢٠٠٥م.

عليها رجال من تميم وقصرها كليب بن يربوع الكرام الصادق
وجثوتها سعد وفي جنباتها نمير وبيض من كلاب عواتق
وإن لم أصبح عامرًا ومحاربًا بخطة خسف أو تعقني العوائق
أيحسبني العريان أنسى فوارسي غداة نزال الردم والموت عالق

وقال في كلمة أخرى يذكر عبد القيس:

أتحسب عبد القيس أني نسيتها ولست بناسيها ولا تاركًا تبلى[1]

وقد كان التغيير الدموغرافي للقرامطة علىٰ منطقة هجر وقراها أن أصبحت في وقتنا الراهن قرية جواثا القطيفية تطلق علىٰ إحدى المواقع في قلب الاحساء التي كانت في القدم موطن الأعراب من بني تميم وبني عقيل مع أن معظم المؤرخين يذكرون مواقع انتشار قبيلة عبد القيس في قرى القطيف والخط ولم يسكن أفراد قبيلة عبد القيس في الاحساء وهي خارج حدودهم الإقليمية القبلية. ولا أدري لماذا ينسبون المسجد الذي عثر عليه مؤخرا في الاحساء بمسجد جواثا، كما سبق لهم أن أطلقوا هجر علىٰ الاحساء!

على كل حال سبق وأن كتبت مقال ونشر علىٰ شبكة الانترنت أوضحت فيه أن قرية جواثا في الخط وليس في الاحساء، أقول فيه:

البداية.. من حيث أشار ابن الأعرابي!قال ابن الأعرابي: «جواثا مدينة الخط والمشقر مدينة هجر». انتهىٰ

من المتعارف عليه أن الخط هي المنطقة الواقعة بين مدينة صفواء (صفوى) شمالًا حتى جنوب مدينة الظهران، كما أشار إلىٰ ذلك ابن المقرب في أبياته الشهيرة في رسمها:

اخذوا الحساء من الكثيب إلىٰ محا ديث العيون إلىٰ نقا حلوان

---

(١) التنبيه والإشراف المسعودي ص٣٥٦.

والخط من صفواء حازوها فما أبقوا بها شبرا إلىٰ الظهران

يتضح من ذلك أن قرية (جواثا) تقع ضمن نطاق منطقة القطيف حاليًا إذا صح قول ابن الأعرابي علىٰ الرغم من أنها تُنسب في وقتنا الراهن إلىٰ الأحساء! وقد قمنا بعمل هذه الدراسة المتواضعة التي بين يديك عزيزي القارئ لأجل أن نتثبت من حقيقة قول ابن الأعرابي.

هل ناقض بن الأعرابي المسلمات الجغرافية في عصرنا الراهن؟

من الوهلة الأولى يبدو أن ابن الأعرابي وقع في خطأ كبير لن يُغفر له، وهذا ما كنت أعتقده سابقا إذ أنه من المسلمات حاليًا وجود قرية جواثا في الأحساء، وقد عثر مؤخرًا علىٰ أطلال المسجد الذي ينسب إليها والثابت تاريخيًا أن أقيمت فيه ثاني جمعة في الإسلام بعد مسجد رسول الله، كما أصبح من المتعارف عليه أن هجر هي الاحساء والاحساء هي هجر.

ولكن عندما يتم قراءة التاريخ بروية وبعيدا عن ما نعتقده بمسلمات «والتي هي في الحقيقة بحاجة إلىٰ إعادة غربلة» والتعصب المناطقي، يتضح لنا أن جواثا بالخط (القطيف) كما هي مدينة هجر الساحلية التي احتار في موقعها المؤرخون ونسبوها اشتباهًا إلىٰ الأحساء وهي بعيدة عنها. وهنا سأسلط الضوء علىٰ ما أعتقده بكون (جواثا) تقع ضمن أراضي القطيف وكذلك المشقر مدينة هجر، وذلك من خلال ما اتضح لي بعد قراءة متأنية لتاريخ المنطقة.

بادئ ذي بدء لا بد لنا أن نعرف أن منطقة الأحساء لا تدخل ضمن نطاق مسمى البحرين في الجاهلية، كما تشير إلىٰ ذلك الدلائل ومنها ما ورد في الشعر الجاهلي بقول الحارث بن حلزة المتوفى سنة ٥٢ قبل الهجرة في معلقته الشهيرة:

هل علمتم أيام ينتهب الناس غوارا لكل حي عواء

إذ ركبنا الجمال من سعف البحرين سيرا حتى نهاها الحساء

ثم ملنا علىٰ تميم فأحرمنا وفـيـنـا بـنـات مـر إمـاء

ولم تقم مدينة الأحساء إلا بعد أن قام أبي سعيد الجنابي بتدمير قرى القطيف ومحاصرة هجر اكبر مدن البحر وفتحها وقتل معظم سكانها، ونقل ما تبقى من سكان هجر وقراها من حرفيين وصناع ومزارعين و غيرهم إلي مدينة (الأحساء) الجديدة، التي جعلها قصبة البحرين، وبذلك يكون قد ارتكب أكبر جريمة تغيير ديموغرافي قسرية في المنطقة.

عادة قديمة رافقت عملية التغيير الديموغرافي:

مسجد جواثا الأثري يذكر بعض الرحالة والبلدانيون كابن خرداذبة أن بأرض البحرين منطقة اسمها (حمص) وقد درست في وقتنا الراهن، وهذا المسمى يتطابق مع مسمى مدينة (حمص) الشهيرة في الشام والتي سكنها الفينيقيون قديمًا، فما سر وجود أكثر من مدينة عربية تحمل مسمى واحدًا رغم البعد الجغرافي بينهما؟

لقد جرت عادة الشعوب في إطلاق أسماء بلدانهم القديمة التي رحلوا عنها إلىٰ الأماكن التي قطنوها حديثًا نتيجة لارتباطهم العاطفي بقراهم كما فعل الفينيقيون إذ نقلوا أسماء مناطقهم من أرض البحرين إلىٰ الشام ومنها مدينة حمص والجبيل وغيرها، ولم تغب هذه العادة عن أهالي مدينة هجر وقراها بعد أن دمرها القرمطي وأجبرهم علىٰ الرحيل إلىٰ الأحساء، فقد نقلوا مسميات قراهم من أرض القطيف (ساحل هجر) إلىٰ الأحساء، ومن تلك المسميات التي أطلقوها علىٰ مواقع سكناهم الجديدة اسم قرية جواثا.

وكما نقلوا مسمى قرية جواثا إلىٰ الاحساء كذلك أطلق مسمى هجر علىٰ أهالي هجر الذين نقلوا إلىٰ الاحساء فقيل عنهم (أهل هجر)، وكما نقلوا مسمى قرية جواثا إلىٰ الأحساء، فقد نقل غيرهم ممن تمكن من الهرب مسمى هجر إلىٰ مناطق أخرى، إذ يوجد حاليا قرية بحرية في مملكة البحرين (أوال) تعرف بقرية هجر.

فمنذ القرن الثالث الهجري تغيرت معالم المنطقة ودرست معظم قرى هجر علىٰ ساحل القطيف، وازدهرت الاحساء كبديل لأعظم مدن البحر (هجر وقراها) ومنها القطيف والزارة والخط وجواثا وعسلج...الخ، لهذا أحتار كتاب التاريخ في تحديد موقع هجر العظمى، حيث أصبح من المسلمات لدى بعض الكتاب المعاصرين والمتأخرين أن هجر هي الأحساء، ولكن ما تحويه بطون الكتب التاريخية توضح أن هجر علىٰ ساحل البحر وأن المشقر بالزارة، وأن قرى هجر هي كما ذكرنا القطيف والخط والزارة، فكيف تكون هجر في الاحساء؟

فإذا كانت هجر بالاحساء فيجب البحث عن القطيف والزارة والخط في الاحساء، وهذا من قبيل العبث لان كتب التاريخ وضحت بجلاء مواقع تلك القرى، وهي في محل اتفاق علىٰ مواقعها.

على كل حال بعد هذه المقدمة لابد لنا من إثبات ما قدمناه وذلك من خلال النصوص التاريخية الصريحة التي توضح مواقع القرى الرئيسة بالبحرين ومن بينها (جواثا).

جواثا في التاريخ:

جاء في معجم البلدان لياقوت الحموي: «جواثاء: بالضم وبين الألفين ثاء مثلثة يمد ويقصر، وهو علم مرتجل حصن لعبد القيس بالبحرين فتحه العلاء بن الحضرمي في أيام أبي بكر الصديق رضي الله عنه سنة ١٢ هـ عنوة، وقال ابن الأعرابي جواثا مدينة الخط والمشقر مدينة هجر، وقالت سلمى بنت كعب بن جعيل تهجو أوس بن حجر:

فيشلة ذات جهار وخبر وذات أذنين وقلب وبصر
قد شربت ماء جواثا وهجر أكوي بها حر أم أوس بن حجر

ورواه بعضهم جؤثاء، بالهمزة، فيكون أصله من جئث الرجل إذا فزع، فهو

مجؤوث أي مذعور، فكأنهم لما كانوا يرجعون إليه عند الفزع سموه بذلك قالوا: وجؤثا أول موضع جمعت فيه الجمعة بعد المدينة، قال عياض: وبالبحرين أيضا موضع يقال له قصر جواثا، ويقال: ارتدت العرب كلها بعد النبي صلى الله عليه (وآله) وسلم، إلا أهل جواثا، وقال رجل من المسلمين يقال له عبد الله بن حذف وكان أهل الردة بالبحرين حصروا طائفة من المسلمين بجواثا:

ألا أبلغ أبا بكر رسولا وفتيان المدينة اجمعينا
فهل لكم إلىٰ قوم كرام قعود في جواثا محاصرينا
كأن دماءهم في كل فج شعاع الشمس يغشى الناظرينا
توكلنا علىٰ الرحمن انا وجدنا النصر للمتوكلينا

فجاءهم العلاء بن الحضرمي فاستنقذهم وفتح البحرين كلها في قصة ذكرت في غير هذا الموضع، وقال أبو تمام:

زالت بعينك الحمول كأنها نخل مواقر من نخيل جواثا

كما جاء في نفس المصدر السابق: «قالوا: وعزل رسول الله، العلاء وولى البحرين أبان بن سعيد ابن العاصي بن أميه، وقيل أن العلاء كان علىٰ ناحية من البحرين منها القطيف، وأبان علىٰ ناحية من الخط». انتهىٰ

وقال ابن سعد في الطبقات الكبرى: «فسار العلاء فيمن تبعه منهم حتى نزل بحصن جواثا فقاتلهم فلم يفلت منهم أحد ثم أتى القطيف وبها جمع من العجم فقاتلهم فأصاب منهم طرفا وانهزموا فانضمت الأعاجم إلىٰ الزارة فأتاهم العلاء فنزل الخط علىٰ ساحل البحر فقاتلهم وحاصرهم إلىٰ أن توفي أبو بكر وولى عمر ابن الخطاب وطلب أهل الزارة الصلح فصالحهم العلاء ثم عبر العلاء إلىٰ أهل دارين». انتهىٰ

يتضح من النصوص السابقة أن الحرب التي خاضها العلاء بن الحضرمي

مع المرتدين كانت في منطقة البحرين وليس بالاحساء التي لم تكن ضمن أراضي البحرين كما بين الشاعر الجاهلي بقوله:

إذ ركبنا الجمال من سعف البحرين   سير أ حتى نهاها الحسـاء

وعندما تذكر قرى البحرين في كتب التاريخ لم تكن الاحساء ضمنها، وكما أوضح أبن خرداذبة في المسالك والممالك بقوله: «قرى البحرين وهي الخط والقطيف، والآرة، وهجر، والفروق وبينونة، قال النابغة الجعدي:

عليهن من وحش بينونة   نعاج مطافيل في ربرب

والمشقر، والزارة، وجواثا، قال الشاعر:

ماضر اشناس لا يكون له   يوم جواثا ويوم ذي قار

وسابون ودارين والغابة، والشنون» انتهىٰ

مسجد جواثا من أبرز المعالم الأثرية في المنطقة يتضح أن قرية جواثا ضمن قرى البحرين ولم تكن في الأحساء ولهذا تبين النصوص السابقة بجلاء أن جواثا بالقرب من القطيف ودارين والزارة وكما أوضح ابن الأعرابي أن جواثا بالخط والمشقر بهجر، ولم يأتي ذكر الاحساء في هذه النصوص لأنها خارج أرض البحرين في تلك الأيام، بالرغم من وجودها كما أشرنا إليها في الشعر الجاهلي ولكن الاحساء أصبحت ضمن أراضي البحرين، بعد أن دمر أبى سعيد القرمطي هجر وقراها، ونقل أهالي هجر إلىٰ مدينة الأحساء التي بناها، وهي اكبر جريمة دموغرافية في المنطقة. إضافة لجرائمه الأخرى ومنها نقله الحجر الأسود من مكة إلىٰ ارض هجر، وقتله ثلاثمائة ألف من أهل هجر بعد أن حاصرها أربع سنين حتى دخلها والناس هلكوا جوعا وهزالا وبعد أن كان الوباء وقع فيهم فمات منهم الكثير، كما جاء في كتاب الروض المعطار في خبر الأقطار.

ولكن قد يقول البعض أن هذا لا يكفي بأن تقول أن جواثا بالخط، لا بد من أدلة

جديده تدعم ما تجهت إليه، أقول: أوافقك الرأي واليك المزيد:

جواثا ونهر محلَم:

أوضح ياقوت في معجمه أن نخيل جواثا تسقي من عين محلم وذلك بقوله: «محلَم عين فواره بالبحرين وما رأيت عينا أكثر ماء منها وماؤها حار في منبعها فإذا برد فهو ماء عذب ولهذه العين إذا جرت في نهرها خلج كثيرة تتخلج منها تسقي نخيل جواثاء وعسلج وقريات من قرى هجر». انتهىٰ

يتضح من النص السابق أن نهر محلَم يسقي جواثا وقرى هجر من خلال خلجان كثيرة تتخلج منه، ومن هذه الخلجان الصفا و السري كما أشار إليهما لبيد في شعره بقوله:

سحـــق يمتعهـــا الصفا وسريه   عـــم نـــواعـــم بـيـنـهـن كـــروم

وذكرهما ابن منظور في كتابه لسان العرب فقال: «والصفا والسري: نهران متخلجان من نهر محلَم الذي بالبحرين لسقي نخيل هجر كلها». انتهىٰ

وسرية إحدى قرى القطيف الدارسة ذكرت في قانون نامه لواء القطيف العثماني ويبدو أن مسمى القرية الدارسة سرية أقتبس من نهرها وهي من ضمن القرى التي تسقيها مياه نهر محلَم والله أعلم.

كما ذكر المرحوم/ محمد سعيد المسلم في كتابه «ساحل الذهب الأسود» بقوله عن صفوى «ولعلها أسمها في الأصل مقتبس من نهر الصفا الذي يتخلج من عين محلَم». انتهىٰ

محلَم نهر القطيف:

وسوف نوضح فيما يلي أن نهر محلَم يسقي قرى هجر ومنها «المشقر والصفا» كما سنوضح أيضا أن المشقر حصن بأرض الزارة (ببلدة العوامية القطيفية) وهنا

يتضح أن نهر محلَم يسقي قرية جواثا والمشقر والصفا فإذا كان المشقر في القطيف فقرية جواثا في القطيف أيضًا، أو كما أشار ابن الأعرابي جواثا بالخط (القطيف) حيث أنه ليس من المعقول أن تكون جواثا في الأحساء والمشقر في القطيف ونهر محلَم يسقي كل منهما.

الأحساء مدينة صحراوية بعيدة عن محلَم:

وكما أوضح الرحالة ناصر خسروا في كتابه سفر نامة بوصفه ارض الاحساء عندما زارها في أيام القرامطة قوله: «والحساء مدينة في الصحراء ولبلوغها عن أي طريق ينبغي اجتياز صحراء واسعة والبصرة أقرب البلاد الإسلامية التي بها سلطنة إلىٰ الاحسا، وبينها خمسون ومائة فرسخ ولم يقصد سلطان من البصرة الحسا أبدا، والحسا مدينة وسواد أيضا وبها قلعة ويحيط بها أربعة أسوار قوية متعاقبة من اللبن المحكم البناء بين كل اثنين منها ما يقرب من فرسخ وفي المدينة عيون ماء عظيمة تكفي لكل منها لإدارة خمس سواق ويستهلك كل هذا الماء بها فلا يخرج منها». انتهىٰ

يتضح من وصف ناصر خسرو لمدينة الأحساء أنها صحراوية تحيط بها أربعة أسوار بين كل سور فرسخ «الفرسخ ما يقارب خمسة كيلو متر ونصف» كم أن ماء عيون الأحساء يستهلك بها ولا يخرج منها.

وفيما يلي بعض النصوص التي توضح أن نهر محلَم يسقي المشقر والصفا وبعدها سنبين موقع المشقر.

قال البكري في معجم ماستعجم: قال اعشى همدان:

ولما نزلنا بالمشقر والصفا وساق الاعاريب الركاب فابعدوا
وبدانا ففورنا مياه محلم لعل بقايا جية القوم

وقال الطبري في كتابه تاريخ الرسل والملوك: «فأدخلهم المشقر وهو حصن

حياله حصن يقال له الصفا، وبينهما نهر يقال له محلَم». انتهىٰ

وفي لسان العرب قال ابن منظور: «ومحلَم في قول الأعشى:

ونحن غـداة العين يـوم فطيمة　　منعنا بني شيبان شرب محلَم

هو نهر يأخذ من عين هجر، قال لبيد يصف ظعنا ويشبهها بنخيل كرعت في هذا النهر:

عصب كوارع في خليج محلَم　　حملت فمنها مـوقـر مكموم

وفي معجم البلدان لياقوت الحموي: «وقال خبال بن شبه بن غيث بن مخزوم بن ربيعة بن مالك بن قطيعة بن عبس الجاهلي:

ابني جديمة نحن أهل لوائكم　　وأقلكم يـوم الطـعان جبانا

كانت لنا كـرم المواطن عادة　　تصل السيوف إذا قصرنا خطانا

وبهن أيـام المشقـر والصفا　　ومحلَم يبكي عـلىٰ . قتلانا»

يتضح مما سبق أن نخيل جواثا تسقي من عين محلَم ولهذه العين إذا جرت في نهرها خلج كثيرة، كما أن عين هجر هي عين محلَم، ونهر محلَم يطوف بالمشقر والصفا.

ومن هنا نتساءل أين يقع المشقر؟

إجابة السؤال السابق نجدها فيما روي عن النبي عندما قدم إليه وفد عبد القيس.

جاء في كتاب المعرفة والتاريخ للبسوي قوله: «حدثنا أبو يوسف حدثني عثمان بن الهيثم المؤذن حدثنا عوف بن أبى جميلة عن أبى الغموص زيد بن علي عن أحد الوفد الذين وفدوا إلىٰ نبي الله وفد من عبد القيس إلا أن يكون قيس بن النعمان فأني نسيت اسمه قال: وأهدينا إليه فيما أهدينا خطوطا وقربة من تعضوض فوضعناها بين يديه قال: فحسبت أنه تناول تمرة منها ثم أعادها إلىٰ موضعها فقال: بلغوها آل محمد.

فقال رجل منا: يا رسول الله أن أرضنا أرض جادة وبيئة وأنه لا يوافقنا إلا الشرب فما الذي يحل لنا من ألانية ومالذي يحرم علينا؟ قال: لا تشربوا في الدباء ولا النقير والمز فت وأشربوا في الحلال الموكي عليه، فان أشتد متنه فاكسروه بالماء، فان أعياكم فأهر يقوه قال: قلنا: يا رسول الله وما يدريك مالدباء والنقير والمز فت؟ قال: أنا لا أدري! أي هجر أعز قال: قلت: المشقر. قال فو الله لقد دخلتها وأخذت أقليدها وقمت علىٰ عين الزارة علىٰ الحجر من حيث يخرج الماء. قال: ثم ابتهل في الدعاء لعبد القيس قال ووجهه عن عين القبلة. ورفع يديه وهو يقول اللهم اغفر لعبد القيس اللهم اغفر لعبد القيس رافعا يديه وهو يستدير حتى استقبل القبلة وهو يقول اللهم اغفر لعبد القيس إذ أسلموا طائعين وغير خزايا وغير موتورين إذ بعض قوم لم يسلموا حتى يخزوا أو يوتروا، خير أهل المشرق، خير أهل المشرق عبد القيس». انتهىٰ

يتضح من الرواية السابقة أن المشقر في منطقة الزارة «والزارة كانت قصبة القطيف قبل أن يدمرها القرامطة» وهي الآن ضمن أراضي مدينة العوامية بالقطيف.

كما جاء ذكر المشقر برواية أخرى في مسند احمد بن حنبل: «حدثنا إسماعيل بن إبراهيم قال حدثنا عوف حدثني أبو القموص زيد بن علي قال حدثني أحد الوفد الذين وفدوا علىٰ رسول الله من عبد القيس قال: وأهدينا له فيما يهدى نوطا أو قربة من تعضوض أو برني فقال ما هذا قلنا هذه هدية قال وأحسبه نظر إلىٰ تمرة منها فأعادها مكانها وقال ابلغوها آل محمد قال فسأله القوم عن أشياء حتى سألوه عن الشراب فقال لا تشربوا في دباء ولا حنتم ولا نقير ولا مزفت اشربوا في الحلال الموكي عليه فقال له قائلنا: يا رسول الله وما يدريك مالدباء والحنتم والنقير والمز فت؟ قال: أنا لأدرى ماهيه، أي هجر أعز قلنا المشقر قال فو الله لقد دخلتها وأخذت اقليدها قال وكنت قد نسيت من حديثه شيئا فأذكرنيه عبيد الله بن أبي جروة قال وقفت علىٰ عين الزارة ثم قال اللهم أغفر لعبد القيس إذ أسلموا طائعين غير كارهين غير خزايا ولا موتورين». انتهىٰ

أتمنى أن وضح للقارئ الكريم موقع حصن المشقر بشكل قاطع لا لبس فيه بان حصن المشقر ضمن أراضي القطيف التي اشتهرت منذ الماضي بتمر التعضوض «تمر أسود شديد الحلاوة» كما جاء في لسان العرب لابن منظور: «التعضوض: ضرب من التمر. قال الأزهري: والتاء فيهما ليست بأصلية هي مثل تاء ترنوق المسيل، وهي ما يجتمع من الطين في النهر. وفي الحديث وأهدت لنا من التعضوض، بفتح التاء، وهو تمر أسود شديد الحلاوة، ومعدنه هجر». انتهىٰ

واعتقد انه التمر المعروف حاليا بتمر الخنيزي التي تشتهر به منطقة القطيف الذي يكون أوله بسر أحمر قبل أن يتمر وهنا نتذكر قول أمرؤ القيس:

أو المكرعات من نخيل أبن يامن   دوين الصفا اللائي يلين المشقر
سوامق جبار أثيت فروعه   وعالين قنوانا من البسر أحمر

كما اتضح للقارئ الكريم أن المشقر ضمن أراضي القطيف وكما أشرنا أن نهر محلَم يسقي كل من المشقر والصفا وجواثا، لا بد أن نتذكر قول ابن الأعرابي: «أن جواثا مدينة الخط والمشقر مدينة هجر» وبالربط بين النصوص السابقة وتعانق الأدلة يتبين أن نهر محلَم يسقي جواثا مدينة الخط، و مدينة المشقر بهجر القريبة من جواثا، وفي الحقيقة أن كل هذه المدن كانت تدخل ضمن أراضي منطقة القطيف (الخط) التي عرفت في السابق بالخط وفي فترات أخرى عرفت بهجر.

ولمزيد من تأكيد ما ذهبنا إليه نورد لكم قول ياقوت الحموي في معجمه عندما ذكر القطيف قال عنها: «ولما قدم وفد عبد القيس علىٰ النبي ﷺ، قال لسيديها الجون والجارود وجعل يسألهما عن البلاد فقالا: يا رسول الله دخلتها؟ قال: نعم دخلت هجر وأخذت اقليدها». انتهىٰ

وللأسف فإن الكثير من الكتاب المعاصرين الذين كتبوا تاريخ الاحساء مروا مرور الكرام علىٰ هذه النصوص دون التبحر فيها مما أدى إلىٰ وقوعهم في خطأ كبير

ألا وهو قولهم بأن جواثا بالأحساء وكذلك المشقر بالأحساء لاعتمادهم أن هجر هي الأحساء وبالتالي اجتهدوا في تصحيف قرى هجر الدارسة لتلائم مسميات قرى الأحساء الراهنة».[1]

---

(١) مقال للمؤلف في شبكة راصد الإخبارية بتاريخ ٢٠ / ٢ / ٢٠٠٥م.

الفصل الرابع



القرامطة وعلاقاتهم بالدول والحركات الإسلامية

- القرامطة والبحرانيون
- القرامطة والفاطميون
- القرامطة ودولة بني الاخيضر
- القرامطة ودولة بني العباس
- القرامطة وأهل بيت النبوة
- القرامطة والبويهيون
- القرامطة والأعراب
- قرامطة الشام وقرامطة البحرين

القرامطة وعلاقاتهم بالدول والحركات الإسلامية

ارتبط القرامطة بعلاقات متعددة مع الدول والحركات المحيطة بهم وكانت تلك العلاقات تتميز بحالة من المد والجزر فبينما كان القرامطة يتمتعون بعلاقات معادية مع الدولة العباسية وعلاقات موالاه مع الفاطميين في مصر انقلبت تلك العلاقة إلىٰ العكس في عهد الأعصم القرمطي، وهكذا بينما كانت علاقتهم جيدة بالدولة الاخيضرية بنجد حيث كانوا حلفائهم ضد الدولة العباسية، نلاحظ أن نهاية بني الاخيضر كانت علىٰ يد القرامطة، كذلك كانت هناك علاقة جيدة مع حكام بني بويه وتحالف قوي ضد الدولة الفاطمية، ولكن هذا التحالف انتهىٰ في آخر أيام الدولة القرمطية، وللوقوف علىٰ تلك العلاقات، واختلافها بين مدّ وجزر، نستعرض فيما يلي تلك العلاقات بشيء من التفصيل.

القرامطة وشيعة البحرين

هناك علاقة بين القرامطة الاسماعيليين والبحرانيين الشيعة الإمامية ألاثني عشرية لما يجمعهما من المذهب الشيعي وكانت بداية العلاقة محاولة دعاة القرامطة نشر المذهب الإسماعيلي في القطيف من خلال استغلال ولاء شيعة القطيف لاهل البيت وانتظارهم للإمام الثاني عشر الإمام المهدي ﷺ فكانت بداية دعاة القرامطة إظهارهم أنهم رسل الإمام المهدي ﷺ للمنطقة فتقبلهم أهالي القطيف في بداية الأمر كما ينقل ابن الأثير ضمن أحداث سنة ست وثمانين ومائتين: «وكان ابتداء القرامطة بناحية البحرين أن رجلا يعرف بيحيى بن المهدي قصد القطيف فنزل علىٰ رجل يعرف بعلي بن المعلى بن حمدان مولى الزياديين وكان مغاليا في التشيع، فأظهر له يحيى أنه رسول المهدي، وكان ذلك سنة إحدى وثمانين ومائتين، وذكر أنه خرج إلىٰ شيعته في البلاد يدعوهم إلىٰ أمره، وأن ظهوره قد قرب، فوجه علي بن المعلى إلىٰ الشيعه من أهل القطيف فجمعهم، وأقرأهم الكتاب الذي مع يحيى بن المهدي إليهم من المهدي فأجابوه، وانهم خارجون معه إذ أظهر أمره، ووجه إلىٰ سائر قرى البحرين بمثل ذلك فأجابوه.وكان فيمن أجابه أبو سعيد الجنابي» انتهىٰ

ولكن هذه العلاقة فيما يبدو لم تدم طويلا فقد تم اكتشاف أمر أبو سعيد

الجنابي وكذلك الداعية يحيى بن المهدي وهربا إلىٰ احساء بني سعد واجتمع حوله بعض الأعراب وقوى أمره، فقتل ماحوله من أهل القرى ثم سار إلىٰ القطيف وقتل من بها وكان حكامها يومئذ من بني مسمار وقتل زعيمها علي بن مسمار كما يذكر المسعودي.

حاول أهالي قرى البحرين التحالف مع الدولة العباسية لطرد العدو المشترك القرمطي، لهذا اشترك البحرانيين في حملة بقيادة عباس بن عمر الغنوي الذي جرده المعتضد العباسي لقتال ابو سعيد عام ٢٨٧هـ وذلك خلال حصار القرمطي لمدينة هجر اكبر مدن البحرين التي يسكنها زعيمها عياش المحاربي، وكان جيش الغنوي يتكون من سبعة الاف من الجند، ومطوعة البصرة والبحرنيين، الذين خلوا عن البحرين وغيرهم. ولكن هزم الجيش العباسي وأتى علىٰ أكثر من معه ولم ينج إلا الشريد.[١]

بعدها استطاع ابو سعيد السيطرة علىٰ هجر أكبر مدن البحرين وتدميرها وقتل من بها.

وفي عام ٢٩٠هـ حاول أمير البحرين القضاء علىٰ دولة ابو سعيد في القطيف وقام بحملة استطاع قتل ولي عهد ابي سعيد وفتح القطيف بينما كان ابو سعيد خارجها كما يذكر ابن الاثير: أن ابن بانو هاجم قلاع ابو سعيد الجنابي في هجر عام ٢٩٠هـ.

قال ابن الاثير: «وفيها كبس ابن بانوا أمير البحرين حصنًا للقرامطة، فظفر بمن فيه، وواقع قرابة أبي سعيد الجنابي، فهزمه ابن بانوا، وكان مقام هذا القرمطي بالقطيف، وهو ولي عهد أبي سعيد، ثم إنه وجد بعدما انهزم أصحابه قتيلًا فاخذ رأسه

---

(١) التنبيه والإشراف المسعودي.

وسار ابن بانوا إلىٰ القطيف فافتتحها». انتهىٰ[(١)]

ولكن ابن بانوا انهزم قبل عودة ابو سعيد اليها، وبالتالي هذه الانتفاضة لم تنجح في القضاء علىٰ القرامطة في البحرين.

لم يستسلم البحرانيون للقرامطة فقد اختلفوا مع الهيئة العقدانية القرمطية حتى استطاع الاهالي إجبار القرامطة من الانتقال إلىٰ مدينة الاحساء وذلك عام ٣١٤هـ واستمر هذا العداء حتى انتهاء الدولة القرمطية في البحرين التي شارك الزعماء المحليين في القضاء علىٰ الحكم القرمطي ولم يستطع القرامطة ترك أي اثر لهم في المنطقة واستمر الاهالي بمذهبهم الشيعي الاثني عشري ولم يكن هناك أي تأثير للمذهب القرمطي.

---

(١) الكامل في التاريخ ـ ابن الأثير ج ٧ ص٥٢٦.

القرامطة والفاطميون

ينتسب الفاطميون إلىٰ مؤسس دولتهم وهو عبيد الله بن المهدي بن محمد الحبيب بن جعفر المصدق بن محمد المكتوم بن إسماعيل بن الإمام جعفر الصادق عليه السلام وقد حاول المعتضد العباسي القدح في نسب الفاطميين ولكن لم يستطع ذلك وقد اثبت الشريف الرضي صدق انتساب الفاطميين لآل البيت في شعره قوله:

ألبس الذل في بلاد الأعادي وبمصر الخليفة العلوي
من أبوه أبي ومولاه مولاي إذا ضامني البعيد القصي
لف عرقي بعرقه سيد الناس جميعا محمد وعلي

الفاطميون هم شيعة إسماعيليون يذهبون إلىٰ أن النبي ﷺ أوصى بالخلافة إلىٰ الإمام علي عليه السلام من بعده ثم أوصى الإمام علي عليه السلام إلىٰ أبنه الإمام الحسن ثم انتقلت الوصية إلىٰ الإمام الحسين وهكذا انتقلت إلىٰ الأئمة من بعده وهم: علي زين العابدين، محمد الباقر، جعفر الصادق، إسماعيل ابن جعفر الصادق، محمد ابن إسماعيل (المكتوم)، جعفر المصدق، محمد الحبيب، عبيد الله المهدي (مؤسس الدولة الفاطمية).

وقد كانت مصر مركز الدولة الفاطمية وقد وصفها خسرو أحد الدعاة الفاطميين

الذي يحمل رتبة (حجة خرسان)[١] قوله: «وفي مصر سبعة جوامع غير جوامع القاهرة والمدينتان متصلتان وفيهما معا خمسة عشر جامعًا مسجد جمعة وذلك لتلقى خطبة الجمعة والصلاة في كل حي منهما وفي وسط سوق مصر جامع يسمى باب الجوامع شيده عمرو بن العاص أيام إمارته علىٰ مصر من قبل عمر بن الخطاب وهذا المسجد قائم علىٰ أربعمائة عمود في الرخام والجدار الذي عليه المحراب مغطى كله بألواح الرخام الأبيض التي كتب القرآن عليها بخط جميل ويحيط بالمسجد من جهاته الأربع الأسواق وعليها تفتح أبوابه ويقيم بهذا المسجد المدرسون والمقرئون وهو مكان اجتماع سكان المدينة الكبيرة ولا يقل من فيه في أي وقت عن خمسة آلاف من طلاب العلم والغرباء والكتاب الذين يحررون الصكوك والعقود وغيرها وقد اشترى الحاكم بأمر الله هذا المسجد من أبناء عمرو بن العاص وكانوا قد ذهبوا إليه وقالوا نحن فقراء معوزون وقد بنى جدنا هذا المسجد فإذا إذن السلطان نهدمه ونبيع أحجاره ولبناته فاشتراه الحاكم بمائة آلف دينار وأشهد علىٰ ذلك كل أهل مصر ثم أدخل عليه عمارات كثيرة عظيمة منها ثريا فضية لها ستة عشر جانبًا كل جانب منها ذراع ونصف فصارت دائرتها أربعًا وعشرين ذراعًا.

ويوقدون في ليالي المواسم أكثر من سبعماية قنديل ويقال إن وزن هذه الثريا خمسة وعشرون قنطارًا فضة كل قنطار مائة رطل وكل رطل أربعة وأربعون ومائة درهم ويقال إنه حين تم صنعها لم يتسع لها باب من أبواب المسجد لكبرها فخلعوا بابا وأدخلوها منه ثم أعادوا الباب مكانه ويفرش هذا المسجد بعشر طبقات من الحصير الجميل الملون بعضها فوق بعض ويضاء كل ليلة بأكثر من مائة قنديل. وفي هذا المسجد مجلس قاضي القضاة». انتهى[٢]

---

(١) ناصر خسرو ـ ياقوتة بدخشان ص٤٥.

(٢) سفر نامة ـ ناصر خسرو.

علاقة القرامطة بالفاطميين:

الحركة القرمطية هي الابن غير البار للدعوة الإسماعيلية التي قامت علىٰ أسسها الدولة الفاطمية[1] نعم فالحركة القرمطية هي إحدى فروع الدعوة الإسماعيلية ولكن حدث انشقاق كبير وانفصال منذ وفاة الداعية عبد الله ابن الميمون، وعودة الدعاة إلىٰ الرأس المفكر والمبدع ـ عبدان القرمطي ـ وانشقاق زكرويه بن مهروية واستغلاله عن الدعوة الإسماعيلية بل قام بتصفية عبدان القرمطي، وتجاوز الخطوط الحمراء وانقلب علىٰ الحركة الإسماعيلية وقام بتدمير مركز الدعوة الإسماعيلية بالشام ومؤسسها هناك الإمام الاسماعيلي (محمد ابن الحبيب) مما أدى إلىٰ هروب إمام الدعوة الإسماعيلية عبيد الله المهدي من الشام إلىٰ المغرب الذي كان فيها داعية الإسماعيلية أبو عبد الله الشيعي. و كان ذلك قبل أن تقوم دولة تمثل الدعوة الإسماعيلية، ويعتبر ذلك انعطاف خطير في صفوف الدعوة الإسماعيلية، ولكن استطاع الاسماعيليين تجميع صفوفهم في القارة الإفريقية وإقامة كيان اسماعيلي قوي حتى توسعهم من خلال سيطرتهم علىٰ مصر والشام وعرفت مملكتهم بالدولة الفاطمية، ولكن ذلك الانتصار للدعوة الإسماعيلية أغضب الدولة العباسية وملوكها من حكام بني بويه وكذلك اغضب قرامطة البحرين الذين كانوا يستلمون أتاوه من الدولة الاخشيديه وامتنع عن دفعها المسيطرون الجدد الفاطميون، لهذا قام القرامطة بالتحالف مع البويهيين والخلافة العباسية للقضاء علىٰ الفاطميين في مصر والشام، ولكن بعد معارك عنيفة أدت إلىٰ اضمحلال قرامطة البحرين ووفاة قائدهم الأعصم آخر وريث لحكم أبو سعيد مؤسس دولة قرامطة هجر.

وقبل الشروع في تلك الصراعات وتفاصيلها لابد من توضيح أسباب اختلاف

---

(١) كان ابتداء الدولة الفاطمية علىٰ يد عبيد الله المهدي بن محمد بن حبيب بن جعفر الصادق بن محمد المكتوم بن جعفر الصادق ﷺ ويذكر ابن خلدون بقوله: «ولاعبرة بمن أنكر هذا النسب من أهل القيروان وغيرهم وبالمحضر الذي ثبت ببغداد أيام القادر بالطعن في نسبهم، وشهد فيه أعلام الأئمة». تاريخ ابن خلدون ص٩٢٠.

الإرث التاريخي بين القرامطة والفاطميين بالرغم أنهم من رحم الفكر الاسماعيلي:

في الحقيقة أن القرامطة والفاطميين نتاج فكر واحد ولكن اختلفت المجتمعات التي قامت واعتمدت عليها الحركتان، فالقرامطة قامت علىٰ تجنيد الأعراب من بني كلاب وبني عقيل وبني سليم الذين انخرطوا في الحركة القرمطية ليس من أجل فكر ولكن من أجل اقتسام حصة السلب والنهب في الغزوات ضد الحجاج والمدن الحضرية.

بينما عملت الدعوة الإسماعيلية علىٰ نشر الفكر الاسماعيلي معتمدين علىٰ السرية والتعليم لمبادئ الدعوة الإسماعيلية وكسب أكبر من المؤمنين لهذه الدعوة، ولم يكن من طرق نشر هذه الدعوة السيطرة علىٰ ممتلكات الآخرين من خلال التحالف مع الأعراب أو التحالف مع الأعداء كالدولة العباسية كما عمل القرامطة، في الكثير من الفترات.

فنلاحظ أن الفاطميين كانوا يعملون حسب تخطيط وتفكير منهجي وذكي، وتوسعت دولتهم وعمت شمال إفريقيا حتى مصر والشام، فكلما سيطروا علىٰ منطقة قاموا بتنظيم أمور دولتهم فيها ونشروا الفكر الاسماعيلي فيها، وهذا بخلاف القرامطة الذين كانوا يجوبون ارض العراق من جنوبها إلىٰ شمالها دون ترسيخ نظام حكم لهم بل تركوا الكراهية للقرامطة في قلوب تلك المدن التي جابوها لاستباحة أعراض أهاليها قتل رجالها وسلب ممتلكاتهم دون إرساء قواعد الحكم القرمطي فيها نظرا لمستوى الفكر البدوي الذي ينتهجه قرامطة البحرين وهم في الحقيقة مجموعة من الأعراب الهم الوحيد لهم هو سلب ممتلكات الناس والعودة إلىٰ ربوعهم، وتكرار الغزو مرة أخرى بعد فترة، وهذا خلاف الدعوة الإسماعيلية التي قامت بترتيب وتنظيم المدن التي سيطرت عليها، وإشاعة الفكر والعلوم فيها كما فعلوا في مصر فمازال إرثهم الفكري والحضاري بارز بالرغم أفول نجم ودولة الاسماعيليين، ولكن مازالت جامعة الأزهر (المنسوبة إلىٰ فاطمة الزهراء سلام الله عليها) دليل علىٰ ذلك التقدم الفكري للاسماعليين، وهذا عكس الإرث القرمطي

المشين وقصة مهاجمة مكة المكرمة وسلب الكعبة المشرفة وكنوزها وجلب الحجر الأسود إلىٰ هجر. من هنا نقول من الظلم أن ننسب لقرامطة إلىٰ الفكر الاسماعيلي.

علينا أن نعترف أن الهيئة الاستشارية (العقدانية) القرمطية كانت تتكون من مجموعة مخلصة للفكر الاسماعيلي ولكن القيادة السياسية المتمثلة في أسرة أبي سعيد والأعراب المحيطين بهم كانوا بعيدين كل البعد عن العقيدة الدينية للفكر الاسماعيلي.

ونلاحظ أنه كانت هناك علاقة حقيقية بين هيئة العقدانية القرمطية والفاطميين، فقامت هذه الهيئة في مرات كثيرة بأخذ رأي الحاكم الفاطمي في أمور هامة كما يورد ابن خلدون بقوله: «وأقام أبو طاهر بالبحرين وهو يتعاهد العراق والشام بالغزو حتى ضربت له الاتاوة ببغداد وبدمشق علىٰ بني طغج، ثم هلك أبو طاهر سنة اثنتين وثلاثين لإحدى وثلاثين سنة من ملكه، ومات عن عشرة من الولد كبيرهم سابور، وولى أخوه الأكبر أحمد بن الحسن، واختلف بعض العقدانية عليه ومالوا إلىٰ ولاية سابور بن أبي طاهر، وكاتبوا القائم في ذلك فجاء جوابه بولاية الأخ أحمد وأن يكون الولد سابور ولي عهده فاستقر أحمد في الولاية عليهم وكنوه أبا منصور، وهو الذي رد الحجر الأسود إلىٰ مكانه كما قلناه». انتهىٰ[1]

وكذلك كان في رد الحجر الأسود بأمر من الحاكم الفاطمي كما أورد ابن خلدون قوله: وفي سنة سبع عشرة هجم (أبو طاهر) علىٰ مكة وقتل كثيرا من الحاج ومن أهلها ونهب أموالهم جميعا وقلع باب البيت والميزاب، وقسم كسوة البيت في أصحابه، واقتلع الحجر الأسود وانصرف به وأراد أن يجعل الحج عنده، وكتب إليه عبيد الله المهدي من القيروان يوبخه علىٰ ذلك، ويتهدده، فكتب إليه بالعجز عن رده من الناس ووعد برد الحجر، فرده سنه تسع وثلاثين بعد أن خاطبه منصور إسماعيل من القيروان في رده فردوه، وقد كان الحكم المتغلب علىٰ الدولة ببغداد

---

(١) تاريخ ابن خلدون ـ ص٩٥٦.

أيام المستكفي بذل لهم خمسين ألفا من الذهب علىٰ أن يردوه فأبوا، وزعموا أنهم إنما حملوه بأمر إمامهم عبيد الله، وإنما يردونه بأمره وأمر خليفته». انتهى[(١)]

الفتنة بين القرامطة والفاطميين:

كانت بداية الاختلاف بين القرامطة والحكم الفاطمي هو بسبب تدخل الحكام الفاطميين في الحكم القرمطي وتهديد أبو الحسن (الأعصم) بعزله وتنصيب أبناء أبي طاهر كما أورد ابن خلدون قوله: «ثم قبض سابور علىٰ عمه أبي منصور فاعتقله بموافقة إخوته له علىٰ ذلك وذلك سنة ثمان وخمسين (وثلاثمائة)، ثم ثار بهم أخوه فأخرجه من الاعتقال وقتل سابور ونفى إخوته وأشياعهم إلىٰ جزيرة أوال، ثم هلك أبو منصور سنة تسع وخمسين يقال مسموما علىٰ يد شيعة سابور، وولي ابنه أبو علي الحسن بن أحمد ويلقب الأعصم، وقيل الاغنم فطالت مدته وعظمت وقائعه ونفى جمعا كثيرا من ولد أبي طاهر، يقال: اجتمع منهم بجزيرة أوال نحو من ثلاثمائة، وحج هذا الأعصم بنفسه ولم يتعرض للحاج ولا أنكر الخطبة للمطيع.

ولما استولى جوهر قائد المعز لدين الله علىٰ مصر وجعفر بن فلاح الكتامي علىٰ دمشق طالب الحسن بالضريبة[(٢)] التي كانت له علىٰ دمشق فمنعوه ونابذوه، وكتب له المعز وأغلظ عليه ودس لشيعة أبي طاهر وبنيه أن الأمر لولده، واطلع الحسن علىٰ ذلك فخلع المعز اثنتين وثلاثماية وخطب للمطيع العباسي في منابره ولبس السواد.

ثم زحف إلىٰ دمشق وخرج جعفر بن فلاح لحربه، فهزمه الأعصم وقتله،

---

(١) تاريخ ابن خلدون ص٩٥٦.

(٢) قال ابن خلدون في موضع آخر: «كان للقرامطة علىٰ بني طفج بدمشق ضريبة يؤدونها إليهم، فلما ملك ابن فلاح بدعوة المعز قطع تلك الضريبة، وأسفهم بذلك فرجعوا إلىٰ دمشق وعليهم الاعصم ملكهم فبرز إليهم جعفر بن فلاح فهزموه وقتلوه، وملكوا دمشق وما بعدها، إلىٰ الرملة، وهرب من كان بالرملة وتحصنوا بيافا» المصدر تاريخ ابن خلدون ص٩٣١.

وملك دمشق وسار إلىٰ مصر فحاصر جوهرا بها وضيق عليه.

ثم غدر به العرب وأجفلوا فأجفل معهم وعاد إلىٰ الشام ونزل الرملة، وكتب إليه المعز سنة إحدى وستين بالنفي والتوبيخ وعزله عن القرامطة وولى بني طاهر فخرجوا من أوال ونهبوا الاحساء في غيبته، وكتب إليهم الطائع العباسي بالتزام الطاعة وأن يصالحوا ابن عمهم ويقيموا بجزيرة أوال وبعث من أحكم بينهم الصلح». انتهىٰ[1]

الهيئة العقدانية ترفض محاربة الحسن القرمطي للفاطميين:

يذكر ابن خلدون رفض العقدانية حرب الأعصم القرمطي ضد القائد جوهر الفاطمي وانهزامه وعودته إلىٰ الاحساء حيث قال: «ثم أرتحل منها إلىٰ الاحساء وأنكروا ما فعله الأعصم من البيعة لبني العباس، واتفقوا علىٰ إخراج الأمر عن ولد أبي سعيد الجنابي، وقدموا رجلين منهم: وهما جعفر وإسحاق وسار بنوا أبي سعيد إلىٰ جزيرة أوال.وكان بنوا أبي طاهر قبلهم فقتلوا كل من دخل إليهم من ولد أحمد بن أبي سعيد وأشياعه.ثم قام بأمر القرامطة جعفر وإسحاق هذان ورجعوا إلىٰ دعوة العلوية ومحاربة بني بويه، ورجعوا سنة أربع وستين إلىٰ الكوفة فملكوها. وبعث صمصام الدولة بن بويه العساكر إليهم فهزمهم علىٰ الفرات وقتل منهم واتبعوهم إلىٰ القادسية» انتهىٰ[2]

تاريخ التقاء وافتراق القرامطة والإسماعيليين:

في التاريخ القرمطي الفاطمي كانت هناك فترات التقاء وأيضًا هناك مواجهات دامية بين فترة وأخرى.

كانت بدايات الحركة القرمطية تتلقى توجيهاتها عن طريق الدعاة الاسماعيليين وأشهرهم عبد الله بن ميمون وكانت قرية سلمية بالشام مركز رئيسي يتلقى الدعاة

(١) تاريخ ابن خلدون ص٩٥٦ ص٩٥٧.

(٢) تاريخ ابن خلدون ص٩٥٧.

منها الأوامر والرسائل وكان دعاة القرامطة يرتبطون بالمركز الرئيس في الشام من خلال الداعي الرئيسي في سواد الكوفة حمدان القرمطي ومساعده عبدان.

يبدو أن هناك فجوة تاريخية مفقودة في العلاقة بين القرامطة والاسماعيليين وبالخصوص بعد قيام دولة أبو سعيد الجنابي في البحرين واختفاء حمدان القرمطي ومساعده عبدان المفكر القرمطي عن التاريخ وهما همزة الوصل بين الحركة القرمطية والدعوة الإسماعيلية، واختلف كثيرا في سبب ابتعادهما عن الأضواء التاريخية ومن هنا أصبح استغلال حقيقي لكل داعية قرمطي وهذا ما نلاحظه في الداعي القرمطي في البحرين أبو سعيد الجنابي وانفصاله التام عن التوجيهات الإسماعيلية، وهكذا كان الداعية القرمطي في السواد، وهو زكرويه بن مهروية وانتقاله إلىٰ الشام، وأسس قوة كبيرة بتحالفه مع الأعراب وهجومه علىٰ مركز الدعوة الإسماعيلية في قرة سلمية بالشام وانتقال الدعوة الإسماعيلية إلىٰ إفريقيا.

بالرغم من كل هذه الأحداث التاريخية السابقة نرى أن هناك علاقة قرمطية إسماعيلية استمرت بينهم وبالخصوص قرامطة البحرين فكانت هناك اتصالات بين أبو سعيد الجنابي ورجال الهيئة القرمطية بالبحرين والداعية الاسماعيلي بالمغرب عبيد الله العلوي وكانت الهيئة العقدانية تستشير القيادة الإسماعيلية في قراراتها في تعيين أفراد أسرة أبو سعيد علىٰ رأس الهرم القرمطي في البحرين واستمرت هذه العلاقة حتى قيام أبي طاهر الجنابي بالهجوم علىٰ الحجاج في عام ٣١٧هـ واقتلاع الحجر الأسود.

شاب العلاقة القرمطية الإسماعيلية قطيعة كبيرة بسبب هجوم أبي طاهر علىٰ مكة واقتلاع الحجر الأسود وجلبه إلىٰ ارض هجر فقام الداعية الاسماعيلي عبيد الله العلوي في القيروان بتوبيخ أبي طاهر وتهديده بل وصل الأمر إلىٰ أن لعنه بسبب عمله الإجرامي الكبير، وقال له: قد حققت علىٰ شيعتنا ودعاة دولتنا اسم الكفر والإلحاد بما فعلت وإن لم ترد علىٰ أهل مكة وعلى الحجاج وغيرهم ما أخذت منهم، وترد

الحجر الأسود إلىٰ مكانه وترد كسوة الكعبة فأنا بريء منك في الدنيا والآخرة.

وكان بداية التصادم الحقيقي بين القرامطة والفاطميين كما ذكر السيوطي: «وفي سنة سبع (٣٥٧هـ) ملك القرامطة دمشق، ولم يحج أحد فيها لا من الشام ولا من مصر، وعزموا علىٰ قصد مصر ليملكوها، فجاء العبيديون (الفاطميون) فأخذوها، وقامت دولة الرفض (التشيع لأهل البيت) في الأقاليم: المغرب، ومصر، والعراق، وذلك أن كافور الإخشيدي صاحب مصر لما مات اختل النظام وقلت الأموال علىٰ الجند، فكتب جماعة إلىٰ المعز يطلبون منه عسكرا ليسلموا إليه مصر، فأرسل مولاه جوهرا القائد في مائة ألف فارس فملكها ونزل موضع القاهرة اليوم واختطها، وبنى دار الإمارة للمعز، وهي المعروفة الآن بالقصرين وقطع خطبة بني العباس، ولبس السواد وألبس الخطباء البياض، وأمر أن يقال في الخطبة: اللهم صل علىٰ محمد المصطفى، وعلى علي المرتضى، وعلى فاطمة البتول، وعلى الحسن والحسين سبطي الرسول، وصل علىٰ الأئمة آباء أمير المؤمنين المعز بالله، وذلك كله في شهر شعبان سنة ثمان وخمسين.

ثم في ربيع الآخر سنة تسع وخمسين أذنوا في مصر بحي علىٰ خير العمل وشرعوا في بناء الجامع الأزهر، ففرغ في رمضان سنة إحدى وستين»[1]

مما أدى كل ذلك إلىٰ قيام الأعصم بالتوجه إلىٰ مصر عام ٣٦٢هـ لقتال جوهر. حتى وصل مصر وقد أشرف علىٰ أخذ مصر من الفاطميين وذلك كان بمساعدة الأعراب في الشام، مما حدا بالمعتز لدين الله لكتابة كتاب أرسله للمعتصم جاء فيه: «من عبد الله ووليه وخيرته وصفيه معد أبي تميم بن إسماعيل المعز لدين الله أمير المؤمنين، وسلالة خير النبيين ونجل علي أفضل الوصيين إلىٰ الحسن بن أحمد، ونسخة الكتاب: «بسم الله الرحمن الرحيم» ـ رسوم النطقاء ومذاهب الأئمة

(١) تاريخ الخلفاء ـ السيوطي ـ ص٣٥١ ـ المكتبة العصرية بيروت.

والأنبياء ومسالك الرسل والأوصياء، السلف والآنف منا صلوات الله علينا وعلى آبائنا، أولى الأيدي والأبصار في متقدم الدهور والأكوار وسالف الأزمان والأعصار عند قيامهم بأحكام الله، وانتصابهم لأمر الله، بالابتداء بالإعذار والانتهاء بالإنذار، قبل إنفاذ الأقدار في أهل الشقاق والإصرار، لتكون الحجة علىٰ من خالف وعصى، العقوبة علىٰ من بان وغوى، حسبما قال الله جل وعز: ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولًا﴾، ﴿وَإِنْ مِنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلا فِيهَا نَذِيرٌ﴾، وقوله سبحانه: ﴿قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلىٰ اللَّهِ علىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾، ﴿فَإِنْ آمَنُوا بِمِثْلِ مَا آمَنْتُمْ بِهِ فَقَدِ اهْتَدَوْا وَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا هُمْ فِي شِقَاقٍ﴾، أما بعد أيها الناس: فإنا نحمد الله بجميع محامده ونمجده بأحسن مماجدة، حمدًا دائمًا أبدًا ومجدًا عاليًا سرمدا، علىٰ سبوغ نعمائه وحسن بلائه، ونبتغي إليه الوسيلة بالتوفيق والمعونة، علىٰ طاعته والتسديد في نصرته، ونستكفيه ممايلة الهوى والزيغ عن قصد الهدى، ونستزيد منه إتمام الصلوات وإفاضة البركات وطيب التحيات، علىٰ أوليائه الماضين وخلفائه التالين، منا ومن آبائنا الراشدين المهديين المنتخبين، الذين قضوا بالحق وكانوا به يعدلون. أيها الناس قد جاءكم بصائر من ربكم فمن أبصر فلنفسه ومن أعمى فعليها» ليذكر من تذكر وينذر من أبصر واعتبر. أيها الناس: إن الله جلّ وعز إذا أراد أمرًا قضاه، وإذا قضاه أمضاه، وكان من قضائه فينا قبل التكوين أن خلقنا أشباحًا، وأبرز أرواحنا بالقدرة مالكين، وبالقوة قادرين، حين لا سماء مبينة، ولا أرض مدحية، ولا شمس تضيء، ولا قمر يسرى، ولا كوكب يجري، ولا ليل يجن، ولا أفق يكن، ولا لسان ينطق ولا جناح يخفق، ولا ليل؛ ولا نهار، ولا فلك دوار، ولا كوكب سيار، فنحن أول الفكرة، وآخر العمل بقدر ومقدور، وأمر في القدوم مبرور، فعندما تكامل الأمر وصح العزم أنشأ الله جل وعز المنشآت فأبدأ الأمهات من هيولانا، فطبعنا أنوارًا وظلمة وحركة، وسكونا، فكان من حكمة السابق في عمله ما ترون من فلك دوار، وكوكب سيار، وليل ونهار، وما في الآفاق من آثار

معجزات، وأقدار باهرات، وما في الأقطار من الآثار، وما في النفوس من الأجناس والصور والأنواع، من كثيف ولطيف، وموجود ومعدوم وظاهر وباطن، ومحسوس وملموس، ودان وشاسع، وهابط وطالع كل ذلك لنا ومن أجلنا، دلالة علينا وإشارة إلينا، يهدي الله ما كان له لب سجيح، ورأى صحيح، قد سبقت منا له الحسنى، فدان بالمعنى، ثم إنه جل وعلا أبرز من مكنون العلم ومخزون الحكم آدم وحواء أبوين ذكرًا وأنثى، سببًا لإنشاء البشرية، ودلالة لإظهار القدرة القوية الكونية، وزوج بينهما فتوالدا الأولاد، وتكاثرت الأعداد، ونحن ننقل في الأنصاب الزكية والأرحام الطاهرة المريضة، كلمنا ضمنا من صلب ورحم أظهر منا قدرة وعلمًا وهلم جرا إلىٰ آخر الجد الأول والأب الأفضل سيد المرسلين وإمام النبيين أحمد ومحمد صلوات الله عليه وعلى آله في كل ناد ومشهد، فحسن آلاؤه وبان غناؤه، وأباد المشركين وقصم الظالمين، وأظهر واستعمل الصدق، وبان بالأحدية ودان بالصمدية، فعندها، فعندها سقطت الأصنام وانعقد الإسلام، وظهر الأيمان وبطل السحر والقربان، وارتفع الكفر والطغيان، وخمدت بيوت النيران وهربت عبدة الأوثان، وأتى بالقرآن شاهدًا بالحق والبرهان فيه خير ما كان وما يكون إلىٰ يوم الوقت المعلوم، مبينًا عن كتب تقدمت في صحف قد نزلت، تبيانًا لكل شيء وهدى ورحمة ونورًا وسراجًا منيرًا، وكل ذلك دلالات لنا ومقدمات بين أيدينا، وأسباب لإظهار أمرنا، هدايات وشهادات، وسعادات قدسيات ألاهيات أوليات كائنات، منشآت مبديات معيدات وما من ناطق نطق ولا نبي بعث ولا وصى ظهر إلا قد أشار إلينا، ولوح بنا ودل علينا في كتابه وخطابه، ومنار أعلامه ومرموز كلامه، ما هو موجود غير معدوم وظاهر وباطن، يعلمه من سمع الندا أو شاهد ورأى، من الملأ الأعلى، فمن أغفل منكم أو نسى أو ضل أو غوى فلينظر في الكتب الأولى والصحف المنزلة، وليتأمل آي القرآن وما فيه من البيان، وليسأل أهل الذكر إن كان لا يعلم، فقد أمر الله عز وجل ﴿فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لا تَعْلَمُونَ﴾.

فكان الجواب من الحسن بن أحمد القرمطي الأعصم: وصل إلينا كتابك الذي طال تفصيله وقل تحصيله، ونحن سائرون علىٰ أثره والسلام». انتهىٰ[١]

ولكن المعز الفاطمي استطاع هزيمة القرمطي بمكيدة استخدمها معه وهي رشوة القادة الأعراب في جيش القرمطي وخصوصا أعراب الشام وشراء ولائهم بهذه الطريقة استطاع شراء ولاء حسان بن الجراح الطائي، أمير العرب بالشام ومعه جمع عظيم. وبذل له مائة ألف دينار إن هو خالف القرمطي، فأجابه ابن الجراح إلىٰ ما طلب منه، فاستحلفوه فحلف أنه إذا وصل إليه المال المقرر انهزم بالناس.

قال ابن الأثير: «فأحضروا المال، فلما رأوه استكثروه، فضربوا أكثرها دنانير من صفر وألبسوها الذهب، وجعلوها في أسافل الأكياس، وجعلوا الذهب الخالص علىٰ رؤوسها، وحمل إليه، فأرسل إلىٰ المعز أن يخرج في عسكره يوم كذا ويقاتلوه وهو في الجهة الفلانية فإنه ينهزم، ففعل المعز ذلك فانهزم وتبعه العرب كافة، فلما رآه الحسن القرمطي منهزما تحير في أمره، وثبت، وقاتل بعسكره، إلا أن عسكر المعز طمعوا فيه وتابعوا الحملات عليه من كل جانب، فأرهقوه، فولى منهزما، واتبعوا أثره، وظفروا بمعسكره فأخذوا من فيه أسرى، وكانوا نحو ألف وخمسمائة أسير، فضربت أعناقهم، ونهب ما في المعسكر.

وجرد المعز القائد أبا محمد بن إبراهيم بن جعفر في عشرة آلاف رجل، وأمره بإتباع القرامطة والإيقاع بهم، فاتبعهم، وتثاقل في سيره خوفا أن ترجع القرامطة إليه، وأما هم فإنهم ساروا حتى نزلوا أذرعات، وساروا منها إلىٰ بلدهم الاحساء، ويظهرون أنهم يعودون». انتهىٰ[٢]

---

(١) نهاية الأرب في فنون الأدب النويري.

(٢) الكامل في التاريخ ـ ابن الأثير ج٨ ص٦٣٩.

القرامطة ودولة بني الأخيضر بنجد

كان موقع دولة بني الأخيضر الطالبين في اليمامة (الخرج) وأول ملوكها هو محمد بن الأخيضر بن يوسف بن إبراهيم الجون، بن عبد الله، بن الحسن المثنى، بن حسن السبط، بن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب ﷺ وكان استيلاؤهم عليها أيام المستعين الخليفة العباسي[1] واستمر حكمهم لليمامة إلىٰ أن غلب عليهم القرامطة وأزالوا دولتهم[2].

للتعرف علىٰ دولة بني الأخيضر من قرب ومعرفة تفاصيل تلك الدولة نذكر ما أشار إليه المؤرخون ومنهم ناصر خسروا التي زار دولتهم وترك لنا مشاهداته بقوله: «وبالاختصار بلغنا اليمامة بعد مسيرة أربعة أيام بلياليها وباليمامة حصن كبير قديم والمدينة والسوق حيث صناع من كل نوع يقعان خارج الحصن وبها مسجد جميل وأمراؤها علويون منذ القديم ولم ينتزع أحد هذه الولاية منهم إذ ليس بجوارهم

---

(١) المستعين هو أحمد بن محمد بن محمد المعتصم، تولى الحكم بعد وفاة المنتصر محمد بن جعفر المتوكل سنة ٢٤٨هـ وخلع المستعين نفسه وسلم الخلافة إلىٰ المعتز في محرم سنة ٢٥٢هـ فكانت خلافته منذ بويع إلىٰ أن خلع ثلاث سنين وثمانية أشهر وثمانية وعشرين يوما ومنذ خلع إلىٰ أن قتل تسعة أشهر . (التنبيه والإشراف ـ المسعودي ص ٣٣١).

(٢) صبح الأعشى ـ القلشندي .

سلطان أو ملك قاهر وهؤلاء العلويون ذوو شوكة فلديهم ثلاثمائة أو أربعمائة فارس ومذهبهم الزيدية وهم يقولون في الإقامة محمد وعلي خير البشر وحي علىٰ خير العمل وقيل إن سكان هذه المدينة شريفية خاضعون للأشراف وباليمامة مياه جارية في القنوات وفيها نخيل وقيل إنه حين يكثر التمر يباع الألف من منه بدينار ومن اليمامة إلىٰ الحسا أربعون فرسخًا ولا يتيسر الذهاب إليها إلا في فصل الشتاء حين تتجمع مياه المطر فيشرب الناس منها ولا يكون ذلك في الصيف»انتهى[١]

وقال أبي الفداء المتوفى عام ٧٣٢هـ في رسم اليمامة: بفتح المثناة من تحت والميم وألف وميم وهاء، واليمامة مدينتها دون مدينة الرسول وهي أكثر نخيلا من سائر الحجاز قال في اللباب وهي مدينة بالبادية من بلاد العوالي وبها كان قد تنبى مسيلمة الكذّاب وهي بلاد بني حنيفة واليمامة عن البصرة ست عشرة مرحلة وعن الكوفة مثل ذلك وأخبرني من رآها في زماننا هذا أن بها أناسا وقليل نخيل قال ولها واد يسمى الخرج وهي أسفل الوادي والخرج بخاء معجمة مفتوحة ورآء مهملة ساكنة وفي آخرها جيم قال في الصحاح الخرج موضع باليمامة واليمامة في سمت الشرق عن مكة وهي في مستو من الأرض ووادي اليمامة الخرج وبه عدة قرى وبها الحنطة والشعير كثير[٢] بقرب اليمامة عين ماء متسعة يسرح مآؤها والحسا والقطيف شرقي اليمامة علىٰ نحو أربع مراحل قال في القانون واسم اليمامة في القديم جوّ بفتح الجيم».

كما أضاف أبي الفداء في رسم الحجر بقوله: والحجر مدينة اليمامة ولها ذكر فتكون في طول اليمامة وعرضها وقال بعضهم أنها عن اليمامة مسيرة يوم وليلة قال واليمامة والحجر منازل بني حنيفة وبعض مضر وبحجر قبور الشهدآء الذين قتلوا

---

(١) سفرنامة ـ ناصر خسرو.

(٢) قال أبي الفداء في رسم الاحساء: أهل الاحساء والقطيف يجلبون التمر إلىٰ الخرج ووادي اليمامة ويشترون بكل راحلتين من التمر راحلة من الحنطة. تقويم البلدان ص٩٩.

في حرب مسيلمة الكذاب في خلافة أبي بكر رضي الله عنه وحجر عن اليمامة في الغرب والشمال وبينهما نحو مرحلتين وقد ذكر في اللباب الحجر بضم الحآء المهملة وسكون الجيم قال وهو موضع باليمن ينسب إليه احمد بن عبد الله الهذلي الشاعر الحجري» انتهى(١)

وقال القلقشندى في ذكر ملوكها: «قال صاحب العبر: كانت هي والطائف بيد بني هزان بن يعفر بن السكسك، إلىٰ أن غلبهم عليها طسم. ثم غلبها عليها جديس، ومنهم زرقاء اليمامة، ثم استولى عليها بنو حنيفة وكان منهم هوذة بن علي، وهو الذي كتب إليه النبي صلى الله عليه وسلم يدعوه إلىٰ الإسلام. ثم ملكها من بني حنيفة ثمامة بن أثال علىٰ عهد النبي صلى الله عليه وسالم، وأسر ثم أسلم، ثم كان بها منهم مسلمة الكذاب زمن أبي بكر الصديق رضي الله عنه وقتل في حرب المسلمين معه. وكان لبني الأخيضر من الطالبيين بها دولةٌ، وأول من ملكها منهم محمد بن الأخيضر بن يوسف، بن إبراهيم، بن موسى الجون، بن عبد الله، بن الحسن المثنى،بن الحسن السبط ؛ ابن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه.وكان استيلاؤه عليها أيام المستعين الخليفة العباسي. ثم ملكها بعده ابنه يوسف ثم ابنه الحسن ثم ابنه أحمد ولم يزل ملكها فيهم إلىٰ أن غلب عليهم القرامطة، علىٰ ما تقدم ذكره في الكلام علىٰ بلاد البحرين.

قال ابن سعيد: وسألت عرب البحرين في سنة، لمن اليمامة اليوم؟ فقالوا لعربِ من قيس عيلان وليس لبني حنيفة بها ذكر. قلت ولم أقف لعربها علىٰ ذكر ما في المكاتبات السلطانية بالديار المصرية». انتهى(٢)

ذكر ابن خلدون في تاريخه قوله: «فلما هلك إسماعيل ولى من بعده أخوه الحسن، وبعده ابنه أحمد بن الحسن. ولم يزل ملكهم فيهم إلىٰ أن غلب عليهم

---

(١) كتاب تقويم البلدان ـ أبي الفداء ص٩٦.

(٢) صبح الأعشى ـ القلقشندي .

القرامطة، وانقرض أمرهم والبقاء لله. وكان بمدينة غانة من بلاد السودان بالمغرب مما يلي البحر المحيط ملك بني صالح، ذكرهم صاحب كتاب زجار في الجغرافيا ولم نقف علىٰ نسب صالح هذا من خبر يعول عليه. وقال بعض المؤرخين: إنه صالح بن عبد الله بن موسى بن عبد الله الملقب أبا الكرام بن موسى الجون، وإنه خرج أيام المأمون بخرسان، وحمل إليه وحبسه وابنه محمد من بعده، ولحق بنوه بالمغرب فكان لهم ملك في بلدة غانة. ولم يذكر ابن حزم في أعقاب موسى الجون صالحا هذا بهذا النسب، ولعله صالح الذي ذكرناه آنفا في ولد يوسف بن محمد الاخيضر والله أعلم». انتهىٰ[1]

علاقة القرامطة بدولة بني الأخيضر:

من الغريب في الأمر أن هناك علاقة مذهبية مشتركة بين القرامطة وبني الأخيضر وهي الدعوة الإسماعيلية للقرامطة والدعوة الزيدية لبني الاخيضر وهما دعوتان شيعيتان الهوى يتمذهب بهما الطرفان، يجمعهما هدف واحد وهو الإطاحة بالحكم العباسي لهذا كان لبني الاخيضر دور المشاركة في حروب القرامطة ضد الدولة العباسية، وسلمت إليهم الكوفة في عهد القرمطي أبو طاهر الجنابي وذلك في بداية عام ٣١٣هـ عندما أعترض أبو طاهر سليمان بن حسن بن بهرام الجنابي الحاج في بدأ موسم الحج بخمسمائة فارس وستمائة راجل وظفره ببعضهم ورجوع الباقيين إلىٰ الكوفة ومدينة السلام، ومسيرته إلىٰ الكوفة وحربه مع رؤساء الأجناد الذين جردوا للقائه، فهزمهم وقتل منهم وأسر بعضهم، وذلك يوم الأحد لاثنتي عشرة ليلة بقيت من ذي القعدة من عام ٣١٣هـ ثم سار القرمطي أبو طاهر عن الكوفة إلىٰ الاحساء وقام بتسليم البلد إلىٰ إسماعيل بن يوسف بن محمد بن يوسف المعروف بالاخيضر صاحب اليمامة.[2]

---

(١) تاريخ ابن خلدون ـ ابن خلدون ـ ص٩٦٢.

(٢) التنبيه والإشراف ـ المسعودي ـ ص ٣٤٦ ـ ٣٤٧ دار ومكتبة الهلال.

وبالتالي هناك تحالف بين القرامطة ودولة بني الاخيضر ضد الدولة العباسية[١] ومما تقدم يتبين مشاركة جيوش بني الاخيضر جنبا إلىٰ جنب مع جيش أبو طاهر القرمطي مما أدى إلىٰ مكافأتهم بتسليمهم الكوفة عند عودته إلىٰ البحرين .

ولكن يبدو أن هذا التحالف ضد الدولة العباسية انتهىٰ في أواخر العهد القرمطي واعتقد أن انتهاء التحالف يرجع لأحد سببين أثنين:

أولا: بعد وفاة الأعصم آخر حاكم قرمطي من أحفاد أبي سعيد الجنابي واستلام الهيئة العقدانية للحكم، التي كانت غاضبة علىٰ الأعصم القرمطي لمحاربته للدولة الفاطمية التي يرونها المرجع الديني لمذهبهم، وتحالفه مع البويهيين المستلمين لزمام الحكم العباسي ضد الفاطميين. مع العلم أن الدولة العباسية هي العدو التقليدي للقرامطة، واحد أهداف قيام دولتهم هو الإطاحة بالدولة العباسية، مما أضطر قيادات القرامطة في هذه الهيئة لمحاربة البويهيين الذين يتمذهبون بالمذهب الزيدي كما يرى بعض المؤرخين (وهناك من يرى أنهم شيعة اثنا عشرية) فكان ضريبة هذا العداء أن تم محاربة حلفاء الأمس وهم بنو الاخيضر الذين يتمذهبون بالمذهب الزيدي وتم إنهاء دولتهم من قبل القرامطة في وسط صحراء نجد.

ثانيًا: قد يكون سبب إسقاط التحالف القرمطي الاخيضري، هو عندما تحالف المعتصم القرمطي مع الدولة العباسية ضد الفاطميين بسبب عدم قبول الفاطميين تسليم الاتاوة المفروضة علىٰ حاكم مصر السابق الإخشيدي، وشن حرب علىٰ الفاطميين بمساعدة عباسية ضد الفاطميين مستفيدين

---

(١) ويتضح مدى العلاقة بين القرامطة وبني الاخيضر ماذكره أبي الفرج الأصفهاني في كتابه مقاتل الطالبيين قوله: «وقتل بناحية اليمامة جماعة منهم يقال لهم: بنو الاخيضر لم تقع إلينا أنسابهم . ثم استولوا عليها وعظم شأنهم فيها في عز القرامطة، وبلادهم في منعه لايقدر معها عليهم». انتهى

من تهور المعتصم القرمطي، وبما كان في السابق هدف مشترك بن القرامطة وبنى الاخيضر علىٰ إسقاط الدولة العباسية، فتحالف الأعصم مع العباسيين أنهى هذا التحالف إلىٰ عداء، وغلب القرامطة آخرا علىٰ دولة بني الاخيضر. وللمزيد من المعلومات عن هذه الدولة الدارسة ممكن الرجوع لمقالنا في شبكة راصد الإخبارية بعنوان ـ دولة بني الاخيضر العلوية بنجد.

القرامطة والدولة العباسية

قامت دولة القرامطة الهجرية في العهد العباسي عام ٢٨٧هـ بعد هزيمة الجيش العباسي من قبل أبو سعيد الجنابي بالرغم من قلة عدد جيشه، وعدت هذه المعركة من عجائب الدنيا الثلاث لدى العرب، وبعد بروز القرامطة كقوة في المنطقة كانت هناك مراحل مد وجزر في العلاقات العباسية القرمطية حتى انتهاء القرامطة في أواخر الحكم العباسي، وهذه المراحل هي كالتالي

المرحلة الأولى: هي فترة حكم عائلة أبو سعيد الجنابي وأبناؤه وقد كانت العلاقة بينهم في مدّ وجزر وفيما يلي تلك العلاقة:

في الفترة من عام ٢٨٧هـ حتى مقتل أبو سعيد عام ٣٠٠هـ كانت تلك الفترة فترة تصادم واقتتال وجفاء بين العباسيين والقرامطة وكانت فيها أشهر حرب المعروفة بموقعة آفان بين أبي سعيد الجنابي وعباس الغنوي في قرية آفان القطيفية.

حتى أن المعتضد العباسي[1] كان يرغب الانتقام من أبو سعيد الجنابي قبل

---

(١) هو المعتضد بالله أبو العباس أحمد بن الموفق بن المتوكل كان مولده في ذي الحجة سنة اثنتين وأربعين ومائتين وتوفي في سنة تسع وثمانين ومائتين .

وفاته. ولكن وافته المنيه قبل تحقيق رغبته. وقد ذكر المقريزي تلك الرسالة التي أرسلها أبو سعيد الجنابي إلىٰ المعتضد العباسي، مع أسيره عباس الغنوي قوله: «قال: تقول له: الذي أنزل بجيشك ما أنزل بغيك، هذا بلد خارج عن يدك، غلبت عليه، وقمت به، وكان بي من الفضل ما آخذ به غيره، فما عرضت لما كان في يدك، ولا هممت به، ولا أخفت لك سبيلًا، ولا نلت أحدًا من رعيتك بسوء؛ فتوجيهك إلي الجيوش لأي سبب؟ اعلم أني لا أخرج عن هذا البلد، ولا توصل إليه وفي هذه العصابة التي معي روح، فأكفني نفسك، ولا تتعرض لما ليس لك فيه فائدة، ولا تصل إلىٰ مرادك منه إلا ببلوغ القلوب الحناجر.

وأطلقه، وبعث معه من يرده إلىٰ مأمنه، فوصل إلىٰ بغداد في شهر رمضان، وقد كان الناس يعظمون أمره ويكثرون ذكره، ويسمونه قائد الشهداء، فلما وصل إلىٰ المعتضد عاتبه علىٰ تركه التحرز فاعتذر، ولم يبرح حتى رضى عنه.

وسأله عن خبره، فعرفه جميعه، وبلغه ما قال القرمطي، فقال: صدق، ما أخذ شيئًا كان في أيدينا.

وأطرق مفكرًا، ثم رفع رأسه وقال: كذب عدو الله الكافر، المسلمون رعيتي حيث كانوا من بلاد الله، والله لئن طال بي عمري لأشخصن بنفسي إلىٰ البصرة وجميع غلماني، ولأوجهن إليه جيشًا كثيفًا، فإن هزمه وجهت جيشًا، فإنه هزمه خرجت في جميع قوادي وجيشي إليه حتى يحكم الله بيني وبينه.

فشغل المعتضد عن القرمطي بأمر وصيف غلام أبي الساج.

ثم توفي في ربيع الآخر سنة تسع وثمانين ومائتين، وما يزال يذكر أبا سعيد الجنابي في مرضه، ويتلهف ويقول: حسرة في نفسي كنت أحب أن أبلغها قبل موتي، والله لقد كنت وضعت عند نفسي أن أركب ثم أخرج نحو البحرين، ثم لا ألقى أحدًا أطول من سيفي إلا ضربت عنقه، وإني أخاف أن يكون من هناك حوادث عظيمة.

وأقبل أبو سعيد بعد إطلاق العباس علىٰ جمع الخيل، وإعداد السلاح، ونسج الدروع والمغافر، واتخاذ الإبل، وإصلاح الرجال، وضرب السيوف والأسنة، واتخاذ الروايا والمزاد والقرب، وتعليم الصبيان الفروسية، وطرد الأعراب من قريته، وسد الوجوه التي يتعرف منها أمر بلده وأحواله بالرجال، وإصلاح أراضي المزارع وأصول النخل، وإصلاح مثل هذه الأمور وتفقدها، ونصب الأمناء علىٰ ذلك، وأقام العرفاء علىٰ الرجال، واحتاط علىٰ ذلك كله، حتى بلغ من تفقده أن الشاة إذا ذبحت يتسلم العرفاء اللحم ليفرقوه علىٰ من ترسم لهم، ويدفع الرأس والأكارع والبطن إلىٰ العبيد والإماء، ويجز الصوف والشعر من الغنم ويفرقه علىٰ من يغزله، ثم يدفعه إلىٰ من ينسجه عبيا وأكسية وغرائر وجوالقات، ويفتل منه حبال، ويسلم الجلد إلىٰ الدباغ، ثم إلىٰ خرازى القرب والروايا، والمزاد؛ وما كان من الجلود يصلح نعالا وخفا فأعمل منه، ثم يجمع ذلك كله إلىٰ خزائن.(١)

ومن الصدامات التي حصلت في هذه الفترة منها ما ذكره ابن الأثير من أحداث سنة تسع وثمانين ومائتين انتشار القرامطة في سواد الكوفة فهاجمهم المعتضد العباسي حيث قال ابن الأثير: «انتشر القرامطة بسواد الكوفة، فوجه المعتضد إليهم شبلا غلام أحمد بن محمد الطائي، وظفر بهم، وأخذ رئيسا لهم يعرف بأبي الفوارس فسيره إلىٰ المعتضد فأحضره بين يديه وقال له: أخبرني هل تزعمون أن روح الله تعالى وأرواح أنبيائه تحل في أجسادكم فتعصمكم من الزلل وتوفقكم لصالح العمل؟ فقال لهذا ياهذا إن حلت روح الله فينا فما يضرك؟ وإن حلت روح إبليس فما ينفعك؟ فلا أقول:ما لايعنيك وسل عما يخصك فقال: ما تقول فيما يخصني؟ قال أقول: إن رسول الله، صلى الله عليه (وآله) وسلم، مات وأبوكم العباس حيّ، فهل طالب بالخلافة أم هل بايعه أحد من الصحابة علىٰ ذلك؟ ثم مات أبو بكر فاستخلف عمر، وهو يرى موضع العباس ولم يوص إليه، ولا أدخله فيهم، فبماذا تستحقون انتم

---

(١) اتعاظ الحنفاء بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفاء المقريزي.

الخلافة وقد اتفق الصحابة علىٰ دفع جدك عنها. فأمر به المعتضد فعُذِّب، وخلعت عظامه، ثم قطعت يداه ورجلاه ثم قتل». انتهى[1]

المرحلة الثانية: في الفترة من عام ٣٠٠هـ حتى استلام أبو طاهر الجنابي للحكم عام ٣١٠هـ كانت فترة مهادنه لمجلس السادة مع العباسيين وعملوا بوصية أبو سعيد علىٰ تسليم الحكم لابنه أبو طاهر.

المرحلة الثالثة: منذ استلام أبو طاهر للحكم، عادت القوة العدائية القرمطية تجاه الدولة العباسية وهاجم مدن الخلافة العباسية حتى عام ٣٢٢هـ مما أضطر الخلافة العباسية إرضاء أبو طاهر بعد أن عظمت قوته وأصبح مصدر خوف بالنسبة للخلافة العباسية، حتى أرسل محمد بن ياقوت حاجب الخليفة رسولا إلىٰ أبي طاهر القرمطي يدعوه إلىٰ طاعة الخليفة ليقره علىٰ ما بيده من البلاد ويقلده بعد ذلك ما شاء من البلدان ويحسن إليه، ويلتمس منه أن يكف عن الحاج جميعهم وأن يرد الحجر الأسود إلىٰ موضعه بمكة، فأجاب أبو طاهر إلىٰ أنه لا يتعرض للحاج ولا يصيبهم بمكروه ولم يجب إلىٰ رد الحجر الأسود إلىٰ مكة وسأل أن يطلق الميرة من البصرة ليخطب للخليفة في أعمال هجر.[2]

وفي الحقيقة أن ما قامت به الخلافة العباسية تجاه أبو طاهر كان بسبب الخلاف الذي وقع بين أبي طاهر والمرجع الاسماعيلي أبا محمد عبيد الله العلوي بافريقية، وغضبه علىٰ أبو طاهر الجنابي بسبب اقتلاعه للحجر الأسود ونقله إلىٰ هجر، فكانت هناك قطيعة بين الاسماعيلين الذين اعترفوا بحكومة القرامطة منذ قيامها علىٰ يد أبي

---

(١) ابن الأثير ـ ج٧ ص٥١٢.

(٢) الكامل في التاريخ ـ ابن الأثير ـ ج٨ ص٢٩٥.

سعيد ولكن هذا الاعتراف انقطع بسبب أعمال أبو طاهر.

المرحلة الرابعة: ومنذ وفاة أبو طاهر عادت العلاقات الطبيعية من جديد مع الفاطميين وساد العداء التقليدي مع العباسيين،

المرحلة الخامسة: عهد الأعصم، وظهور قوة ثالثة في المنطقة وهي الدولة الفاطمية التي قطعت الإتاوات القادمة من الشام ومصر لصالح القرامطة مما أدى إلىٰ تمرد القرامطة علىٰ رؤسائهم والزعماء الروحيين لهم، وكذلك تحالف العباسيين مع القرامطة علىٰ قتال الفاطميين وقد ذكر المؤرخون ذلك التمرد بالتفصيل:

قال ابن الأثير: «في هذه السنة (ثلاث وستين وثلاثمائة) سار القرامطة، ومقدمهم الحسن بن أحمد، من الاحساء إلىٰ ديار مصر فحصرها ولما سمع المعز لدين الله صاحب مصر بأنه يريد قصد مصر كتب إليه كتابا يذكر فيه فضل نفسه وأهل بيته وأن الدعوة واحده وأن القرامطة إنما كانت دعوتهم إليه والى أبائه من قبله، ووعظه وبالغ، وتهدده، وسير الكتاب إليه.

فكتب جوابه: ووصل كتابك الذي قل تحصيله وكثر تفضيله ونحن سائرون إليك علىٰ أثره، والسلام.

وسار حتى وصل إلىٰ مصر فنزل علىٰ عين شمس بعسكره، وأنشب القتال وبث السرايا في البلاد ينهبونها فكثرت جموعه وأتاه من العرب خلق كثير وكان ممن أتاه حسان بن الجراح الطائي، أمير العرب بالشام ومعه جمع عظيم.

فلما رأى المعز كثرة جموعه استعظم ذلك وأهمه وتحيّر في أمره ولم يقدم علىٰ إخراج عسكره لقتاله، واستشار أهل الرأي من نصحائه فقالوا: ليس حيلة غير السعي في تفريق كلمتهم وإلغاء الحلف بينهم، ولا يتم ذلك إلا بابن الجراح، فراسله المعز

واستماله، وبذل له مائة ألف دينار إن هو خالف علىٰ القرمطي، فأجابه ابن الجراح إلىٰ ما طلب منه، فاستحلفوه فحلف أنه إذا وصل إليه المال المقرر انهزم بالناس.

فأحضروا المال، فلما رأوه استكثروه، فضربوا أكثرها دنانير من صفر وألبسوها الذهب، وجعلوها في أسافل الأكياس، وجعلوا الذهب الخالص علىٰ رؤوسها، وحمل إليه، فأرسل إلىٰ المعز أن يخرج في عسكره يوم كذا ويقاتلوه وهو في الجهة الفلانية فإنه ينهزم، ففعل المعز ذلك فانهزم وتبعه العرب كافة، فلما رآه الحسن القرمطي منهزما تحير في أمره، وثبت، وقاتل بعسكره، إلا أن عسكر المعز طمعوا فيه وتابعوا الحملات عليه من كل جانب، فأرهقوه، فولى منهزما، واتبعوا أثره، وظفروا بمعسكره فأخذوا من فيه أسرى، وكانوا نحو ألف وخمسمائة أسير، فضربت أعناقهم، ونهب ما في المعسكر.

وجرد المعز القائد أبا محمد بن إبراهيم بن جعفر في عشرة آلاف رجل، وأمره بإتباع القرامطة والإيقاع بهم، فاتبعهم، وتثاقل في سيره خوفا أن ترجع القرامطة إليه، وأما هم فإنهم ساروا حتى نزلوا أذرعات، وساروا منها إلىٰ بلدهم الاحساء، ويظهرون أنهم يعودون». انتهىٰ[1]

الحكم العباسي وتهمة القرمطة

قامت الدولة العباسية بمحاربة القرامطة حتى أصبح اسم القرامطة تهمه ترمى علىٰ كل مخالف للحكم العباسي أو مخالف للفكر المذهبي العباسي ولرغبة في التخلص من أي خصم، كانت تهمة القرمطة كفيلة بقتله وهناك شخصيات مشهورة تم التخلص منها بتهمه كاذبة وهي القرمطة ومن هذه الشخصيات:

الحلاج:

من الشخصيات التي اتهمت بالقرمطة الحلاج: حسين بن منصور الحلاج وفي

---

(١) الكامل في التاريخ ـ ابن الأثير ج٨ ص٦٣٩.

حقيقة الرجل كما يتضح لي انه متصوف ولا علاقة له بالقرامطة.

يقول الذهبي عن محنة الحلاج سنة إحدى وثلاثمائة: وفيها أدخل حسين بن منصور الحلاج مشهورا علىٰ جمل إلىٰ بغداد، وكان قد قبض عليه بالسوس وحمل إلىٰ علي بن احمد الراسبي، فأقدمه إلىٰ الحضرة، فصلب حيا، ونودي عليه: هذا أحد دعاة القرامطة فاعرفوه. ثم حبس في دار السلطان.

وقال أبو بكر الصولي: جالست الحلاج، فرأيت جاهلا يتعاقل، وعيا يتبالغ، وفاجرا يتزهد. وكان ظاهره أنه ناسك، فإذا علم أن أهل بلدته يرون الاعتزال صار معتزليا، أو يرون التشيع تشيع، أو يرون التسنن تسنن، وكان يعرف الشعبذة والكيمياء والطب.[١] وفي أحداث سنة تسع وثلاثمائة فيها قتل الحلاج.[٢]

ابن الفرات:

المقتدر يتهم أبن الفرات بالتشيع ومكاتبة القرمطي:ذكر ابن الجوزي قوله: «سنة اثنتي عشرة وثلاثمائة فمن الحوادث فيها: أن في هذه السنة: ضعف أمر أبي الحسن ابن الفرات بعد قوته، وكان السبب أنه ورد الخبر في محرم هذه السنة بأن أبا طاهر بن أبي سعيد الجنابي ورد إلىٰ الهبير ليلتقي حاج سنة إحدى عشرة وثلاثمائة في رجوعهم، وأوقع ببعض الحاج، ومضى بعضهم علىٰ غير الطريق، فعارضهم أبو طاهر وقاتلهم يوم الأحد لاثنتي عشرة ليلة بقيت من المحرم سنة اثنتي عشرة، فقتل منهم قتلًا مسفًا وأسر أبا الهيجاء عبد الله بن حمدان، وكان إليه الكوفة وطريق مكة وبذرقة الحاج، وأسر معه جماعة من خدم السلطان وأسبابه، وأخذ جمال الحاج وسبى من اختار من النساء والرجال والصبيان، وسار بهم إلىٰ هجر، وترك باقي الحاج في مواضعهم بلا جمال ولا زاد، وكانت سن أبي طاهر في ذلك الوقت سبع

---

(١) الذهبي ج٢٣ ص٣٥ تاريخ الإسلام.
(٢) الذهبي ج٢٣ ص٢٩.

عشرة سنة، فمات أكثر الحاج بالعطش والحفاء، وحصل له ما حزر من الأموال ألف ألف دينار، ومن الأمتعة والطيب وغير ذلك بنحو ألف ألف، وكان جميع عسكره نحوًا من ثماني مائة فارس، ومثلهم رجالة، فانقلبت بغداد، وخرجت النساء منشورات الشعور مسودات الوجوه يلطمن ويصرخن في الشوارع، وانضاف إليهن حرم المنكوبين الذين نكبهم ابن الفرات، وكانت صورة شنيعة، فركب ابن الفرات إلىٰ المقتدر وحدثه الحال، فقال له نصر الحاجب: الساعة تقول أي شيء الرأي؟ بعد أن زعزعت أركان الدولة وعرضتها للزوال بإبعادك مؤنس المظفر الذي يناضل الأعداء. ومن الذي أسلم رجال السلطان وأصحابه إلىٰ القرمطي سواك؟ وأشار نصر علىٰ المقتدر بمكاتبة مؤنس بالتعجيل إلىٰ الحضرة، فأمر أن يكتب إليه بذلك، ووثب العامة علىٰ ابن الفرات، فرجمت طيارته بالآجر، ورجمت داره، وصاحوا: يا ابن الفرات القرمطي الكبير، وامتنع الناس من الصلاة في الجوامع، ثم قبض علىٰ ابن الفرات وابنيه وأسبابه، وحمل إلىٰ دار نازوك والعامة يضربونه بالآجر، ويقولون: قد قبض علىٰ القرمطي الكبير، وأخذ خطه بألفي ألف دينار، وكان ابنه المحسن يخرج في زي النساء، فغمز عليه فأخذ وكتب خطه بثلاثة آلاف ألف دينار، وقتل ابن الفرات وولده المحسن، ووزر أبو القاسم عبد الله بن محمد الخاقاني.

وورد كتاب من محمد بن عبد الله الفارقي من البصرة يذكر أن كتاب أبي الهيجاء عبد الله بن حمدان ورد عليه من هجر، وأنه كلم أبا طاهر في أمر من كان استأسر من الحاج، وسأل إطلاقهم، وأنه أحصى من قتله، منهم فكانوا من الرجال ألفين ومائتين وعشرين، ومن النساء نحو خمسمائة امرأة، ووعد بإطلاقهم» انتهى[1]

كما أورد ابن الأثير قصة ابن الفرات مع القرمطي قوله: «وكانت صورة فظيعة شنيعة، وكسر العامّة منابر الجوامع، وسوّدوا المحاريب يوم الجمعة لستّ خلون من صفر، وضعفت نفس ابن الفرات، وحضر عند المقتدر ليأخذ أمره فيما فعله،

---

(١) المنتظم ابن الجوزي .

وحضر نصر الحاجب المشورة، فانبسط لسانه علىٰ ابن الفرات، وقال له: الساعة تقول أيّ شيء نصنع، وما هو الرأي بعد أن زعزعت أركان الدولة، وعرَّضتَها للزوال في الباطن بالميل مع كلّ عدوّ يظهر ومكاتبته، ومهادنته وفي الظاهر بإبعادك مؤنسًا ومن معه إلىٰ الرَّقّة، وهم سيوف الدولة، فمن يدفع الآن هذا الرجل أن قصد الحضرة، أنت أو ولدك؟ وقد ظهر الآن أنّ مقصودك بإبعاد مؤنس وبالقبض عليَّ وعلى غيري أن تستضعف الدولة وتقوي أعداءها لتشفي غيظ قلبك ممّن صادرك وأخذ أموالك، ومن الذي سلّم النّاس إلىٰ القرمطيّ غيرك لما يجمع بينكما من التشيع والرفض؟ وقد ظهر أيضًا أنّ ذلك الرجل العجميّ كان من أصحاب القُرمطيّ، وأنت أوصلتّه.

فحلف ابن الفرات أنّه ما كاتب القُرمطيَّ، ولا هاداه، ولا رأى ذلك الأعجميَّ إلا تلك الساعة؛ والمقتدر معرض عنه، وأشار نصر علىٰ المقتدر أن يحضر مؤنسًا ومَن معه، ففعل ذلك، وكتب إليه بالحضور فسار إلىٰ ذلك، ونهض ابن الفرات، فركب في طيارة فرجمه العامّة حتّى كاد يغرق.

وتقدّم المقتدر إلىٰ ياقوت بالمسير إلىٰ الكوفة ليمنعها من القرامطة، فخرج في جمع كثير، ومع ولداه المظفَّر ومحمّد، فخرج علىٰ ذلك العسكر مال عظيم، وورد الخبر بعود القرامطة، فعطل مسير ياقوت.

ووصل مؤنس المظفَّر إلىٰ بغداد، ولّما رأى المحسن ابن الوزير ابن الفرات انحلال أمورهم، وأخذ كلّ مَن كان محبوسًا عنده من المصادرين، فقتلهم لأنّه كان قد أخذ منهم أموالًا جليلة، ولم يوصلها إلىٰ المقتدر، فخاف أن يقرّوا عليه.

إلى أن قال ابن الأثير «ثمّ إنّ الإرجاف كثر علىٰ ابن الفرات، فكتب إلىٰ المقتدر يعرّفه ذلك، وأنّ الناس إنّما عادوه لنصحه وشفقته، وأخذ حقوقه منهم، فأنفذ المقتدر إليه يسكّنه، ويطيّب قلبه، فركب هو وولده إلىٰ المقتدر، فأدخلهما إليه، فطيّب قلوبهما فخرجا من عنده فمنعهما نصر الحاجب من الخروج ووكّل بهما، فدخل مُفلح علىٰ

المقتدر، وأشار عليه بتأخير عزله، فأمر بإطلاقهما، فخرج هو وابنه المحسن، فأمّا المحسن فإنّه اختفى، وأمّا الوزير فإنّه جلس عامّة نهاره يمضي الأشغال إلىٰ الليل، ثمّ بات مفكرًا، فلمّا أصبح سمعه بعض خدمه ينشد: وأصبَحَ لا يَدري، وإن كان حازمًا، أقُـدّامَـه خيرٌ لـه أم وراءُه.

فلمّا أصبح الغد، وهو الثامن من ربيع الأوّل، وارتفع النهار أتاه نازوك، وبليق في عدّة من الجند، فدخلوا إلىٰ الوزير، وهو عند الحرم، فأخرجوه حافيًا مكشوف الرأس، وأُخذ إلىٰ دجلة، فألقى عليه بليق طيلسانًا غطى به رأسه، وحُمل إلىٰ طيار فيه مؤنس المظفَّر، ومعه هلال بن بدر، فاعتذر إليه ابن الفرات، وألان كلامه، فقال له: أنا الآن الأستاذ، وكنتُ بالأمس الخائن الساعي في فساد الدولة، وأخرجتّني والمطر علىٰ رأسي ورؤوس أصحابي، لم تمهلني. ثمّ سُلّم إلىٰ شفيع اللؤلؤي، فحُبس عنده، وكانت مدّة وزارته هذه عشرة أشهر وثمانية عشر يومًا، وأُخذ أصحابه وأولاده ولم ينج منهم إلاّ المحسن، فإنّه اختفى؛ وصودر ابن الفرات علىٰ جملة من المال مبلغها ألف ألف دينار.

ولّما تغيّر حال ابن الفرات سعى عبد الله بن محمّد بن عُبيد الله بن يحيى ابن خاقان أبو القاسم بن أبي عليّ الخاقانيّ في الوزارة، وكتب خطّه أنّه يتكفّل ابن الفرات وأصحابه بمصادرة ألفَيْ ألف دينار، وسعى له مؤنس الخادم، وهارون بن غريب الخال، ونصر الحاجب.

وكان أبو عليّ الخاقانيُّ، والد أبي القاسم، مريضًا شديد المرض، وقد تغيّر عليه لكبر سنّه، فلم يعلم بشيء من حال ولده؛ وتولّى أبو القاسم الوزارة تاسع ربيع الأوّل، وكان المقتدر يكرهه، فلمّا سمع ابن الفرات، وهو محبوس، بولايته قال: الخليفة هو الذي نُكِبَ لا أنا، يعني أنّ الوزير عاجز لا يعرف أمر الوزارة.

ولّما وزَر الخاقانيُّ شفع إليه مؤنس الخادم في إعادة عليّ بن عيسى من صنعاء

إلىٰ مكّة، فكتب إلىٰ جعفر عامل اليمن في الإذن لعليّ بن عيسى في العود إلىٰ مكّة، ففعل ذلك، وأذن لعليّ في الاطلاع علىٰ أعمال مصر والشام.[١]

رجلًا يعرف بالكعكي يتهم بالقرمطة:

استمرت الدولة العباسية بتصفية خصومها من خلال إطلاق تهمة القرمطة عليهم، كما ذكر ابن الجوزي في أحداث سنة ثلاث عشرة وثلاثمائة قوله:ولم يزل أبو القاسم الخاقاني في أيام وزارته يبحث عمن يدعي عليه من أهل بغداد أنه يكاتب القرمطي ويتدين الإسماعيلية إلىٰ أن تظاهرت عنده الأخبار، بأن رجلًا يعرف بالكعكي ينزل في الجانب الغربي رئيس للرافضة، وأنه من الدعاة إلىٰ مذهب القرامطة، فتقدم إلىٰ نازوك بالقبض عليه، فمضى ليقبض عليه فتسلق من الحيطان وهرب، ووقع برجل في داره كان خليفته، ووجد في الدار رجالًا يجرون مجرى المتعلمين، فضرب الرجل ثلاثمائة سوط وشهره علىٰ جمل، ونودي عليه هذا جزاء من يشتم أبا بكر وعمر رضي الله عنهما وحبس الباقين. وعرف المقتدر أن الرافضة تجتمع في مسجد براثا فتشتم الصحابة، فوجه نازوك للقبض علىٰ من فيه، وكان ذلك في يوم الجمعة لست بقين من صفر، فوجدوا فيه ثلاثين إنسانًا يصلون وقت الجمعة، ويعلنون البراءة ممن يأتم بالمقتدر، فقبض عليهم، وفتشوا فوجدوا معهم خواتيم من طين أبيض. يختمها لهم الكعكي عليها: محمد بن إسماعيل الإمام المهدي ولي الله فأخذوا وحبسوا وتجرد الخاقاني لهدم مسجد براثا، وأحضر رقعة فيها فتوى جماعة من الفقهاء أنه مسجد ضرار وكفر وتفريق بين المؤمنين وذكر أنه إن لم يهدم كان مأوى الدعاة والقرامطة، فأمر المقتدر بهدمه فهدمه نازوك، وأمر الخاقاني بتصييره مقبرة ندفن فيه عدة من الموتى، وأحرق با قيه وكتب الجهال من العوام علىٰ نخل كان فيه هذا مما أمر معاوية بن أبي سفيان بقبضه علىٰ علي بن أبي طالب رضي الله عنه.[٢]

---

(١) الكامل في التاريخ ابن الأثير .

(٢) المنتظم ابن الجوزي.

القرامطة وأهل بيت النبوة ﷺ

يبدو كما أسلفنا أن الدعوة القرمطية كانت بداياتها بوفاة الإمام الحادي عشر من أئمة أهل البيت (المذهب الشيعي) وغيبة الإمام الثاني عشر الإمام المهدي سلام الله عليه في عام ٢٦٠هـ هنا كانت بداية الحركة القرمطية كما قال عنها المسعودي خلال استعراضه لأحداث القرامطة: «وأن هذه الدعوة أحدثت بأصبهان سنة ٢٦٠ وما الغرض بها والمقصد منها وتسليمهم ظاهر الشريعة، وقولهم في تأويل معانيها، وأمرهم المدعو عند أخذ العهد عليه بستر ما يكشفونه له من تأويل كتاب الله، ومنهم من يقول للمدعو عند ذلك استر ما أكشفه لك من تأويل كتاب الله وتأويل التأويل وتبليغه إلىٰ مراتب ينتهون به إليها يسمونها البلاغ، وغير ذلك من دعواتهم ووجوه سياساتهم وأسرارهم في ذلك ورموزهم». انتهىٰ[1]

منذ قيام القرامطة بدعوتهم أظهروا أنهم يدعون إلىٰ أهل بيت النبوة وحركتهم موجهه إلىٰ نواصب أهل البيت ولكن هذه الأهداف ظاهرها صحيح وفي باطنها خلاف ذلك وقد أوضحت كتب التاريخ كلا الاتجاهين وسنوضح للقارئ كيف أظهر القرامطة دعوتهم لآل البيت وكيف عملوا في عكس اتجاه هذه الدعوة:

---

(١) التنبيه والإشراف ـ المسعودي ص٣٩٥ دار صادر بيروت ـ طبع ليدن ـ مطبعة بريل سنة ١٨٩٣.

استخدم القرامطة حب آل البيت في السيطرة علىٰ المناطق الشيعية ومنها منطقة القطيف ذات الولاء التقليدي لأهل البيت منذ فجر الإسلام وشاركوا مع الإمام علي ﷺ جميع حروبه وكان رجال القطيف من صحابة الإمام علي ﷺ الخلّص، لهذا قام القرامطة بالدعوة في القطيف لقائم آل محمد (الإمام المهدي ﷺ) دون أن يبدو أن المقصود من الإمام المهدي لدى القرامطة هو خلاف ما يعتقد به أهالي القطيف الذين يتبعون التشيع الاثنا عشري، لهذا تقبل المجتمع القطيفي دعوة القرامطة ولكن عندما اكتشف أمرهم رفضهم المجتمع القطيفي فهرب دعاتهم إلىٰ الأحساء وتحالفوا مع الأعراب وقاموا بالانتقام من شيعة أهل البيت في القطيف.

في الحقيقة كانت الدعوة القرمطية هي وليدة الدعوة الإسماعيلية الداعية لأهل بيت النبوة ﷺ ولكن للأسف تغلب الأعراب علىٰ مفاصل الحركة القرمطية جعلتها تتجه عكس الهدف الرئيسي

وسنستعرض بعض كتب القرامطة لعمالهم لنتعرف عن قرب علىٰ رؤيتهم العقائدية وتفكيرهم لنتمكن من قراءتهم بشكل صحيح وفيما يلي بعض رسائلهم كما ذكرها الطبري في تاريخه:

«من كتب صاحب الشامة القرمطي إلىٰ بعض عماله: بسم الله الرحمن الرحيم. من عبد الله أحمد بن عبد الله المهدي المنصور بالله الناصر لدين الله القائم بأمر الله الحاكم بحكم الله، الداعي إلىٰ كتاب الله، الذاب عن حرم الله، المختار من ولد رسول الله أمير المؤمنين وإمام المسلمين، ومذل المنافقين خليفة الله علىٰ العالمين، وحاصد الظالمين، وقاصم المعتدين، ومبيد الملحدين، وقاتل القاسطين، ومهلك المفسدين، وسراج المبصرين، وضياء المستضيئين، ومشتت المخالفين، والقَيم بسنة سيد المرسلين، وولد خير الوصيين، صلى الله عليه وعلى أهل بيته الطيبين، وسلم كثيرا، إلىٰ جعفر بن حميد الكردي: سلام عليك، فإني أحمد إليك الله الذي لاإله إلا هو، وأسأله أن يصلي علىٰ جدي محمد رسول الله صلى الله عليه (وآله)

وسلم أما بعد: فقد أنهي إلينا ما حدث قبلك من أخبار أعداء الله الكفرة، وما فعلوه بناحيتك وأظهروه من الظلم والعيث والفساد في الأرض، فأعظمنا ذلك ورأينا أن ننفذ إلىٰ هناك من جيوشنا من ينقم الله به من أعدائه الظالمين، الذين يسعون في الأرض فسادا، وأنفذنا عطيرا داعيتنا وجماعة من المؤمنين إلىٰ مدينة حمص وأمددناهم بالعسكر، ونحن في أثرهم، وقد أ؟وعزنا إليهم في المصير إلىٰ ناحيتك لطلب أعداء الله حيث كانوا، ونحن نرجو أن يجزينا الله فيهم علىٰ أحسن عوائده عندنا في أمثالهم، فينبقي أن تشدد قلبك وقلوب من معك من أوليائنا، وتثق بالله وبنصره الذي لم يزل يعودناه في كل من مرق عن الطاعة وانحراف عن الإيمان، وتبادر ألينا بأخبار الناحية، وما يتجدد فيها، ولا تخف عني شيئا من أمرها إن شاء الله.

سبحانك اللهم، وتحيتهم فيها سلام، وآخر دعواهم أن الحمد لله رب العالمين، وصلى الله علىٰ جدّي محمد رسول الله، وعلى أهل بيته وسلم كثيرًا.

نسخة كتاب عامل له إليه:

بسم الله الرحمن الرحيم. لعبد الله أحمد الإمام المهدي المنصور بالله، ثم الصدر كله علىٰ مثال نسخة صدر كتابه إلىٰ عامله الذي حكينا في الكتاب الذي قبل هذا الكتاب الذي قبل هذا الكتاب، إلىٰ ولد خير الوصيين صلى الله عليه وسلم وعلى أهل بيته الطيبين وسلم كثيرًا» انتهىٰ"[١]

كما أشار الطبري إلىٰ تعرض القرامطة إلىٰ قتل وتشريد أهل البيت بقوله: أن الحسين بن زكرويه سار إلىٰ أطراف حمص، فتغلب عليها وخطب علىٰ منابرها، وتسمى بالمهدي، وهو أبن نيف وعشرين سنة، المسمى بأحمد بن عبد الله بن محمد بن إسماعيل بن جعفر، وأظهر شامة في وجهه ذكر أنها آيته، وبالرغم من ادعائه أنه سليل بني هاشم فقد أسرف في القتل عندما دخل بعلبك فقتل عامة أهلها حتى لم يبق

---

(١) تاريخ الأمم والملوك ـ الطبري ـ ج٥ ص٦٤٩.

منهم فيما قيل إلا اليسير ثم سار إلىٰ سلمية فحاربه أهلها ومنعوه الدخول، ثم وادعهم وأعطاهم الأمان ففتحوا له بابها فدخلها، فبدأ بمن فيها من بني هاشم، وكان بها منهم جماعة فقتلهم، ثم ثنى بأهل سلمية فقتلهم أجمعين.[١]

وقد أوضح أبن أبي الحديد علاقة القرامطة بأهل بيت النبوة من خلال شرحه لاحدى خطب الامام علي ﷺ وذلك بقوله: «وقد ذكرنا فيما تقدم من إخباره ﷺ عن الغيوب طرفا صالحا ومن عجيب ماوقفت عليه من ذلك قوله في الخطبة التي يذكر فيها الملاحم، وهو يشير إلىٰ القرامطة: (ينتحلون لنا الحب والهوى ويضمرون لنا البغض والقلى، وآية ذلك قتلهم وراثنا وهجرهم أحداثنا). وصح ما أخبر به، لان القرامطة قتلت من آل أبي طالب ﷺ خلقا كثيرا وأسماؤهم مذكورة في كتاب ـ مقاتل الطالبيين ـ لابي الفرج الاصفهاني. ومر أبو طاهر سليمان بن الحسن الجنابي في جيش بالغري[٢] وبالحاير[٣] فلم يعرج علىٰ واحد منهما ولا دخل ولا وقف». انتهىٰ[٤]

---

(١) تاريخ الأمم والملوك ـ الطبري.

(٢) الغري: قرب قبر الإمام علي ﷺ.

(٣) الحاير: موضع قبر الحسين ﷺ.

(٤) شرح نهج البلاغة ـ أبن أبي الحديد ج١٠ ص١٣.

القرامطة والبويهيون

البويهيون كانت بداياتهم في بلاد الديلم في الجنوب الغربي لبحر قزوين، وتمكنوا من السيطرة علىٰ معظم بلاد فارس والتقدم إلىٰ العراق في عهد الخليفة العباسي المستكفي. كما استطاع البويهيون السيطرة علىٰ الخلفاء العباسيين، وملكوا الامر ولم يعد للخلفاء العباسيين الا السلطة الاسمية فقط، حتى ان البويهيين عقدوا العزم السيطرة علىٰ الخلافة من خلال المصاهرة مع الخلفاء العباسيين حتى تكون الخلافة في ولد منهم. كما عمل البويهيون في نشر المذهب الشيعي في ظل الخلافة السنية العباسية، حتى انهم فكروا في تحويل الخلافة إلىٰ الفاطميين في عهد معز الدولة. ولكن أشار عليهم احد مستشاريهم بالتوقف عن هذه المغامرة الخطرة.

انتشار التشيع في بلاد الديلم:

انتشر التشيع في الديلم بعد أن خمدت ثورة محمد النفس الزكية في الحجاز بقتله عام ١٤٥هـ وفرار أخواه ادريس إلىٰ بلاد المغرب، ويحيى إلىٰ بلاد الديلم، فاشتد شوكة يحيى في الديلم واتاه الناس من الامصار. [١]

---

(١) الكامل في التاريخ ـ ابن الأثير ـ ج٥ ص٣١٥ نقلا من كتاب الخلافة العباسية في عهد تسلط البويهيين.

وفي عهد الخليفة العباسي المستعين بالله (٢٤٨ ـ ٢٥١) ثار بأرض الري الحسن بن زيد، وطلب من أهل الديلم الانضمام اليه فانضموا اليه وبايعوه.حتى وفاته في عام ٢٧١هـ وتلاه اخوه محمد بن زيد وتوفي عام ٢٨٧هـ، بعد وفاة محمد بن زيد كان هناك داعيه علوي آخر هو الحسين بن علي الملقب بالأطروش، واقام في بلاد الديلم نحو أربع عشر سنة وتوفي سنة ٣٠٤هـ، وهكذا انتشر التشيع علىٰ المذهب الزيدي في بلاد الديلم.

بعد وفاة الداعية الحسين بن علي الملقب بالاطروش، برز بنو بويه (معز الدوله أحمد بن بويه، عماد الدولة بن بويه، وركن الدولة الحسن بن بويه) عندما ولى القائد مرداويج بن زيار الديلمي، علي بن بويه بلاد الكرج إلىٰ الجنوب الشرقي من همدان.(١)

وشاءت الظروف أن تقود بني بويه السيطرة علىٰ معظم بلاد فارس حتى وصلوا إلىٰ الاهواز.

اصبحت الخلافة العباسية في أواخر نفوذ الاتراك إلىٰ حالة من الضعف وذلك في عهدي الخليفتين الراضي والمتقي (٣٢٢هـ ـ ٣٣٣هـ) حتى أن الخليفة المتقي اضطر إلىٰ الهرب من بغداد في سنة ٣٣٠هـ ولم يتمكن من العودة الا بعد اربعة أشهر في حراسة حمدانية، حتى وصل الامر أن يقوم القائد توزون بتنحية الخليفة المتقي وتعيين أخاه ابا القاسم عبد الله ولقبه المستكفي بالله، وتوفي توزون بعد وقت قصير وتولى امرة الامراء جعفر بن شيرزاده.

وزاد الاضطراب في بغداد فكاتب بعض القادة الاتراك أحمد بن بويه لاستنقاد العراق من وضعه المتردي، فسارع ابن بويه وتمكن من دخول بغداد في عام ٣٣٤هـ، وبايع المستكفي علي بن بويه وخلع عليه لقب التشريف، فلقبه معز الدولة، ولقب

(١) تجارب الأمم ـ مسكويه ـ ج١ ص٢٧٧ نقلا من كتاب الخلافة العباسية في عهد تسلط البويهيين .

أخاه عليا عماد الدولة، كما لقب أخاه الاخر الحسن بلقب ركن الدولة.[١]

ولكن بعد سنة واربعة اشهر من خلافة المستكفي، قام معز الدولة البويهي بعزل المستكفي، ومبايعة الخليفة المطيع يوم الخميس ٢٢ جمادى الاخرة سة ٣٣٤هـ وأحضر المستكفي عنده واشهد علىٰ نفسه بالخلع.وسير معز الدولة علىٰ المطيع سيطرة كاملة حيث لم يكن له من سلطه أو سطوة.[٢]

قال المسعودي المعاصر لاحداث تولي بني بويه علىٰ الخلافة العباسية: وبويع المطيع الفضل بن جعفر المقتدر بالله، ويكنى أبا القاسم، وأمه أم ولد صقلبية، تسمى مشعلة - يوم الخميس لثمان ليال بقين من جمادى الآخرة سنة ٣٣٤. ولخمس سنين خلت من خلافته أعيد الحجر الأسود إلىٰ موضعه من البيت الحرام في ذي الحجة سنة ٣٣٩ وكان أخذه في سنة ٣١٧ علىٰ ما قدمنا في خلافة المقتدر.

وكما قال أيضًا: والغالب علىٰ أمر المطيع والقيم بتدبير الحضرة إلىٰ هذا الوقت أحمد بن بويه الديلمي، المسمى بمعز الدولة وكتابه وزالت أكثر رسوم الخلافة، والوزارة في وقتنا هذا، وهو سنة ٣٤٥ علىٰ ما ينمى إلينا من أخبارهم ويتصل بنا من أحوالهم، لطول غيبتنا عن العراق، ومقامنا بأرض مصر والشام قال المسعودي، أبو الحسن علي بن الحسين بن علي: ولم نعرض لوصف أخلاق المتقي والمستكفي والمطيع ومذاهبهم، إذ كانوا كالمولى عليهم، لا أمر ينفذ لهم.

أما ما نأى عنهم من البلدان، فتغلب علىٰ أكثرها المتغلبون، واستظهروا بكثرة الرجال والأموال، واقتصروا علىٰ مكاتبتهم بأمرة المؤمنين والدعاء لهم وأما بالحضرة، فتفرد بالأمور غيرهم، فصاروا مقهورين خائفين، قد قنعوا باسم الخلافة،

---

(١) الخلافة العباسية في عهد تسلط البويهيون ـ د/ وفاء محمد علي ـ ص٣٦.

(٢) الخلافة العباسية في عهد تسلط البويهيون ـ د/ وفاء محمد علي ـ ص٤٥.

ورضوا بالسلامة.[١]

أول تصادم بين بني بويه والقرامطة :

كانت بدايات الخلاف بين القرامطة وبني بويه بسبب حال التحالف بين آل البريدي حكام البصرة والقرامطة حتى ان القرامطة كانوا قد اصلحوا بين أبو الحسين البريدي وابن أخيه ابا القاسم بن أبي عبدالله في عام ٣٣٢هـ عندما استجار ابو الحسين بالقرامطة وسيرهم معه إلىٰ البصرة وإصلاحهم الأوضاع بين أبناء البريدي.[٢]

وفي عام ٣٣٥هـ بعد أن سيطر بني بويه علىٰ دار الخلافة، أختلف معز الدولة بن بويه مع أبو القاسم بن البريدي والي البصرة فأرسل معز الدولة جيشًا إلىٰ واسط، فسير إليهم ابن البريدي جيشًا من البصرة في الماء، وعلى الظهر فالتقوا واقتتلوا فانهزم أصحاب البريدي وأسر من أعيانهم جماعة كثيرة.[٣]

وفي عام ٣٣٦هـ سار معز الدولة البويهي ومعه المطيع لله إلىٰ البصرة لاستنقادها من يد ابي القاسم عبد الله بن ابي عبد الله البريدي، وسلكوا البريه إليها، فأرسل القرامطة من هجر إلىٰ معز الدولة ينكرون عليه مسيره إلىٰ البرية بغير أمرهم وهي لهم، فلم يجبهم عن كتابهم، وقال للرسول: قل لهم من أنتم حتى تستأمروا، وليس قصدي من أخذ البصرة غيركم، وستعلمون ماتلقون مني، ولما وصل معز الدولة إلىٰ الدرهمية استأمن إليه عساكر أبي القاسم البريدي، وهرب أبو القاسم في الرابع والعشرين من ربيع الآخر إلىٰ هجر، والتجأ إلىٰ القرامطة، وملك معز الدولة البويهي البصرة.[٤]

---

(١) التنبيه والإشراف المسعودي.

(٢) الكامل في التاريخ ـ ابن الأثير ـ ج٨ ص٤١٠.

(٣) الكامل في التاريخ ـ ابن الأثير ـ ج٨ ص٤٦٨.

(٤) الكامل في التاريخ ـ ابن الأثير ـ ج٨ ص٤٦٩.

تنافس القرامطة البويهيين على حكم المناطق عام ٣٥٤هـ

قال ابن الاثير: «وفيها (سنة أربع وخمسين وثلاثمائة) سير معز الدولة عسكرًا إلىٰ عمان، فلقوا أميرها وهو نافع مولى يوسف بن وجيه، وكان يوسف قد هلك، وملك نافع البلدة بعده، وكان أسود، فدخل نافع في طاعة معز الدولة، وخطب له، وضرب له اسمه علىٰ الدينار والدرهم، فلما عاد العسكر عنه وثب به أهل عمان فأخرجوه عنهم، وأدخلوا القرامطة الهجريين اليهم، وتسلموا البلد، فكانوا يقيمون فيه نهارا ويخرجون ليلا إلىٰ معسكرهم، وكتبوا إلىٰ أصحابهم بهجر يعرفونهم الخبر ليأمروهم بما يفعلون». انتهىٰ[1]

ويواصل ابن الاثير تلك المنافسة بين القرامطة والبويهيين علىٰ حكم عمان بقوله: «قد ذكرنا في السنة التي قبل هذا الخبر عمان ودخول القرامطة إليها، وهرب نافع عنها، فلما هرب نافع، واستولى القرامطة علىٰ البلد، كان معهم كاتب يعرف بعلي بن أحمد ينظر في أمر البلد، وكان بعمان قاض له عشيرة وجاه، فاتفق هو وأهل البلد أن ينصبوا في الإمرة رجلا يعرف بابن طغان وكان من صغار القواد بعمان، وأدناهم مرتبه، فلما استقر في الإمرة خاف ممن فوقه من القواد، فقبض علىٰ ثمانين قائدا، فقتل بعضهم، وغرق بعضهم. وقدم البلد ابنا أخت لرجل ممن قد غرقهم، فأقاما مدة، ثم انهما دخلا علىٰ طغان يوما من الايام السلام، فسلما عليه، فلما تقوض المجلس قتلاه فاجتمع رأي الناس علىٰ تأمير عبد الوهاب بن أحمد بن مروان، وهو من أقارب القاضي، فولي الامارة بعد امتناع منه، واستكتب عليّ بن أحمد الذي كان مع الهجريين، فأمر عبد الوهاب كاتبه عليا أن يعطي الجند أرزاقهم صلة، ففعل ذلك، فلما انتهىٰ إلى الزنج، وكانوا ستة آلاف رجل، ولهم بأس وشدة، قال لهم عليُّ: إن الامير عبد الوهاب أمرني أن أعطي البيض من الجند كذا وكذا، وأمر لكم بنصف ذلك، فاضطربوا وامتنعوا، فقال لهم: هل لكم أن تبايعوني فأعطيكم

(١) الكامل في التاريخ ـ ابن الأثير ج٨ ـ ص٥٦٥.

مثل سائر الأجناد؟ فأجابوه إلىٰ ذلك، وبايعوه، وأعطاهم مثل البيض من الجند، فامتنع البيض من ذلك، ووقع بينهم حرب، فظهر الزنج عليهم، فسكنوا، واتفقوا مع الزنج، وأخرجوا عبد الوهاب من البلد، فاستقر في الامارة عليُ بن أحمد.ثم إن معز الدولة سار إلىٰ واسط لحرب عمران بن شاهين، ولارسال جيش إلىٰ عمان، فلما وصل إلىٰ واسط قدم عليه نافع الأسود الذي كان صاحب عمان، فأحسن إليه، وأقام للفراغ من أمر عمران بن شاهين، علىٰ ما نذكره أن شاء الله تعالى. وانحدر من واسط إلىٰ الابلة، في شهر رمضان، فأقام بها يجهز الجيش والمراكب ليسيروا إلىٰ عمان، ففرغ منه، وساروا منتصف شوال، واستعمل عليهم أبا الفرج محمد بن العباس بن فسانجس، وكانوا في مائة قطعة، فلما كانوا بسيراف انضم إليهم الجيش الذي جهزه عضد الدولة من فارس نجدة لعمه معز الدولة، فاجتمعوا وساروا إلىٰ عمان، ودخلها تاسع ذي الحجة وخطب لمعز الدولة فيها، وقتل من أهلها مقتلة عظيمة، وأحرقت مراكبهم وهي تسعة وثمانون مركبا». انتهى[1]

التحالف القرمطي البويهي:

استمرت العلاقة بين البويهيين والقرامطة في مد وجزر حتى قدم إلىٰ الحكم القرمطي، الحسن بن أحمد بن بهرام (الاعصم) عام ٣٥٩هـ وبعد عام من توليه الحكم استولى الفاطميون علىٰ الشام ومصر ومنعوا الاتاوة المقدمة للقرامطة من الشام ومصر، وهذا البروز المفاجىء أجبر البويهيين والقرامطة علىٰ التحالف لحرب الفاطميين من خلال مساعدة الجيش القرمطي المتجه إلىٰ الشام بالمال والعتاد وذلك بقيادة الاعصم القرمطي، وكانت فرصة مناسبة للبويهيين لاضعاف القلرامطة والفاطميين من خلال اشعال الحرب بينهم.

ولكن هذا التحالف أدى إلىٰ غضب الهيئة العقدانية (المجلس الاستشاري

---

(١) الكامل في التاريخ ـ ابن الأثير ـ ج٨ ص٥٦٨.

للقرامطة) فقامت بانقلاب علىٰ العائلة الحاكمة القرمطية في البحرين وذلك بعد وفاة الاعصم القرمطي وهو في حربه في الشام مع الفاطميين، وهذا الانقلاب أدى إلىٰ شن حرب ضد البويهيين من خلال مهاجمة البصرة كما سيأتي في هذا الكتاب.

القرامطة وأعراب شرق الجزيرة العربية

يبدو أن قدر هذه المنطقة ارتبط مع تلك المجموعات البدويه الحفاه الجفاة الذين امتهنوا السلب والنهب وعملوا كمرتزقه في جيوش يقتسمون فيها الغنائم من سكان الواحات الزراعية في المنطقة واستمرت ويلات الاعراب المحيطين بالوحات الزراعية حتى أن الحكومات المتعاقبة المسيطرة علىٰ منطقة شرق الجزيرة العربيه كانت تدفع مبالغ ماليه مقطوعه لرؤساء القبائل لكف أذى البداه وتأمين طرق التجارة البرية إضافة لاستخدام افراد تلك القبائل في الصرعات والمنافسات الاقليميه فاستمرت تلك السياسة الخاطئه لتلك الحكومات مما شجع البداة علىٰ الاستمرار في امتهان السلب والنهب كوسيلة للعيش والبقاء في قلب الصحراء بل أصبح مصدر فخر للقبيلة ومن اسمى ثقافتهم.

وينقل لنا التاريخ كيف استطاع ابو سعيد الجنابي استخدام الثقافة البدويه في تدمير حضارة ارض البحرين القديم وهي حضارة هجر التي اشتهرت بانتاجها الزراعي والتجاري لموقعها الاستراتيجي علىٰ بحر فارس، حتى أنه في العصر الاسلامي الاول عندما أرسل رسول الله ﷺ العلاء إلىٰ ارض البحرين وتم مصالحة العلاء علىٰ انصاف الحب والتمر، وبعث العلاء إلىٰ رسول الله ﷺ ثمانين الفا ماأتاه

أكثر منه من قبل ولابعد كما ذكر الحموي في معجمه[١].

ولكن للأسف أن تلك الخيرات تعرضت للاضمحلال بسبب مجاورة الاعراب لتلك المناطق وتحالفهم مع أي عدو ضد هذه المنطقة وقد كانت بدايات الانفلات الامني عندما تخلت الدولة العباسية عن تزويد اعراب المنطقة بالرواتب المخصصه لهم، فبحث هؤلاء الاعراب عن شريك يقودهم إلىٰ السلب والنهب، فالتقت مصالحهم مع رجل طموح هو ابو سعيد الجنابي فسبب ذاك التحالف لازالة اكبر واعظم مدن البحرين الا وهي مدينة هجر العظمى وقتل من بها بعد محاصرتهم وقتل من وجد فيها بعد السيطرة عليها حتى بلغ القتلى ثلاثمائة الف قتيل من أهالي هجر.

وليس بغريب قصة هؤلاء الاعراب وتحالفاتهم فقد تكرر جذب منطقة شرق الجزيرة لهؤلاء الاعراب حتى عهد سيطرة الدولة العثمانية فكانت تروضهم من خلال دفع رواتب لشيوخ القبائل لتأمن شرهم، ولكن طمع هؤلاء البداه كانت أحيانا تشجعهم بالمطالبة بالمزيد كما حصل عام ١٩٠٢م قامت بعض القبائل في المنطقة بالمطالبة بزيادة رواتب المشايخ، فرفضت مطالبهم من قبل الحكومة العثمانية فقاموا بالاستيلاء علىٰ القوافل التابعة للحكومة العثمانية وقتل حراسها والاستيلاء علىٰ أموالها وسلبها ونهبها.[٢]

هكذا هي ثقافة الأعراب يعيشون علىٰ سلب الغير ويعتبرون ذلك رمز الشجاعة والرجولة.

من هنا نستطيع أن نتصور سبب تحالف أبو سعيد مع أعراب احساء بني سعد في القرن الثالث الهجري لتحقيق مطامعه، وقد نجح أبو سعيد في إنشاء دولة هجر

---

(١) معجم البلدان ـ ياقوت الحموي ـ ج١، ص٣٤٨.

(٢) تاريخ الاحساء السياسي ـ الدكتور محمد عرابي نخلة ص٢٠٣.

القرمطية بإزالة مدينة هجر من الخارطة البحرانيه، ومازال موقعها محل خلاف لدى المؤرخين.

قبائل مرتزقة تحارب ضد عبد القيس:

ومن القبائل التي تحالفت مع القرامطة كما يذكرها ابن خلدون: «كان بأعمال البحرين خلق من العرب، وكان القرامطة يستنجدونهم علىٰ أعدائهم ويستعينون بهم في حروبهم، وربما يحاربونهم ويقاطعونهم في بعض الأوقات، وكان أعظم قبائلهم هنالك بنو ثعلب وبنو عقيل وبنو سليم[1] وأظهرهم في الكثرة والعزة بنو ثعلب». انتهى[2]

وقد سبق القرامطة في استغلال قبائل أعراب المنطقة، الثائر علىٰ الحكم العباسي المعروف بصاحب الزنج، والذي أخرجه من القطيف الزعيم العريان بن الهيثم الربعي زعيم جواثا وقد كانت له حروب مع صاحب الزنج كما أشار المسعودي قوله:وجواثًا، وكان بها العريان بن الهيثم الربعي، وقد ذكره علي بن محمد المنتمي إلىٰ أبي طالب صاحب الزنج الناجم بالبصرة عند ظهوره بالبحرين في تميم وكلاب ونمير وغيرهم، وذلك قبل مصيره إلىٰ البصرة، وكان العريان أوقع بهم في عبد القيس، وبني عامر بن صعصعة، ومحارب بن خصفة بن قيس ابن عيلان وغيرهم وقعات متتابعات، فأخرجه عن البحرين ونواحيها، وقتل من

---

(١) عرف عن قبائل بني سليم وبني عقيل أنها قبائل أعرابية تعمل علىٰ قطع طريق الحجاج من قبل تحالفهم مع القرامطة وقد ذكر الطبري في تاريخه في أخبار عام ٢٣٠هـ أن بني سليم كانوا يقطعون الطريق بين مكة والمدين حتى لم يتمكن أحد أن يسلك ذلك الطريق (ج٥ ص٢٧٨)، وكذلك أشار إلىٰ بنو عقيل، وقوله في أحداث عام ٢٥١هـ قال قطعت بنو عقيل طريق جدة، فحاربهم جعفر بشاشات، فقتل من أهل مكة نحو من ثلاثمائة رجل، وبعض بني عقيل القائل:

عليك ثوبان وأمي عاريه ... فألق لي ثوبك يابن الزانية

(ج٥ ص٤٠٥) الطبري.

(٢) تاريخ ابن خلدون ـ ابن خلدون ص٩٥٧.

أصحابه خلقًا كثيرًا، فلما وقع طرفه بالصمان علىٰ الطائر المعروف بالمكاء، قال كلمته التي أولها:

أيا طائر الصمان مالك مفردًا تأسيت بي أم عاق إلفك عائق

فقال فيها:

عدمت عتاق الخيل إن لم أزر بها عليها الكماة الدارعون البطارق
عليها رجال من تميم وقصرها كليب بن يربوع الكرام الصادق
وجثوتها سعد وفي جنباتها نمير وبيض من كلاب عواتق
وإن لم أصبح عامرًا ومحاربًا بخَطة خسف أو تعقني العوائق
أيحسبني العريان أنسى فوارسي غداة نزال الردم والموت عالق

وقال في كلمة أخرى يذكر عبد القيس:

أتحسب عبد القيس أني نسيتها ولست بناسيها ولا تاركًا تبلى[١]

وكما استخدم صاحب الزنج قبائل الأعراب في حرب القطيف هكذا كانت بدايات أبو سعيد القرمطي بتجميع جيش من القبائل من بني ثعلب وبني سليم وبني عقيل وغيرهم من الأعراب المرتزقة وكذلك الحال في أعقابه الذين استولوا علىٰ الحكم من بعده.[٢]

وقد يتبادر إلىٰ القارئ عن كيفية استطاعة أبو سعيد الجنابي مؤسس دولة القرامطة في البحرين السيطرة علىٰ الأعراب وقيادتهم حتى استطاع افتتاح مدينة هجر؟ وقد وجدنا الإجابة علىٰ هذا السؤال فيما سطره النويري قوله: «قال الشريف أبو الحسين: كان من الاتفاق لأبي سعيد أن البلد الذي قصده بلد واسع كثير الناس، ولهم عادة بالحروب، ورجال شداد جهال غفل القلوب، بعيدون من علم شريعة

---

(١) التنبيه والإشراف ـ المسعودي.
(٢) ساحل الذهب الأسود ـ محمد سعيد المسلم.

الإسلام ومعرفة نبوة أو حلال أو حرام، فظفر بدعوته في تلك الناحية، ولم يناوئه مناوئ، فقاتل بمن أطاعه من عصاه حتى اشتدت شوكته جدًا، وكان لا يظفر بقريه إلا قتل أهلها ونهبها، فهابه الناس وأجابه كثير منهم طلبًا للسلم، ورحل من البلد خلق كثير إلىٰ نواحي مختلفة وبلدان شتى، خوفًا من شره، ولم يمتنع عليه إلا هجر، وهي مدينة البحرين ومنزل سلطانها والتجار والوجوه، فنازلها شهورًا يقاتل أهلها، فلما طال عليه أمرها وكل بها جل أصحابه من أهل النجدة، ثم ارتفع الأحساء وبينها وبين هجر ميلان، فابتنى بها دارًا وجعلها منزلًا، وتقدم في زراعة الأرض وعمارتها، وكان يركب في الأيام إلىٰ هجر هو ومن يحاصرها، ويعقب من أصحابه في كل أيام قوما، ثم دعا العرب فأجابه أول الناس، بنو الأضبط من كلاب، لأن عشيرتهم كانوا أصابوا فيهم دمًا، فساروا إليه بحرمهم وأموالهم فنزلوا الأحساء، وأطمعوه من بني كلاب وسائر من يقرب منه من العرب، وطلبوا منه أن يضم إليهم رجالًا ففعل ذلك، فلقوا بهم عشيرتهم فاقتتلوا فهزمتهم القرامطة فأكثروا فيهم القتل، وأقبلوا بالحريم والأموال والأمتعة نحو الأحساء، فاضطر المغلوبين إلىٰ أن دخلوا في طاعته وصاروا تحت أمره، ثم وجه أبو سعيد بجيش آخر إلىٰ بني عقيل فظفر بهم، فقصدوه ودخلوا في طاعته، فملك تلك الفلاة، وتجنب قتاله كل أحد إلا بني ضبة، فإنها ناصبته الحرب، فلما اجتمع إليه من اجتمع من العرب وغيرهم خوفهم ومناهم ملك الأرض كلها، فاستجاب بعضهم إلىٰ دعوته فرد إليهم ما أخذ منهم أهل وولد، وأجاب آخرون رغبة في دعوته، ولم يرد علىٰ أحد إبلاء ولا عبدًا ولا أمة وأنزل الجميع معه الأحساء، وأبي قوم دعوته عليهم حرمهم ومن لم يبلغ من أولادهم أربع سنين وشيئًا من الإبل يحملون عليه، وحبس ما سوى ذلك كله، وجمع الصبيان في دور وأقام عليهم قواما، وأجرى عليهم ما يحتاجون إليه، ووسم جميعهم علىٰ الخدود لئلا يختلطوا بغيرهم، وعرف عليهم عرفاء، وعلم من صلح لركوب الخيل والطعان فنشأوا لا يعرفون غيره، وصارت دعوته طبعًا لهم،

وقبض كل مال من البلد والثمار والحنطة والشعير، وأنفذ الرعاة في الإبل والغنم، وقومًا للنزول معها لحفظها والتنقل معها علىٰ نوب معروفة، وأجرى علىٰ أصحابه جرايات فلم يكن يصل أحد إلىٰ غير ما يطمعه». انتهىٰ[1]

---

(١) نهاية الأرب في فنون الأدب النويري.

علاقة قرامطة الشام بقرامطة البحرين

هناك علاقة روحيه بين قرامطة الشام وقرامطة البحرين فكلا من الحركتين كان بداياتهما في سواد الكوفة وبالتالي فهما يتبعان نهج دعوي واحد ولكن بقيادات مختلفه وفي مناطق مختلفة ولهم هدف مشترك وهو محاربة الدولة العباسية ونشر الفكر القرمطي.

كانت بدايات القرامطة في الشام وانتهاء دولتهم علىٰ يد المكتفي العباسي ومحاولتهم الالتحاق بجيش ابي سعيد الجنابي في البحرين ولكن قطع عليهم الطريق وكانت نهايتهم:

ذكر النويري: «كان الحسن بن زكرويه قد خلف القاسم بن أحمد المكني بأبي الحسين خليفة علىٰ من بسلمية من أصحابه كما قدمنا، فقدم سواد الكوفة إلىٰ زكرويه فأخبره بخبر القوم، الذين استخلفه عليهم ابنه الحسن أنهم اضطربوا عليه، وأنه خافهم وتركهم وانصرف، فلامه زكرويه علىٰ قدومه لومًا كثيرًا، وقال له: ألا كاتبتني قبل انصرافك إلي، ووجده علىٰ ما به تحت خوف شديد من طلب السلطان من وجه وطلب أصحاب عبدان الذي كان قد تسبب في قتله من وجه آخر ثم إن زكرويه أعرض عن القاسم وأنفذ رجلًا من أصحابه، وكان يعلم الصبيان بالزابوقة يقال له

محمد بن عبد الله بن سعيد المكني أبا غانم في سنة ثلاث وتسعين ومائتين فتسمى نصرًا، وأمه أن يتوجه إلىٰ أحياء كلب ويدعوهم، فدار أحياء كلب ودعاهم فلم يقبله إلا رجل من بني زياد يعرف بمقدام بن الكيال، ثم استجاب له طوائف من الأصبعيين الذين يعرفون بالفواطم، وقوم من بني العليص وصعاليك من بني كلب، فسار بهم نحو الشام، وعامل المكتفى بالله يومئذ علىٰ دمشق والأردن أحمد بن كيغلغ، وهم بنواحي مصر علىٰ حرب إبراهيم الخليجي، وكان قد خالف كما قدمنا ذكر ذلك، فاغتم محمد بن عبد الله بن سعيد غيبته فصار إلىٰ مدينتي بصرى وأذرعات فحارب أهلها ثم أمنهم فلما استسلموا قتل مقاتلتهم وسبى ذراريهم وأخذ جميع أموالهم، وسار نحو دمشق فخرج إليه صالح بن الفضل خليفة ابن كيغلغ فيمن معه، فأثخنوا فيهم وظفروا عليهم ثم غروهم ببذل الأمان، فقتلوا صالحًا وعسكره وقصدوا دخول دمشق فدفعهم عنها أهلها فانصرفوا إلىٰ طبرية، ولحق بهم جماعة من الجند ممن سلم بدمشق، فواقعهم يوسف بن إبراهيم، عامل ابن كيغلغ علىٰ الأردن، فهزموه، وبذلوا له الأمان ثم غدروا به فقتلوه ونهبوا طبرية وقتلوا وسبوا النساء، فأنفذ المكتفي الحسين بن حمدان في طلبهم مع وجوه من القواد، فدخل دمشق وهم بطبرية، فلما علموا بذلك عطفوا نحو السماوة، وأتبعهم الحسين بن حمدان في البرية، فأقبلوا ينتقلون من ماء إلىٰ ماء يغورون ما يرتحلون عنه من الماء، فلم يزالوا علىٰ ذلك حتى وردوا الماء ين المعروفين بالدمعانة والحالة، فانقطع عنهم لعدم الماء فمال نحو رحبة مالك بن طوق، وأسرى عدو الله حتى وافى هيت غارون وذلك لتسع بقين من شعبان سنة ثلاث وتسعين ومائتين، طلوع الشمس، فنهب ربض هيت والسفن التي في الفرات وقتل نحو مائتي إنسان، وأقام هناك يومين والقوم متحصنون، ثم رحل بما أخذه وبمائتي كر حنطة إلىٰ نحو الماء ين وبقية أصحابه هناك، فلما اتصل الخبر بالمكتفى أرسل إلىٰ هيت محمد بن إسحاق بن كنداجيق ومعه جماعة من القواد في جيش كثيف، فوجدهم أتبغه بمؤنس الخادم، فنهض محمد بن إسحاق نحوهم

فوجدهم قد غاروا المياه، فأنفذ إليه من بغداد بالروايا والقرب والمزاد، وكتب إلىٰ الحسين بن حمدان بالنفوذ إليهم من الرحبة، فلما أحسوا بذلك إئتمروا بصاحبهم نصر، فوثب عليه رجل من أصحابه يقال له الذيب بن القائم فقتله، وشخص إلىٰ بغداد متقربًا بذلك ومستأمنًا، فأسنيت له الجائزة وكف عن طلب قومه بقتل محمد هذا، فمكث أيامًا ببغداد وهرب، ثم إن طلائع محمد بن كنداجيق ظفرت برأس محمد المقتول هذا، فحمل إلىٰ بغداد.

قال: ثم إن قومًا من بني كلاب أنكروا ما فعله الذيب من قتل محمد، ورضيه آخرون فتحزبوا أحزابًا، فاقتتلوا قتالًا شديدًا حتى كثرت القتلى بينهم ثم افترقوا، فصارت الفرقة التي رضيت قتله إلىٰ ناحية عين التمر، وتخلف من كره قتله علىٰ الماء الذي كانوا ينزلون عليه، واتصل الخبر بكروية بن مهرويه فرد القاسم إليهم.

إرسال زكرويه بن مهرويه القاسم بن أحمد ودخوله الكوفة وما كان من أمره

قال: ولما اتصل الخبر بزكرويه كان القاسم بن أحمد عنده، فرده إليهم لمعرفتهم به، ورد عليهم جمعهم ووعظهم، وقال: أنا رسول وليكم وهو غائب عليكم فيما أقدم عليه الذيب بن القائم، وأنكم قد ارتدتم عن الدين، فاعتذروا وحلفوا ما كان ذلك بمحبتهم، وذكروا ما جرى بينهم وبين أهلهم من الخلف والقتل والبعد بهذا السبب، فقال لهم: قد جئتكم الآن بما لم يأتكم به أحد تقدمني، وليكم يقول لكم: قد حضر أمركم وقرب ظهوركم، وقد بايع له من أهل الكوفة أربعون ألفا ومن أهل سوداها أكثر، وموعدكم اليوم الذي ذكره الله، يوم الزينة وأن يحشر الناس ضحى، فأجمعوا أمركم وسيرو إلىٰ الكوفة، فإنه لا دافع لكم عنها، ومنجز وعدي الذي جاءتكم به رسلي، فسروا بذلك سرورًا كثيرًا وارتحلوا نحو الكوفة، فلما وردوا إلىٰ القطقطانة، وهي قرية خراب في البر، بينها وبين الكوفة ستة وثلاثون ميلًا، وذلك يوم الأربعاء قبل يوم عرفة بيوم من سنة ثلاث وتسعين ومائتين، خلفوا بها الخدم والأموال أمرهم أن يلحقوا به عن الرحبة ستة أميال لها ألف وسيلة ثم شاور الوجوه من أصحابه في أي

وقت يأتي الكوفة؟ فقال قائل ليلًا فلا يتحرك أحد إلا قتلناه، ويخرج إلينا وإليها في قلة فنأخذه ونقتله، وقال آخر: نمهل أن ندخلها عشاء في يوم العيد، والجند سكارى والبلد خال، فنقصد باب إسحاق وهو غافل فنأخذه ونقف علىٰ بابه، فلا يأتينا أحد إلا قتلناه، فإنهم لا يأتونا إلا نفر بعد نفر، وكانت شحنة الكوفة يومئذ سبعة آلاف رجل، إلا أن المقيم بالكوفة يومئذ أربعة آلاف من الدميانية والمصريين وغيرهم، والناس فيها أحياء والبلد علىٰ غاية الاجتماع والحسن وكثرة الناسِ، وقال آخرون: نسير ليلتنا ثم نكمن في النجف في شعابه فنزيح الخيل والإبل وننام، ونركب عمود الصبح فنشنها غارة علىٰ أهل المصلى، وقد نزل الجند للصلاة وركب غلمانهم الدواب، ونضع السيف وجل أهل البلد هناك، فقال اللعين: هذا هو الرأي، فركبوا وساروا حتى حصلوا في بعض المواضع فناموا، فلم يوقظهم إلا مس الشمس يوم العيد، لطفًا من الله تعالى بالناس، قال: وقد كان أحد ما شغلهم أنهم اجتازوا بقوم من اليهود يدفنون ميتًا لهم بالنخيلة، فشغلهم قتلهم فلم يصلوا إلىٰ الكوفة إلا وقد صلى إسحاق بن عمران بالناس العيد، وانصرف والناس متبددون في ظاهر الكوفة ومنهم من قد انصرف، ولإسحاق بن عمران طلائع تتفقد، وكان ذلك لأمور قد أرجف الناس بها في البلد، من فتن تحدث من غير جهة القرامطة، وقيل كانت عدتهم ثمانمائة فارس وأربعمائة راجل: وهم يقاتلون علىٰ طمع وشبهة، فأقبلوا يقدمهم هذا المكنى بأبي الحسين. قال: وكان أحد الألطاف أن إسحاق بن عمران قد أحدث مصلى بالقرب من طرف البلد فصلى فيه، وكان الرجوع منه إلىٰ البلد سهلًا، فقصدت القرامطة المصلى العتيق، علىٰ ما كانوا يقدرون من اجتماع الناس فيه، فلم يصادف فيه أحد، فأقبلت خيل منهم من تلك الجهة، فدخلوا الكوفة من يمينها، فوضعوا السيف حتى وصلوا إلىٰ حبسها ففتحوه وقتلوا كثيرًا من الناس وأخرجوا خلقًا، فارتجت الكوفة وخرج الناس بالسلاح، وتكاثر الناس علىٰ من دخل الكوفة من القرامطة، فقذفوهم بالحجارة فقتل منهم جماعة، وأقبل جل القوم نحو الخندق فقتلوا ناسًا، وناوشهم

طوائف من الجند تخلفوا بالصحراء وبعض ما كان أنفذ إسحاق بن عمران طليعة، فقتلوا بعضهم وأفلت إلىٰ البلد، وكان إسحاق بن عمران قد انصرف في أحسن زي وأجمله، فلما صار قرب داره تفرق الجيش عنه إلا خواصًا، كان قد عمل لهم سماطًا في داره، فلما سار في بعض الطريق لحقه فارس من بني أسد علىٰ فرس له بلقاء، قد طعنت في عنقها ودمها سائل ودمها علىٰ كتفها إلىٰ الحافر، فشق الجند وزاحم غلمانه وجاوز إسحاق بن عمران، ثم قلب رأس فرسه إليه فوقف له، فقال: جاءتنا أيها الأمير خيل من الأعراب، فقتلت وسلبت وخرجت إلىٰ الصحراء، فلما رددناهم طعنت فرسي، فقلب إسحاق بن عمران فرسه راجعًا، وأمر بإخراج الجند نحو الخندق، وبين يدي إسحاق بن عمران نحو من ستين راجلًا، ومعه غلمانه ونفر يسير من الجند، حتى صار عند قصر عيسى بن موسى ومعه أبو عيسى صالح بن علي بن يحيى الهاشمي يسايره فالتفت إليه، وقال: خذ هؤلاء الرجالة وامض إلىٰ قنطرة بني عبد الوهاب - وهي إحدى قناطر الخندق - فاكشفها، فأخذهم ومضى، وتقدم إلىٰ عبد الله الحسين بن عمر العلوي أن يدور في البلد ويسكن الناس، فدار وعليه السواد فسكن الناس، وخرج كثير من الناس بالسلاح، وتفرق من دخل الكوفة من القرامطة لما رماهم أهلها، وقتل بعض القصابين رجلًا منهم بساطور، وكان فيمن تفرق منهم رجل من كلب يعرف بالمقلقل، وهو أحد رجالهم وشجعانهم في جمع معه، فأفضى به الطريق إلىٰ دار عيسى بن علي، فلقيهم أحد الفرسان من الجند يعرف بالورداني، قد ركب لما سمع الصيحة، فلم يشك أنهم من الجند لما رأى من كثرة الجواشن عليهم والدروع، فقال لهم: سيروا يا أصحابنا، فأمسكوا عنه حتى توسطهم ثم عطفوا عليه بالسيوف فقتلوه، وأخذوا دابته وساروا نحو الخندق للقاء أصحابهم، فلما صاروا بالصحراء من الكوفة نظر إليهم أبو عيسى، فلم يشك أنهم من أصحاب السلطان، ثم نظر إليهم وقد لقوا جماعة من العامة، فأقبلوا يسبلونهم، فتبين أمرهم فحمل عليهم فعدلوا عن سلب أولئك، وحمل فارسهم المقلقل - وكان رجلًا عظيمًا

جسيمًا – وفي يده سيف عريض، فالتقى هو وأبو عيسى فطعنه أبو عيسى تحت ثندوته فصرعه، فحذفه المقلقل بالسيف فأصاب جحفله فرسه فعقره، وأمر أبو عيسى بعض الرجالة فاحتز رأسه ووجه به إلىٰ إسحاق بن عمران، وقد رفع رأسه، فكان ذلك أحد ما كسرهم؛ قال: واجتمعت الخيل والرجالة فقاتلهم إسحاق بمن معه – وليسوا بالكثيرين – قتالًا شديدًا، في يوم صائف شديد الحر طويل إلىٰ الزوال، وخرج الناس من العامة فانصرف القرامطة مكدودين فنزلوا العدير علىٰ ميلين من الكوفة وارتحلوا عشيًا نحو سوادهم، واجتازوا بالقادسية، وقد وصل إليهم رسول إسحاق بن عمران، فحذرهم أمرهم يعني حذر أهل القادسية، وعرف يومئذ صبر إسحاق ابن عمران علىٰ حملاتهم وتشجيعه لأصحابه.

قال: وأخرج إسحاق بن عمران مضاربة بظاهر الكوفة، وخرج إليه أصحابه فعسكر، وبات الناس بالكوفة علىٰ غاية الجزع والتحارس ونصب الحجارة علىٰ الأسطحة؛ قال: ولم وصلت القرامطة إلىٰ عين الرحبة وكانوا قد خلفوا سوادهم هناك، فرحلوا ثم وساروا بهم فنزلوا عينًا بسرة العذيب تعرف بعين عبد الله، ثم رحلوا فنزلوا قرية تعرف بالصوان علىٰ نهر هد من سواد الكوفة، ثم مضى أبو الحين إلىٰ قرية تعرف بالدرنة علىٰ نهر زياد من سواد الكوفة، فخرج إليه بها زكرويه وكان من أمره ما نذكره.

زكرويه بن مهرويه وقتاله عساكر الخليفة وأخذه الحاج وما كان من أمره إلىٰ أن قتل كان ظهور زكرويه بن مهرويه في سنة ثلاث وتسعين ومائتين، وذلك أنه لما وصل القاسم بن أحمد إلىٰ الدرنة خرج زكرويه إليه منها وكان بها مستترًا كما ذكرنا فيما تقدم، فقال القاسم للعسكر: هذا صاحبكم وسيدكم ووليكم الذي تنتظرونه، فترجلوا بأجمعهم وألصقوا خدودهم بالأرض، وضرب لزكرويه مضرب عظيم وطافوا به وسروا سرورًا عظيمًا، واجتمع إليه أهل دعوته من أهل السواد فعظم جيشه جدًا، وكان إسحاق بن عمران قد كتب إلىٰ العباس بن الحسن وزير المكتفي ـ يخبره

خبر القرامطة ومهاجمتهم علىٰ الكوفة وما كان من خبرهم، وأثنى علىٰ من عنده من الجند وذكر حسن بلائهم، فلما وصل إليه الكتاب قلق له، وشاور بعض أصحابه في لقاء الخليفة المكتفي بالله بذلك، فأشار عليه بتعجيله بذلك، فقال الوزير: كيف ألقاه بهذا مع ما يحتاج إليه من الأموال ولعهدي به، وقد ناظرني منذ يومين في دينار واحد، ذكر أنه فضل بقية نفقة رفعت إليه، فقال له صاحبه: أيها الوزير إن أسعفك وإلا ففي خدمك وأسبابك فضل فوظفها علينا، وتنفق فيها، فقال: فرجت، والله ـ عني، ثم لبس ثيابه وأتى إلىٰ المكتفي بالله فدخل عليه في غير وقت الدخول فعرفه الخبر، فقال له المكتفي: كأنك يا عباس قد قلت: كيف أخبر أمير المؤمنين بمثل هذا وقد ناظرني في دينار فضل نفقة! فقال: قد كان ذاك يا أمير المؤمنين، قال: إنما جرى ذلك لمثل هذا، فلا تبخل بمال في مثل هذا، وأباحه الأموال والإنفاق في الرجال ليلًا ونهارًا، فأنفذ الوزير جنى الصعفراني ومباركًا القمى وتحرير العمري ورائقًا وطائفة من الغلمان الحجرية وجماعة من القواد في جيش عظيم، فوصل أوائلهم في اليوم السادس من يوم النحر، فركب إليهم إسحاق بن عمران وذكر لهم قوة من لقي من القرامطة، وأنه قد مارسهم، وحذرهم أن يغيروا بهم، وقال لهم: سيروا إلىٰ القادسية فإن بينكم وبينها مرحلة، وإذا صرتم بها فأريحوا واستريحوا وتجمعوا، ثم سيروا إليهم وطاولوهم ونازلوهم فإن الظفر برجي بذلك فيهم عندي، ولا ترموا بأنفسكم عليهم صبر غير أنكال، فقال له بشر الأفشيني: إن رأيناهم كفيناك القول يا أبا يعقوب، إنما نخشى أن يهربوا، فدعا لهم بالنصر ورحلوا نحو القادسية، فتابوا بها ليلة ورحلوا في آخرها إلىٰ الصوان، وبين الموضعين نحو العشرة أميال، ورحلوا بالأثقال والفهود والبزاة وهم علىٰ غير تعبئة مستخففين بهم، فأسرعوا السير ووصلوا وقد تعب ظهرهم وقل نشاطهم وقد عمد القرامطة فضربوا بيوتهم إلىٰ جانب جرف عظيم لنهر هناك وأثقالهم مما يلي البيوت، والرجالة في أيديهم السيوف، وقتالهم من وجه واحد صفا واحدًا قدام البيوت بقدر نصف غلوة، والفرسان جلوس خلف الرجالة، فلما تراءى الفريقان

ركب الفرسان وافترقوا فصاروا جناحين للرجالة، وحملوا علىٰ الناس فصدقوهم الحملة فانكفأوا راجعين، وتلاقى الرجالة من الفريقين، فأتت رجالة العسكر علىٰ رجالة القرامطة وألجأوهم إلىٰ البيوت، وأقبلت الفرسان فنظروا إلىٰ الرجالة ينهبون بيوتهم، فترحلوا وحملوا خيلهم الأمتعة، وكانت القرامطة في مجنبات الناس لما رأوا من صدق القتال، فلما رأوا الناس قد حملوا الدواب والجمازات وتشاغلوا حملوا علىٰ الجمازات والبغال بالرماح، فأقبلت لا يردها شيء عن الناس تخطبهم، فانهزم الناس ووضع السيف فيهم، وقتل الأكثر وتبع الأقل نحو القادسية وفيهم مبارك القمى، فأقاموا ثلاثًا يجمعون السلب والأسرى، وجمع زكرويه الآلة والمتاع والأثاث والجمازات، فقيل إنه أخذ ثلاثمائة جمل وخمسمائة بغل مما كان للسلطان سوى ما أخذ للقواد، وقيل إنه قتل ألفًا وخمسمائة رجل، فقوى أصحابه جدًا، ودخل الكوفة فلول الجيش عراة. ورحل زكرويه يريد الحاج وبعث دعاته إلىٰ السواد، فلم يلحق به فيما قيل إلا النساء والصبيان، قال: ولما وقف الخليفة علىٰ صورة الأمر عظم عليه وعلى الناس وخافوا علىٰ الحجاج، فانفذ المكتفى بالله محمد بن إسحاق بن كنداج لحفظ الحاج وطلب زكرويه، وضم إليه خلقًا عظيمًا وجماعة من القواد ونحو ألفي رجل من بني شيبان واليمن وغيرهم، وكان زكرويه قد نزل علىٰ عين الزبيدية، ثم نزل علىٰ أربعة أميال من واقصة، فوافت القافلة لست أو سبع خلت من المحرم من سنة أربع وتسعين ومائتين، فأنذرهم أهل المنزل بالقرامطة فلم ينزلوا وطووا، فنجاهم الله عز وجل، وكان معهم من أصحاب السلطان الحسن بن موسى وسما الإبراهيمي، فلما وافى زكرويه واقصة تعرف الخبر فعرف أنهم قد حذروهم، فقتل جماعة من أهل المنزل ونهب وأحرق الحشيش وتحصن الباقون منه، ورحل فلقيه الخراسانية من الحجاج علىٰ الأرض البسيطة التي تخرج منها حجارة النار، يوم الأحد لإحدى عشرة ليلة خلت من المحرم، وليس معهم أحد من أصحاب السلطان، فرشقوا القرامطة بالنشاب وقد أحاطوا بهم فانحازوا عنهم، ثم تقدم إلىٰ

الحاج جماعة منهم فسألوهم: هل فيكم سلطان، فأنا لا نريدكم؟ فقالوا لهم: لا، إنما نحن قوم حجاج، فقال لهم زكرويه: امضوا، فرحلوا وأملهم حتى ساروا ثم قصدهم، يبعج الجمال بالرماح حتى كسر بعضها بعضا واختلطت، ووضع السيف فقتل خلقًا عظيمًا واستولى علىٰ الأموال.

وقدم محمد بن إسحاق بن كنداج الكوفة ثم رحل إلىٰ القادسية فلما وقف علىٰ خبر مسيرهم نحو راقصة أنفذ علان بن كشمرد في خيل جريدة، حتى لقي فل الخراسانية فأشاروا عليه أن يلحق الحاج فإن القافلة الثانية تنزل العقبة الليلة أو من غد، فحث حتى تسبق إليها فتجتمع أنت ومن فيها علىٰ قتال الكفرة، الله الله في الناس أدركهم، فرحل راجعًا نحو القادسية وقال: لا أغرر برجال السلطان للقتل، فلقي بعد ذلك من المكتفي شرًا؛ وورد زكرويه العقبة يوم الاثنين لاثنتي عشرة ليلة خلت من المحرم وفي القافلة مبارك القمي وأحمد ابن نصر الديلمي وأحمد بن علي الهمذاني، وقد كانت كتب المكتفي اتصلت إلىٰ أمراء القافلة الثانية والثالثة مع رسله، يأمرهم أن يتجنبوا الطريق ويرجعوا إلىٰ المدينة، ويأخذوا علىٰ طريق البصرة أو غيرها فلم يفعلوا ذلك، ولما التقوا قتالًا شديدًا فكانت الغلبة لأصحاب السلطان حتى لم يشكوا في ذلك، ثم خرج اللعين زكرويه إلىٰ آخر القافلة وقد رأى خللًا هناك، فعمل في الجمال كما عمل في جمال الخراسانية، وقتل سائر الناس إلا يسيرًا استبعدهم أو شريدًا، ثم أنفذ خيلًا فلحقت من أفلت من أوائل القوم حتى ردوهم إليه، فقتلهم وأخذ النساء وجميع ما في القافلة، وقتل مباركًا القمي ومظفرًا ابنه وأسر أبا العشائر، فقطع يديه ورجليه وضرب عنقه، وأطلق من النساء ما لا حاجة له فيها، ووقع بعض الجرحى بين القتلى حتى تخلصوا ليلًا، ومات كثير من الناس جوعًا وعطشًا، وورد من قدم من الناس يخبرون أن نساء القرامطة كن يطفن بين القتلى فيقلن: عزيز علينا، من يرد ماء نسقيه، فإن كلمهن جريح مطروح أجهزن عليه، قال: ويقال إن جميع القتلى كانوا نحوا من عشرين ألفًا، وأخذ من الأموال ما لا يحصى

كثرة. قال: ولما اتصل خبر القافلتين بمدينة السلام جاء الناس من ذلك ما شغلهم، وتقدم السلطان بإخراج المال وإزاحة العلل، وأخرج العباس بن الحسن ومحمد بن داود الجراح الكاتب المتولي دواوين الخراج والضياع بالمسير إلىٰ الكوفة لإنقاذ الجيش منها، وحمل معه أموالًا عظيمة، وقال: كلما قرب نفاذ ما معك كاتبني لأمدك بالأموال، وخرج إليها يوم الثلاثاء لإحدى عشرة ليلة بقيت من المحرم، وقدم خزانة سلاح جعلها بالكوفة فما زالت بقاياها هناك إلىٰ أن أخذها الهجري. قال: ثم رحل زكرويه يريد القافلة الثالثة فلم يدع ماء في طريقه إلا طرح فيه جيف الموتى، ونزل زبالة فقتل من بها من التجار، ونهب الحصن وبث الطلائع خوفًا من لحوق عسكر السلطان به، فلما أبطأت القافلة عليه فنزل الشقوق ثم نزل في رمل يقال له الهبير والطليح، وأقام ينتظر القافلة وفيها من القواد نفيس المولدي، وعلى ساقتها صالح الأسود ومعه الشمسة، وكان المعتضد جعل فيها جواهر نفيسًا ومعه الخرانة، وكان في القافلة من الوجوه إبراهيم بن أبي الأشعث، ومعه كاتبه المنذر بن إبراهيم وميمون ابن إبراهيم الكاتب وكان إليه ديوان الخراج، والفرات بن أحمد ابن محمد بن الفرات، والحسن بن إسماعيل قرابة العباس بن الحسن، وعلي بن العباس النهيكي وغيرهم من الرؤساء، وخلق من مياسير التجار وفيها من المتاجر والرقيق ما يخرج عن الوصف، وفيها جماعة من الأشراف منهم أبو عبد الله أحمد بن موسى بن جعفر وجماعة من أهله، فأصاب بعضهم جراحات وأسر بقيتهم، فعرفهم بعض المولدين من وجوه عسكره فأخبره بهم، فخلى لأبي عبد الله أحمد بن موسى وأهله الطريق، ومكنهم من جمال تحملوا عليها، وكان أحمد بن موسى أحد من دخل بغداد وخبر السلطان بأمرهم وجلالة حالهم؛ وأقاموا بفيد وقد اتصل بهم أنهم ينتظرون مددًا من السلطان ففعل ابن كشمرد ما فعل من رجوعه إلىٰ القادسية ولم ينجدهم، فلما طال مقامهم نفذ ما في المنزل وغلا السعر جدًا، وجلوا عن الأجفر والخزيمية ثم الثعلبية ثم الهبير، فلم يستتم نزولهم حتى ناهضهم زكرويه فقاتلهم يومهم كله، ثم باتوا علىٰ

السواء، ثم باكرهم فقاتلهم فبينما هم كذلك إذ أقبلت قافلة العمرة، وكان المتمرون يتخلفون للعمرة بعد خروج الحاج إذ دخل المحرم، وينفردون قافلة واحدة وانقطع ذلك من تلك السنة، فاجتمع الناس وقاتلوهم يومهم، ونفذ الماء وعطشوا ولا ماء لهم هناك، وباتوا وزكرويه مستظهر عليهم، ثم عاودهم القتال حتى ملك القافلة، فقتل الناس وأخذ ما فيها من حريم ومال وغير ذلك، وأفلت ناس قليل قتل الناس وأخذ ما فيها من حريم ومال وغير ذلك، وأفلت ناس قليل قتل أكثرهم العطش، ثم سار مصعدًا نحو فيد فتحصن منه أهلها، فطاولهم فصبروا عليه ونزل منهم ثمانية عشر رجلًا بالحبال من رأس الحصن، فقاتلوا رجالتهم قتالًا شديدًا وقد أسندوا ظهورهم بسور الحصن، ورمى أهل الحصن بالحجارة؛ قال: سمعت داود بن عتاب الفيدي ـ وكان نبيلًا صدوقًا ـ قال: نزلنا إليهم نحو أربعين رجلًا متزرين بالسراويلات، وقد كان لحقهم ـ لا أدري ـ عطش قال أو جوع، قال: فطردناهم فمالوا إلىٰ حصن يقرب منا، وقد كان بيننا وبين أهله عداوة قديمة، أخذوا منهم الأمان ونزلوا ليفتحوا لهم، فقال بعضنا لبعض: إن ظفروا به أخذوا منه ما يحتاجون إليه، وعادوا إليكم، قال: فطرحنا أنفسنا عليهم وأحس بذلك أهل الحصن فقويت قلوبهم، وخرجوا فكشفناهم، وتبعهم جماعة منا فسلبوا منهم جمالًا، وكان ذلك سبب صلاحنا مع أصحاب الحصن. قال الشريف: ولم يبق دار بالكوفة وبغداد والعراق إلا وفيها مصيبة وعبرة سابلة وضجيج وعويل، حتى قيل إن المكتفي اعتزل النساء همًّا وغمًّا، قال: وخفي أمر زكرويه، لا يعلم أين توجه، وقد كان أخذ ناحية مطلع الشمس، فتقدم المكتفي يتتبع أحواله وإشجان البلدان - التي يخاف مصيره إليها - بالرجال، وأنفذ وصيف ابن صوارتكين ولجيم بن الهضيم والقاسم بن سيما في جيش عظيم بالميرة والزاد والمال والجمال، لاستقبال الناس وإزاحة عللهم، وتقدم يطلب زكرويه حيث كان، إلىٰ أن وردت كتب أهل فيد بخبره، فكوتب عند ذلك إسحاق بن كنداج بأن يلزم القادسية ونواحي الكوفة بجيشه، وكوتب لجيم بالمسير إلىٰ خفان ومعارضة زكرويه

حيث كان، وأن ينفذ الطلائع والأعراب ويرغبوا في تتبع حاله حتى يعرف، فجاءت الأخبار بما غلب علىٰ ظنهم، أنه لم يخط ناحية البصرة وأنه يقصد الاجتماع مع أبي سعيد الجنابي وهو المقدم ذكره، فاجتمع القواد وتشاوروا واستقبلوا طريقًا يقال له الطريق الشامي، ويقال له طريق الطف وهو بين الكوفة والبصرة، وعملوا علىٰ المقام هناك ليكونوا بين الكوفة وواسط والبصرة، فساروا مستدبري القبلة مستقبلي البصرة يرتجلون من ماء إلىٰ آخر، حتى نزلوا يوم السبت لثمان بقين من شهر ربيع الأول سنة أربع وتسعين ومائتين ركبًا فيه ماء بقرية خراب يقال لها صماخ، كان يسكنها علىٰ قديم الدهر قوم من ربيعة يقال لهم بنو عنزة، وبين هذا الموضع وبين البصرة ثلاثة أيام، فلقيهم قوم من الأعراب فخبروهم أن القرامطة بالثنى، وهو موضع من ذي قار الذي كانت فيه وقعة العرب مع العجم في أيام كسرى، وهو واد كثير الماء العذب وبينه وبين صماغ عشرة أميال، فبات الجيش بصماغ وتراءت الطلائع في عشي يومئذ، ورحل زكرويه من غد وهو طامع بالظفر، فالتقوا بقرية خراب يقال لها إرم، بينها وبين الثنى ثلاثة أميال، وذلك يوم الأحد لسبع بقين من شهر ربيع الأول، فاقتتلوا قتالًا شديدًا صبر فيه الفريقان جميعًا، ثم انهزم زكروية فقتل الجيش أكثر من معه، وأسر خلق كثير منهم وأفلت صعاليك من العرب علىٰ الخيل مجردين، ووصل إلىٰ زكروية - وهو في القبة - في أوائل السواد، فظنوا أنه في الخيل التي انهزمت، فقذف رجل بنار فوقعت في قبته فخرج من ظهرها فألقى نفسه من مؤخرها، ولحقه بعض الرجالة - وهو لا يعرفه - فضربه علىٰ رأسه ضربة أثخنته فسقط إلىٰ الأرض فأدركه صاحب للجيم كله يعرفه فأخذه وصار به إليه، فأخذه لجيم وأركب الذي جاءه به نجيبًا فارهًا، وقال له: طر - إن أمكنك - حتى تأتي بغداد، وعرف العباس بن الحسن الوزير أنك رسولي إليه، واشرح له ما شاهدت وسلم إليه الخاتم، فسار حتى دخل بغداد وأعلمه بالخبر.

قال: ومضى لجيم إلىٰ وصيف والقاسم بن سيما فعرفهما خبر زكروية

واجتمعوا جميعًا وكتبوا كتاب الفتح، ونهب الجيش عسكر القرامطة وأخذوا زوج زكروية واسمها مؤمنة وأخذ خليفته وجماعة من خاصته وأقربائه وكاتبه، وانصرف العسكر نحو الكوفة فمات زكروية بخفان من جراحات أصابته، صبر وكفن وحمل علىٰ جمل إلىٰ بغداد، وأدخلت جثته وزوجته وحرم أصحابه وأولادهم والأسرى ورؤوس من قتل بين يديه وخلفه نساؤه من الجوالقات.

قال ابن الأثير: وانهزم جماعة من أصحابه إلىٰ الشام، فأوقع بهم أصحاب الحسين بن حمدان فقتلوا عن آخرهم، وأخذ الأعراب رجلين من أصحاب زكروية يعرف أحدهما بالحداد والآخر بالمنتقم وهو أخو امرأة زكروية، كانا قد توجها إليهم يدعوانهم إلىٰ الخروج إلىٰ صاحبهم، فسيروهما إلىٰ بغداد، وتتبع الخليفة القرامطة بالعراق فقتل بعضهم وحبس بعضهم، وبادت هذه الطائفة منهم بالعراق مدة». انتهى[(١)]

---

(١) نهاية الأرب في فنون الأدب النويري.

الفصل الخامس



معلومات قرمطية

- مذهب القرامطة
- لماذا أطلق عليهم القرامطة؟
- الحجر الأسود والقرامطة
- ينبوع الكعبة والحجر الأسود
- رد الحجر الأسود إلىٰ مكة
- الصلاة والقرامطة
- القرامطة وشعاراتهم
- الشعر القرمطي

مذهب القرامطة

حقيقة مذهب القرامطة أنه وليد الدعوة الإسماعيلية ولكن هذا الوليد أنقطع عن الدعوة الأصل فتوقفت تعاليم الدعوة القرمطية للدعوة إلىٰ محمد ابن إسماعيل مهدي القرامطة بينما تواصلت الدعوة الإسماعيلية في تتابع أئمتهم بينما انقطع الاتصال الفعلي للقرامطة بالدعوة آلام وان كانت مبادئ القرامطة ومفاهيمها وأساليبها في بداية دعوتهم هي في ذاتها الدعوة الإسماعيلية، وهكذا استغل القرامطة بدعوتهم، وذلك من قبل دعاة يطلبون الزعامة، كما هو الداعي القرمطي أبو سعيد الجنابي، فانحرفوا عن دعوتهم ألام واصبح من الصعوبة للباحث تحديد مذهب القرامطة فضمن قراءتي لأعمالهم وتحالفاتهم اتضح لي هناك ازدواجية في الكثير من توجهاتهم، فيمكن للباحث أن ينسبهم إلىٰ الخوارج نظرا لإسرافهم في القتل وممكن أن تنسبهم إلىٰ المذهب الإسماعيلي الفاطمي حيث انهم أظهروا ولائهم إلىٰ عبيد الله العلوي بالمغرب والى أحفاده في فترات مختلفة من حكم القرامطة، كما انهم مالوا بولائهم مع عدوهم وعدو مؤسس دولتهم، ألا وهي الدولة العباسية ومحاربة الفاطميين في مصر وكانهم يذهبون إلىٰ المذهب السني وعلى كل حال فهم في الحقيقة قتلوا الكثير من الطالبيين من أهل بيت النبوة. وبالتالي فحركة القرامطة

انحرفت كثير عن مبادئها التي قامت من أجلها، فأصبحت حركة سياسية بعيدة عن الدين ' جل همها السلطة والنهب والسلب وانما كانت ابتدائهم قد تكون فيها من الحقيقة إنها تدعوا إلىٰ مهدي أهل البيت كما هو في المعتقد الإسماعيلي، ولكن واقعهم خلاف ذلك، بالرغم من تضارب ما نقل عن معتقداتهم واسلامهم، ولكن رأيت من العدل أن نورد بعض ما سطرته كتب التاريخ عنهم، ليقترب القارئ.من حقيقة القرامطة:

وهناك وجه شبه بين دعوتهم ودعوة صاحب الزنج كما ذكرنا آنفا فكما أدعى صاحب الزنج أنه ينتسب إلىٰ شجرة أهل البيت وبالرغم من ذلك سفك الكثير من دماء أهل البيت، هكذا كان حال دعاة وقادة حركة القرامطة، فنورد هنا ما أشار إليه الطبري: أن الحسين بن زكرويه سار إلىٰ أطراف حمص، فتغلب عليها وخطب علىٰ منابرها، وتسمى بالمهدي، وهو أبن نيف وعشرين سنة، المسمى بأحمد بن عبد الله بن محمد بن إسماعيل بن جعفر، وأظهر شامة في وجهه ذكر أنها آيته، وبالرغم من ادعائه أنه سليل بني هاشم فقد أسرف في القتل عندما دخل بعلبك فقتل عامة أهلها حتى لم يبق منهم فيما قيل إلا اليسير ثم سار إلىٰ سلمية فحاربه أهلها ومنعوه الدخول، ثم وادعهم وأعطاهم الأمان ففتحوا له بابها فدخلها، فبدأ بمن فيها من بني هاشم، وكان بها منهم جماعة فقتلهم، ثم ثنى بأهل سلمية فقتلهم أجمعين.[1]

كما يذكر ابن خلدون قوله: «ظهر في سواد الكوفة سنة ثمان وخمسين ومائتين من دعاة الرافضة رجل اسمه الفرج بن يحيى، ويدعى قرمط بكتاب زعم أنه من عند أحمد بن محمد بن الحنفية فيه كثير من كلمات الكفر والتحليل والتحريم وأدعى أن محمد بن الحنفية هو المهدي المنتظر، وعاث في بلاد السواد، ثم في بلاد الشام وتلقب وكرويه (زكرويه) بن مهرويه واستبد طائفة منهم بالبحرين ونواحيها ورئيسهم أبو سعيد الجنابي، وكان له هناك ملك دولة أورثها بنيه من بعده إلىٰ أن أنقرضت

---

(١) تاريخ الأمم والملوك ـ الطبري.

أعوامهم كما يذكر في أخبار دولتهم، وكان أهل البحرين هؤلاء يرجعون إلىٰ دعوة العبيديين بالمغرب وطاعتهم». انتهىٰ[١]

ومن خلال تصرفات قادة القرامطة نتمكن من التعرف علىٰ بعض جوانب عقيدتهم، وهنا نستعرض ماسطره المؤرخون:

يقول المسعودي خلال استعراضه لأحداث القرامطة: «وأن هذه الدعوة أحدثت بأصبهان سنة ٢٦٠ وما الغرض بها والمقصد منها وتسليمهم ظاهر الشريعة، وقولهم في تأويل معانيها، وأمرهم المدعو عند أخذ العهد عليه بستر ما يكشفونه له من تأويل كتاب الله، ومنهم من يقول للمدعو عند ذلك استر ما أكشفه لك من تأويل كتاب الله وتأويل التأويل وتبليغه إلىٰ مراتب ينتهون به إليها يسمونها البلاغ، وغير ذلك من دعواتهم ووجوه سياساتهم وأسرارهم في ذلك ورموزهم. وقد صنف متكلموا فرق الإسلام من المعتزلة والشيعة والمرجئة والخوارج والنابتة ممن تقدم كتبًا في المقالات وغيرها من الرد علىٰ المخالفين، كاليمان بن رئاب الخارجي، وزرقان غلام إبراهيم بن سيار النظام، ومحمد بن شبيب صاحب النظام أيضًا، وعباد بن سلمان الصيمري، صاحب هشام بن عمرو الفوطي، صاحب أبي الهذيل محمد بن الهذيل العبدي العلاف البصري، ومحمد بن عيسى بن غوث، صاحب الحسين بن محمد النجار، وأبي عيسى محمد ابن هارون الوراق، وأحمد بن الحسن بن سهل المصمعي المعروف بابن أخي زرقان وغيرهم ممن شاهدناه كأبي علي محمد بن عبد الوهاب الجبائي في كتابه في الرد علىٰ أصحاب التناسخ والخرمية وغيرهم من أهل الباطن، وأبي القاسم البلخي وأبي العباس عبد الله بن محمد الناشي، والحسين بن موسى النوبختي في كتابه في الآراء والديانات، وفي كتابه في الرد علىٰ الغلاة وغيرهم من الباطنية، وأبي محمد عبد الله بن محمد الخالدي، وأبي الحسن بن أبي بشر الأشعري البصري الكلابي وغير هؤلاء فلم يعرض أحد منهم بوصف مذاهب

---

(١) تاريخ ابن خلدون ص٩٠٨.

هذه الطائفة ورد عليهم آخرون مثل قدامة بن يزيد النعماني، وابن عبدك الجرجاني، وأبي الحسن ابن زكريا الجرجاني، وأبي عبد الله محمد بنعلي بن رزام الطائي الكوفي، وأبي جعفر الكلابي الرازي وغيرهم، فكل يصف من مذاهبهم ما لا يحكيه الآخر مع إنكار هذه الطائفة حكاية من ذكرنا وتركهم الاعتراف بها، ونحن فلم نقصد في كتابنا هذا حكاية مذاهبهم ولا الرد عليهم وكان مقتل محمد بن علي الشلمغاني الكاتب المعروف بابن أبي العزاقر يوم الثلاثاء غرة ذي القعدة سنة ٣٢٢ فقطعت يداه ورجلاه وضربت عنقه وأحرق في مجلس الشرطة في الجانب الغربي لأمور ديانية أحدثها ومقالات فيما ذكر ذكرها وأظهرها كثر المستجيبون له إليها وقتل معه رجل من أتباعه يقال له ابن أبي عون ويعرف بابن النجم الكاتب مثل ذلك. وقد أتينا علىٰ ما ظهر من قوله وحكاه من هذا عن نفسه في رسالته المعروفة بالمذهبة وكتابه في الوصية وكتاب الغيبة وكتاب التسليم، وغير ذلك من كتبه في كتابنا في المقالات في أصول الديانات عند ذكرنا مذاهب الشيعة وغلاتهم». انتهىٰ[1]

وقال ابن خلدون عن دعوة القرامطة: «هذه الدعوة لم يظهرها أحد من أهل نسب العلوية ولا من الطالبيين، وإنما قام بها دعاة المهدي من أهل البيت علىٰ اختلاف منهم في تعيين هذا المهدي كما نذكره.

وكان مدار دعوتهم علىٰ رجلين أحدهما يسمى الفرج بن عثمان القاشاني من دعاة المهدي ويسمى أيضا كرويه بن مهدويه (زكرويه مهرويه) وهو الذي انتهىٰ اليه دعاتهم بسواد الكوفة، ثم بالعراق والشام، ولم يتم لهؤلاء دولة، والآخر يسمى أبا سعيد الحسن بن بهرام الجنابي، كانت دعوته بالبحرين واستقرت له هناك دولة ولبنيه.

وانتسب بعض مزاعمهم إلىٰ دعاة الاسماعيلية الذين كانوا بالقيروان كما

---

(١) التنبيه والإشراف ـ المسعودي ص٣٩٥ دار صادر بيروت ـ طبع ليدن مطبعة بريل سنة ١٨٩٣.

نذكره. ودعوى هؤلاء القرامطة في غاية الاضطراب مختلة العقائد والقواعد، منافية للشرائع والاسلام في الكثير من مزاعمهم، وأول من قام بها بسواد الكوفة سنة ثمان وسبعين ومائتين رجل أظهر الزهد والتقشف، وزعم أنه يدعو إلىٰ المهدي وأن الصلوات المفروضة خمسون كل يوم، واستجاب له جمع كثير ولقب قرمط وأصلها بالكاف، وكان يأخذ من كل من يجيب دعوته دينارا للامام وجعل عليهم نقباء وسماهم الحواريين، وشغل الناس بذلك عن شؤونهم وحبسه عامل الناحية ففر من محبسه ولم يوقف له علىٰ خبر، فازداد أتباعه فتنة فيه ثم زعم أنه الذي بشر به أحمد بن محمد بن الحنفية، وأن أحمد نبي، وفشا هذا المذهب في السواد وقرأ بينهم كتاب زعموا انه جاءهم من داعيه المهدي نصه بعد البسملة:

يقول الفرج بن عثمان: الحمد لله بكلمته وتعالى باسمه المنجد لأوليائه قل أن الاهلة مواقيت للناس ظاهرها لتعلم عدد السنين والحساب والشهور والايام، وباطنها أوليائي الذين عرفوا عبادي سبيلي اتقوني ياأولي الالباب، وأنا الذي لاأسأل عما أفعل، وأنا العليم الحكيم، وأنا الذي أبلو عبادي وأستخبر خلقي فمن صبر علىٰ بلائي ومحنتي واختباري ألقيته في جنتي وأخلدته في نعمتي ومن زال عن أمري وكذب رسلي أخلدته في نعمتي ومن زال عن أمري وكذب رسلي أخلته مهانا في عذابي واتممت أجلي وأظهرت علىٰ السنة رسلي، فأنا الذي لايتكبر علي جبار إلا وضعته ولا عزيز إلا ذللته، فليس الذي أصر علىٰ أمره ودام علىٰ جهالته، وقال: لن نبرح عليه عاكفين وبه مؤمنين أولئك هم الكافرون.

ثم يركع ويقول في ركوعه مرتين سبحان ربي ورب العزة تعالى عما يصف الظالمون، وفي سجوده: الله أعلى مرتين الله أعظم مرة، والصوم مشروع يوم المهرجان والنيروز والنبيذحرام والخمر حلال، والغسل من الجنابة كالوضوء، ولا يؤكل ذو ناب ولا ذو مخلب.

ومن خالف وحارب وجب قتله ومن لم يحارب أخذت منه الجزية». انتهىٰ[١]

ويرى الدكتور محي الدين اللاذقاني أن القرامطة لاينتسبون إلىٰ الاسماعيلية بل هم أقرب إلىٰ الكيسانية وذلك بقوله: «من الواضح ان سلاح التأويل الذي استوردته الشيعة الاسماعيلية من الافلاطونية الحديثة (فيلون وافلوطين) اتاح لكل الفرق الاخرى ان تصنع تأويلاتها استنادا إلىٰ أئمتها فأصبح الدين يتخلص في طاعة رجل واحد فمن عصى الامام عصى الله، ولعل هذه العقيدة الاسماعيلية هي الرد الكافي علىٰ من يقول بانتساب القرامطة للاسماعيليين فالنظام الذي انشأه القرامطة في البحرين يشهد بغير ذلك تماما وفكرة العصمة ـ عصمة أي أحد ـ لم تكن معروفة عند القرامطة أبدا، فلا أحد فوق النقد بما في ذلك الائمة أنفسهم وهذا ماجعل الحسن الأعصم يفتح النار علىٰ أئمة الاسماعيلية ويصفهم بالكذب والدجل والمخرقة، لقد كانت الامامة الكيسانية اكثر ملاءمة لظروف القرامطة حيث يمكن صنع اشياء كثيرة باسم امام غائب أو مستضعف بينما لايمكن ذلك في حضور امام صاحب وة عسكرية مسلحة.

ومن الثابت ان مركز الامام انحط علىٰ يد الكيسانية فصار ملائما لكل ذي طموح لان هذه الفرقة اباحت احتلال مركز الامامة لافراد لايمتون إلىٰ البيت العلوي بصلة منهم حمزة بن عمارة البربري الذي كان ينتمي إلىٰ صاحب ابن حرب من الكيسانية، وبيان بن سمعان النهدي صاحب الفرقة البيانية المعروفة باسمه، وكذلك قامت جماعة من الكيسانية فقالت بامامة عبد الله بن عمرو بن الحرب الكندي الشامي بعد ابي هاشم، فاذا كان بالامكان قيام بربري وامام نهدي وامام كندي، فا المانع من قيام أئمة من آل زكرويه في حمص وائمة من آل الفضل في اليمن وائمة من آل الجنابي بالبحرين». انتهى[٢]

---

(١) تاريخ ابن خلدون ص٩٥٤.

(٢) ثلاثية الحلم القرمطي ـ د. محي الدين اللاذقاني ـ مكتبة مدبولي .

وقال ناصر خسروا عن القرامطة: وقيل إن سلطانهم كان شريفًا وقد ردهم عن الإسلام وقال إني أعفيتكم من الصلاة والصوم ودعاهم إلىٰ إن مرجعهم لا يكون إلا إليه وأسمه أبو سعيد وحين يسألون عن مذهبهم يقولون إنا أبو سعيديون وهم لا يصلون ولا يصومون ولكنهم يقرون بمحمد المصطفى صلى الله عليه وسلم وبرسالته وقد قال لهم أبو سعيد إني أرجع إليكم يعني بعد الوفاة وقبره داخل المدينة وقد بنوا عنده قبرًا جميلًا وقد أوصى أبناءه قائلًا يرعى الملك ويحافظ عليه ستة من أبنائي يحكمون الناس بالعدل وللقسطاس ولا يختلفون فيما بينهم حتى أعود.(١)

بالرغم مما رفعه القرامطة من شعارات مواليه لأهل البيت وكانت دعوتهم لهم ولكنهم خلاف ذلك وقد أشار أبن أ بي الحديد في كتابه شرح نهج البلاغة الذي أوضح فيه إخبار الإمام علي ﷺعنهم. يقول الأصفهاني: «ومن عجيب ماوقفت عليه من ذلك قوله في الخطبة التي يذكر فيها الملاحم، وهو يشير إلىٰ القرامطة:» ينتحلون لنا الحب والهوى ويضمرون لنا البغض والقلى، وآية ذلك قتلهم وراثنا، وهجرهم أحداثنا «وصح ما أخبر به، لان القرامطة قتلت من آل أبي طالب ﷺخلقا كثيرا، وأسماؤهم مذكورة في كتاب مقاتل الطالبيين لأبي الفرج الأصفهاني»» انتهى.(٢)

ونقل ابن الجوزي قوله: «أخبرنا محمد بن أبي طاهر، أنبأنا علي بن المحسن، عن أبيه، قال: حدثنا أبو الحسين عبد الله بن أحمد بن عياش القاضي، قال: أخبرني بعض أصحابنا أنه كان بمكة في الوقت الذي دخلها أبو طاهر القرمطي ونهبها وسلب البيت وقلع الحجر الأسود والباب وقتل المسلمين في الطواف وفي المسجد وعمل تلك الأعمال العظيمة، قال: فرأيت رجلًا قد صعد البيت ليقلع الميزاب، فلما صار عليه سقط فاندقت عنقه، فقال القرمطي: لا يصعد إليه أحد ودعوه، فترك الميزاب ولم يقلع، ثم سكنت الثائرة بعد يوم أو يومين، قال: فكنت أطوف بالبيت فإذا

---

(١) سفرنامة ـ ناصر خسرو.

(٢) شرح نهج البلاغة ـ ابن أبي الحديد.

بقرمطي سكران وقد دخل المسجد بفرسه، فصفر له حتى بال في الطواف، وجرد سيفه ليضرب به من لحق، وكنت قريبًا منه، فعدوت، فلحق رجلًا كان إلىٰ جنبي فضربه فقتله، ثم وقف وصاح: يا حمير أليس قلتم في هذا البيت من دخله كان آمنًا، فكيف يكون آمنًا وقد قتلته الساعة بحضرتكم. قال: فخشيت من الرد عليه أن يقتلني، ثم طلبت الشهادة، فجئت حتى لصقت به وقبضت علىٰ لجامه وجعلت ظهري مع ركبتيه لئلا يتمكن من ضربي بالسيف، ثم قلت: اسمع، قال: قل: قلت: إن الله عز وجل لم يرد أن من دخله كان آمنًا إنما أراد من دخله فأمنوه، وتوقعت أن يقتلني فلوى رأس فرسه وخرج من المسجد وما كلمني.

قال المحسن: وحدثني أبو أحمد الحارثي، قال: أخبرني رجل من أصحاب الحديث أسرته القرامطة سنة الهبير واستعبدته سنين، ثم هرب منها لما أمكنه قال: كان يملكني رجل منهم يسومني سوء العذاب، ويستخدمن أعظم خدمة، ويعربد علي إذا سكر، فسكر ليلة وأقامني حياله، وقال: ما تقول في محمد هذا صاحبكم؟ فقلت: لا أدري، ولكن ما تعمني أيها المؤمن أقوله، فقال: كان رجلًا سائسًا، قال: فما تقول في أبي بكر؟ قلت: لا أدري، ثال: كان رجلًا ضعيفًا مهينًا، قال: فما تقول في عمر؟ قلت: لا أدري، قال: كان والله فظًا غليظًا، فما تقول في عثمان؟ قلت: لا أدري، قال: كان جاهلًا أحمق، فما تقول في علي؟ قلت: لا أدري، قال: كان ممخرقًا أليس يقول إن ها هنا علمًا لو أصبت له حملة، أما كان في ذلك الخلق العظيم بحضرته من يودع كل واحد منهم كلمة حتى يفرغ ما عنده هل هذه إلا مخرقة؟ ونام فلما كان من غد دعاني، فقال: ما قلت لك البارحة؟ فأريته أني لم أفهمه، فحذرني من إعادته والاخبار عنه بذلك، فإذا القوم زنادقة لا يؤمنون بالله ولا يفكرون في أحد من الصحابة.

قال المحسن: ويدل علىٰ هذا أن أبا طاهر القرمطي دخل الكوفة دفعات، فما دخل إلىٰ قبر علي ﷺ واجتاز بالحائر فما زار الحسين. وقد كانوا يمخرقون بالمهدي ويوهمون أنه صاحب المغرب، ويراسلون إسماعيل بن محمد صاحب المهدية

المقيم بالقيروان. ومضت منهم سرية مع الحسين بن أبي منصور بن أبي سعيد في شوال سنة ستين وثلثمائة، فدخلوا دمشق في ذي القعدة من هذه السنة، فقتلوا خلقًا ثم خرجوا إلىٰ مكة فقتلوا واستباحوا وأقاموا الدعوة للمطيع لله في كل فتح فتحوه، وسودوا أعلامهم ورجعوا عما كانوا عليه من المخرقة ضرورة، وقالوا: لو فطنا لما فطن له ابن بويه الديلمي لاستقامت أمورنا، وذلك أنه ترك المذاهب جانبًا، وطلب الغلبة والملك فأطاعه الناس» انتهىٰ[١]

أوضح الطبري أن قرمط كان يأخذ من الرجل إذا دخل في دينه دينارا ويزعم أنه يأخذ ذلك للإمام، واتخذ من اهل القرية التي سكنها أثني عشر نقيبا، أمرهم أن يدعو الناس إلىٰ دينهم، وقال لهم: أنتم كحواري عيسى ابن مريم، فاشتغل أكرة تلك الناحية عن أعمالهم بما رسم لهم من الخمسين الصلاة التي ذكر أنها مفترظة عليهم.

«وكان فيما حكموا عن هؤلاء القرامطة من مذهبهم أن جاءوا بكتاب فيه: «بسم الله الرحمن الرحيم» يقول الفرج بن عثمان؛ وهو من قرية يقال لها نصرانة، داعية إلىٰ المسيح، وهو عيسى، وهو الكلمة، وهو المهدي، وهو أحمد بن محمد بن الحنفية، وهو جبريل.

وذكر أن المسيح تصور له في جسم إنسان، وقال له: إنك الداعية، وإنك الحجة، وإنك الناقة، وإنك الدابة، وإنك الروح القدس، وإنك يحيى بن زكرياء.

وعرفه أن الصلاة أربع ركعات: ركعتان قبل طلوع الشمس، وركعتان قبل غروبها، وأن الاذان في كل صلاة أن يقول: الله أكبر، الله أكبر، الله أكبر، أشهد أن لا إله إلا الله؛ مرتين أشهد أن آدم رسول الله، أشهد أن نوحًا رسول الله، أشهد أن إبراهيم رسول الله، أشهد أن موسى رسول الله، وأشهد أن عيسى رسول الله، وأشهد أن محمدًا رسول الله، وأشهد أن أحمد بن محمد بن الحنفية رسول الله؛ وأن يقرأ في

---

(١) المنتظم ابن الجوزي.

كل ركعة الاستفتاح؛ وهي من المنزل علىٰ أحمد بن محمد بن الحنفية.

والقبلة إلىٰ بيت المقدس، والحج إلىٰ بيت المقدس، ويوم الجمعة يوم الاثنين لا يعمل فيه شيء، والسورة الحمد لله بكلمته، وتعالى باسمه، المتخذ لأوليائه بأوليائه.

قل إن الأهلة مواقيت للناس؛ ظاهرها ليعلم عدد السنين والحساب الشهور والأيام، وباطنها أوليائي الذين عرفوا عبادي سبيلي.

اتقون يا أولي الألباب؛ وأنا الذي لا أسأل عما أفعل، وأنا الحكيم، وأنا الذي أبلو عبادي، وامتحن خلقي؛ فمن صبر علىٰ بلائي ومحنتي واختباري ألقيته في جنتي، وأخلدته في نعمتي، ومن زال عن أمري، وكذب رسلي، أخلدته مهانًا في عذابي، وأتممت أجلى، وأظهرت أمري؛ علىٰ ألسنة رسلي؛ وأنا الذي لم يعل علي جبار إلا وضعته، ولا عزيز إلا أذللته؛ وليس الذي أصر علىٰ أمره ودوام علىٰ جهالته، وقالوا: لن نبرح عليه عاكفين، وبه مؤمنين: أولئك هم الكافرون.

ثم يركع ويقول في ركوعه: سبحان ربي رب العزة وتعالى عما يصف الظالمون! يقولها مرتين، فإذا سجد قال: الله أعلى، الله أعلى، الله أعظم، الله أعظم.

ومن شرائعه أن الصوم يومان في السنة، وهما المهرجان والنوروز؛ وأن النبيذ حرام والخمر حلال؛ ولا غسل من جنابة إلا الوضوء كوضوء الصلاة، وأن من حاربه وجب قتله، ومن لم يحاربه ممن خالفه أخذت منه الجزية ولا يؤكل كل ذي ناب، و لا كل ذي مخلب». [1]

يقول ناصر خسرو في زيارته لمدينة القرامطة في الاحساء «حين يسألون عن مذهبهم يقولون إنا ابو سعيديون وهم لا يصلون ولكنهم يقرون بمحمد المصطفى ﷺ

---

(١) تاريخ االامم والملوك ـ الطبري.

وبرسالته»[١] وفي الحقيقة أن الرحالة ناصر خسرو كان متحاملا كثيرا علىٰ القرامطة وتفسير ذلك أنه داعية اسماعيلي فاطمي يحمل رتبة حجه خرسان وهو أحد الدعاة الكبارالاثني عشر في أيامه الموزعين علىٰ العالم حيث أن تنظيم الدعوة الفاطمية قسم العالم إلىٰ اثنتي عشرة منطقة، وهو كبيردعاة إحدى هذه المناطق[٢]، وبالتالي كان خسرو يحاول ابعاد الفكر القرمطي عن الدعوة الاسماعيلية وذلك لعدة اسباب ومنها، اقتلاع الحجر الاسود من قبل ابو طاهر الجنابي عام ٣١٧هوكذلك ان الحاكم القرمطي الاعصم قام بقتال الاسماعيليين الفاطميين الذي يتبع لهم خسرو، وتلك الامور جعلت منه يكتب عن قرامطة هجر بعض الامور من الصعوبة تصديقها، والله أعلم.

يقول المسعودي خلال استعراضه لاحداث القرامطة: «وأن هذه الدعوة أحدثت بأصبهان سنة ٢٦٠ وما الغرض بها والمقصد منها وتسليمهم ظاهر الشريعة، وقولهم في تأويل معانيها، وأمرهم المدعو عند أخذ العهد عليه بستر ما يكشفونه له من تأويل كتاب الله، ومنهم من يقول للمدعو عند ذلك استر ما أكشفه لك من تأويل كتاب الله وتأويل التأويل وتبليغه إلىٰ مراتب ينتهون به إليها يسمونها البلاغ، وغير ذلك من دعواتهم ووجوه سياساتهم وأسرارهم في ذلك ورموزهم. وقد صنف متكلموا فرق الإسلام من المعتزلة والشيعة والمرجئة والخوارج والنابتة ممن تقدم كتبًا في المقالات وغيرها من الرد علىٰ المخالفين، كاليمان بن رئاب الخارجي، وزرقان غلام إبراهيم بن سيار النظام، ومحمد بن شبيب صاحب النظام أيضًا، وعباد بن سلمان الصيمري، صاحب هشام بن عمرو الفوطي، صاحب أبي الهذيل محمد بن الهذيل العبدي العلاف البصري، ومحمد بن عيسى بن غوث، صاحب الحسين بن محمد النجار، وأبي عيسى محمد ابن هارون الوراق، وأحمد بن الحسن بن سهل

---

(١) سفرنامة ـ ناصر خسرو.

(٢) ناصر خسرو ياقوتة بدخشان ـ أليس هنزبيرغر ص٥٤.

المصمعي المعروف بابن أخي زرقان وغيرهم ممن شاهدناه كأبي علي محمد بن عبد الوهاب الجبائي في كتابه في الرد علىٰ أصحاب التناسخ والخرمية وغيرهم من أهل الباطن، وأبي القاسم البلخي وأبي العباس عبد الله بن محمد الناشي، والحسين بن موسى النوبختي في كتابه في الآراء والديانات، وفي كتابه في الرد علىٰ الغلاة وغيرهم من الباطنية، وأبي محمد عبد الله بن محمد الخالدي، وأبي الحسن بن أبي بشر الأشعري البصري الكلابي وغير هؤلاء فلم يعرض أحد منهم بوصف مذاهب هذه الطائفة ورد عليهم آخرون مثل قدامة بن يزيد النعماني، وابن عبدك الجرجاني، وأبي الحسن ابن زكريا الجرجاني، وأبي عبد الله محمد بنعلي بن رزام الطائي الكوفي، وأبي جعفر الكلابي الرازي وغيرهم، فكل يصف من مذاهبهم ما لا يحكيه الآخر مع إنكار هذه الطائفة حكاية من ذكرنا وتركهم الاعتراف بها، ونحن فلم نقصد في كتابنا هذا حكاية مذاهبهم ولا الرد عليهم وكان مقتل محمد بن علي الشلمغاني الكاتب المعروف بابن أبي العزاقر يوم الثلاثاء غرة ذي القعدة سنة ٣٢٢ فقطعت يداه ورجلاه وضربت عنقه وأحرق في مجلس الشرطة في الجانب الغربي لأمور ديانية أحدثها ومقالات فيما ذكر ذكرها وأظهرها كثر المستجيبون له إليها وقتل معه رجل من أتباعه يقال له ابن أبي عون ويعرف بابن النجم الكاتب مثل ذلك. وقد أتينا علىٰ ما ظهر من قوله وحكاه من هذا عن نفسه في رسالته المعروفة بالمذهبة وكتابه في الوصية وكتاب الغيبة وكتاب التسليم، وغير ذلك من كتبه في كتابنا في المقالات في أصول الديانات عند ذكرنا مذاهب الشيعة وغلاتهم». انتهى[١]

وذكر المقريزي معتقدات القرامطة بقوله: «واستحكمت ثقة الناس به، وثقته هو بحمدان قرمط، وسكونه إليه، فأظهر له أمره، وكان مما دعا إليه أنه جاء بكتاب فيه: بسم الله الرحمن الرحيم: يقول الفرج بن عثمان إنه داعية المسيح، وهو عيسى، وهو الكلمة، وهو المهدي، وهو أحمد بن محمد بن الحنفية، وهو جبريل؛ وأن المسيح

---

(١) التنبيه والإشراف ـ المسعودي ص٣٩٥ دار صادر بيروت ـ طبع ليدن مطبعة بريل سنة ١٨٩٣.

تصور في جسم إنسان، وقال إنك الداعية، وإنك الحجة، وإنك الناقة، وإنك الدابة، وإنك يحيى بن زكريا، وإنك روح القدس؛ وعرفه أن الصلاة أربع ركعات: ركعتان قبل طلوع الشمس، وركعتان قبل غروبها؛ وأن الأذان في كل صلاة أن يقول المؤذن:

الله أكبر ثلاث مرات.

أشهد ألا إله إلا الله. مرتين.

أشهد أن آدم رسول الله.

أشهد أن نوحا رسول الله.

أشهد أن إبراهيم رسول الله.

أشهد أن موسى رسول الله.

أشهد أن عيسى رسول الله.

أشهد أن محمدا رسول الله.

أشهد أن أحمد بن محمد بن الحنفية رسول الله.

والقراءة في الصلاة: الحمد لله بكلمته، وتعالى باسمه، المنجد لأوليائه بأوليائه، «قل إن الأهلة مواقيت للناس ظاهرها ليعلموا عدد السنين والحساب والشهور والأيام، وباطنها لأوليائي الذين عرَّفوا عبادي وسيلتي، فاتقوني يا أولى الألباب، وأنا الذي لا أُسأل عما أفعل وأنا العليم الحكيم، وأنا الذي أَبلو عبادي وأَمتحن خلقي، فمن صبر علىٰ بلائي ومحنتي واختباري أدخلته في جنتي، وأخلدته في نعيمي؛ ومن زال عن أَمري، وكذَّب رسلي أَخلدتُه مُهانًا في عذابي، وأتممت أجلي، وأَظهرت أَمري علىٰ أَلسنة رسلي، وأَنا الذي لم يعلُ جبارٌ إلا وضعتُه، ولا عزيز إلا أَذللته، وليس الذي أصرَّ علىٰ أمره، وداوم علىٰ جهالته، وقال إِن نبرح عليه

عاكفين وبه موقنين، أولئك هم الكافرون».

ثم يركع.

ومن شرائعه: صيام يومين في السنة هما: المهرجان، والنوروز.

وأن الخمر حلال.

ولا غسل من جنابة، ولكن الوضوء كوضوء الصلاة.

وأن لا يؤكل ماله ناب ولا مخلب.

ولا يشرب النبيذ.

وأن القبلة إلىٰ بيت المقدس، والحج إليه.

وأن الجمعة يوم الاثنين لا يعمل فيه شغل.

ولما حضرته الوفاة جعل مكانه حمدان بن الأشعث قرمط، وأخذ علىٰ أكثر أهل السواد، وكان ذكيا داهية.

فكان ممن أجابه: مهرويه بن زكرويه السلماني، وجلندي الرازي، وعكرمة البابلي، وإسحاق السوراني، وعطيف النيلي، وغيرهم، وبث دعاته في السواد يأخذون علىٰ الناس.

وكان أكبر دعاته عبدان، وكان فطنًا خبيثًا، خارجًا عن طبقة نظرائه من أهل السواد، ذا فهم وحذق، وكان يعمل عند نفسه علىٰ نصب له من غير أن يتجاوز به إلىٰ غيره، ولا يظهر غير التشيع والعلم، ويدعو إلىٰ الإمام من آل رسول الله ت صلى الله عليه وسلم محمد ابن إسماعيل بن جعفر.

فكان أحد من تبع عبدان زكرويه بن مهرويه، وكان شابًا ذكيًا فطنًا من قرية بسواد الكوفة علىٰ نهر هد، فنصبه عبدان علىٰ إقليم نهر هد وما والاه، ومن قبله جماعة دعاة

متفرقون في عمله.

وكان داعية عبدان علىٰ فرات بادفلي: الحسن بن أيمن؛ وداعيته علىٰ طسوج تستر: المعروف بالبوراني وإليه نسب البورانية ؛ وداعيته علىٰ جهة أخرى: المعروف بوليد؛ وفي أخرى: أبو الفوارس. وهؤلاء رؤساء دعاة عبدان، ولهم دعاة تحت أيديهم؛ فكان كل داع يدور في عمله ويتعاهده في كل شهر مرة، وكل ذلك بسواد الكوفة.

ودخل في دعوته من العرب طائفة، فنصب فيهم دعاة، فلم يتخلف عنه رفاعي ولا ضبعي، ولم يبق من البطون المتصلة بسواد الكوفة بطن إلا دخل في الدعوة منه ناس كثيرًا أو قليل: من بني عباس، وذهل، وعنزة، وتيم الله، وبني ثعل، وغيرهم من بني شيبان؛ فقوى قرمط، وزاد طمعه، فأخذ في جمع الأموال من قومه: فابتدأ يفرض عليهم أن يؤدوا درهما عن كل واحد، وسمى ذلك: الفطرة، علىٰ كل أحد من الرجال والنساء، فسارعوا إلىٰ ذلك.

فتركهم مديدة، ثم فرض الهجرة، وهو دينار علىٰ كل رأس أدرك، وتلا قوله تعالى: ﴿خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بها، وَصَلِّ عَلَيْهِمْ، إِنَّ صَلَوَاتِكَ سَكَنٌ لَهُمْ، وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾.

وقال: هذا تأويل هذا. فدفعوا ذلك إليه، وتعاونوا عليه، فمن كان فقيرا أسعفوه.

فتركهم مديدة، ثم فرض عليهم البلغة وهي سبعة دنانير، وزعم أن ذلك هو البرهان الذي أراد الله بقوله: ﴿قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾.

وزعم أن ذلك بلاغ من يريد الإيمان، والدخول في السابقتين المذكورين في قوله تعالى: ﴿وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ أُولَئِكَ الْمُقَرَّبُونَ﴾.

وصنع طعامًا طيبًا حلوًا لذيذًا، وجعله علىٰ قدر البنادق، يطعم كل من أدى إليه

سبعة دنانير منها واحدة، وزعم أنه طعام أهل الجنة نزل إلىٰ الإمام، فكان ينفذ إلىٰ كل داع منها مائة بلغة، ويطالبه بسبعمائة دينار، لكل واحدة منها سبعة دنانير.

فلما توطأ له الأمر فرض عليهم أخماس ما يملكون وما يتكسبون، وتلا عليهم: ﴿واعْلَموا أَنَّما غَنِمْتُم من شيءٍ فأَنَّ لِلّه خُمُسَهُ الآية﴾، فقوموا جميع ما يملكونه من ثوب وغيره وأدوا ذلك إليه، فكانت المرأة تخرج خمس ما تغزل، والرجل يخرج خمس ما يكسبه.

فلما تم ذلك فرض عليهم الألفة، وهو أن يجمعوا أموالهم في موضع واحد، وأن يكونوا فيه أسوة واحدة لا يفضل أحد منهم صاحبه وأخاه في ملك يملكه، وتلا عليهم: ﴿واذكروا نِعْمَةَ اللّهِ عليكم إِذْ كُنْتُمْ أَعداءً فَأَلَّفَ بين قُلُوبِكم فَأَصْبَحْتُم بنعمته إِخْوانا﴾ الآية، وقوله تعالى: ﴿لو أَنْفَقْتَ ما في الأَرضِ جميعًا ما أَلَّفْتَ بَين قُلُوبِهم ولكنَّ اللّهَ أَلَّفَ بينهم إِنَّهُ عزيز حكيم﴾.

وعرفهم أنه لا حاجة بهم إلىٰ أموال تكون معهم، لأن الأرض بأسرها ستكون لهم دون غيرهم، وقال: هذه محنتكم التي امتحنتم بها ليعلم كيف تعملون. وطالبهم بشراء السلاح وإعداده. وذلك كله في سنة ست وسبعين ومائتين.

وأقام الدعاة في كل قرية: رجلا مختارا من ثقاتها يجمع عنده أموال أهل قريته من بقر وغنم وحلى ومتاع وغيره، وكان يكسو عاريهم، وينفق علىٰ سائرهم ما يكفيهم، ولا يدع فقيرا بينهم ولا محتاجا ولا ضعيفا؛ وأخذ كل رجل منهم بالانكماش في صناعته والكسب بجهده، ليكون له الفضل في رتبته؛ وجمعت المرأة كسبها من مغزلها، والصبي أجرة نظارته للطير، وأتوه به، فلم يتملك أحد منهم إلا سيفه وسلاحه.

فلما استقام له ذلك أمر الدعاة أن يجمعوا النساء ليلةً معروفة، ويختلطن بالرجال، ويتراكبن ولا يتنافرن، فإن ذلك من صحة الود والألفة بينهم.

فلما تمكن من أمورهم، ووثق بطاعتهم، وتبين مقدار عقولهم، أخذ في تدريجهم، وأتاهم بحجج من مذهب الثنوية، فسلكوا معه في ذلك حتى يقضي ما كان يأمرهم به في مبدأ أمرهم من الخشوع والورع والتقوى، وظهر منهم بعد تدين كثير إباحة الأموال والفروج، والغناء عن الصوم والصلاة والفرائض، وأخبرهم أن ذلك كله موضوع عنهم وأن أموال المخالفين ودماءهم حلال لهم، وأن معرفة صاحب الحق تغني عن كل شيء، ولا يخاف معه إثم ولا عذاب يعني إمامه الذي يدعو إليه، وهو محمد بن إسماعيل بن جعفر الصادق وأنه الإمام المهدي الذي يظهر في آخر الزمان ويقيم الحق، وأن البيعة له، وأن الداعي إنما يأخذها علىٰ الناس له، وأن ما يجمع من الأموال مخزون له إلىٰ أن يظهر، وأنه حي لم يمت، وأنه يظهر في آخر الزمان، وأنه مهدي الأمة.

فلما أظهر هذه الأمور كلها بعد تعلقه بذكر الأئمة والرسل والحجة والإمام، وأنه المعول والمقصد والمراد، وبه اتسقت هذه الأمور، ولولا هذه لهلك الخلق وعدم الهدى والعلم، ظهر في كثير منهم الفجور، وبسط بعضهم أيديهم بسفك الدماء، وقتلوا جماعة ممن خالفهم، فخافهم الناس واستوحشوا من ظهور؛ السلاح بينهم، فأظهر موافقتهم كثير من مجاوريهم جزعًا منهم.

ثم إن الدعاة اجتمعوا واتفقوا علىٰ أن يجعلوا لهم موضعًا يكون وطنا ودار هجرة يهاجرون إليها، ويجتمعون بها، فاختاروا من سواد الكوفة في طسوج الفرات من ضياع السلطان المعروفة بالقاسميات قرية تعرف بمهتماباد، فحاذوا إليها صخرا عظيما، ثم بنوا حولها سورًا منيعا عرضه ثماني أذرع، ومن ورائه خندق عظيم، وفرغوا من ذلك في أسرع وقت، وبنوا فيها البناء العظيم، وانتقل إليها الرجال والنساء من كل مكان، وسميت دار الهجرة، وذلك في سنة سبع وتسعين ومائتين؛ فلم يبق حينئذ أحد إلا خافهم، ولا بقي أحد يخافونه لقوتهم وتمكنهم في البلاد.

وكان الذي أعانهم علىٰ ذلك تشاغل الخليفة بفتنة الخوارج، وصاحب الزنج

بالبصرة، وقصريد السلطان، وخراب العراق، وتركه لتدبيره، وركوب الأعراب واللصوص بعد السبعين ومائتين بالقفر، وتلاف الرجال، وفساد البلدان، فتمكن هؤلاء، وبسطوا أيديهم في البلاد، وعلت كلمتهم» انتهى[1]

قال عنهم القلقشندي في صبح الأعشى: «واعلم أن أصل هذه الفرقة كانت بالبحرين في المائة الثانية وما بعدها، ومنهم كانت القرامطة الذين خرجوا من البحرين حينئذ، نسبة إلىٰ رجل منهم اسمه قرمط، خرج فيهم وادعى النبوة وأنه أنزل كتاب؛ ثم ظهروا بالمشرق «بأصبهان»: في أيام السلطان ملك شاه السلجوقي، واشتهروا هناك بالباطنية: لأنهم يبطنون خلاف ما يظهرون، وبالملاحدة: لأن مذهبهم كله إلحاد؛ ثم صاروا إلىٰ الشام، ونزلوا فيما حول طرابلس، وأظهروا دعوتهم هناك، وإليهم تنسب قلاع الإسماعيلية المعروفة بقلاع الدعوة، فيما حول طرابلس، كمصياف، والخوابي، والقدموس، وغيرها.

ولما افترقوا إلىٰ مستعلوية ونزارية كما تقدم، أخذ من منهم ببلاد المشرق بمذهب النزارية، عملًا بدعوة ابن الصباح المقدم ذكره، وأخذ من منهم بالشام بقلاع الإسماعيلية بمذهب المستعلوية، وصاروا شيعة لمن بعد المستعلي من خلفاء الفاطميين بمصر، واشتهروا باسم الفداوية، ووثبوا علىٰ السلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب بالشام مرات وهو راكب ليقتلوه فلم يتمكنوا منه. ثم صالحهم بعد ذلك علىٰ قلاعهم بأعمال طرابلس في سنة اثنتين وسبعين وخمسمائة؛ ثم انتموا إلىٰ ملوك مصر في أيام الظاهر بيبرس، واشتهروا باسم الفداوية لمفاداتهم بالمال علىٰ من يقتلونه.

وقد ذكر في «مسالك الأبصار» نقلًا عن مقدمهم: مبارك بن علوان: أن كل من ملك مصر كان مظهرًا لهم. ولذلك يرون إتلاف نفوسهم في طاعته: لما ينتقلون إليه

---

(١) اتعاظ الحنفاء بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفاء المقريزي .

من النعيم الأكبر في زعمهم. ورأيت نحو ذلك في «أساس السياسة» لابن ظافر؛ وذكر أنهم يرون أن ملوك مصر كالنواب لأئمتهم: لقيامهم مقامهم.

أما أيمانهم التي يحلفون بها فقد قال فيه «التعريف» جريًا علىٰ معتقدهم المتقدم: إن اليمين الجامع لهم أن يقول: «إنني والله والله الواحد الأحد، الفرد الصمد، القادر القاهر، الذي لا إله إلا هو، وحق أئمة الحق، وهداة الخلق، عليًا وبنيه أئمة الظهور والخفاء، وإلا برئت من صحيح الولاء، وصدقت أهل الأباطيل، وقمت مع فرقة الضلال، وانتصبت مع النواصب في تقرير المحال، ولم أقل بانتقال الإمامة إلىٰ السيد الحسين، ثم إلىٰ بنيه بالنص الجلي، موصولة إلىٰ جعفر الصادق، ثم إلىٰ ابنه إسماعيل صاحب الدعوة الهادية، والأثرة الباقية، وإلا قدحت في القداح، وأثمت الداعي الأول، وسعيت في اختلاف الناس عليه، ومالأت علىٰ السيد المهدي، وخذلت الناس عن القائم، ونقضت الدولة علىٰ المعز، وأنكرت أن يوم غدير خم لا يعد في الأعياد، وقلت: أن لا علم للأئمة بما يكون، وخالفت من ادعى لهم العلم بالحدثان، ورميت آل بيت محمد بالعظائم، وقلت فيهم بالكبائر، وواليت أعدائهم، وعاديت أولياءهم» قال: ثم من هنا تزاد النزارية: «وإلا فجحدت أن يكون الأمر صار إلىٰ نزار وأنه أتى حملًا في بطن جارية لخوفه خوض بلاد الأعداء، وأن الإسم لم يغير الصورة، وإلا طعنت علىٰ الحسن ابن الصباح، وبرئت من المولى علاء الدين صاحب الألموت، ومن ناصر الدين سنان الملقب براشد الدين، وكنت أول المعتدين؛ وقلت: أن ما رووه كان من الأباطيل، ودخلت في أهل الفرية والأضاليل».

قال: وأما من سواهم من الإسماعيلية المنكرين لإمامة نزار، فيقال لهم عوض هذا: وإلا قلت: «إن الأمر صار إلىٰ نزار، وصدقت القائلين أنه خرج حملًا في بطن جارية، وأنكرت ميتته الظاهرة بالإسكندرية، وادعيت أنه لم ينازع الحق أهله، ويجاذب الخلافة ربها، ووافقت شيعته، وتبعت الحسن بن صباح، وكنت في النزارية آخر الأدوار».

قال: ثم يجمعهم آخر اليمين أن يقالوا: وإلا قلت مقالة ابن السلار في النفاق وسددت رأي ابن أيوب، وألقيت بيدي الراية الصفراء، ورفعت السوداء، وفعلت في أهل القصر تلك الفعال، وتمحلت مثل ذلك المحال» انتهى'[1]

وقال التنوخي يصف مذهبهم نقلا عن أحد القرامطة: «قال المحسن، وحدثني أبو أحمد الحارثي، قال: أخبرني رجل من أصحاب الحديث أسرته القرامطة، سنة الهبير، واستعبدته سنين، ثم هرب منا لما أمكنه، قال: كان يملكني رجل منهم، يسومني سوء العذاب، ويستخدمني أعظم خدمة، ويعربد علي إذا سكر، فسكر ليلة، وأقامني حياله، وقال: ما تقول في محمد هذا صاحبكم؟ فقلت: لا أدري، ولكن ما تعلمني أيها المؤمن، أقوله.

فقال: كان رجلًا سائسًا، فما تقول في أبي بكر؟ قلت: لا أدري.

قال: كان رجلًا ضعيفًا مهينًا، فما تقول في عمر؟.

قلت: لا أدري.

قال: كان والله فظًا غليظًا، فما تقول في عثمان؟ قلت: ما أدري.

قال: كان جاهلًا أحمق، فما تقول في علي؟ قلت: لا أدري.

قال: كان منحرفًا، أليس يقول: إن هاهنا علمًا لو أصبت له حملة، أما كان في ذلك الخلق العظيم بحضرته من يودع كل واحد منهم كلمة يفرغ ما عنده، هل هذه إلا مخرقة؟ ونام.

فلما كان من الغد، دعاني، وقال: ما قلت لك البارحة؟ فأريته أني لم أفهمه، فحذرني من إعادته، والإخبار عنه بذلك.

---

(١) صبح الأعشى ـ القلقشندي.

فإذا القوم زنادقة، لا يؤمنون بالله، ولا يفكرون في أحد من الصحابة.

قال المحسن: ويدل علىٰ هذا أن أبا طاهر القرمطي، دخل الكوفة دفعات، فما دخل إلىٰ قبر علي عليه السلام، واجتاز بالحائر فما زار الحسين.

وقد كانوا يمخرقون بالمهدي، ويوهمون أنه صاحب المغرب، ويراسلون إسماعيل بن محمد، صاحب المهدية المقيم بالقيروان» انتهىٰ[1]

كما قال عنهم ابن حزم قوله: «قال أبو محمد رضي الله عنه افترق القائلون بتناسخ الأرواح علىٰ فرقتين فذهبت الفرقة الواحدة إلىٰ أن الأرواح تنتقل بعد مفارقتها الأجساد إلىٰ أجساد أخر وإن لم تكن من نوع الأجساد التي فارقت وهذا قول أحمد بن حابط وأحمد بن نانوس تلميذه وأبي مسلم الخراساني ومحمد بن زكريا الرازي الطبيب صرح بذلك في كتابه الموسوم بالعلم الإلهي وهو قول القرامطة» انتهىٰ[2]

المعتضد العباسي يتهم القرامطة انهم يزعمون أن روح الله تعالى تحل في اجسادهم وقد ذكر هذه القصة ابن الاثير قوله: «ذكر أخبار القرامطة بالعراق وفيها انتشر القرامطة بسواد الكوفة، فوجه المعتضد شبلًا غلام أحمد بن محمد الطائي، وظفر بهم، وأخذ رئيسًا لهم يعرف بأبي الفوارس، فسيره إلىٰ المعتضد، فأحضره بين يديه وقال له: أخبرني! هل تزعمون أن روح الله تعالى وروح أنبيائه تحل في أجسادكم فتعصمكم من الزلل وتوفقكم لصالح العمل؟ فقال له: يا هذا إن حلت روح الله فينا فيما يضرك؟ وإن حلت روح إبليس فما ينفعك؟ فلا تسأل عما لا يعنيك وسل عما يخصك.

فقال: ما تقول فيما يخصني؟ قال أقول: إن رسول الله، صلى الله عليه وسلم، ما ت وأبوكم العباس حي، فهل طالب بالخلافة أم هل بايعه أحد من الصحابة علىٰ

---

(١) نشوار المحاضرة القاضي التنوخي.

(٢) الفصل في الملل والأهواء والنحل ـ ابن حزم.

ذلك؟ ثم مات أبوبكر فاستخلف عمر، وهويرى موضع العباس، ولم يوص إليه، ثم مات عمر وجعلها شورى في ستة أنفس، ولم يوص إليه، ولا أدخله فيهم، فبماذا تستحقون أنتم الخلافة؟ وقد اتفق الصحابة علىٰ دفع جدل عنها.فأمر به المعتضد فعذب، وخلعت عظامه، ثم قطعت يداه ورجلاه، ثم قتل». انتهىٰ[1]

كما قال الذهبي في مذهب القرامطة: «فمن قول القرامطة: إنّ محمد بن الحنفيّة هو المهديّ، وإنّه جبريل، وإنّه هو المسيح، وإنّه الدّابّة. ويزيدون أذنهم. وإنّ نوحًا رسول الله، وإنّ عيسى رسول الله، وإنّ محمد بن الحنفية رسول الله، وإنّ الحجّ والقبلة إلىٰ بيت المقدس، ويوم الجمعة والاثنين ويوم الخميس يوم استراحة، وإنّ الصّوم في السنة يومان: يوم النّيروز ويوم المهرجان. وإنّ الخمر حلال، ولا غسل الجنابة.وتحيَّلوا علىٰ المسلمين بطرقٍ شتّى، ونفق قولهم علىٰ الجّهال وأهل البّر. ويدخلون علىٰ الشّيعة بما يوافقهم، وعلى السُّنة بما يوافقهم.ويخدعون الطّوائف، ويظهرون لكلّ فرقةٍ أنّهم منهم.

الباطنيّة وأمّا الباطنيّة، فقالت: لظواهر الآيات والأحاديث واطن تجري مجرى اللُّب من القشر. واحتجّوا لكلّ آيةٍ ظهر وبطن. وانّ من وقف علىٰ علم الباطن سقطت عنه التّكاليف الخرَّميّة وأمّا الخرَّميّة فخرَّم اسم أعجميّ معناه الشّيء المستلذّ، وهم أصل الإباحة في المجوس الّذين نبغوا في أيّام قباذ، فأباحوا المحظورات.البابكيّة وأمّا البابكيّة، فأصحاب بابك الخرميّ. لهم ليلة في السّنة يختلط فيها النّساء والرجال، فمن وقعت في يده امرأة استحلَّها، إلىٰ غير ذلك الخروج عن الملّة.المحمرَّة وأمّا المحمرَّة، فيلبسون الثّياب الحمر، ولهم مقالة.

السّبعيّة وأمّا السّبعيّة فزعموا أنَّ الكوكب السّبعة تدبرّ العالم السّفلي.التعليميّة وأمّا التعليميّة، فأطلوا القياس؛ ولا علم عندهم إلاّ ما تلقيٍّ من إمامهم.

---

(١) الكامل في التاريخ ـ ابن الأثير.

الإسماعيلية والإسماعيلية من القرامطة.وقيل: إنّ قرمط غلام إسماعيل بن جعفر الصّادق، ولم يصحّ.الملاحدة وكلّ هؤلاء يذهبون إلىٰ مذهب الملاحدة كزرادشت، ومزدك، وماني، الّذين جحدوا النُّبوَّة وأباحوا المحظورات. وقالوا بقول الفلاسفة والدَّهريّة، لعنهم الله تعالى». انتهى[1]

بعد استعراضنا فيما قيل عن القرامطة ومعتقداتهم لابد لنا أن نعترف أن من كتب عن القرامطة ومعتقداتهم هم المخالفين لهم وأعداؤهم التقليدين وبتشجيع من السلطة العباسية ومباركتها ولذاوجب علىٰ الباحث والقارىء أن لايسلم بما قيل عنهم دون تمحيص وتحقيق، وهذا مادعانا لتسليط الضوء علىٰ تاريخ القرامطة والتحقيق في ماكتب عنهم.

وفي الحقيقة أنني أرى بعد قرآتي لأعمال القرامطة أن بداياتهم كانوا يتبعون للمذهب الاسماعيلي ولكن انحرفت عقيدتهم بسبب اعتمادهم علىٰ الاعراب فاصبحوا أقرب إلىٰ مذهب الخوارج منهم إلىٰ المذهب الاسماعيلي، نظرا لإسرافهم في القتل بل انتهاجهم اسلوب الكذب وادعائهم بالنسب لأهل بيت النبوة، كما سبقتهم إلىٰ ذلك حركة صاحب الزنج في دعوتهم، وقد أظهر القرامطة ولائهم للداعية الفاطمي وعندما اختلفت مصالحهم مع الفاطميين حاربوهم مما يدل علىٰ حركتهم الباطنية الخارجية، وفي الحقيقة يجب أن نفصل حركة القرامطة قبل مقتل عبدان الداعية القرمطي وبعد مقتله، حيث تاهت الحركة القرمطية بعد مقتل عبدان وانفصلت عن الدعوة الاسماعيلية بل وقعت في أحضان الاعراب من بني كلب وعقيل وبني ضبة، وسيتضح للقارئ لاحقا مدى شراسة القرامطة وإسرافهم في القتل وتعطشهم لحرق معارضيهم وإبادة القرى وتدميرها وهذه ليس من خلق الإسلام وتعاليمه.

---

(١) تاريخ الإسلام ـ الذهبي.

لماذا أطلق عليهم القرامطة؟

أختلف المؤرخون في سبب إطلاق هذا الاسم علىٰ مؤسس الحركة، فقد أورد الطبري أن هذا الاسم يعود إلىٰ رجل قدم من خوزستان إلىٰ سواد الكوفة في سنة ثمان وسبعين ومائتين وكان يظهر الزهد والتقشف ويسف الخوص ويأكل منه كسبه، ويكثر الصلاة وكان يدعو إلىٰ إمام من أهل البيت، وكان يقعد إلىٰ بقال في القرية وكان بالقرب من البقال نخل اشتراه قوم من التجار، واتخذوا حظيرة جمعوا فيها ما صرموا من حمل النخل، وجاؤوا إلىٰ البقال فسألوه أن يطلب لهم رجلا يحفظ عليهم ما صرموا من النخل، فأومى لهم إلىٰ هذا الرجل، وقال: إن أجابكم إلىٰ حفظ ثمرتكم، فإنه بحيث تحبون، فناظروه علىٰ ذلك، فأجابهم إلىٰ حفظه بدراهم معلومة، فكان يحفظ لهم، ويصلي أكثر نهاره ويصوم، ويأخذ عند إفطاره من البقال رطل تمر، فيفطر عليه، ويجمع نوى ذلك التمر.

فلما حمل التجار مالهم من التمر، صاروا إلىٰ البقال، فحاسبوا أجيرهم هذا علىٰ أجرته، فدفعوها إليه فحاسب الأجير البقال علىٰ ما أخذ منه من التمر، وحط من ذلك ثمن النوى الذي كان دفعه إلىٰ البقال، فسمع التجار ما جرى بينه وبين البقال في حق النوى، فوثبوا عليه فضربوه، وقالوا: ألم ترض أن أكلت تمرنا حتى بعت

النوى! فقال لهم البقال لاتفعلوا، فإنه لم يمس تمركم، وقص عليهم قصته، فندموا علىٰ ضربهم إياه، وسألوه أن يجعلهم في حل، ففعل. وازداد بذلك نبلا عند أهل القرية لما وقفوا عليه من زهده.

ثم مرض فمكث مطروحا علىٰ الطريق، وكان في القرية رجل يحمل علىٰ أثوار له، أحمر العينين شديدة حمرتهما، وكان أهل القرية يسمونه كرميته لحمرة عينيه، وهو بالنبطية أحمر العينين، فكلم البقال كرميته هذا، في أن يحمل هذا العليل إلىٰ منزله، ويوصي أهله بالإشراف عليه والعناية به، ففعل وأقام عنده حتى برأ، ثم كان يأوي إلىٰ منزله، ودعا أهل القرية إلىٰ أمره، ووصف لهم مذهبه فأجابه أهل تلك الناحية، وكان يأخذ من الرجل إذا دخل في دينه دينار، ويزعم أنه يأخذ ذلك للإمام، فمكث بذلك يدعوا أهل تلك القرى فيجيبونه واتخذ منهم اثني عشر نقيبا، أمرهم أن يدعوا الناس إلىٰ دينهم، وقال لهم: أنتم كحواريي عيسى ابن مريم، فاشتغل أكرة تلك الناحية عن أعمالهم بما رسم لهم من الخمسين الصلاة التي ذكر أنها مفترضه عليهم. وكان للهيصم في تلك الناحية ضياع فوقف علىٰ تقصير أكرته في العمارة، فسأل عن ذلك، فأخبر أن إنسانا طرأ عليهم، فأظهر لهم مذهبا من الدين، وأعلمهم أن الذي افترضه الله عليهم خمسون صلاة في اليوم والليلة، فقد شغلوا بها عن أعمالهم، فوجه في طلبه، فأخذ وجيء به إليه، فسأله عن أمره، فأخبره بقصته، فحلف أنه يقتله

فأمر فحبس في بيت وأقفل عليه الباب، ووضع المفتاح تحت وسادته وتشاغل بالشرب، وسمع بعض من في داره من الجواري بقصته، فرقت له، فلما نام الهيصم أخذت المفتاح من تحت وسادته وفتحت الباب وأخرجته وأقفلت الباب وردت المفتاح إلىٰ موضعه، فلما أصبح الهيصم دعا بالمفتاح ففتح الباب فلم يجده، وشاع بذلك الخبر، ففتن به أهل تلك الناحية، وقالوا: رفع ثم ظهر في موضع آخر ولقي جماعة من أصحابه وغيرهم فسألوه عن قصته، فقال: ليس يمكن أحدا أن يبدأني بسوء، ولا يقدر عل ذلك مني، فعظم في أعينهم، ثم خاف علىٰ نفسه، فخرج إلىٰ

ناحية الشام، فلم يعرف له خبر، وسمي باسم الرجل الذي كان في منزل صاحب الاثوار كرميته، ثم خفف فقالوا: قرمط

كما أورد الطبري أيضا رأي آخر بقوله: «وذكر عن محمد بن داود أنه قال: قرمط رجل من سواد الكوفة، كان يحمل غلات السواد علىٰ أثوار له، يسمى حمدان ويلقب بقرمط.[1]

ويقول السمعاني[2] أن القرامطة إنما نسبوا إلىٰ رجل من سواد الكوفة، يقال له: قرمط، وقيل حمدان قرمط، وكان ممن قبل دعوتهم، ثم صار رأسا في الدعوة،

كما أورد السمعاني قصة التحاق المذكور حمدان بالدعوة القرمطية وهي: أن جماعة من أولاد بهرام جور كانوا حبسوا في محبس شبل وزير المهدي واسمه عبد الله، وكاتبوا ابن المقنع، وأحمد بن الحسين بن الجراح، وعبد الله بن ميمون القداح، والدنداني، وغيرهم فذكروا آباءهم وأجدادهم، وما كنوا فيه من الشرف والعز والملك، وما آل أمرهم إليه من الذل، وكان هذا في أيام أبا مسلم صاحب الدولة، فاتفقوا علىٰ أن يسعوا إلىٰ رفع الإسلام وقالوا: ينبغي أن تفرق دعوتهم، وقسموا الدنيا علىٰ أرباع أربعة واختاروا أربعة من الرجال، نفوذهم إلىٰ الأرباع والأقاليم، فنفذوا واحدا إلىٰ الكوفة، فأول من أجابه حمدان بن قرمط، أعانه علىٰ الدعوة، وتبعه عالم لا يحصون، فنسبوا إليه.

ويورد السمعاني ايضا رأي آخر بقوله: وصار هذا لقبا لعامر بن ربيعة القرمطي، جد محمد بن عبد الله العدوي، وقال أبو القاسم الطبراني: إنما نسبوا إلىٰ القرامطة لان النبي ﷺ رأى عامرا جدهم يمشي، قال: «أنه ليقرمط في مشيته» وهو من أهل المدينة.

---

(١) تاريخ الطبري ـ تاريخ الأمم والملوك ج٥ ص٦٠٢.

(٢) الأنساب ـ السمعاني.

وقال النويري في سبب إطلاق مسمى القرامطة قوله: «والقرامطة منسوبون إلىٰ قرمط، وقد اختلف فيه: فمن الناس من يقول إنه حمدان بن الأشعث، وأنه إنما سمي قرمطًا لأنه كان رجلًا قصيرًا قصير الرجلين متقارب الخطو فسمي بذلك، وقيل قُرْمط: ثور كان لحمدان بن الأشعث هذا، وأنه كان يحمل غلات السواد علىٰ أثوار له بسواد الكوفة، والله تعالى أعلم».[1]

---

(١) نهاية الأرب في فنون الأدب ـ النويري.

الحجر الأسود والقرامطة

من الأعمال السيئه التي اتهم بها القرامطة واعتبرت وصمة عار في تاريخ الدعوة القرمطية، تهمة اقتلاع الحجر الأسود من الكعبة شرفها الله والمسير به إلىٰ أرض هجر دار حكمهم. وخلال هذا البحث سنجتهد محاولين سبر أغوار هذه التهمة ومدى صحتها من كذبها.

وقبل البدء نستعرض بعض المعلومات عن تاريخ الكعبة والحجر الأسود لنتعرف علىٰ مدى فضاعة حدث إقتلاع الحجر في التاريخ الإسلامي:

بناء الملائكة الكعبة قبل خلق آدم:

ذكر المؤرخون أن أول من بنى الكعبة في الارض كانوا الملائكة، وأمر الله سبحانه من في الارض أن يطوفوا بالبيت كما يطوف أهل السماء بالبيت المعمور، وقد ذكر ذلك الازرقي قوله: «حدثنا أبو الوليد قال حدثني علي بن هارون بن مسلم العجلي عن ابيه قال حدثنا القاسم بن عبد الرحمن الانصاري قال حدثني محمد بن علي بن الحسين قال كنت مع ابي علي بن الحسين ﷺ بمكة فبينما هو يطوف بالبيت وأنا وراءه إذ جاءه رجل شرجع من الرجال يقول طويل، فوضع يده علىٰ ظهر أبي

فالتفت أبي إليه فقال الرجل: السلام عليك ياأبن بنت رسول الله إني أريد أن أسألك فسكت[١] أبي وأنا والرجل خلفه حتى فرغ من أسبوعه فدخل الحجر فقام تحت الميزاب فقمت أنا والرجل خلفه فصلى ركعتي أسبوعه ثم استوى قاعدا فالتفت إلي فقمت فجلست إلىٰ جنبه فقال يامحمد فأين هذا السائل؟فأومأت إلىٰ الرجل فجاء فجلس بين يدي أبي فقال له أبي عما تسأل؟قال أسألك عن بدء هذا الطواف بهذا البيت لم كان وأنى كان وحيث كان وكيف كان؟ فقال له أبي نعم من أين أنت؟ قال من أهل الشام، قال أين مسكنك؟ قال: في بيت المقدس قال: فهل قرأت الكتابين؟ ـ يعني التوراة والانجيل ـ قال الرجل نعم قال أبي يا أخا أهل الشام احفظ ولا تروين عني إلا حقا أما بدؤ هذا الطواف بهذا البيت فإن الله تبارك وتعالى قال للملائكة إني جاعل في الارض خليفة فقالت الملائكة أي رب أخليفة من غيرنا ممن يفسد فيها ويسفك الدماء ويتحاسدون، ويتباغضون ويتباغون؟ أي رب اجعل ذلك الخليفة منا فنحن لانفسد فيها، ولانسفك الدماء، ولانتباغض، ولانتحاسد، ولانتباغى، ونحن نسبح بحمدك، ونقدس لك، ونطيعك، ولا نعصيك فقال الله تعالى أني أعلم ما لاتعلمون قال فظنت الملائكة أن ماقالوا ردا علىٰ ربهم عز وجل وأنه قد غضب من قولهم فلاذوا بالعرش، ورفعوا رؤوسهم، وأشاروا بالأصابع يتضرعون، ويبكون اشفاقا لغضبه وطافوا بالعرش ثلاث ساعات فنظر الله إليهم فنزلت الرحمة عليهم فوضع الله تعالى تحت العرش بيتا علىٰ أربع أساطين من زبرجد وغشاهين بياقوته حمراء وسمي ذلك البيت الضراح ثم قال الله تعالى للملائكة طوفوا بهذا البيت ودعوا العرش قال فطافت الملائكة بالبيت وتركوا العرش وصار أهون عليهم من العرش وهو البيت المعمور الذي ذكره الله عز وجل يدخله في كل يوم وليلة سبعون ألف ملك لا يعودون فيه أبدا ثم إن الله سبحانه وتعالى بعث ملائكة فقال لهم أبنوا لي بيتا في الارض بمثاله وقدره فأمر الله سبحانه من في الأرض من خلقه أن يطوفوا

---

(١) في الاعلام (فرد ﷺ وسكت).

بهذا البيت كما يطوف أهل السماء بالبيت المعمور، فقال الرجل صدقت يابن بنت رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) هكذا كان». انتهىٰ[(١)]

هبوط آدم إلى الأرض وبنائه الكعبة:

لما أهبط الله آدم إلىٰ الأرض من الجنة كان رأسه في السماء ورجلاه في الارض وهو مثل الفلك من رعدته فطأطأ الله عز وجل، منه إلىٰ ستين ذراعا، فقال: يارب مالي لا أسمع أصوات الملائكة ولا أحسهم؟ قال: خطيئتك يا آدم ولكن اذهب فابن لي بيتا فطف به واذكرني حوله كنحو مارأيت الملائكة تصنع حول عرشي، فأقبل آدم ﷺ يتخطا فطويت له الارض وقبضت له المفاوز فصارت كل مفازة يمر بها خطوة ولم تقع قدمه في شيء من الارض إلا صار عمرانا وبركة حتى انتهىٰ إلى مكة فبنى البيت الحرام وطاف به، قال أبن عباس: فكان أول من أسس البيت وصلى فيه وطاف به آدم ﷺ حتى بعث الله الطوفان.[(٢)]

الطوفان والكعبة المشرفة:

مازال البيت منذ بنائه من قبل آدم ﷺ حتى بعث الله سبحانه الطوفان فرفع في ديباجتين فهو فيهما إلىٰ يوم القيامة قال أبن جريج قال جويبر: كان بمكة البيت المعمور فرفع زمان الغرق فهو في السماء[(٣)] وذكر الأزرقي عن أبن عباس قال: كان مع نوح في السفينة ثمانون رجلا معهم أهلوهم وإنهم كانوا أقاموا في السفينة مائة وخمسين يوما وأن الله تعالى وجه السفينة إلىٰ مكة فدارت بالبيت أربعين يوما ثم وجهها الله تعالى إلىٰ الجودي قال فاستقرت عليه.[(٤)]

---

(١) أخبار مكة وماجاء فيها من الآثار ـ الازرقي ـ ج١ ص٣٤.

(٢) أخبار مكة وماجاء فيها من الاثار ـ الازرقي ـ ج١ ص٣٦.

(٣) سئل الإمام علي ﷺ عن البيت المعمور وماهو؟ قال ﷺ: ذاك الضراح فوق سبع سموات تحت العرش يدخله كل يوم سبعون الف ملك لايعودون فيه إلىٰ يوم القيامة . (الأزرقي).

(٤) أخبار مكة وماجاء فيها من الآثار ـ الازرقي ـ ج١ ص٥٠ ـ ٥١.

إبراهيم ﵇ يبني الكعبة المشرفة:

تذكر بعض الروايات أن موضع الكعبة قد خفي ودرس في زمن الغرق فيما بين نوح وإبراهيم ﵉ وكان موضعه أكمة حمراء مدرة لاتعلوها السيول والناس يعلمون أن موضع البيت هنالك وكان يأتيه المظلوم والمتعوذ من أقطار الارض، وكان الناس يحجون إلىٰ موضع البيت حتى بوأ الله مكانه لإبراهيم ﵇.

وخرج ابراهيم ﵇ من الشام بعد أن بوأ الله له مكان البيت وخرج معه إسماعيل وأمه هاجر وحملوا علىٰ البراق ومعه جبريل ﵇ يدله علىٰ موضع البيت ومعالم الحرم، حتى قدم مكة، والبيت يومئذ ربوة حمراء، فقال ابراهيم لجبريل: أهاهنا أمرت ان أضعهما؟ قال: نعم! فعمد بهما إلىٰ موضع الحجر فأنزلهما فيه وأمر هاجر أم إسماعيل أن تتخذ فيه عريشا ثم قال: ﴿رَبَّنَا إِنِّي أَسْكَنتُ مِنْ ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِنْدَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُوا الصَّلاَةَ فَاجْعَلْ أَفْئِدَةً مِنْ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ وَارْزُقْهُمْ مِنْ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ﴾[1] ثم انصرف ابراهيم إلىٰ الشام، وعندما فني الماء الذي معهما وانقطع درها فجاع اسماعيل فعمدت أم اسماعيل إلىٰ الصفا والمروة تبحث عن الماء فلم تجده، ورجعت إلىٰ ابنها وجدته يتشحط وينشغ من شدة الجوع والعطش، فخرج لها جبريل ﵇ فاتبعته حتى ضرب برجله مكان البئر (زمزم) فظهر ماء فوق الارض فشربت منه ام اسماعيل ودرت علىٰ ابنها.

لما أخرج الله سبحانه وتعالى ماء زمزم لام اسماعيل، مر ركب من جرهم قافلي من الشام فرأى الركب الير علىٰ الماء فأرسلوا رجلين حتى اتيا أم اسماعيل، وقالوا لمن هذا الماء؟ قالت: هو لي قالوا لها: أتأذنين لنا أن ننزل معك عليه؟ قالت: نعم! فنزلوا وبعثوا إلىٰ أهاليهم فقدموا إليهم وسكنو تحت الدوح، واعترشوا عليها العرش فكانت معهم هي وابنها، حتى ترعرع الغلام، وتوفيت ام اسماعيل قبل ان

---

(١) سورة إبراهيم ـ آية ٣٧.

يبني ابراهيم واسماعيل البيت، وكان اسماعيل يخرج مع جرهم في الصيد فلما بلغ انكحوه جارية منهم، وكان ابراهيم ﷺ يزور ابنه في فتراة متباعدة وفي إحداها جاء ابراهيم ﷺ، فوجد اسماعيل ﷺ قاعدا تحت الدوحة التي بناحية البير يبري نبلا له فسَلم عليه ونزل إليه فقعد معه فقال إبراهيم: ياسماعيل إن الله تعالى قد أمرني بأمر فقال له إسماعيل فأطع ربك فيما أمرك، فقال ابراهيم: ياإسماعيل أمرني ربي ان ابني له بيتا، قال له إسماعيل: وأين؟ فأشار له إلىٰ أكمة مرتفعة علىٰ ماحولها عليها رضراض من حصباء يأتيها السيل من نواحيها ولا يركبها، فقاما يحفران عن القواعد ويقولان: ربنا تقبل منا إنك سميع الدعاء، ربنا تقبل منا إنك أنت السميع لعليم، ويحمل له إسماعيل الحجارة علىٰ رقبته ويبني الشيخ إبراهيم، فلما ارتفع البناء وشق علىٰ الشيخ إبراهيم تناوله قرب له اسماعيل هذا الحجر (المقام) فكان يقو عليه ويبني ويحوله في نواحي البيت حتى انتهىٰ إلى وجه البيت ولذلك سمي مقام إبراهيم لقيامه عليه.

جبريل ﷺ يحضر الحجر الأسود:

عندما كان إبراهيم ﷺ يبني الكعبة كان كل يوم يبني سافا ومكة يومئذ شديدة الحرارة، فلما بلغ موضع الحجر قال لإسماعيل: اذهب فالتمس حجر أضعه هاهنا ليهدي الناس به، فذهب إسماعيل يطوف في الجبال وجاء جبريل بالحجر الأسود وجاء إسماعيل فقال من أين لك هذا الحجر؟ قال: من عند من لم يتكل علىٰ بنائي وبنائك.

أم عن إعادة بنائه فقيل أنه أنهدم فبنته العمالقة ثم أنهدم فبنته قبيلة من جرهم، ثم انهدم فبنته قريش فلما أرادوا أن يضعوا الحجر تنازعوا فيه فقالوا: أول رجل يدخل علينا من هذا الباب فهو يضعه، فجاء رسول الله ﷺ فأمر بثوب فبسط ثم وضعه فيه ثم قال: ليأخذ من كل قبيلة رجل من ناحية الثوب. ثم رفعوه ثم أخذ

رسول الله ﷺ فوضعه.[١]

الحجر الأسود في عين زمزم:

بقيت جرهم ولاة البيت نحو ثلاثمائة سنة فأكلوا مال الكعبة الذي يهدى إليها واستحلوا حرمها[٢]، ويذكر ابن الجوزي: أن مكة في الجاهلية لاظلم فيها ولا بغي، ولا يستحل حرمتها ملك الا هلك مكانه، فكانت تسمى: الباسة، وتسمى بكة، كانت تبك أعناق الجبابرة الذين يبغون فيها، ولما لم تنته جرهم عن بغيها، وتفرق أولاد عمروا بن عامر عن اليمن، فانخزع بنو حارثه بن عمرو قاطنو تهامة، فسميت خزاعة، لأنهم انخزعوا، وبعث الله عز وجل علىٰ جرهم الرعاف والنمل، فأفناهم، فاجتمعت خزاعة ليجلوا من بقي، ورئيسهم يومئذ عمرو بن ربيعة بن حارثة وأمه فهيرة بنت عامر بن الحارث بن مضاض، فاقتتلوا، فلما أحس عامر بالهزيمة خرج بغزالي الكعبة وحجر الركن، وجعل يلتمس التوبة فلم تقبل توبته، فألقى غزالي الكعبة وحجر الركن في زمزم، وخرج من بقي من جرهم إلىٰ أرض الحبشة.[٣]

كما أشار إلىٰ ذلك أيضا الطبري بقوله: «قال: ولما لم تتناه جرهم عن بغيها، وتفرق أولاد عمرو بن عامر من اليمن، فانخرع بنو حارثة بن عمرو، فأوطنوا تهامة ـ فسميت خزاعة، وهم بنو عمرو بن ربيعة بن حارثة ـ وأسلم ومالك وملكان بنو أفصى بن حارثة، فبعث الله علىٰ جرهم الرعاف والنمل، فأفناهم. فاجتمعت خزاعة ليجلوا من بقى، ورئيسهم عمرو بن ربيعة بن حارثة، وأمه فهيرة بنت عامر بن الحارث ابن مضاض، فاقتتلوا. فلما أحس عامر بن الحارث بالهزيمة، خرج بغزالي الكعبة وحجر الركن يلتمس التوبة، وهو يقول: لاهم إن جرهمًا عبادك الناس طرفٌ وهم تلادك بهم قديمًا عمرت بلادك فلم تقبل توبته، فألقى غزالي الكعبة وحجر الركن في زمزم، ثم

(١) أخبار مكة وما جاء فيها من الآثار ـ الازرقي ص٥٢ حتى ص٦١.
(٢) صبح الأعشى ـ القلقشندي .
(٣) المنتظم ابن الجوزي .

دفنها وخرج من بقى من جرهم إلىٰ أرض من أرض جهينة، فجاءهم سيل أتى فذهب بهم». انتهى[١]

وبقي الحجر الأسود في عين زمزم منذ ألقي فيها حتى أن حفر عبد المطلب زمزم، ووجد الحجر وغزالي الكعبة التي دفنتهم جرهم فيها.

(١) تاريخ الأمم والملوك ـ الطبري.

ينبوع عين الكعبة والحجر الأسود في هجر

اقتلع القرامطة الحجر الأسود عام ٣١٧هـ من قبل ابو طاهر الجنابي وأحضروه إلىٰ منطقة هجر التي تتكون من هجر المدينة العظمى وقراها المعروفة وهي القطيف والخط والزارة علىٰ ساحل خليج فارس الذي عرف أيضا بخليج القطيف.

قال المسلم في حادثة نقل الحجر الاسود إلىٰ هجر: «وقد كان لهذه الحادثة أثر كبير في سوء العلاقات بين ابي طاهر وبين الفاطميين، فكتب اليه عبيد الله المهدي يوبخه علىٰ هذه التصرفات ويلعنه، قائلا: لقد حقت علىٰ شيعتنا ودولتنا كلمة الكفر والإلحاد مما فعلت. وأمره برد الحجر الأسود إلىٰ مكانه وإعادة ما أخذه من الحجاج، ويقال انه أرجع ما أمكنه من الاموال إلىٰ ذويها من أهل البلد، واعتذر عن رد الباقي لتفرق أصحابها من الحجاج إلىٰ أنحاء البلاد، أما الحجر الأسود فبقي لديه حيث أقامه في موضع ـ كما يقال ـ يسمى الآن (بالجعبة) يقع بين الجش وسيهات جنوبي مدينة القطيف». انتهىٰ[1]

وينبوع عين الكعبة (ينبوع ماء في أرض القطيف) تلفظ في اللهجة المحلية بعين الجعبة (تنطق الجيم بـ ch) حيث ينقل كبار السن في منطقة القطيف (إحدى

---

(١) ساحل الذهب الأسود ـ محمد سعيد المسلم ص١٤٧.

قرى هجر قديما) أن موقع عين الكعبة بالقطيف هي المنطقة التي نقل إليها الحجر الأسود، وهي تقع في أطراف سيحة زراعيه تعرف بسيحة سيهات بين مدينتي سيهات والجش من أرض القطيف بالقرب من رمال صحراء البياض المجاورة لارض القطيف.

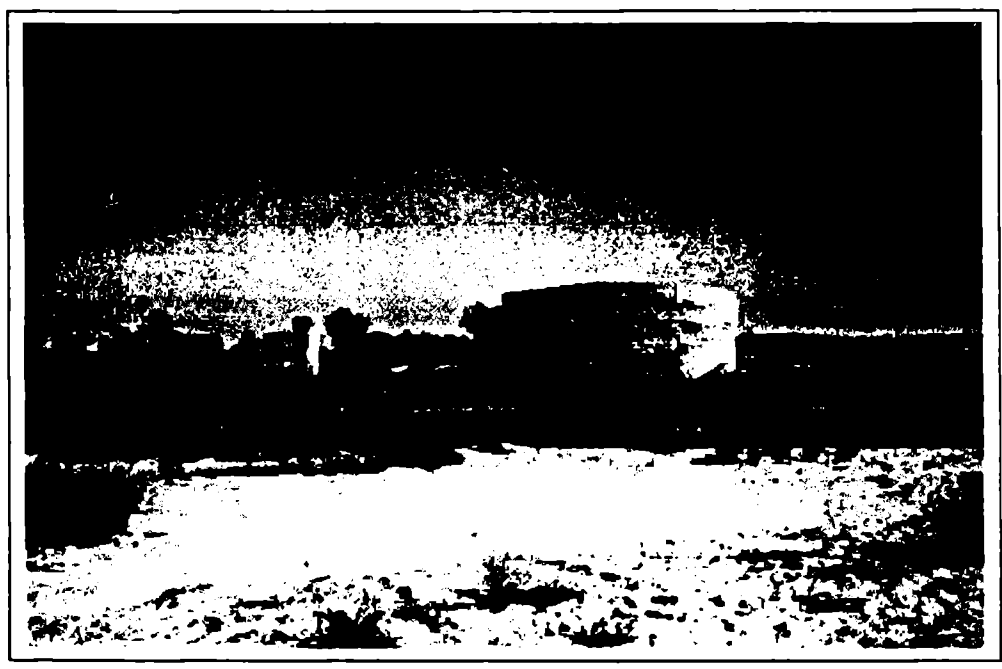
كانت صحراء البياض الواقعة غرب القطيف بالقرب من عين الكعبة تكثر فيها قصور ومباني القرامطة ومزارعهم التي كانت تسقيها تلك العيون الكثيرة التي مازال شواهدها حتى أيامنا هذه في تلك الصحراء بعد أن جف ماؤها.

وهنا أتذكر الحاج/ أبو عيسى الناصر أحد رجال مدينة سيهات التي تقع العين في سيحتها الزراعية، قوله أنه عندما كانت العين في أوج عطائها في أواخر القرن الرابع الهجري والرمال تحيط بها قامت سيارات النقل بنقل الرمال من الأراضي القريبة من عين الكعبة لاستخدامها في البناء، وخلال الحفر في الرمال انكشفت بعض المباني الأثرية بالقرب من عين الكعبة، فتم إيقاف نقل الرمال منها وردم ما ظهر من المباني في الموقع.

ذكر ابن منظور في رسم البيضاء كثرة القصور فيها. قوله: «فقال ابن حبيب: البِيضَة، بالكسر، بالحَزْن لبني يربوع، والبَيْضَة، بالفتح، بالصَّمّان لبني دارم. وقال أبو سعيد: يقال لما بين العُذَيْب والعقَبة بَيْضة، قال: وبعد البَيْضة البَسِيطةُ. وبَيْضاء بني جَذِيمة: في حدود الخطّ بالبحرين كانت لعبد القيس وفيها نخيل كثيرة وأَحْساءٌ عَذْبة وقصورٌ جَمّة، قال: وقد أَقَمْتُ بها مع القَرامِطة قَيْظة. ابن الأعرابي: البَيْضة أَرض بالدَّوّ حفَروا بها حتى أَتتهم الريح من تحتهم فرفعتهم ولم يصِلُوا إلىٰ الماء. قال شمر: وقال غيره البَيْضة أَرض بَيْضاء لا نبات فيها، والسَّوْدة: أَرض بها نخيل؛ وقال رؤبة: يَنْشَقُّ عن الحَزْنُ والبَرِّيتُ، والبِيضةُ البَيْضاء والخُبُوتُ». انتهى[1]

---

(١) لسان العرب ـ ابن منظور.



صورة عين الكعبة (الجعبة) الدائرية الشكل وبجانبها تنقاب التهوية أخذت هذه الصورة في شتاء عام ١٤١٦هـ قبل أن ينهدم مبنى التنقاب وكذلك بعض جدران عين الكعبة.

(تصوير، حسين السلهام)

ما زال مبنى عين الكعبة في القطيف شاهد يشجع الباحث في تاريخ القرامطة، محاولة الاجابة علىٰ الكثير من التساؤلات التي من الصعوبة الاجابة عليها في وقتنا الراهن، ومنهما: لماذا أطلق عليها مسمى عين الكعبة؟. وهل السور الدائري لعين الكعبة شجع القرمطي ابو طاهر علىٰ إجبار الناس علىٰ الطواف حوله كما ينقل بعض المتأخرين من الكتاب، وهل وضع الحجر الاسود في إحدى زوايا مبنى عين الكعبة؟ كل تلك التساؤلات يطلقها عامة الناس، ولكن من الصعوبة ايجاد الجواب الشافي، ولكن نستطيع وضع بعض التكهنات التي قد تشبع نهم القارىء وعلى سبيل المثال:

قد يكون أن القرامطة وضعوا الحجر في مياه عين الكعبة وكان طافيا علىٰ سطح مياه العين، لهذا سميت بعين الكعبة نسبة إلىٰ الحجر الذي وضع فيها، وذكر

القزويني: «والحجر الاسود بقي عندهم (القرامطة) سنين حتى أشتراه المطيع بالله بأربعة وعشرين الف. حكى أن بعض القرامطة قال لبعض علماء الاسلام: عجبت من عقولكم! بذلتم مالا كثيرا في هذا الحجر، فما يؤمنكم انا ما أمسكناه ورددناه اليكم غيره؟ فقال العالم: لنا في ذلك علامة وهي أنه يطفو علىٰ الماء ولايرسب! فالقمه الحجر». انتهىٰ[1]

كما أن مساحة عين الكعبة ومبناها الدائري المرتفع مقارب لمساحة الكعبة المشرفة، وبالقرب منه تنقاب للتهوية تجري خلاله المياه إلىٰ مقاصدها، فهل كانت مواصفات هذه العين أغرت ابو طاهر علىٰ اجبار الناس بالطواف حول العين وفيها الحجر الاسود؟!.

وينقل شارح ابن المقرب[2]، الغير معروف وكذلك غير معروف سنة شرحه للديوان أن القرمطي بنى بيتا في القطيف سماه الكعبة. قوله في شرح بيت الشعر:

من بعد ان جل بالحرين شأنهم وارجفوا الشام بالغارات والحرما

«يعني بالحرم مكة حرسها الله تعالى وكان ابو طاهر سليمان ابن الحسن القرمطي الذي يعرف بقصير الركاب قد اغار علىٰ مكة حرسها الله تعالى وبلغت خيله وجنوده البيت الحرام وقلع الحجر الاسود من البيت والميزاب ايضا وحملهما إلىٰ البحرين وبنى بالقطيف بيتا سماه الكعبة وقال اصرف الحج اليه وصار كلما جعل الحجر الاسود في اركانه اصبح في ناحية غير متعلق بالبناء وكان حمله للحجر والميزاب في سنة اثنا عشر وثلاثمائة من الهجرة الاسلامية وكان ردُهما في سنة خمسة وثلاثين وثلاثمائة وذلك بعد موته وكانت مدة اقامة الحجر والميزاب بالبحرين ثلاثة وعشرين سنة». انتهىٰ[3]

---

(١) أثار البلاد وأخبار العباد ـ القزويني ص٧٨.

(٢) شرح ديوان ابن المقرب الطبعة الهندية .

(٣) شرح ديوان ابن المقرب ـ الطبعة الهندية. ص٤٤٢.

وفي الحقيقة أوردت قول هذا الشارح للديوان للاطلاع فقط على كل الآراء بالرغم انني أرى انه غير ثقة ويتضح ذلك من خلال قراءتي لشرحه ومدى نصبه العداء لآل البيت وشيعتهم حتى أنه حاول طمس القصائد الذي مدح فيها ابن المقرب آل البيت ﷺ، وكذلك يلاحظ للمتبحر في كتب التاريخ أنه لم يذكروا أن القرامطة بنوا كعبة في القطيف كما يذكر وقد انفرد بهذا القول كما انفرد ايضا في سنة اقتلاع الحجر الاسود وسنة إعادته، بالرغم ان المؤرخين الكبار كالمسعودي وغيره كما سيرد يذكرون خلاف قوله.



صورة لمبنى عين الكعبة من الداخل ويشاهد فيها فتحة خروج المياه إلى التنقاب الخارجي (تصوير، حسين السلهام) عام ١٤١٦هـ

لماذا انتزع القرامطة الحجر الأسود من الكعبة؟

أختلف المؤرخون والمثقفون في أسباب اقتلاع الحجر الأسود من الكعبة

ونقله إلىٰ هجر، وهنا سوف نلخص بعض الآراء وهي كما يلي:

ـ يرى البعض أن القرامطة كانوا يعتمدون علىٰ قاعدة الغاية تبرر الوسيلة لهذا قاموا بقلع الحجر الأسود من الكعبة لفرض أمر واقع والاعتراف بهم كقوة سياسية يجب الاعتراف بها من قبل مركز السلطة العباسية وبالتالي فالهدف سياسي بحت.

ـ هناك من يعتقد أن سبب نقل الحجر إلىٰ هجر لإجبار الناس علىٰ الحج إلىٰ القطيف وهو قول شاذ عن الحقيقة لأنه نقل عن المتأخرين دون مصادر لقولهم ومنهم مانقله صاحب كتاب تحفة المستفيد عن بناء كعبة في القطيف وجعل الحجر فيها لنقل الحجاج إلىٰ القطيف بدلا من مكة المشرفة، وهذا نص قوله: «وفي ذي القعدة سنة تسع وثلاثين وثلاثمائة رد ابو محمد شنبر بن الحسن الحجر الاسود إلىٰ موضعه بالكعبة المشرفة، وقد سبق ان ابا طاهر قد نقله، وبنى كعبة في القطيف وجعله فيها، ظنا منه ان المسلمين يحجون إلىٰ الحجر وانهم سيحجون إلىٰ القطيف». انتهىٰ[١]

وهنا نورد ماذكره الشيخ / حمد الجاسر في رسم الكعبة في معجمه وعدم اقتناعه ان القرامطة بنوا كعبة في القطيف قوله: «الكعبة علىٰ اسم الكعبة شرفها الله ـ موضع بالقرب من بلدة سيهات، بينها وبين قرية الجش الواقعة إلىٰ الشمال الغربي منها، يقال: إنه المكان الذي بنى فيه أبو طاهر القرمطي بناء وضع فيه الحجر الاسود، حين نقله من الكعبة سنة سبع عشرة وثلاث مئة من الهجرة. ولم أر ـ فيما اطلعت من الكتب مايؤيد هذا، وماأراه اختار لذلك سوى قاعدة ملكه وكانت الاحساء». انتهىٰ[٢]

وفي اعتقادي ان هناك اسباب مادية سعى اليها القرامطة وخاصة أذا علمنا أن الجيش القرمطي يتكون من المرتزقة الاعراب الذين اعتادوا علىٰ السلب والنهب، واستخدم الحجر الاسود للتفاوض من أجل دفع مبالغ ماليه.وكانت من مطالبهم

---

(١) تحفة المستفيد ـ آل عبد القادر الأنصاري ـ ص٩١.

(٢) المعجم الجغرافي المنطقة الشرقية ـ حمد الجاسر ـ ق٤ ـ ص١٥١٢.

الحصول علىٰ اتاوة من كل حاج، وهذا ماحصلوا عليه لاحقا بالفعل بالاتفاق علىٰ حصولهم علىٰ دينار مقابل كل حاج كما ذكر النويري قوله: «قال الشريف: وفي سنة ثلاث وعشرين وثلاثمائة دخل القرمطي الكوفة، واستقبل لؤلؤًا الأمير خارجًا بالحاج في ذي القعدة، فرجع بهم لؤلؤ إلىٰ الكوفة وتفرقوا فيها، بعد أن واقعته الخراسانية فلم يقدر علىٰ مقاومتهم وامتنعوا منه، إلا أن الناس تسربوا وافترقوا، فظفر بمن ظفر منهم فلم يكثر القتل وأخذ ما وجد، وأشار بعض أهل الكوفة علىٰ بعض أصحابه في هذه السنة[1] - عند نزولهم بالكوفة - أن يسار في الحاج بغير ما يجري فيهم، فقال الرجل: الذي من أصحاب القرمطي: والله ما ندري ما عند سيدنا أبي طاهر، من تمزيق هؤلاء الذين من شرق الأرض وغربها، واتخاذهم ومن وراءهم أعداء، وما يفوز بأكثر أموالهم إلا الأعراب والشراد من الناس، قال الكوفي: فلو أنه حين يظفر بهم دعائهم أن يؤدي كل رجل دينارًا وأطلقهم وأمنهم لم يكره أحد منهم ذلك وخف عليهم وسهل، وحج الناس من كل بلد لأنهم ظماء إلىٰ ذلك جدًا، ولم يبق ملك إلا كاتبه وهاداه واحتاج إليه في حفظ أهل بلده وخاصته، فجبي في كل سنة ما لا يصبر إلىٰ سلطان مثله من الخراج، واستولى علىٰ الأرض وانقاد له الناس، وإن منع من ذلك السلطان اكتسب المذمة، وصار عند الناس هو المانع من الحج، فاستصوب رأيه وفرج عنه، لأن أصحاب أبي طاهر كان قد ظهر منهم اضطراب عليه وقلت طاعتهم له، قال: حتى لقد سمعت بعضهم وقد لحقه فارس من العرفاء يركض ويدور في الكوفة ويقول: ارجع إلىٰ العسكر فإن السيد يأمرك بذلك، فذكر أمه بقبيح من الشتيمة بعد أن كانوا يعبدونه، قال: ولما سمع رئيس القرامطة كلام الكوفي وما أشار به من أمر الحاج وما جرى من الكلام في ذلك دخل إلىٰ أبي طاهر فعرفه ما جرى، فبادر من وقته ونادى في الناس بالأمان، وأحضر الخراسانية وقرر معهم أنهم يحجون ويؤدون إليه المال في كل سنة، ويكونون آمنين علىٰ أنفسهم وأموالهم فلم

---

(١) قام القائد القرمطي أبا عبد الله الحسين بن علي بن سنبر باعتراض الحاج عام ٣٢٣هـ-التنبيه والإشراف للمسعودي.

يأمنوا له، فسلم سياسة أمرهم إلىٰ أبي علي عمر بن يحيى العلوي، واستقر للقرامطة ضريبة ورسم علىٰ سفر الحاج». انتهىٰ[(١)]

وتنقل كتب التاريخ أن الأسباب كانت مادية بحته كما أشار المقريزي إلىٰ أن القرمطي أبو طاهر اتفق مع أعوانه بالتوقف عن سلب الحجاج مقابل إتاوة يدفعونها في طريقهم إلىٰ الحج وذلك قوله «وبلغ القرمطي أن رجلا من أصحابه قال: والله ما ندري ما عند سيدنا أبي طاهر من تمزيق هؤلاء الذين من شرق الأرض وغربها، واتخاذهم ومن وراءهم أعداء، وما يفوز بأكثر أموالكم إلا الأعراب والشذاذ من الناس، فلو أنه حين ظفر بهم دعاهم إلىٰ أن يؤدي كل رجل منهم دينارا ويطلقهم ويؤمنهم لم يكره ذلك منهم أحد، وخف عليهم وسهل، وحج الناس من كل بلد، لأنهم ظمأى إلىٰ ذلك جدا، ولم يبق ملك إلا كاتبه وهاداه واحتاج إليه في حفظ أهل بلده وخاصته، وجاء في كل سنة من المال ما لا يصير لسلطان مثله من الخراج، واستولى علىٰ الأرض وانقاد له الناس؛ وإن منع من ذلك سلطان اكتسب المذمة، وصار عند الناس هو المانع من الحج.

فاستصوب القرمطي هذا الرأي، ونادى من وقته في الناس بالأمان، وأحضر الخراسانية، فوطأ أمرهم علىٰ أنهم يحجوا ويؤدوا إليه المال في كل سنة، ويكونوا آمنين علىٰ أنفسهم وأموالهم؛ وأخرج أهل مصر أيضًا عن الحاج ضرائب من مال السلطان؛ ثم ولى تدبير العراق من لم ير ذلك دناءة ولا منقصة، فصار لهم علىٰ الحاج رسما بالكوفة». انتهىٰ[(٢)]

وقد يكون الهدف الرئيس للقرامطة من فعلتهم هذه رغبتهم السياسية بمنحهم إقرار من الدولة العباسية بتقليدهم حكم منطقة هجر والبصرة. وهذه كانت بعض مطالبهم تجاه الدولة العباسية التي لاتعترف بحكمهم لمنطقة هجر.

---

(١) نهاية الأرب في فنون الأدب النويري.

(٢) اتعاظ الحنفاء بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفاء المقريزي .

أما ناصر خسروا فذكر أنه سألهم عن سبب اقتلاع الحجر فاجابوه ان الحجر به مغناطيس، كما جاء في كتابه سفر نامه قوله: «وقد ذهب أحد هؤلاء السلاطين بجيش إلىٰ مكة أيام خلفاء بغداد فاستولى عليها وقتل من كان يطوف بالكعبة وانتزع الحجر الأسود من مكانه ونقله إلىٰ الحسا وقد زعموا إن هذا الحجر مغناطيس يجذب الناس إليه من أطراف العالم ولم يفقهوا إن شرف محمد المصطفى صلى الله عليه وسلم وجلاله هما اللذان يجذبان الناس فقد لبث الحجر الأسود في الحسا سنين عديدة ولم يذهب إليها أحد وأخيرًا اشتري منهم الحجر الأسود وأعيد إلىٰ مكانه». انتهىٰ[1]

ويشير ايضا المقريزي إلىٰ سبب قلع الحجر وأخذه بسبب ظن القرامطة أنه مغناطيس القلوب، وذلك قوله: «فلما كان في سنة سبع عشرة رحل بجيشه، فوافى مكة لثمان خلون من ذي الحجة، فقتل الناس في المسجد قتلا ذريعا، ونهب الكعبة، وأخذ كسوتها وحليها، ونزع الباب وستائره، وأظهر الاستخفاف به، وقلع الحجر الأسود وأخذه معه وظن أنه مغناطيس القلوب، وأخذ الميزاب أيضا». انتهىٰ[2]

---

(١) سفرنامه ـ ناصر خسرو.

(٢) اتعاظ الحنفاء بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفاء المقريزي.

رد الحجر الأسود إلىٰ مكة

في الحقيقة هناك أسئلة كثيرة تتردد علىٰ الباحث عن حقيقة أقتلاع الحجر الاسود من قبل القرامطة، و متى أعيد الحجر إلىٰ الكعبة؟ وكيف أعيد؟ ومن أعاده؟ وهل هو صحيح في أصل ماينقل عن اقتلاع الحجر الاسود؟ أسئلة كثيرة يجب الإجابة عنها ولكن، كعادة ماينقل عن تاريخ القرامطة هناك روايات متضاربة تجعل الباحث، يحاول التحقيق في مدى صحة كل منها وابداء رأيه. علىٰ هذا الأساس أنطلقنا بجمع تلك الروايات المتعلقة بموضوع رد الحجر الاسود إلىٰ مكة بعد اقتلاعه ومن ثم توضيح ما نراه من ترجيح كفة بعض الروايات وفيما يلي نضع بين يدي القارىء مجموعة من تلك الروايات المتضاربة المختلفة فيما بينها:

قال ابن الأثير: «فلما بلغ المهدي (عبيد الله العلوي بأفريقيه) كتب إليه ينكر عليه ذلك ويلومه ويلعنه ويقيم عليه القيامة، ويقول قد حققت علىٰ شيعتنا ودعاة دولتنا اسم الكفر والإلحاد بما فعلت وان لم ترد علىٰ أهل مكة وعلى الحجاج وغيرهم ما أخذت منهم،وترد الحجر الأسود إلىٰ مكانه وترد كسوة الكعبة فأنا بريء منك في الدنيا والآخرة. فلما وصل هذا الكتاب أعاد الحجر الأسود علىٰ ما نذكره واستعاد ما أمكنه من الأموال من أهل مكة فرده، وقال: إن الناس اقتسموا كسوة الكعبة وأموال

الحاج ولا اقدر علىٰ منعهم». انتهىٰ[(١)]

قال المسعودي مؤكدا أقتلاع الحجر الاسود من موقعه قوله: «واقتلع باب البيت الحرام. وكان مصفحا بالذهب وأخذ جميع ماكان من البيت من المحاريب الفضه، والجزع وغيره ومعاليق وما يزين به البيت من مناطق ذهب وتازيرات ذهب، وفضة وقلع الحجر الاسود ومقدار موضعه مايدخل فيه اليد إلىٰ اقل من المرفق». انتهىٰ[(٢)]

قال ابن الأثير أن الدولة العباسية أرسلت حاجبها في سنة ٣٢٢هـ ـ محمد بن ياقوت ـ رسولا إلىٰ أبى طاهر القرمطي يدعوه إلىٰ طاعة الخليفة ليقره علىٰ ما بيده من البلاد ويقلده بعد ذلك ما شاء من البلدان ويحسن إليه، ويلتمس منه أن يكف عن الحاج جميعهم وأن يرد الحجر الأسود إلىٰ موضعه بمكة فأجاب أبو طاهر إلىٰ أنه لا يتعرض للحجاج ولا يصيبهم بمكروه، ولم يجب إلىٰ رد الحجر الأسود إلىٰ مكة وسأل أن يطلق الميره من البصرة ليخطب للخليفة في أعمال هجر». انتهىٰ[(٣)]

قال ابن خلدون: «وفي سنة سبع عشرة هجم (ابو طاهر) علىٰ مكة وقتل كثيرا من الحاج ومن أهلها ونهب أموالهم جميعا وقلع باب البيت والميزاب، وقسم كسوة البيت في أصحابه، واقتلع الحجر الاسود وانصرف به وأراد أن يجعل الحج عنده، وكتب إليه عبيد الله المهدي من القيروان يوبخه علىٰ ذلك، ويتهدده، فكتب إليه بالعجز عن رده من الناس ووعد برد الحجر، فرده سنه تسع وثلاثين بعد أن خاطبه منصور إسماعيل من القيروان في رده فردوه، وقد كان الحكم المتغلب علىٰ الدولة ببغداد أيام المستكفي بذل لهم خمسين الفا من الذهب علىٰ أن يردوه فأبوا، وزعموا

---

(١) الكامل في التاريخ ـ ابن الأثير ج٨ ص٢٠٨.

(٢) التنبيه والإشراف (طبعة ليدن) ص٣٨٦.

(٣) الكامل في التاريخ ـ ابن الأثير ج٨ص٢٩٥.

أنهم إنما حملوه بأمر إمامهم عبيد الله، وإنما يردونه بأمره وأمر خليفته». انتهىٰ[١]

وفي موضع آخر ذكر ابن خلدون في تاريخه فيما يتعلق برد الحجر الاسود إلىٰ مكه قوله: «وبلغ الخبر إلىٰ المهدي عبيد الله بأفريقية وكانوا يظاهرون الدعاء له، فكتب إليه بالنكير واللعن ويتهدده علىٰ الحجر الاسود فرده ومامكنه من أموال الناس واعتذر عن بقية ماأخذوه بافتراقه في الناس». انتهىٰ[٢]

قال أبن الأثير: «أن (بجكم) قد بذل لهم في رده خمسين ألف دينار فلم يجيبوه؟ وردوه الآن بغير شيء في ذي القعدة فلما أرادوا رده حملوه إلىٰ الكوفة وعلقوه بجامعها حتى رآه الناس ثم حملوه إلىٰ مكة وكانوا أخذوه من ركن البيت الحرام سنة سبع عشر وثلاثمائة وكان مكثه عندهم اثنتين وعشرين سنة» انتهىٰ[٣]

وقال ابن أبي الحديد في شرح نهج البلاغة للإمام علي عليه السلام فيما يتعلق برد الحجر الأسود: «قال (الإمام علي عليه السلام) وهو يشير إلىٰ السارية التي كان يستند إليها في مسجد الكوفة: كأني بالحجر الأسود منصوبا هاهنا برهة، ثم هاهنا برهة ـ وأشار إلىٰ البحرين ـ ثم يعود إلىٰ مأوه وأم مثواه، ووقع الامر في الحجر الأسود بموجب ما أخبر به عليه السلام». انتهىٰ[٤]

وذكر القزويني في رد الحجر الأسود قوله: «والحجر الاسود بقي عندهم (القرامطة) سنين حتى أشتراه المطيع بالله بأربعة وعشرين الف دينار وردوه إلىٰ مكة. حكى أن بعض القرامطة قال لبعض علماء الاسلام: عجبت من عقولكم! بذلتم مالا كثيرا في هذا الحجر، فما يؤمنكم انا ماأمسكناه ورددناه اليكم غيره؟ فقال العالم: لنا

---

(١) تاريخ ابن خلدون ص٩٥٦.
(٢) تاريخ ابن خلدون ص٨١١.
(٣) الكامل في التاريخ ـ ابن الأثير ج٨ ص٤٨٦.
(٤) شرح نهج البلاغة ـ ابن أبي الحديد ج١٠ ص١٣.

في ذلك علامة وهي أنه يطفو علىٰ الماء ولا يرسب! فالقمه الحجر». انتهىٰ(١)

وقال المقريزي: «فلما كان في سنة تسع وثلاثين أرادوا أن يستميلوا الناس فحملوا الحجر الأسود إلىٰ الكوفة، ونصبوه فيها علىٰ الاسطوانة بالجامع.

وكان قد جاء عن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب الملقب زين العابدين: أن الحجر الأسود يعلق في مسجد الجامع بالكوفة في آخر الزمان. ثم قدم به سنبر بن الحسن بن سنبر إلىٰ مكة وأمير مكة معه فلما صار بفناء البيت أظهر الحجر من سفط كان به مصونا، وعلى الحجر ضباب فضة قد عملت عليه، تأخذه طولا وعرضا، تضبط شقوقًا حدثت فيه بعد انقلاعه؛ وكان قد أحضر له صانع معه جص يشد به الحجر، وحضر جماعة من حجبة البيت، فوضع سنبر بن الحسن بن سنبر الحجر بيده في موضعه ومعه الحجبة وشده الصانع الجص بعد وضعه وقال لما رده: أخذناه بقدرة الله، ورددناه بمشيئته. ونظر الناس إليه وقبلوه والتمسوه، وطاف سنبر بالبيت. وكان قلع الحجر من ركن البيت يوم الإثنين لأربع عشرة خلت من ذي القعدة سنة سبع عشرة وثلاثمائة. وكان رده يوم الثلاثاء لعشر خلون من ذي الحجة يوم النحر سنة تسع وثلاثين وثلاثمائة. فكانت مدة كينونته عند الجنابي وأصحابه اثنين وعشرين سنة إلا أربعة أيام». انتهىٰ(٢)

كما يذكر القلقشندي قوله: «ثم انقطع الحج من العراق بسبب القرامطة إلىٰ سنة ثلاث وثلاثين وثلثمائة؛ فخرج ركب العراق بمهادنة القرامطة في خلافة المستكفي؛ ثم خطب بمكة لمعز الدولة بن بويه مع المقتدر في سنة أربع وثلاثين وثلثمائة؛ ثم تعطل الحج بسبب القرامطة؛ ثم برز أمر المنصور الفاطمي صاحب إفريقية لأحمد بن أبي سعيد أمير القرامطة بعد موت أبي طاهر بإعادة الحجر الأسود إلىٰ مكانه

---

(١) أثار البلاد وأخبار العباد ـ القزويني ص٧٨.

(٢) اتعاظ الحنفاء ـ المقريزي .

فأعاده في سنة تسع وثلاثين وثلثمائة». انتهى[(١)]

قال المسعودي: «وبويع المطيع الفضل بن جعفر المقتدر بالله، ويكنى أبا القاسم، وأمه أم ولد صقلبية، تسمى مشعلة ـ يوم الخميس لثمان ليال بقين من جمادى الآخرة سنة ٣٣٤.

ولخمس سنين خلت من خلافته أعيد الحجر الأسود إلىٰ موضعه من البيت الحرام في ذي الحجة سنة ٣٣٩ وكان أخذه في سنة ٣١٧ علىٰ ما قدمنا في خلافة المقتدر في هذا الكتاب». انتهى[(٢)]

كما أورد العاملي نص في رد الحجر الاسود بقوله: «الشريف عمر بن يحيى بن الحسين بن أحمد بن عمر المقتول سنة ٢٥٠ ابن يحيى بن الحسين ذي الدمعة بن زيد بن علي بن الحسين بن علي ابن ابي طالب، في مستدركات الوسائل أن عمر الثاني هذا رد الله علىٰ يده الحجر الاسود لما نهبت القرامطة مكة سنة ٣٢٣ وبنى قبة جده أمير المؤمنين ﷺ من خالص ماله». انتهى[(٣)]

في الحقيقة اختلفت الروايات كما لاحظنا فما بين رأي يذكر أعادة الحجر بعد تقريع الداعية العلوي في المغرب للقرامطة وبين روايات تذكر أنه تم إعادة الحجر بعد اثنان وعشرون سنة.

وهنا يجعلنا نتسآل هل تم أعادة الحجر في نفس السنة أم بعد أثنان وعشرون سنة، أم لم يكن هناك أقتلاع للحجر من أساسه؟

هناك ثلاثة اراء حول موضوع انتزاع الحجر الاسود وهي كما يلي:

---

(١) صبح الأعشى ـ القلقشندي .

(٢) التنبيه والإشراف ـ المسعودي.

(٣) أعيان الشيعة ـ السيد محسن الأمين ج١ ص٥٣٧.

الرأي الاول:

تتجه الكثير من الاراء علىٰ ان القرامطة لم ينتزعوا الحجر الاسود من الكعبة الشريفة، وان كل ماورد في الكتب التاريخية هي من افتعال الدولة العباسية لتشويه تاريخ القرامطة العدو التقليدي للدولة العباسية، وقد سألت آية الله العلامة الدكتور/ عبد الهادي الفضلي ـ حفظه الله ـ في إحدى زيارتنا له في مدينة الدمام عن رايه في إقتلاع الحجر الاسود من قبل القرامطة فأجاب أنه لايرى صحة هذا القول ويعتقد أن القرامطة لم يقتلعوا الحجر الاسود وان هذه الروايات من قبل العباسيين انتقاما وتشويها لتاريخ القرامطة مستدلا بالتالي:

١. جميع كتب التاريخ تذكر انه لم يتوقف الحج سوى في السنة التي هاجم القرامطة الكعبة[1]، واستمر الحج في السنوات التالية دون أن يذكر أحد المؤرخين أن الحج في السنوات التالية استمر دون وجود الحجر الأسود في مكانه.

٢. لم يرد أي إشارة من قبل مرجع ديني من مراجع الشيعة والسنة عن أداء الحج بدون الحجر الأسود في تلك السنوات، وتوضيح أي ملابسات حول الحج دون الحجر، ولم يتطرق مراجع المسلمين إلىٰ هذا الموضوع، وهذا دليل أن الحجر لم يقتلع من مكانه من قبل القرامطة.

وقد ورد في كتاب الاسماعيليون بين الاعتزال والتشيع، مايدعم هذا الرأي، من خلال استعراضه لمجموعة من التناقضات والمبالغات الواردة في كتب التاريخ فيما يتعلق باقتلاع الحجر الاسود وكيفية اقتلاعة ونقله إلىٰ هجر بواسطة ثلاثة من الجمال

(١) قال المسعودي: «ومنها بطل الحج فلم يحج في سنة ٣١٧ لدخول أبي طاهر سليمان بن حسن ابن بهرام الجنابي القرمطي صاحب البحرين مكة، وكان دخوله اياها يوم الاثنين لسبع خلون من ذي الحجة، ولم يبطل الحج منذ كان الإسلام غير تلك السنة وغير ذلك من الأحوال التي كانت في أيامه» انتهيالتنبيه والإشراف ص٣٤٥ دار مكتبه الهلال .

القوية نظرا لثقله وحملوه لما أعادوه علىٰ جمل واحد ضعيف، فوصل به سالما، إلىٰ أن قال: رأينا ممن سبق، مجموعة من التناقضات والمبالغات، وعلى مايبدو أن كثرة ترداها جعلت منها حقائق لايرقى الشك إليها، ومن جهة ثانية، ابعدت الكثير من الباحثين والقراء علىٰ عدم الاطلاع علىٰ ماكتبه مؤرخون سابقين لهؤلاء المزورين للتاريخ.[1]

الرأي الثاني:

الرأي الثاني يتجه إلىٰ أن القرامطة اقتلعوا الحجر الاسود ونقلوه إلىٰ منطقة هجر، ولكن تم إعادته في نفس العام بعد أن طلب منهم الداعية الاسماعيلي في المغرب واستجابوا له وتم إعادته، لهذا لم ير أي مرجع ديني حاجه إلىٰ توضيح ملابسات الحج دون الحجر الاسود في السنوات التالية، وقد أورد ابن الاثير نص أعادة الحجر في نفس السنة حيث قال في أخبار سنة سبع عشر وثلاثمائة: «حج بالناس في هذه السنة منصور الديلمي وسار بهم من بغداد إلىٰ مكة فسلموا في الطريق، فوافاهم أبو طاهر القرمطي بمكة يوم التروية، فنهب هو وأصحابه أموال الحجاج، وقتلوهم حتى في المسجد الحرام وفي البيت نفسه، وقلع الحجر الاسود ونفذه إلىٰ هجر، فخرج إليه ابن محلب، أمير مكة، في جماعة، من الاشراف، فسألوه في أموالهم، فلم يشفعهم، فقاتلوه فقتلهم أجمعين، وقلع باب البيت، وأصعد رجلا ليقلع الميزاب فسقط فمات، وطرح القتلى في بئر زمزم ودفن الباقين في المسجد الحرام حيث قتلوا بغير كفن ولا غسل، ولا صلى علىٰ أحد منهم، وأخذ كسوة البيت فقسمها بين أصحابه، ونهب دور أهل مكة.

فلما بلغ ذلك المهدي أبا محمد عبيد الله العلوي بإفريقية كتب أليه ينكر عليه ذلك، ويلومه، ويلعنه، ويقيم عليه القيامة، ويقول: قد حققت علىٰ شيعتنا ودعاة

(١) الاسماعيليون بين الاعتزال والتشيع ـ محمد أمين أبو جوهر.

دولتنا اسم الكفر والإلحاد بما فعلت، وإن لم تردَّ علىٰ أهل مكة وعلى الحجاج وغيرهم ما أخذت منهم، وتردّ الحجر الأسود إلىٰ مكانه، وترد كسوة الكعبة، فأنا بريء منك في الدنيا والآخرة.

فلما وصله هذا الكتاب أعاد الحجر الأسود علىٰ ما نذكره، واستعاد ما أمكنه من الأموال من أهل مكة، فرده، وقال: إن الناس اقتسموا كسوة الكعبة وأموال الحجاج، ولا أقدر علىٰ منعهم» انتهىٰ[1]

وفي الحقيقة أني أرى هذا الرأي نظرا لكثرة الروايات التي تذكر اقتلاع الحجر الأسود وجلبه إلىٰ هجر ومن ناحية أخرى انعدام الروايات التي تذكر أن الناس حجوا بعد عام ٣١٧هـ دون ان يكون الحجر الأسود في مكانه بالكعبة المشرفة.

وممكن أن أيضا أن نستشهد بما ذكره المسعودي قوله: «ومنها أن الحج بطل فلم يحج في سنة ٣١٧ لدخول أبي طاهر سليمان بن حسن ابن بهرام الجنابي القرمطي صاحب البحرين مكة، وكان دخوله إياها يوم الاثنين لسبع خلون من ذي الحجة، ولم يبطل الحج منذ كان الإسلام غير تلك السنة».[2]

كما ذكر المسعودي ايضا حملات الحج في فترة الحكم القرمطي قبل وبعد اقتلاع الحجر الاسود وقوله: «ثم كانت سنة ست وخمسين ومائتين حج بالناس كعب البقر محمد بن أحمد بن عيسى بن جعفر بن المنصور، ثم كانت سنة سبع وخمسين ومائتين حج بالناس الفضل بن العباس بن الحسن بن إسماعيل بن العباس بن محمد بن علي، ثم كانت سنة ثمان وخمسين ومائتين حج بالناس الفضل بن العباس أيضًا، ثم كانت سنة تسع وخمسين ومائتين حج بالناس إبراهيم بن محمد بن إسماعيل بن جعفر بن سليمان بن علي بن برّية، ثم كانت سنة ستين ومائتين حج بالناس ابن برّية

---

(١) الكامل في التاريخ ـ ابن الأثير ـ ج٨ ص٢٠٨.

(٢) التنبيه والإشراف ـ المسعودي.

أيضًا، ثم كانت سنة إحدى وستين حج بالناس الفضل بن العباس بن الحسن بن إسماعيل بن العباس بن محمد بن علي، ثم كانت سنة اثنتين وستين ومائتين حج بالناس الفضل بن العباس أيضًا، ثم كانت سنة ثلاث وستين ومائتين حج بالناس الفضل بن العباس أيضًا، ثم كانت سنة أربع وستين ومائتين حج بالناس إلىٰ سنة ثمان وسبعين ومائتين خمس عشرة حجة متوالية هارون بن محمد بن إسحاق بن موسى بن عيسى بن موسى بن محمد بن علي بن عبد اللّه بن عباس، ثم كانت سنة تسع وسبعين ومائتين حج بالناس إلىٰ سنة سبع وثمانين ومائتين تسع حجج متوالية أبو عبد اللّه محمد بن عبد اللّه بن داود بن عيسى بن موسى، ثم كانت سنة ثمان وثمانين ومائتين حج بالناس محمد بن هارون بن العباس بن إبراهيم بن عيسى بن جعفر بن أبي جعفر المنصور، ثم كانت سنة تسع وثمانين ومائتين حج بالناس الفضل بن عبد الملك بن عبد اللّه بن العباس بن محمد بن علي، ولم يزل يحج بالناس كل سنة إلىٰ سنة خمس وثلاثمائة، ثم كانت سنة ست وثلاثمائة حج بالناس أحمد بن العباس بن محمد بن عيسى بن سليمان بن محمد بن إبراهيم الإمام، وهو المعروف بأخي أم موسى الهاشمية قهرمانة شغب أُم المقتدر باللّه، ثم كانت سنة سبع وثلاثمائة حج بالناس أحمد بن العباس أيضًا، ثم كانت سنة ثمان وثلاثمائة حج بالناس إلىٰ سنة إحدى عشرة وثلاثمائة إسحاق بن عبد الملك بن عبد الله بن عبيد اللّه بن العباس بن محمد، ثم كانت سنة اثنتي عشرة وثلاثمائة حج بالناس الحسن بن عبد العزيز بن عبد اللّه بن عبيد اللّه بن العباس بن محمد بن علي بن عبد اللّه بن العباس، ثم كانت سنة ثلاث عشرة وثلاثمائة حج بالناس أبو طالب عبد السميع بن أيوب بن عبد العزيز بن عبد اللّه بن عبيد اللّه بن العباس بن محمد بن محمد خليفةً لعمه الحسن، وكذلك سنة أربع عشر وثلاثمائة، ثم كانت سنة خمس عشرة وثلاثمائة حج بالناس عبد اللّه بن سليمان بن محمد الأكبر عبد اللّه بن عبيد اللّه بن محمد المعروف بأبي أحمد الأزرق خليفةً للحسن بن عبد العزيز العباسي، ثم كانت سنة ست عشرة وثلاثمائة

حج بالناس أبو أحمد الأزرق أيضًا، ثم كانت سنة سبع عشرة وثلاثمائة، فدخل سليمان بن الحسن صاحب البحرين مكة، وقد حضر عمر بن الحسن بن عبد العزيز المقدم نسبُ أبيه لإقامة الحج خليفةً لأبيه، فكان من أمر الناس ما كان فيما قَدَّمنا ذكره فيما سلف من هذا الكتاب، ولم يتم حج في موسم سنة سبع عشرة وثلاثمائة هذه من أجل حادثة القَرَامِطَة لعنهم الله إلا لقوم يسير غزوًا، وأقيم حجهم دون إمام، وكانوا رَجَّالة، ثم كانت سنة ثمان عشرة وثلاثمائة فحج بالناس عمر بن الحسن بن عبد العزيز الهاشمي خليفةً لأبيه الحسن بن عبد العزيز، ثم كانت سنة تسع عشرة وثلاثمائة حج بالناس فيها جعفر بن علي بن سليمان خليفةً للحسن بن عبد العزيز، ثم كانت سنة عشرين وثلاثمائة حج بالناس فيها عمر بن الحسن بن عبد العزيز خليفةً لأبيه أيضًا، ولم يزل يحج بالناس إلىٰ سنة خمس وثلاثين وثلاثمائة، وهو علىٰ قضاء مكة في هذا الوقت، وهو جمادى الآخرة سنة ست وثلاثين وثلاثمائة، وإليه قضاء مصر وغيرها». انتهى[1]

الرأي الثالث:

يتجه هذا الرأي إلىٰ ماتذكره كتب التأريخ من حقيقة اقتلاع الحجر الاسود عام ٣١٧هـ ونقله إلىٰ منطقة هجر ومكثه اثنين وعشرين سنة، حتى بعد وفاة ابو طاهر القرمطي وهناك روايات كثيرة في هذا الاتجاه. كما سبق ذكرها.

ونذكرمنها رواية المقريزي قوله: «فلما كان في سنة تسع وثلاثين أرادوا أن يستميلوا الناس فحملوا الحجر الأسود إلىٰ الكوفة، ونصبوه فيها علىٰ الاسطوانة بالجامع. وكان قد جاء عن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب الملقب زين العابدين: أن الحجر الأسود يعلق في مسجد الجامع بالكوفة في آخر الزمان. ثم قدم به سنبر بن الحسن بن سنبر إلىٰ مكة وأمير مكة معه فلما صار بفناء البيت أظهر

---

(١) مروج الذهب ـ المسعودي.

الحجر من سفط كان به مصونا، وعلى الحجر ضباب فضة قد عملت عليه، تأخذه طولا وعرضا، تضبط شقوقًا حدثت فيه بعد انقلاعه؛ وكان قد أحضر له صانع معه جص يشد به الحجر، وحضر جماعة من حجبة البيت، فوضع سنبر بن الحسن بن سنبر الحجر بيده في موضعه ومعه الحجبة وشده الصانع الجص بعد وضعه وقال لما رده: أخذناه بقدرة الله، ورددناه بمشيئته. ونظر الناس إليه وقبلوه والتمسوه، وطاف سنبر بالبيت. وكان قلع الحجر من ركن البيت يوم الإثنين لأربع عشرة خلت من ذي القعدة سنة سبع عشرة وثلاثمائة. وكان رده يوم الثلاثاء لعشر خلون من ذي الحجة يوم النحر سنة تسع وثلاثين وثلاثمائة. فكانت مدة كينونته عند الجنابي وأصحابه اثنين وعشرين سنة إلا أربعة أيام». انتهىٰ

الصلاة والقرامطة

مما يرمى به القرامطة من التهم انهم لايؤدون فرائض الصلاة، وفي الحقيقة ذكرت بعض الروايات ذلك بالرغم من نفي القرامطة لهذه التهمة، وسوف نستعرض هذه الروايات المتضاربة، لنتمكن من معرفة حقيقة القرامطة.

قال ناصر خسروا أن احساء القرامطة لايوجد بها سوى مسجد.كما قال ايضا: «وقيل إن سلطانهم كان شريفًا وقد ردهم عن الإسلام وقال إني أعفيتكم من الصلاة والصوم ودعاهم إلىٰ إن مرجعهم لا يكون إلا إليه وأسمه أبو سعيد وحين يسألون عن مذهبهم يقولون إنا أبو سعيديون وهم لا يصلون ولا يصومون ولكنهم يقرون بمحمد المصطفى صلى الله عليه وسلم وبرسالته وقد قال لهم أبو سعيد إني أرجع إليكم يعني بعد الوفاة وقبره داخل المدينة وقد بنوا عنده قبرًا جميلًا وقد أوصى أبناءه قائلًا يرعى الملك ويحافظ عليه ستة من أبنائي يحكمون الناس بالعدل وللقسطاس ولا يختلفون فيما بينهم حتى أعود». انتهى[1]

كما ذكر أيضا ابن المقرب أن القرامطة مابنوا مسجدا بقوله:

---

(١) سفرنامة ـ ناصر خسرو.

وأبطلوا الصلوات الخمس وانتهكوا شهر الصيام ونصّوا منهم صنما
ومابنوا مسجدا لله نعرفه بل كل ماأدركوه قائما هدما[١]

لكن القرامطة ينكرون هذه التهمة ونلاحظ ذلك في ردهم علىٰ رسالة العباسيين كم أورد الذهبي قوله: «قال ثابت: وكان علي بن عيسى أشار بمكاتبة أبي سعيد بن بهرام الجنابي والاعذار اليه وحضه علىٰ الطاعة، ووبخه علىٰ مايحكى عنه وعن أصحابه من ترك الصلاة والزكاة واستباحة المحرمات ثم توعده وتهدده. فبلغ الرسل وهم بالبصرة مقتله، فكتبوا إلىٰ الوزير، فكتب اليهم: أن سيروا إلىٰ من قام بعده. فساروا واوصلوا الكتاب إلىٰ أولاده، فكتبوا جوابه، فكان: للوزير أبي الحسن من اخوته، سلام علىٰ الوزير، فإنا نحمد إليه الله الذي لاإله إلىٰ هو، ونسأله أن يصلي علىٰ سيدنا محمد ﷺ. وفيه: فأما ماذكره عنا من انفرادنا عن الجماعة فنحن بل أفردنا عنها، وأخرجنا من ديارنا، واستحلوا دماءنا، ونحن نشرح للوزير حالنا: كان قديم أمرنا أنا كنا مستورين مقبلين علىٰ تجارتنا ومعايشنا ننزه أنفسنا عن المعاصي، ونحافض علىٰ الفرائض، فنقم علينا سفهاء الناس وفجارهم ممن لايعرف بدين، واكثروا التشنيع علينا حتى جمع الناس علينا، وتظاهروا وشهدوا علينا بالزور، وأن نساءنا بيننا بالسوية وأنا لانحرم حراما ولانحلل حلالا،فخرجنا هاربين ومن بقي منا جعلوا في رقابهم الحبل والسلاسل إلىٰ أن قال: فأجلونا إلىٰ جزيرة، فأرسلنا اليهم نطلب أموالنا وحرمنا، فمنعوناها، وعزمزا علىٰ حربنا، فحاكمناهم إلىٰ الله، وقال تعالى: ومن عاقب بمثل ماعوقب به ثم بغى عليه لينصرنه الله، فنصرنا الله عليهم وأما ماأدعى علينا من الكفر وترك الصلاة فنحن تائبون مؤمنون بالله. فكتب الوزير يعدهم الاحسان». انتهىٰ[٢]

ذكر التنوخي عن القرامطة قوله: «حدث أبو علي التنوخي، قال: حدثني أبو

---

(١) ديوان ابن المقرب ـ عبد الفتاح الحلو ص٥٣٢.

(٢) تاريخ الإسلام ـ الذهبي ج٢٣ ص١٠ دار الكتاب العربي.

الحسن علي بن هشام بن عبد الله، المعروف بابن أبي قيراط، كاتب ابن الفرات، وأبو محمد عبد الله بن علي دلويه، كاتب نصر القشوري، وأبو الطيب محمد بن أحمد الكلوذاني، كاتب ابن الفرات، قالوا: كنا مع أبي الحسن بن الفرات في دار المقتدر، في وزارته الثالثة، في يوم الخميس لخمس ليال بقين من جمادى الآخرة من سنة ٣١١ هـ، وقد استحضر ابن قليجة، رسول علي بن عيسى إلىٰ القرامطة في وزارته الأولى، فواجه علي بن عيسى في المجلس بحضرتنا، بأنه وجهه إلىٰ القرامطة مبتدئًا، فكاتبوه يلتمسون منه المساحي والطلق وعدة حوائج، فأنفذ جميع ذلك إليهم.

وأحضر ابن الفرات معه خطه، أي خط علي بن عيسى، في نسخة أنشأها ابن ثوابة، إلىٰ القرامطة، جوابًا علىٰ كتابهم إليه، وقد أصلح علي بن عيسى فيها بخطه، ولم يقل إنكم خارجون عن ملة الإسلام بعصيانكم أمير المؤمنين، ومخالفتكم إجماع المسلمين، وشقكم العصا، ولكنكم خارجون عن جملة أهل الرشاد والسداد، وداخلون في جملة أهل العناد والفساد.

فهجن ابن الفرات عليًا بذلك، وقال: ويحك، تقول: القرامطة مسلمون، والإجماع قد وقع علىٰ أنهم أهل ردة لا يصلون، ولا يصومون، وتوجه إليهم الطلق، وهو الذي إذا طلي به البدن أو غيره لم تعمل فيه النار.

قال: أردت بهذا المصلحة، واستعادتهم إلىٰ الطاعة بالرفق، وبغير حرب.

فقال ابن الفرات، لأبي عمر القاضي: ما عندك في هذا يا أبا عمر؟ اكتب به.

فأفحم، وجعل مكان ذلك، أن أقبل علىٰ علي بن عيسى، فقال له: يا هذا لقد أقررت بما لو أقر به إمام لما وسع الناس طاعته.

قال: فرأيت علي بن عيسى، وقد حدق إليه تحديقًا شديدًا، لعلمه بأن المقتدر، في موضع يقرب منه، بحيث يسمع الكلام، ولا يراه الحاضرون.

فاجتهد ابن الفرات بأبي عمر، أن يكتب بخطه شيئًا، فلم يفعل، وقال: قد غلط غلطًا، وما عندي غير ذلك، فأخذ خطه بالشهادة عليه، بأن هذا كتابه.

ثم أقبل علىٰ أبي جعفر أحمد بن إسحاق بن البهلول القاضي، فقال: ما عندك يا أبا جعفر في هذا؟ فقال: إن أذن الوزير، أن أقول ما عندي فيه، علىٰ شرح، قلته.

قال: افعل.

قال: صح عندي عن هذا الرجل ـ وأومأ إلىٰ علي بن عيسى ـ أنه افتدى بكتابين كتبهما إلىٰ القرامطة، في وزارته الأولى ابتداء، وجوابًا، ثلاثة آلاف رجل من المسلمين، كانوا مستعبدين، وهم أهل نعم وأموال، فرجعوا إلىٰ أوطانهم، ونعمهم.

فإذا فعل الإنسان مثل هذا الكتاب علىٰ جهة طلب الصلح، والمغالطة للعدو، لم يجب عليه شيء.

قال: فما عندك فيما أقر به، أن القرامطة مسلمون؟ قال: إذا لم يصح عنده كفرهم، وكاتبوه بالتسمية بالله، ثم الصلاة علىٰ رسوله محمد صلى الله عليه وسلم، وانتسبوا إلىٰ أنهم مسلمون، وإنما ينازعون في الإمامة فقط، لم يطلق عليهم الكفر.

قال: فما عندك في الطلق، ينفذ إلىٰ أعداء الإمام، فإذا طلي به البدن أو غيره، لم تعمل فيه النار؟ وصاح بها كالمنكر علىٰ أبي جعفر.

فأقبل ابن البهلول علىٰ علي بن عيسى، فقال له: أنفذت الذي هذه صفته إلىٰ القرامطة؟ فقال علي بن عيسى: لا.

فقال ابن الفرات: هذا رسولك وثقتك ابن قليجة، قد قرأ عليك بذلك. فلحق علي بن عيسى دهشة، فلم يتكلم.

فقال ابن الفرات، لأبي جعفر بن البهلول: احفظ إقراره، بأن ابن قليجة ثقته ورسوله، وقد أقر عليه بذلك.

فقال: أيها الوزير، لا يسمى هذا مقرّا، هذا مدعي، وعليه البينة.

فقال ابن الفرات: فهو ثقته بإنفاذه إياه.

قال: إنما وثقه في حمل كتاب، فلا يقبل قوله عليه في غيره.

فقال ابن الفرات: يا أبا جعفر أنت وكيله، ومحتج عنه، لست حاكمًا.

فقال: لا، ولكني أقول الحق في هذا الرجل، كما قلته في حق الوزير، أيده الله لما أراد حامد بن العباس في وزارته، ومن ضامه، الحيلة علىٰ الوزير أعزه الله، بما هو أعظم في هذا الباب، فإن كنت لم أصب حينئذ، فلست مصيبًا في هذا الوقت.

فسكت ابن الفرات، والتفت إلىٰ علي بن عيسى، وقال: يا قرمطي.

فقال له علي بن عيسى: أيها الوزير، أنا قرمطي؟ أنا قرمطي؟ يعرض به». انتهىٰ[1]

---

(١) نشور المحاضرة ـ القاضي التنوخي.

القرامطة وشعاراتهم

كانت شعارات وأعلام القرامطة في حروبهم بيضاء مكتوب عليها ونريد أن نمن علىٰ الذين استضعفوا في الارض ونجعلهم الوارثين وهذا في الحقيقة شعارات يرفعها شيعة أهل البيت بمختلف مذاهبهم، وقد ورد في كتب التاريخ مجموعة من الروايات التي توضح شعارات القرامطة نذكر بعض هذه الروايات.

.قال النويري: أن الخليفة المقتدر بالله أرسل إلىٰ حريث بن مسعود، هارون بن غريب وإلى عيسى بن موسى صافي النصرى، فأوقعوا بهم وانهزمت القرامطة وقتل أكثرهم وأسروا وأخذت أعلامهم وكانت بيضاء وعليها مكتوب ونريد أن نمن علىٰ الذين استضعفوا في الأرض ونجعلهم أئمة ونجعلهم الوارثين فدخلت بغداد منكوسة، وأضمحل أمر القرامطة بالسواد.[1]

ذكر المقريزي قوله: «فسمى بذلك: صاحب الناقة فأقام طغج سبعة أشهر محصورا بدمشق، فكتب إلىٰ مصر بأنه محصور وقد قتل أكثر أصحابه وضرب البلد، فأنفذ إليه بدر الكبير غلام ابن طولون المعروف بالحمامي فسار حتى قرب

---

(١) نهاية الأرب في فنون الأدب ـ النويري .

من دمشق، فاجتمع هو وطغج علىٰ محاربة القرمطي بقرب دمشق، فقتل القرمطي واحتمى أصحابه وانحازوا، فمضوا، وكان القرمطي قد ضرب دراهم ودنانير وكتب عليها: قل جاء الحق وزهق الباطل.وفي الوجه الآخر: لا إله إلا الله، قل لا أسألكم عليه أجرا إلا المودة في القربى». انتهى[1]

كانت كتب القرامطة إلىٰ عمالهم توضح شعاراتهم ومنها ماذكرها النويري: «قال الشريف: ومن كتب اللعين الحسن بن زكروية إلىٰ بعض عماله: بسم الله الرحمن الرحيم»، ومن عبد الله المهدي المنصور الناصر لدين الله، القائم بأمر الله، الداعي إلىٰ كتاب الله، الذاب عن حريم الله، المختار من ولد رسول الله، أمير المؤمنين وإمام المسلمين، ومذل المنافقين، وقاصم المعتدين، ومبيد الملحدين، وقاتل القاسطين، ومهلك المفسدين، وسراج المنتصرين، ومشتت المخالفين، والقيم بسنة المرسلين، وولد خير الوصيين صلى الله عليه وسلم وعلى آله الطيبين وسلم - كتاب إلىٰ جعفر بن حميد الكردي، سلام عليك، فإني أحمد إليك الله الذي لا إله إلا هو، وأسأله أن يصلي علىٰ محمد جدي رسول؛ أما بعد: فقد أنهى إلينا ما حدث قبلك من أخبار أعداء الله الكفرة، وما فعلوه بناحيتك من الظلم والعبث والفساد في الأرض فأعظمنا ذلك، ورأينا أن ننفذ إلىٰ هناك من جيوشنا من ينتقم الله به، من أعدائنا الظالمين الذين يسعون في الأرض فسادًا فأنفذنا جماعة من المؤمنين إلىٰ مدينة حمص ونحن في أثرهم، وقد أوعزنا إليهم في المصير إلىٰ ناحيتك، لطلب أعداء الله كانوا ونحن نرجو أن يجزينا الله فيهم علىٰ أحسن عوائده عندنا في أمثالهم، فينبغي أن يكون قلبك وقلوب ممن اتبعك من أوليائنا، وتثق بالله وبصره الذي لم يزل يعودنا في كل من مرق من الطاعة وانحرف عن الأيمان، وتبادر إلينا بأخبار الناحية وما يحدث فيها، ولا تخف عنا شيئًا من أمرها.

سبحانك اللهم وتحيتهم فيها سلام وآخر دعواهم أن الحمد لله رب العالمين،

---

(١) اتعاظ الحنفاء بأخبار الائمة الفاطميين الخلفاء ـ المقريزي .

وصلى الله علىٰ جدي رسوله وعلى أهل بيته وسلم كثيرًا.

وكان عماله يكاتبونه بمثل هذا الصدر، قال ابن الأثير: وكان قد نجا من أعيان القرامطة رجل من بني العليص يسمى إسماعيل ابن النعمان في جماعة معه، فكاتبه المكتفى بالله وبذل له الأمان، فحضر في نيف وستين نفسًا، فأحسن الخليفة إليهم وسيرهم إلىٰ رحبة مالك بن طوق مع القاسم بن سيما، فأقاموا معه مدة وعزموا علىٰ إنشاء فتنة بالرحبة، وكان قد انضم إليهم جماعة كثيرة، فشعر بهم القاسم فقتلهم فارتدع من كان قد بقي من موالي بني العليص، وذلوا ولزموا السماوة حتى جاءهم كتاب من زكرويه بن مهرويه، يذكر لهم أن مما أوحى إليه أن صاحب الشامة وأخاه يقتلان، وأن إمامه، الذي هو حي، يظهر بعدهما ويظفر». انتهى[1]

---

(١) نهاية الأرب في فنون الأدب ـ النويري.

شعر القرامطة

من التركة التي خلّفها القرامطة مجموعة من القصائد الشعرية التي تحكي تاريخهم وثقافاتهم، وفي نظري ان الشعر هو أصدق النصوص التاريخية التي توضح ثقافة الحركات الاسلامية الدارسة. ويبدو من الشعر القرمطي أن معظم زعمائهم كانوا يتمتعون بتلك الروح الشاعرية، وسنذكر بعض زعماء القرامطة التي اشتهروا في عالم الشعر ومنهم:

صاحب الخال القرمطي:

جاء في ترجمة له في كتاب بغية الطالب في تاريخ حلب، قال: «احمد بن عبد الله بن محمد بن اسماعيل بن جعفر الصادق بن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن ابي طالب، صاحب الخال، نسب نفسه هكذا، وقيل أحمد بن عبد الله بن أحمد بن محمد بن اسماعيل، وقيل ان اسمه الحسين بن زكرويه بن مهرويه، وقيل ابن مهري الصواني، من أهل صوان من سواد الكوفة وهو المعروف بصاحب الخال، أخو علي بن عبد الله القرمطي، نسب نفسه إلىٰ محمد ابن اسماعيل بن جعفر، وتسمى بالمهدي، وبايعته القرامطة بعد قتل أخيه بنواحي دمشق، وصار إلىٰ السخنة

والاركة، والزيتونة وخناصره من الاحص من أعمال حلب، ودخل هذه المواضع عنوة، ونهب مافيها من الاموال والسلاح، وافسد بالشام وعاث في بلادها، وغلب علىٰ أطراف حمص، وخطب له علىٰ منابرها وفتحوا له بابها، وسار إلىٰ حماة ومعرة النعمان وغيرهما من البلاد فقتل أهلها والنساء والاطفال، ثم جاء إلىٰ سلمية فمنعوه، ثم أعطاهم الامان ففتحوا له بابها فدخل وقتل الهاشميين أجمعين بها، ثم قتل الرجال، ثم البهائم، ثم الصبيان، ثم خرج منها وليس بها عين تطرف». انتهىٰ[1]

قال عنه الذهبي: «أحمد بن عبدالله القرمطي صاحب الخال. رأس القرامطة هو سمى نفسه هكذا. وهو حسين بن زكرويه. بعث المكتفي بالله عسكرا لحربه في سنة إحدى وتسعين، فالتقوا، فقتل خلق من أصحابه ثم أنهزم، فمسك وأتى به، وطيف به في بغداد في جماعة، ثم قتل هو وهم تحت العذاب وكان قد بايعه القرامطة بعد قتل أخيه، ولقبوه بالمهدي. وكان شجاعا فاتكا شاعرا ومن شعره يقول:

متى أرى الدنيا بلا كاذب ولا حروري ولا ناصبي
متى أرى السيف علىٰ كل من عادى علي بن أبي طالب

ولما قتل خرج بعده أبوه زكرويه القرمطي يأخذ بالثأر، فأعترض الركب العراقي في سنة أربع وتسعين في المحرم، فقتلهم قتلا ذريعا، وبدع فيهم، قال أبو الشيخ الاصبهاني: خزروا أن زكرويه القرمطي قتل من الحجاج وغيرهم خمسين الف رجل، ثم لقيه العسكر بظاهر الكوفة فهزم العسكر وأخذ سلاحهم وثقلهم فتقوى بذلك، واستفحل أمره، وجلبت معه كلب وأسد، ولقبوه السيد، وكان يدعى زكرويه ثم سار اليه جيش عظيم فالتقوه بالبصره والكوفة فكسر جيشه وأسر جريحا ثم مات في ربيع الاول من سنة أربع، وطيف به ببغداد ميتا». انتهىٰ[2]

---

(١) نقلا من كتاب أخبار القرامطة ـ الدكتور سهيل زكار ص٤٠٧.

(٢) الذهبي ـ تاريخ الإسلام ج٢٢ ص٥١ دار الكتاب العربي.

كما جاء أيضًا في كتاب بغية الطالب في تاريخ حلب، مجموعة من شعر صاحب الخال نذكر من شعره قوله:

متى أرى الدنيا بلا كاذب ولا حروري ولا ناصبي
متى أرى السيف علىٰ كل من عادى علي بن ابي طالب
متى يقول الحق أهل الهى وينصف المغلوب من غالب
هل لبغاة الخير من ناصر هل لكؤوس العدل من شارب

ويروى له ايضا:

نفيت من الحسين ومن علي وجعفر الغطارف من جدودي
وخيب سائلي وجفوت ضيفي وبت فقيد مكرمة وجود
وأعطيت القياد الدهر مني يمين فتى وفي بالعهود
لئن لم أعط ماملكت يميني لحرب من طريف أو تليد
وافتتحنها حربا عوانا تقحم بالبنود علىٰ البنود
فاما أن أروح بروح عز وجد آخذ ثأر الجدود
واما أن يقال فتى أبيّ تخرم في ذرى مد مشيد
تهددنا زعمت شبوب حرب تقحم بالبنود علىٰ البنود[1]

قال الصولي ومما يروى من شعر أحمد بن عبد الله:

متى أرى الدنيا بلا كاذب ....

وذكر الابيات الاربعة وقال: ومنه:

ثأرت بجدي خير من وطىء الحصا وأنصاره بالطف قتلى بني هند
فأفنيت من بالشام منهم لانهم بقصدهم جاروا عن المنهج القصد
على أنهم جاوا لنا وتجمعوا وكادوا وكان الله أعلم بالقصد
فجاهدتهم بالله منتصرا به فأفنيتهم بالبيض والسمر والجرد

(١) أخبار القرامطة ـ الدكتور سهيل زكار ص ٤٢١.

وله أشعار في الافتخار:

سبقت يدي يده لضربة هاشمي المحتد
وأنا ابن أحمد لم أقل كذب ولم أتزيد
من خوف بأسي قال بدر: ليتني لم أولد[1]

صاحب الناقة القرمطي:

وهو أخ صاحب الخال أبناء زكرويه من قرامطة الشام، وله شعر يبين نسبه لاهل البيت[2]:

أنا ابن الفواطم من هاشم وخير سلالة ذا العالم
وطئت الشام برغم الأنام كوطء الحمام بني آدم

وله شعر ايضا يبين إيمانه بالتنجيم يقول فيه:

تقاربت النجوم وحان أمر قران قد دنا فيه النذير
فمريخ الذبائح مستهل قوي ما لوقدته فتور
وعبوس الحروب له احمرار وسعد الذابحين له بدور

ابو طاهر الجنابي القرمطي:

ذكر اليافعي أحداث سنة سبع عشر وثلاثمائة قوله: «قال محمود الاصبهاني دخل القرمطي وهو سكران فصفر لفرسه فسأل عند البيت وقتل جماعة ضرب الحجر الاسود بدبوث فكسر منه قلعة وبقى الحجر الاسود بهجر نيفا وعشرين سنة ولما قلع الحجر الاسود قال شعرا يدل علىٰ عظيم زندقته حيث يقول:

فلو كان هذا البيت لله ربنا لصب علينا النار من فوقنا صبا
لا نا حجينا حجة جاهلية محللة لم تبق شرقا ولا غربا

---

(١) أخبار القرامطة، الدكتور سهيل زكار ص٤٢٢.
(٢) ثلاثية الحلم القرمطي ص١٦٤.

وانـا تركنا بين زمـزم والـصفا جبابر لانبقى سـوى ربها ربا[١]

وفي شعر لابي طاهر يسخر من أحد أكبر قواد الدولة العباسية (مؤنس الفحل) ويصفه بالجبن لعجزه عن مواجهته ويعيب عليه انغماسه في اللهو وشرب الخمر ويتوعده بالذهاب لمقابلته وحربه، مستخدما طريقه تهكميه في شعره، قوله[٢]:

قولوا لمؤنسكم بالراح كن أنسـا واستتبع الراح سرنايا ومزمـارا
وقد تمثلت عن شوق تقاذف بي بيتا من الشعر للماضين قد سارا
نـزوركم لا نؤخذكم بجـفوتكـم إن الكريم اذا لم يستزر زارا
ولانكون كأنتم في تخلفكـم من عالج الشوق لم يـستبعد الدار

غزوات ابو طاهر الجنابي عندما قفل راجعا من الكوفة متوعدا لهم بالعودة بعد أن تسمح حركة النجوم بذلك وقوله:

أغركم مني رجـوعي إلىٰ هجر فعما قريب سوف يأتيكم الخـبر
اذا طلع المريخ في أرض بابل وقارنه النجمان فالحذر الحذر[٣]
فمن مبلغ أهـل العراق رسالة بأني أنا المرهوب في البدو والحضر
أنا الداع للمـهدي لا شك أنني أنا الضيغم الضرغام والحية الذكر[٤]

وقد ذكر اللاذقاني الابيات السابقة لابو طاهر مع اختلاف بسيط في الابيات، ويشير فيه ابو طاهر انه الداعي للامام المهدي المنتظر ﷺ وانه سوف يعمر حتى يبعث الله عيسى ابن مريم ﷺ قوله[٥]:

---

(١) مرآة الجنان وعبرة اليقظان ـ ج٢ ص٢٧٢ المتوفي سنة ٧٦٨هـ وعرف عنه أنه من المتعصبين ضد شيعة أهل البيت.

(٢) ثلاثية الحلم القرمطي ص١٦٢.

(٣) وفي قول آخر (الدكتور اللاذقاني ص١٨٩) جاء البيت:

إذا طلـع المريخ من أرض بابل وقارنه كيوان فالحذر الحذر.

(٤) فاطمة الزهراء والفاطميون ـ عباس محمود العقاد ص١٣٣.

(٥) ثلاثية الحلم القرمطي ص١٦٨.

أغركـم مني رجوعي إلىٰ هجر   فعما قليل سـوف يأتيكـم الخبر
فمـن مبلغ أهلك العراق رسـالة   بأني أنا المرهوب في البدو والحضر
أنا الداعي المهدي لاشـك غيره   أنا الصارم الضرغام والفارس الذكر
سأصرف خيلي نحو مص وبرقـة   إلىٰ قيروان الترك والرم والخزر
أعمر حتى يأتي عيسى بن مريم   فيحـمد آثاري وأرضي بمـا أمر

شعر الاعصم القرمطي:

وهو الحسن بن احمد بن ابي سعيد المتوفي عام ٣٦٦هـ ذكر ابن الأثير الحملة القرمطية إلىٰ دمشق بزعامة قائدهم الأعصم وبلغ خبرهم إلىٰ جعفر بن فلاح (الفاطمي)، فاستهان بهم ولم يحترز منهم، فلم يشعر بهم حتى كبسوه بظاهر دمشق وقتلوه وأخذوا ماله وسلاحه ودوابه وملكوا دمشق، وأمنوا أهلها، وساروا إلىٰ الرملة، واستولوا علىٰ جميع مابينهما.

فلما سمع من بها من المغاربة خبرهم ساروا عنها إلىٰ يافا فتحصنوا بها، وملك القرامطة الرملة، وساروا إلىٰ مصر، وتركوا علىٰ يافا من يحصرها، فلما وصلوا إلىٰ مصر اجتمع معهم خلق كثير من العرب والجند والإخشيدية والكافورية فاجتمعوا بعين شمس عند مصر، واجتمع عساكر جوهر، وخرجوا إليهم فاقتتلوا غير مرة، الظفر في جميع تلك الأيام للقرامطة، وحصروا المغاربة حصرا شديدا، ثم أن المغاربة خرجوا بعض الأيام من مصر، وحملوا علىٰ ميمنة القرامطة، فانهزم من بها من العرب وغيرهم وقصدوا سواد القرامطة فنهبوه فاضطروا إلىٰ الرحيل، فعادوا إلىٰ الشام، فنزلوا الرملة.

ثم حصروا يافا حصرا شديدا، وضيقوا علىٰ من بها، فسير جوهر من مصر نجدة إلىٰ أصحابه المحصورين بيافا، ومعهم ميرة في خمسة عشر مركبا، فأرسل القرامطة مراكبهم إليها، فأخذوا مراكب جوهر، ولم ينج منها غير مركبين فغنمها مراكب الروم.

وللحسن بن بهرام مقدم القرامطة شعر، فمنه في المغاربة أصحاب المعز لدين الله:

زعمت رجال الغرب أني هبتها فدمي إذا ما بينهم مطلول
يا مصر إن لم أسق أرضك من دم يروي ثراك فلا سقاني النيل[١]

وللحسن بن برهام (الاعصم) شعر يقول فيه:

زعموا أنني قصير لعمري ماتكال الرجال بالقفزان
إنما المرء باللسان بالقلب وهذا قلبي وهذا لساني[٢]

قال الحسين بن عثمان الحنبلي[٣]: كنت بالرملة سنة ست وستين وثلاثمائة فوردها أبو علي الحسن القرمطي القصير الثياب، ويلقب بالاعصم، فاستدعاني، فحضرت عنده ليلة، واحضر الفراشون الشموع، فقال لكاتبه أبي نصر بن كشاجم: ي اأبا نصر ما يحضرك في صفة هذه الشموع فقال: ان من يحضر مجلس الامير يستفيد منه، فقال القرمطي بديها:

ومجدولة مثل صدر الفتاة تعرت وباطنها مكتسي
لها مقلة هي روح لها وتاج علىٰ هيئة البرنس
إذا غازلتها الصبا حركت لسانا من الذهب الاملس
وإن رنق لنعاس عرا رقطت من الرأس لم تنعس
وتنتج في وقت تلقيحها ضياء يجلي دجى الحندس
فنحن من النور في أسعد وتلك من النار في انحس

فقام ابن كشاجم، فقبل الارض بين يديه، وسأله أن يأذن في إجازتها، فأذن، فقال:

(١) الكامل في التاريخ ـ ابن الأثير ج٨ص٦١٦.
(٢) أخبار القرامطة ـ الدكتور سهيل زكار ص٢٣٨.
(٣) أخبار القرامطة ـ الدكتور سهيل زكار ص٢٣٩.

ولـيـلـتـنـا هـذه لـيـلـة تـشـاكـل أشـكـال اقليدس
فيا ربـة الـعـود حثي الغنا ويـاحـامـل الكـأس لاتحبسي

فخلع عليه وعلى الحاضرين، ووصلهم بصلات، ومن شعره ايضا قوله:

يا ساكن البلد المنيف تعززا بـقـلاعـه وحـصـونـه وكهوفه
لا عـز إلا لـلـعـزيـز بنفسه وبخيله وبـرجـلـه وبسيوفه
وبقبة بيـضاء قـد ضـربت إلـي جنب الخيام لـجـاره وحليفه
قرم إذا اشتد الوغى أردى العدى وشفى النفوس بضربه ووقوفه
لم يرض بالشرف التليد لنفسه حـتـى أشـاد تـلـيـده بطريفه

وقال لما هزم جيشه بعين شمس بسبب خيانة اعراب الشام له:

ولـو أنـي ملكت زمـام أمـري لمـا قصرت في طلب النجاح
ولكني ملكت فـصـار حالي كحال البدن في يوم الاضاحي
يقدن إلـىٰ الـردى فيمتن كـرها ولو يستطعن طرن مـع الرياح

ومن شعره ايضا قوله:

له مقلة صحت ولكن جفونها مـراض بها تسبي القلوب وتتلف
وخد كلون الورد يجنى بأعين وقد عز حتى أنه ليس يقـطـف
وعطفه صـدغ لو تعلم عطفها لكان علىٰ عشـاقه يتعطف

ومن شعره ما كتبه إلىٰ جعفر بن فلاح والي دمشق قبل لقائه:

الكتب معذرة والرسل مخبـرة والحق متبع والخير موجود
والحرب ساكنة والخيل صـافنة والسـلم مبتذل والظل ممدود
وأن أنبتم فمقبـول انابتكـم وان أبيتـم فهذا الكور مشـدود
على ظـهور المطايا أو يردن بـنا مشق والباب مهدوم ومـردود
اني أمرؤ ليس من شـأني ولا أربى طبل يـرن ولا نـاي ولا عـود
ولا أعتكاف علىٰ خمر ومجمرة وذات دل لـها دل وتفنيد

ولا أبيت بطين البطن من شبع ولي رفيق خميص البطن مجهود
ولا تسامت بي الدنيا إلىٰ طمع يوما ولا غرني فيه المواعيد

وللاعصم القرمطي شعر في الاعتزاز بالعقيدة القرمطية، وابتعاده عن شرب الخمر والنساء واهتمامه بأمور الرعية ونشر العدل الاجتماعي،قوله فيه[1]:

إني امرؤ ليس من شأني ولا أربى طبل يرن ولا ناي ولا عود
ولااعتكاف علىٰ على خمر ومجمرة وذات دل لها دل وتفنيد
ولا أبيت مليء البطن من شبع ولي رفيق خميص البطن مجهود

(١) ثلاثية الحلم القرمطي ص١٦٤.

الفصل السادس



القرامطة في القطيف

- القرامطة في القطيف
- أبو سعيد جنابي
- انشغال الدولة العباسية عن القرامطة
- بدايات بزوغ نجم القرامطة في البحرين
- من عجائب الدنيا الثلاث
- القرامطة يدمرون هجر
- مقتل أبو سعيد الجنابي
- قرامطة البحرين بعد أبى سعيد
- الهيئة العقدانية

القرامطة في القطيف

أورد ابن النديم في الفهرست أن دعوة القرامطة انتشرت في القطيف والاحساء وذلك عن طريق أبناء عبد الله بن ميمون ونشرهم للدعاة في الحسا والقطيف، وفي موضع آخر يحدد ابن النديم المسؤول المباشر في انتشار الدعوة القرمطية في المنطقة وذلك بقوله: «فأما اليمن وفارس والأحساء فإن الدعاة صاروا إلىٰ هناك من جهة عبدان خليفة حمدان قرمط وصهره أو من قبل دعاة كانوا من قبله، والله أعلم».[1]

ابتداء القرامطة في القطيف:

هناك روايات كثيرة ومتضاربة تذكر بدايات القرامطة في البحرين وفي مجموع هذه الروايات توضح ان القرامطة كانت بداياتهم في أوائل عام ٢٨١هـ تقريبا وكانت هناك شخصيتين قاما بنشر الدعوة القرمطية في البحرين كما يتضح من الروايات التالية:

يذكر ابن خلدون قوله: «كان في سنة إحدى وثمانين قد جاء إلىٰ القطيف بالبحرين رجل تسمى بيحيى بن المهدي وزعم أنه رسول من المهدي، وأنه قد قرب

(١) الفهرست ـ لابن النديم ص٣٩٩.

خروجه، وقصد من أهل القطيف علي بن المعلى بن حمدان الربادينى، وكان متغاليا في التشيع، فجمع الشيعة وأقرأهم كتاب المهدي ليشيع الخبر في سائر قرى البحرين، فأجابوا كلهم وفيهم أبو سعيد الجنابي وكان من عظمائهم، ثم غاب عنهم يحيى بن المهدي مدة ورجع بكتاب المهدي يشكرهم، على إجابتهم وأمرهم أن يدفعوا ليحيى ستة دنانير وثلثين عن كل رجل منهم ففعلوا، ثم غاب وجاء بكتاب آخر بأن يدفعوا إليه خمس أموالهم فدفعوا، وأقام يتردد في قبائل قيس، ثم أظهر أبو سعيد الجنابي الدعوة بالبحرين سنة ست وثمانين واجتمع إليه القرامطة والاعراب، وقتل واستباح وسار إلىٰ القطيف طالبا البصرة، وبلغت النفقه فيه أربعة عشر ألف دينار. ثم قرب أبو سعيد من نواحي البصرة، وبعث المعتضد إليهم المدد مع عباس بن عمر الغنوي وعزله عن فارس وأقطعه اليمامة والبحرين، وضم اليه ألفين من المقاتله، وسار إلىٰ البصرة وأكثر من الحشد جندا ومتطوعه، فسار ولقي أبا سعيد الجنابي، ورجع من كان معه من بني ضبه إلىٰ البصرة ثم كان اللقاء فهزمه الجنابي وأسره واحتوى علىٰ معسكره وحرق الاسرى بالنار وذلك في شعبان من هذه السنة (٢٨٧هـ) وسار إلىٰ هجر فملكها وأمن أهلها». انتهى[1]

الباحث عن بدايات الحركة القرمطية في القطيف يلاحظ هناك غموض وتضارب بين الروايات الواردة في المصادر التاريخيه عن بداية الحركة القرمطية، وكما يلاحظ من الروايات ان بداية الدعوة في القطيف كانت علىٰ يد داعية يعرف بيحيى بن المهدي، ولكن يختفي ذلك الداعية فجأة عن الاحداث ويظهر أبو سعيد الجنابي بديلا للداعية يحيى بن المهدي!

ومن خلال بحثنا حاولنا معرفة بداية الحركة القرمطية في القطيف ومن هو أول داعية انتقل اليها ونشر الفكر القرمطي فيها؟

---

(١) تاريخ ابن خلدون ص٧٩٥.

للاجابة علىٰ هذا السؤال حاولنا جمع بعض الروايات وربطها مع بعضها محاولين استنتاج بقدر المستطاع معرفة بدايات الحركة القرمطية في القطيف أو مايعرف بمنطقة هجر.

هناك شخصيتان تنافستا في ريادة الفكر القرمطي في المنطقة هما ابي سعيد الجنابي والشخصية الاخرى أبو زكريا أو مايعرف بيحيى بن المهدي ومن هنا ننطلق في بحثنا عن بداية الحركة.

مؤسس دولة القرامطة في البحرين هو حسن بن بهرام الجنابي ويكنى ابو سعيد، يبدو أنه أول داعية قرمطي انتقل إلىٰ القطيف ونعتمد هذا الرأي بناء علىٰ قول المسعودي: «كانت مدة أبي سعيد مذ ظهرت دعوته بالقطيف وافتتح سائر مدن البحرين وآخرتها هجرالى أن قتل سنة ٣٠٠هـ سبعا وعشرين سنة».[١]

إذا اعتمدنا قول المسعودي فإن أبي سعيد بدأ دعوته في القطيف منذ بدايات عام ٢٧٣هـ حتى وفاته عام ٣٠٠هـ.

وهناك رواية تخالف ماذهبنا اليه علىٰ أن ابو سعيد هو أول داعيه نشر الفكر القرمطي في القطيف كما ذكر المقريزي قوله: «كان رجل من أهل قرية جنابة يعمل الفراء، يقال له أبو سعيد الحسن بن بهرام الجنابي، أصله من الفرس، سافر إلىٰ سواد الكوفة، وتزوج من قوم يقال لهم: بنو القصار كانوا من أصول هذه الدعوة، فأخذ عن عبدان، وقيل بل أخذ عن حمدان قرمط، وسار داعية، فنزل القطيف وهي حينئذ مدينة عظيمة فجلس بها يبيع الرقيق، فلزم الوفاء والصدق، وكان أول من أجابه الحسين بن سنبر، وعلي بن سنبر، وحمدان بن سنبر، في قوم ضعفاء، ما بين قصاب وحمال وأمثال ذلك، فبلغه أن بناحيته داعيا يقال له أبو زكريا، أنفذه عبدان قبل أبي سعيد وكان قد أخذ علىٰ بني سنبر من قبل، فعظم أمره علىٰ أبي سعيد وقبض عليه وقتله،

(١) التنبيه والإشراف ـ المسعودي ـ ص٣٥٨ دار مكتبة الهلال.

فحقد عليه بنو سنبر قتله».[١]

وكما أوضح المقريزي أن أبو زكريا أنفذه عبدان قبل أبي سعيد وأخذ علىٰ كبار عشائر القطيف مثل بني سنبر، لهذا عظم أمره علىٰ ابوسعيد كمنافس علىٰ زعامة وممثل الدعوة القرمطية في القطيف فقام بقتله وقد أشار إلىٰ ذلك المسعودي في كتابه التنبيه والاشراف.

ولكن هناك مصادر تاريخية تذكر أن أبو زكريا قدم إلىٰ القطيف في عام ٢٨١هـ كما يشير إلىٰ ذلك أبن الاثير قوله: «وكان ابتداء القرامطة بناحية البحرين أن رجلا يعرف بيحيى بن المهدي قصد القطيف فنزل علىٰ رجل يعرف بعلي بن المعلى بن حمدان مولى الزياديين وكان مغاليا في التشيع، فأظهر له يحيى أنه رسول المهدي، وكان ذلك سنة إحدى وثمانين ومائتين، وذكر أنه خرج إلىٰ شيعته في البلاد يدعوهم إلىٰ أمره، وأن ظهوره قد قرب، فوجه علي بن المعلى إلىٰ الشيعه من أهل القطيف فجمعهم، وأقرأهم الكتاب الذي مع يحيى بن المهدي إليهم من المهدي فأجابوه، وانهم خارجون معه إذ أظهر أمره، ووجه إلىٰ سائر قرى البحرين بمثل ذلك فأجابوه. وكان فيمن أجابه أبو سعيد الجنابي».[٢]

إذا أعتمدنا علىٰ قول إبن الاثير يتبين لنا أن أبو زكريا منافس ابو سعيد في ريادة حركة القرامطة في القطيف يعرف بأسم يحيى بن المهدي، وإن لم يذكر ابن الاثير أن يحيى بن المهدي يكنى بأبي زكريا، ولكن من المشهور أن كنية ابو زكريا تطلق علىٰ أسم يحيى، وبالتالي فيحيى هو ذاته ابو زكريا وبالتالي فأبو زكريا قدم إلىٰ القطيف عام ٢٨١هـ بعد فترة طويلة من الزمن علىٰ نزول ابو سعيد إلىٰ القطيف،

وقد ذكر المسعودي انتقال دعاة أبو زكريا إلىٰ ابو سعيد الجنابي بقوله: «وقد

---

(١) اتعاظ الحنفاء بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفاء المقريزي.

(٢) الكامل في التاريخ ـ ابن الأثير ـ ج٧ ص٤٩٣ ـ دار صادر بيروت.

كان (ابو طاهر) انفذ سليمان الجلّي قبل ذلك إلىٰ كفرتوثا لحمل زاد والميرة إلىٰ معسكره وكان من ذوي النسك منهم والراية بمذهبهم وقد كلمت غير واحد من دعاتهم ذوي المعرفة منهم فلم أر مثله دراية وتحصيلا وتدينا بما هو عليه وحسن اتقان للسياسة التي تكون مع الدعاة وكان أولا مع ابي زكريا البحراني ثم صار مع ابي سعيد الجنابي وولده». انتهىٰ[1]

وبعد أن ذكرنا أختلاف الروايات في أول داعية نزل القطيف، فأقول أني أرى من خلال قرآتي، أن أول قرمطي نزل القطيف هو أبو سعيد الجنابي، ولكن قد يكون لايحمل تلك الدرجة العالية التي تؤهله لنشر الفكر القرمطي حيث كان نزوله القطيف منذ عام ٢٧٣هـ ولم يبرز الفكر القرمطي حتى أن قدم ابو زكريا يحيى أبن المهدي فقام بأقناع بعض كبار الشخصيات القطيفية بأنه ممثل الامام المهدي ﷺ فاتبعه أهل القطيف، وهذا الذي لم يستطع القيام به ابو سعيد طيلة إقامته في ارض القطيف، ومن هنا بدأت الغيره التي أدت إلىٰ قيام ابو سعيد من التخلص من ابو زكريا وتصفيته جسديا لتخلوا له القطيف كالداعية الاوحد المطاع الآمر الناهي، وهكذا برز ابو سعيد كمؤسس الدولة القرمطية في القطيف أو مايعرف بمنطقة هجر.

وقد يعود إختلاف أبو سعيد الجنابي مع الداعيه ابو زكريا نتيجة وفاة أحمد بن عبدالله بن ميمون، وأخذ الامر من بعده ابنه، وإنكاره لإمام الاسماعيليه محمد ابن اسماعيل، وعودة عبدان وحمدان عن الدعوة الاسماعيلية وانقطاعهم عن الدعاة واستغلال كل داعية بمنطقته، فإن صحت تلك الرواية فقد تكون سبب منافسة أبو سعيد وابو زكريا علىٰ منطقة القطيف.

لابد أن نشير للقارىء الكريم أن هناك حصل إنشقاق كبير في داخل البيت الاسماعيلي القرمطي وذلك في حوالي عام ٢٩٠هـ بقيام القرمطي المعروف

---

(١) التنبيه والإشراف ـ المسعودي ص٣٨٤ مطبعة ابريل.

بصاحب الجمل بادعائه النسب الاسماعيلي ومن ثم القرمطي صاحب الخال وتسمى كل منهما بلقب الامام وقيام صاحب الشامة بمهاجمة السلمية (مركز الدعوة الاسماعيلية) وتدميرها وابادة كل من وجد فيها، وقد نجح الزعيم الاسماعيلي (المهدي الفاطمي) من الرحيل منها قبل تدميرها إلىٰ حمص ومن ثم إلىٰ الرملة وبعدها إلىٰ مصر ومنها إلىٰ الشمال الافريقي [١].

الامور التي ذكرناها ساعدت علىٰ انقطاع الدعاة عن مركز الدعوة الاسماعيلية وعمل كل داعية برأيه، وهذا مايفسر لنا الصراع والمنافسة بين ابوسعيد ومنافسه ابوزكريا علىٰ منطقة نفوذهم القطيف التي أدت أخيرا إلىٰ مصرع ابو زكريا بيد ابو سعيد الجنابي القرمطي، وذكر المقريزي تلك الاحداث قوله: «وكان قرمط يكاتب من بسلمية، فلما مات من كان في وقته، وخلفه ابنه من بعده كتب إلىٰ قرمط فأنكر منه أشياء، فاستراب وبعث ابن مليح أحد دعاته ليعرف الخبر فامتنع، فأنفذ عبدان، وعرف موت الذي كانوا يكاتبونه، فسأل ابنه عن الحجة، ومن الإمام الذي يدعو إليه، فقال الابن: ومن الإمام؟ فقال عبدان: محمد بن إسماعيل بن جعفر صاحب الزمان. فأنكر ذلك وقال: لم يكن إمام غير أبي، وأنا أقوم مقامه.فرجع عبدان إلىٰ قرمط؛ وعرفه الخبر، فجمع الدعاة وأمرهم بقطع الدعوة حنقا من قول صاحب سلمية: لا حق لمحمد بن إسماعيل في هذا الأمر ولا إمامة.

وكان قرمط إنما يدعو إلىٰ إمامة محمد بن إسماعيل، فلما قطعوها من ديارهم لم يمكنهم قطعها من غير ديارهم، لأنها امتدت في سائر الأقطار، ومن حينئذ قطع الدعاة مكاتبة الذين كانوا بسلمية.

وكان رجل منهم قد نفذ إلىٰ الطالقان يبث الدعوة، فلما انقطعت المكاتبة طال انتظاره، فشخص يسأل عن قرمط، فنزل علىٰ عبدان بسواد الكوفة، فعتبه وعتب الدعاة

---

(١) أخبار القرامطة ـ الدكتور سهل زكار ص٧١ .

في انقطاع كتبهم، فعرفه عبدان قطعهم الدعوة، وأنهم لا يعودون فيها، وأنه تاب من هذه الدعوة حقيقة، فانصرف عنه إلىٰ زكرويه بن مهرويه ليدعو كما كان أبوه، ويجمع الرجال، فقال زكرويه: إن هذا لا يتم مع عبدان لأنه داعي البلد كله والدعاة من قبله، والوجه أن نحتال علىٰ عبدان حتى نقتله. وباطن علىٰ ذلك جماعة من قرابته وثقاته، وقال لهم: إن عبدان قد نافق وعصى وخرج من الملة. فبيتوه ليلا وقتلوه، فشاع ذلك، وطلب الدعاة وأصحاب قرمط زكرويه بن مهرويه ليقتلوه فاستتر، وخالفه القوم كلهم إلا أصل دعوته، وتنقل في القرى وذلك في سنة ست وثمانين والقرامطة تطلبه إلىٰ سنة ثمان وثمانين فأنفذ ابنه الحسن إلىٰ الشام، ومعه من القرامطة رجل يقال له أبو الحسين القاسم بن أحمد، وأمره أن يقصد بني كلاب، وينتسب إلىٰ محمد بن إسماعيل، ويدعوهم إلىٰ الإمام من ولده، فاستجاب له فخذ من بني العليص ومواليهم وبايعوه، فبعث إلىٰ زكرويه يخبر بمن استجاب له بالشام، فضم إليه ابن أخيه فتسمى بالمدثر لقبا، وبعبد الله اسما، وتأول أنه المذكور في القرآن بالمدثر ويقال إن المدثر هذا اسمه عيسى بن مهدي، وأنه تسمى عبد الله بن أحمد بن محمد بن إسماعيل ابن جعفر الصادق، وعهد إليه صاحب الخال من بعده، وغلاما من بني مهرويه يتلقب بالمطوق وكان سيافا وكتب إلىٰ ابنه الحسن يعرفه أنه ابن الحجة، ويأمره بالسمع والطاعة له، وابن الحجة هذا ادعى أنه محمد بن عبد الله، وقيل علي بن عبد الله بن محمد بن إسماعيل بن جعفر الصادق، وأنكر قوم هذا النسب، وقالوا إنما اسمه يحيى بن زكرويه بن مهرويه، وكنيته أبو القاسم، ويلقب بالشيخ ويعرف بصاحب الناقة، وبصاحب الجمل، وهو أخو صاحب الخال، القائم من بعده، فسار حتى نزل في بني كليب، فلقيه الحسن بن زكرويه، وسر به، وجمع له الجمع، وقال: هذا صاحب الإمام، فامتثلوا أمره، وسروا به، فأمرهم بالاستعداد للحرب، وقال: قد أظلكم النصر، ففعلوا ذلك. واتصلت أخبارهم بشبل الديلمي مولى المعتضد في سنة تسع وثمانين، فقصدهم، فحاربوه وقتلوه في عدة من أصحابه بالرصافة من غربي

الفرات، ودخلوها فأحرقوا مسجدها ونهبوا.وساروا نحو الشام يقتلون ويحرقون القرى وينهبونها إلىٰ أن وردوا أطراف دمشق، وكان عليها طغج بن جف من قبل هارون بن خمارويه بن أحمد بن طولون فبرز إليهم فهزموه وقتل كثير من أصحابه، والتجأ إلىٰ دمشق فحصروه وقاتلوه.

وكان القرمطي يحضر الحرب علىٰ ناقة، ويقول لأصحابه: لا تسيروا من مصافكم حتى تنبعث بين أيديكم، فإذا سارت فاحملوا، فإنه لا ترد لكم راية، إذ كانت مأمورة.فسمى بذلك: صاحب الناقة فأقام طغج سبعة أشهر محصورا بدمشق، فكتب إلىٰ مصر بأنه محصور وقد قتل أكثر أصحابه وضرب البلد، فأنفذ إليه بدر الكبير غلام ابن طولون المعروف بالحمامي فسار حتى قرب من دمشق، فاجتمع هو وطغج علىٰ محاربة القرمطي بقرب دمشق، فقتل القرمطي واحتمى أصحابه وانحازوا، فمضوا، وكان القرمطي قد ضرب دراهم ودنانير وكتب عليها: قل جاء الحق وزهق الباطل. وفي الوجه الآخر: لا إله إلا الله، قل لا أسألكم عليه أجرا إلا المودة في القربى». انتهى'[1]

بعد أن تعرفنا علىٰ أن هناك داعيتان تنافسا علىٰ نشر الفكر القرمطي في القطيف ونعتقد ان اولهما كان ابو سعيد الجنابي نافسه في الدعوة علىٰ المنطقة الداعية يحيى بن المهدي بسبب اختلاف القيادة القرمطية في سواد الكوفة ومقتل عبدان واستقلال الدعاة عن المركز، بعد ذلك سنعرج علىٰ ماسطرته كتب التاريخ عن بدايات القرامطة في القطيف:

قال النويري: «أخبار أبي سعيد الجنابي وظهوره بالبحرين هو أبو سعيد بن برام من أهل جنابة، وأصله من الفرس وكان يعمل الفراء، وسبب دخوله في هذه الدعوة وظهوره، أنه سافر إلىٰ سواد الكوفة، فذكر أنه تزوج بقرية من سواد الكوفة،

(١) اتعاظ الحنفاء ـ المقريزي .

إلىٰ قوم يقال لهم بنو القصار، وكانوا أصولا في هذه الدعوة الخبيثة فأخذها عنهم، وقيل بل أخذ الدعوة عن نفسه، وقد وقيل أنه تلقاها عن حمدان قرمط، وسار داعية من قبله فنزل القطيف، وهي حينئذ مدينة عظيمة، فجلس بها يبيع الدقيق ولزم الوفاء والصدق، ودعا الناس، فكان أول من أجابه الحسين وعلى حمدان بنو سنبر، وقوم ضعفاء ما بين قصاب وحمال وأمثال هؤلاء. قال الشريف أبو الحسين: فلما دعا بتلك الناحية وقويت يده واستجاب له الناس وجد بناحيته داعيا يقال له أبو زكريا الصمامي كان عبدان الداعي أنفذه قبل أبي سعيد إلىٰ القطيف وما والاه، فلما تبين أمره أبو سعيد الجنابي عظم عليه أن يكون داع غيره، فقبض عليه وحبسه في بيت حتى مات هزلا. قال: وقد ذكر أن هذا الداعي أخذ علىٰ بني سنبر قبل أبي سعيد، وكان في أنفسهم حقد عليه لقتله أبا زكريا. وحكى ابن الأثير الجزري في تاريخه الكامل ابتداء أمر القرامطة بناحية البحرين: أن رجلا يعرف بيحيى بن المهدي قصد القطيف، ونزل علىٰ رجل يعرف بعلي بن المعلى بن حمدان، وكان متغاليا في التشيع، فأظهر له يحيى أنه رسول المهدي، وذلك في سنة إحدى وثمانين ومائتين، وذكر أنه خرج إلىٰ شيعته يدعوهم لأمره، وأن خروجه قد قرب، فجمع علىٰ بن المعلى الشيعة من أهل القطيف، وأوقفهم علىٰ الكتاب الذي أحضره يحيى بن المهدي من المهدي إليهم، فأجابوه: إنهم خارجون معه إذا ظهر أمره، وأجاب سائر قرى البحرين بمثل ذلك، فكان فيمن أجابه أبو سعيد الجنابي، ثم غاب يحيى بن المهدي مدة، ورجع بكتاب يزعم أنه من المهدي إلىٰ شيعته، وفيه: قد عرفني رسول يحيى بن المهدي مسارعتكم إلىٰ أمري، فليدفع إليه كل رجل منكم ستة دنانير وثلثي دينار، ففعلوا ذلك ثم غاب وعاد بكتاب، فيه ادفعوا إلىٰ يحيى خمس أموالكم، فدفعوا إليه الخمس.

كما قال النويري: وحكى يحيى بن المهدي جاء إلىٰ منزل أبي سعيد الجنائي فأكل طعامًا، وخرج أبو سعيد من البيت وأمر امرأته أن تدخل إلىٰ يحيى، وأن لا تمنعه إذا أرادها، فانتهى الخبر إلىٰ الوالي فضرب يحيى حلق رأسه ولحيته، وهرب

أبو سعيد إلىٰ جنابه، وصار يحيى إلىٰ بني كلاب وعقيل والحريش، فاجتمعوا معه ومع أبي سعيد فعظم أمر أبي سعيد، واشتدت وطأته وظهر أمره، قال: وكان ظهوره بالبحرين في سنة ست وثمانين ومائتين».[1]

ذكر الطبري قوله: «في عام ٢٨٦هـ وفي هذه السنة ظهر رجل من القرامطة يعرف بأبي سعيد الجنابي بالبحرين، فاجتمع إليه جماعة من الأعراب والقرامطة؛ وكان خروجه ـ فيما ذكر ـ في أول هذه السنة، وكثر أصحابه في جمادى الآخرة، وقوى أمره، فقتل من حوله من أهل القرى، ثم صار إلىٰ موضع يقال له القطيف، وبينه وبين البصرة مراحل، فقتل من بها».[2]

---

(١) نهاية الأرب في فنون الأدب ـ النويري.

(٢) تاريخ الأمم والملوك ـ الطبري ج٥ ص٦٣٠.

أبو سعيد الحسن بن بهرام الجنابي ٢٧٣-٣٠٠هـ

أبو سعيد الجنابي:

هو حسن بن بهرام الجنابي مؤسس دولة القرامطة في إقليم البحرين وقصبتها هجر. ويكنى باسم أبنه البكر سعيد، من أهل قرية جنابة بفارس كان يعمل الفراء، سافر إلىٰ سواد الكوفة، وتزوج من قوم يقال لهم: بنو القصار كانوا من أصول الدعوة القرمطية فأخذ علومه عن عبدان، وقيل بل أخذ عن حمدان قرمط، وسار داعية، فنزل القطيف[1].

ويبدو أن أبو سعيد الجنابي نزل القطيف في بدايات عام ٢٧٣هـ بناء علىٰ ما نقله المسعودي بقوله: «كانت مدة أبي سعيد مذ ظهرت دعوته بالقطيف وافتتح سائر مدن البحرين وآخرتها هجر إلىٰ أن قتل سنة ٣٠٠هـ سبعا وعشرين سنة»[2].

شخصية وطموح أبو سعيد الجنابي:

المتتبع لسيرة أبو سعيد يتضح لديه أن الرجل يتمتع بشخصية قيادية وطموحه

(١) اتعاظ الحنفاء بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفاء المقريزي.

(٢) المسعودي ـ التنبيه والإشراف ص٣٥٨ مكتبة الهلال.

ولهذا نراه يهاجر من مسقط رأسه قرية جنابه ويستقر بسواد الكوفة ويتزوج من عائلة معروفة ومن أصول الدعوة القرمطية ويصبح أحد الدعاة، ومايلبث أن يشارك في نشر الدعوة القرمطية بالهجرة إلىٰ أرض القطيف في عام ٢٧٣هـ ويستقر فيها ويعمل في بيع الرقيق واستطاع بعد فترة وجيزة أن يصبح جامع مكوس القطيف، مما يوضح مدى تمكن الرجل ونجاحه في أعماله، بل يتمكن ايضا من تكوين علاقات قويه مع أسر عريقة بأرض القطيف تساعده علىٰ نشر معتقداته من الفكر القرمطي وهم آل سنبر، ولم يكتفي بذلك حتى أنه عمل علىٰ الزواج مرة أخرى من عائلة قطيفية هي من عائلة بني سنبر وليكون قاعدة أسريه له في القطيف وينفذ مايسعى اليه من طموح كشخصية مرموقة ذو مكانة مادية وأسرية في قلب القطيف حتى أن ستطاع أن ينشر فكره في القطيف ويصبح له اتباع، ولكن طموحه لم يقف عند هذا الحد، فطموح ابو سعيد وشخصيته القيادية تحتاج إلىٰ مرتزقة ليكونوا اليد الضاربة للسيطرة علىٰ منطقة القطيف وقراها فالتحق بالاعراب في بادية الاحساء وتحالف معهم علىٰ السلب والنهب وهذه من عادات الاعراب وقد سبق لهم التحالف مع صاحب الزنج من قبل، وكانت منطقة هجر وقراها (القطيف والزارة والخط) تعتبر جنة عدن بالنسبة للاعراب فقد كان نهر محلم يخترق اراضيها ويغذي نخيلها، ولا حياة للاعراب سوى نهب هذه المزارع من أجل البقاء، وتحققت طموحات ابو سعيد من خلال التحالف مع هؤلاء الاعراب واستطاع السيطرة علىٰ القطيف وماحولها ومن ثم تدمير أكبر مدن البحرين هجر، واقامة مدينة القرامطة في الاحساء بزعامة ابو سعيد.

أبو سعيد في القطيف:

سار أبو سعيد داعية من أرض سواد الكوفة، فنزل القطيف وهي حينئذ مدينة عظيمة فجلس بها يبيع الرقيق، فلزم الوفاء والصدق، وكان أول من أجابه الحسين بن سنبر، وعلي بن سنبر، وحمدان بن سنبر، في قوم ضعفاء، ما بين قصاب وحمال وأمثال ذلك، فظفر أبو سعيد باشتهار دعوته في تلك الديار، فقاتل بمن أطاعه من

عصاه، حتى اشتدت شوكته.

وكان لا يظفر بقرية إلا قتل أهلها ونهبها، فهابه الناس، وأجابه كثير منهم، وفر منه خلق كثير إلىٰ بلدان شتى خوفًا من شره، ولم يمتنع عليه إلا هجر وهي مدينة البحرين ومنزل سلطانها، وبها التجار والوجوه فنازلها شهورًا يقاتل أهلها، ثم وكل بها رجلا.وارتفع فنزل الأحساء وبينها وبين هجر ميلان فابتنى بها دارا، وجعلها منزلا، وتقدم في زراعة الأرض وعمارتها، وكان يركب إلىٰ هجر، ويحارب أهلها، ويعقب قومه علىٰ حصارها.

ودعا العرب فأجابه بنو الأضبط من كلاب، وساروا إليه بحرمهم وأموالهم، فأنزلهم الأحساء، وأطمعوه في بني كلاب، وسائر من يقرب منه من العرب فضم إليهم رجالا، وساروا فأكثروا من القتل، وأقبلوا بالحريم والأموال والأمتعة إلىٰ الأحساء، فدخل الناس في طاعته، فوجه جيشًا إلىٰ بني عقيل فظفر بهم، ودخلوا في طاعته.

فلما اجتمع إليه العرب مناهم ملك الأرض كلها، ورد إلىٰ من أجابه من العرب ما كان أخذ منهم من أهل وولد، ولم يرد عبدًا ولا أمة ولا إبلا ولا صبيا إلا أن يكون دون الأربع سنين.وجمع الصبيان في دور وأقام عليهم قومًا، وأجرى عليهم ما يحتاجون إليه، ووسمهم لئلا يختلطون بغيرهم، ونصب لهم عرفاء، وأخذ يعلمهم ركوب الخيل والطعان، فنشأوا لا يعرفون غير الحرب، وقد صارت دعوته طبعًا لهم.وقبض كل مال في البلد، والثمار، والحنطة، والشعير.وأقام رعاةً للإبل والغنم، ومعهم قوم لحفظها، والتنقل معها علىٰ نوب معروفة. وأجرى علىٰ أصحابه جرايات فلم يكن يصل لأحد غير ما يطعمه.[1]

أما عن بدايات التمرد الذي قام به أبو سعيد ضد أهالي القطيف الذين ضيفوه طيلة سني إقامته معهم، فكانت في جمادى الآخرة عام ٢٨٦هـ كما أشار إلىٰ ذلك الطبري

---

(١) اتعاظ الحنفاء بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفاء ـ المقريزي .

في تاريخه، وذلك عندما اجتمع إليه جماعة من الأعراب والقرامطة، وكثر أصحابه وقوى أمره، فقتل من حوله من أهل القرى، ثم صار إلىٰ القطيف، فقتل من بها».[1]

وهناك قول آخر حول بداية التمرد الذي قام به أبو سعيد وهو ما يذكره ابن خلدون في تاريخه قوله: أظهر أبو سعيد الجنابي الدعوة بالبحرين سنة ثلاث وثمانين (وثلاثمائة) واجتمع إليه القرامطة والأعراب، وسار إلىٰ القطيف طالبا البصرة وكان عليها أحمد بن محمد بن يحيى الواثقي فأدار السور علىٰ البصرة، وبعث المعتمد علي بن عمر الغنوي، وكان علىٰ فارس فأقطعه اليمامة والبحرين، وضم إليه ألفين من المقاتلة وسيره إلىٰ البصرة فاحتشد وخرج للقاء الجنابي ومن معه، ورجع عنه عند اللقاء بنو ضبة فانهزم وأسره الجنابي واحتوى علىٰ معسكره وحرق الأسرى بالنار». انتهى[2]

وقبل أن نذكر حروب ابو سعيد الجنابي أرى أن نبين قرى ساحل هجر وأهلها قبل تدميرها علىٰ يد القرامطة وكما أوردها المسعودي المعاصر لقيام مملكة هجر القرمطية، يقول: «وكيفية دخوله البحرين، وما كان من أمره بالقطيف مع بني مسمار، واتصاله ببادية بني كلاب، وكان أبو زكريا البحراني دعاهم، وما كان بين أبي سعيد وبين أبي زكريا، وقبض أبي سعيد عليه وهلاكه في يده[3] وفتحه سائر مدن البحرين، وكان أهلها في نهاية العدة والقوة كالقطيف، وكان بها علي بن مسمار وإخوته، وهم من عبد القيس، وقتله عليًا والزارة، وكان بها الحسن بن العوام من الأزد وصفوان،

---

(١) تاريخ الأمم والملوك ـ الطبري ج٥ ص٦٣٠.

(٢) تاريخ ابن خلدون ـ ص٩٥٥ ـ بيت الأفكار الدولية.

(٣) ذكر النويري قوله: قال الشريف أبو الحسين: فلما دعا بتلك الناحية وقويت يده واستجاب له الناس وجد بناحيته داعيا يقال له أبو زكريا الصمامي كان عبدان الداعي أنفذه قبل أبي سعيد إلىٰ القطيف وما والاه، فلما تبين أمره أبو سعيد الجنابي عظم عليه أن يكون داع غيره، فقبض عليه وحبسه في بيت حتى مات هزلا. قال: وقد ذكر أن هذا الداعي أخذ علىٰ بني سنبر قبل أبي سعيد، وكان في أنفسهم حقد عليه لقتله أبا زكريا.(نهاية الأرب في فنون الأدب النويري).

وكان بها بنو حفصن وهم من عبد القيس أيضًا والظهران والإحساء، وكان بها بنو سعد من تميم وجواثًا، وكان بها العريان بن الهيثم الربعي، وقد ذكره علي بن محمد المنتمي إلىٰ أبي طالب صاحب الزنج الناجم بالبصرة عند ظهوره بالبحرين في تميم وكلاب ونمير وغيرهم، وذلك قبل مصيره إلىٰ البصرة، وكان العريان أوقع بهم في عبد القيس، وبني عامر بن صعصعة، ومحارب بن خصفة بن قيس ابن عيلان وغيرهم وقعات متتابعات، فأخرجه عن البحرين ونواحيها، وقتل من أصحابه خلقًا كثيرًا، فلما وقع طرفه بالصمان علىٰ الطائر المعروف بالمكاء، قال كلمته التي أولها:

أيا طائر الصمان مالك مفردًا ... تأسيت بي أم عاق إلفك عائق

فقال فيها:

عدمت عتاق الخيل إن لم أزر بها ... عليها الكماة الدارعون البطارق
عليها رجال من تميم وقصرها ... كليب بن يربوع الكرام الصادق
وجثوتها سعد وفي جنباتها ... نمير وبيض من كلاب عواتق
وإن لم أصبح عامرًا ومحاربًا ... بخطة خسف أو تعقني العوائق
أيحسبني العريان أنسى فوارسي ... غداة نزال الردم والموت عالق

وقال في كلمة أخرى يذكر عبد القيس:

أتحسب عبد القيس أني نسيتها ... ولست بناسيها ولا تاركًا تبلى

وهجر وكانت أعظم مدن البحر[1]، وكان بها عياش المحاربي، وكان أعظمهم عدة، وأشدهم شوكة، ومواقعة أبي سعيد العباس بن عمرو الغنوي، وقد جرده المعتضد للقائه من البصرة في السبخة المعروفة بافان، وأفان ماء ونخل أراد العباس

---

(١) وردت في نسخة (برلين) أعظم مدن البحرين، وعلى كل حال فالمقصود من الكلمتين أنها إحدى مدن ساحل البحرين وهي القطيف والخط وهجر والزارة كما يتضح من نص للمسعودي أن ساحل هجر هو التي تقع فيه مدن هجر ـ القطيف ـ الزارة ـ والخط وذلك من قول المسعودي: وجزيرة أوال فيها بنو مَعْن وبنو مسمار وخلائق كثيرة من العرب بينها وبين مدن ساحل البحرين نحو يوم، بل أقل من ذلك، وفي ذلك الساحل مدينة الزارة والعقل والقطيف من ساحل هجر.

نزولها، وذلك عند ارتحاله من الماء المعروف بالإعياء، فسبقه أبو سعيد إلىٰ الماء، وطول هذه السبخة سبعة أميال، وبينها وبين البصرة سبعة أيام، وهي علىٰ يومين من ساحل البحر، وهي القطيف وبين القطيف وبين البحر ميل، ولها مدينة علىٰ الساحل، يقال لها عنك وفيها يقول الراجز:

طعن غلام لم يجئك بالسمك ولـم يعلل بخياشيم عـنـك

فلما توسط العباس السبخة بعث أبا سعيد فغور. ما وراءه من المياه، وكانت في أعلى السبخة، وهو طريق ضيق وأبو سعيد في سبعمائة فارس وراجل من كلاب وعقيل وبحرانيين والعباس في سبعة آلاف من الجند، ومطوعة البصرة والبحرانيين، الذين كانوا خلوا عن البحرين وغيرهمفأسر العباس وأتى علىٰ أكثر من كان معه ولم ينج إلا الشريد، وذلك في رجب من سنة ٢٨٧.

وما كان من سريته إلىٰ صحار وهي قصبة عمان مرة بعد أخرى، ودخوله إياها عنوة وبين البحرين وعمان مسيرة عشرة أيام رمال ودهاس، وفي بعض المواضع ماء مالح، وإلى بلاد الفلج وهي علىٰ ثلاثة أيام من اليمامة، وإلى يبرين وهي من اليمامة علىٰ مثل ذلك أيضًا، فأباد أهلها وكانت من أطيب بلاد الله وكثرها وأهلًا، وعمائر ونخلًا وشجرًا، فلا أنبس بها إلىٰ هذا الوقت وفيها يقول جرير فقلت للركب إذ جد المسير بنا يا بعد يبرين من باب الفراديس وسبب فتك الخادمين الصقلبيين الذي كان أخذهما حين واقع بدر المحلي، وكان جاء من عمان في البحر لقتاله، وكان اصطنعهما فقتلاه في الحمام في ذي القعدة سنة ٣٠٠ وعدة من خواص أصحابه من القطيفين معه وهم حمدان وعلي ابنا سنبر، وبشر، وأبو جعفر ابنا نصير، وهما خالا ولد أبي سعيد المعروف بابن جنان ومحمد بن إسحاق وكان مدة أبي سعيد مذ ظهرت دعوته بالقطيف وافتتح سائر مدن البحرين وآخرتها هجر إلىٰ أن قتل سبعًا وعشرين سنة». انتهىٰ[1]

---

(١) التنبيه والإشراف ـ المسعودي ـ ص٣٥٦ـ٣٥٨ دار ومكتبة الهلال.

انشغال الدولة العباسية عن قرامطة البحرين

منذ أن بدأ القرامطة في نشر دعوتهم في القطيف عام ٢٨١هـ والدولة العباسية منشغلة في قمع الحركات التحررية في أطراف دولتهم وهذا ماسهل في قيام الحركة القرمطية بشكل فاجأ الدولة العباسية وهدد كيانها لاحقا، وفيما يلي نبين بعض الاحداث التي شغلت العباسيين حتى بروز قوة القرامطة وسيطرتهم علىٰ مدن القطيف وحملاتهم علىٰ أبواب البصرة عام ٢٨٦هـ:

احداث عام ٢٨٠هـ

يذكر الذهبي في احداث سنة ثمانين ومائتين قوله: «القبض علىٰ محمد بن الحسن بن سهل وفي أوّلها قبض المعتضد علىٰ محمد بن الحسن بن سهل. وكان أحد قوّاد صاحب الزَّنج استأمن إلىٰ الموفَّق، فبلغ المعتضد أنّه يدعو إلىٰ ولد المهتدي بالله فقرَّره، وقال: أخبرني عن الرجل الّذي تدعو إليه؟ فقال: لو كان تحت قدميّ ما رفعتهما عنه. فقتله.

مسير المعتضد إلىٰ بني شيبان وفي صفر، سار المعتضد بجيوشه يريد بني شيبان، وكانوا قد عاثوا وأفسدوا، فلحقهم بالجيش، فقتل منهم خلقًا، وغرَّق خلقًا،

وغنم الجيش من أموالهم ما لا يحصى، بحيث أبيعت الشّاة بدرهم، والجمل بخمسة دراهم. وأمر المعتضد بحفظ النّساء والذّراري، ولم يتعرَّض لهم. ثمّ وصل إلىٰ الموصل. ثمّ لقيه بنو شيبان وتذلّلوا له، فأخذ منهم خمسمائة رجلٍ رهائن، وردَّ عليهم نساءهم وذراريهم.

فتح ابن أبي الساج مراغة وفيها افتتح محمد بن أبي السّاج مراغة بعد حصارٍ طويل، وأخذ منها مالًا كثيرًا.

وفاة جعفر بن المعتضد وفيها مات المفوّض إلىٰ الله جعفر بن المعتضد الّذي ولي عهد أبيه، في ربيع الآخر. وكان محبوسًا في دار المعتضد لا يراه أحد. وقيل: «إنّ المعتضد كان ينادمه».[1]

ومن أحداث هذه السنة أيضا:

قال المسعودي: «وفي سنة ثمانين ومائتين أخذ ببغداد رجل يعرف بمحمد بن الحسن بن سهل ابن أخي في الرياستين الفضل بن سهل، يلقب بشميلة، ومعه عبيد اللّه بن المهتدي، ولمحمد بن الحسن بن سهل هذا تصنيفات في أخبار المبيضة، وله كتاب مؤلف في أخبار علي بن محمد صاحب الزنج حسب ما ذكرنا من أمره فيما سلف من هذا الكتاب، فأقرَّ عليه جماعة من المستأمنة من عسكر العلوي وأصيبت له جرائد فيها أسماء رجال قد أخذ عليهم البيعة لرجل من آل أبي طالب، وكانوا قد عزموا علىٰ أن يظهروا ببغداد في يوم بعينه، ويقتلوا المعتضد، فأدخلوا إلىٰ المعتضد، فأبى مَنْ كان مع محمد بن الحسن أن يقروا وقالوا: أما الرجل الطالبي فإنا لا نعرفه، وقد أخذت علينا البيعة له ولم نَرَهُ، وهذا كان الواسطَةَ بيننا وبينه، يعنون محمد بن الحسن، فأمر بهم فقتلوا، واستبقى شميلة طمعًا في أن يدلّه علىٰ الطالبي، وخلّى عبيد الله كل، المهتدي لعلمه ببراءته، ثم أراد المعتضد باللّه بمحمد بن الحسن بجميع

---

(١) تاريخ الإسلام ـ الذهبي.

الجهات أن يدلّه علىٰ الطالبي الذيّ أخذ له العهد علىٰ إلىٰ جال، فأبى، وجرَى بينه وبين المعتضد خطب طويل، وكان في مخاطبته للمعتضد أن قال: لو شَوَيْتَنِي علىٰ النار ما زدتك علىٰ ما سمْعتَ مني، ولم أقر علىٰ مَنْ دعوت الناسَ إلىٰ طاعته وأقررت بإمامته، فاصنع ما أنت له صانع، فقال له المعتضد: لسنا نعذبك إلا بما ذكرت، فذكر أنه جعل في حديدة طويلة أدخلت في دبره وأخرجت من فمه وأمسك بأطرافها علىٰ نار عظيمة حتى مات بحضرة المعتضد وهو يسبه ويقول فيه العظائم، والأشهر أنه جعل بين رماح ثلاثة وشُدَّ بأطرافها وكتف وجعل فوق النار من غير أن يماسها وهو في الحديدة يدار عليها ويشوى كما يشوى الدجاج وغيرها إلىٰ أن تفرقع جسمه، وأخرج فصلب بين الجسرين من الجانب الغربي.

محاربة بني شيبان،

وفي هذه السنة كان خروج المعتضد في طلب الأعراب من بني شيبان، وقد كانوا عَتَوْا وأكثروا الفساد، وأوقع بهم مما يلي الجزيرة والزاب في الموضع المعروف بوادي الذئاب، فقَتَل وأسَرَ وساق الذراري وسار إلىٰ الموصل.

وفي هذه السنة افتتح أبو عبد اللّه بن أبي الساج المراغَةَ من بلاد أذربيجان، فقبض علىٰ عبد الله بن الحسين، واستصفى أمواله، ثم أتى عليه بعد ذلك.

وفي هذه السنة كانت وفاة أحمد بن عبد العزيز بن أبي دُلَفَ.

وفي هذه السنة افتتح أحمد بن ثور عمان، وكان مسيره إليها من بلاد البحرين، فواقع الشراة من الأباضية، وكانوا في نحو من مائتي ألف، وكان إمامهم الصَّلْت بن مالك ببلاد بروى من أرض عمان؛ وكانت له عليهم، فقتل منهم مقتلة عظيمة، وحمل كثيرًا من رؤوسهم إلىٰ بغداد فنصبت بالجسر.

وفيها دخل المعتضد بغداد منصرفا من الجزيرة.

وفي هذه السنة كان دخول عمرو بن الليث نيسابور.

ابنة ابن أبي الساج:

وفي هذه السنة نقلت ابنة محمد بن أبي الساج إلىٰ بدرٍ غلام المعتضد، وقد أتينا علىٰ خبر ابن أبي الساج وما كان من تزويجه ابنته لبدر بحضرة المعتضد وما كان من خبر ابن أبي الساج ورحلته عن باب خراسان متوجهًا إلىٰ أذربيجان في الكتاب الأوسط.

مسير إسماعيل بن أحمد إلى أرض الترك:

وفي هذه السنة سار إسماعيل بن أحمد ـ بعد وفاة أخيه نصر بن أحمد واستيلائه علىٰ إمرة خراسان ـ إلىٰ أرض الترك، ففتح المدينة الموصوفة من مدنهم بدار الملك، وأسر خاتون زوجة الملك، وأسر خمسة عشر ألفًا من الترك وقتل منهم عشرة آلاف، ويقال: «إن هذا الملك يقال له طنكش، وهذا الاسم سِمَة لكل ملك مَلَكَ هذا البلد من ملوكهم، وأراه من الجنسين المعروفين بالخدلجية، وقد أتينا فيما سلف من هذا الكتاب علىٰ جمل من أخبار الترك وأجناسهم وأوطانهم، وكذلك فيما سلف من كتبنا». انتهىٰ[1]

احداث عام ٢٨١هـ:

قال المسعودي: «وفي سنة إحدى وثمانين ومائتين كانت الحرب بين وصيف خادم ابن أبي الساج وعمرو بن عبد العزيز ببلاد الجبل، وكان من أمره ما ذكرنا فيما سلف من كتبنا، وكان المعتضد خرج في هذه السنة إلىٰ الجبل لأمور بلَغته: منها قصة محمد بن زيد العلوي الحسيني صاحب بلاد طبرستان، فولّى ولده عليًا المكتفي الري، وأنزله بها، وأضاف إليه قزوين وزنجان وأبهر وقم وهمذان، وانصرف المعتضد

(١) مروج الذهب ـ المسعودي .

إلىٰ بغداد وقد قلد عمرو بن عبد العزيز أصبهان وكرخ أبي دُلَفَ وفيها استأمن إلىٰ المكتفي علىٰ كوره، وسار إلىٰ المعتضد في عدة كثيرة، وفيها سار طغج بن شبيب أبو الإخشيد صاحب مصر في هذا الوقت ـ وهو سنة اثنتين وثلاثين وثلاثمائة ـ في عساكر كثيرة من دمشق، فدخل طرسوس غازيًا وافتتح ملوريه مما يلي بلاد برغوث وعرب الراهب.

وفي هذه السنة نزل المعتضد علىٰ حمدان بن حمدون وقد تحصن في القلعة المعروفة بالصوارة نحو عين الزعفران، وسارع إسحاق بن أيوب العنبري إلىٰ طاعة المعتضد، ودخل في عسكره، واستأمن الحسين بن حمدان بن حمدون ومن كان معه من أصحابه إلىٰ المعتضد، وقد أتينا علىٰ خبر حمدان بن حمدون وما كان من أمره وصعوده الجبل الجودي وعبوره دجلة وكاتبه النصراني ودخول عسكر المعتضد ليلًا إلىٰ إسحاق بن أيوب حتى أتى به إلىٰ المعتضد، وإخراب المعتضد لهذه القلعة، وقد كان حمدان أنْفَقَ عليها أموالًا جليلة، وهو حمدان بن حمدون بن الحارث بن منصور بن لقمان، وهو جد أبي محمد الحسن بن عبد اللّه الملقب بناصر الدولة في هذا الوقت ـ وهو سنة اثنتين وثلاثين وثلاثمائة ـ وما كان من الحسين بن حمدان في طلبه هارونَ الشاري، وما كان من أخْذِ الحسين بن حمدان إياه، بعد هذا الموضع فيما يَرِدُ من هذا الكتاب».[1]

احداث عام ٢٨٢هـ:

قال المسعودي: «وفي سنة اثنتين وثمانين ومائتين ذُبِحَ أبو الجيش خمارويه بن أحمد بن طولون بدمشق في ذي القعدة، وقد كان بَنَى في سفح الجبل أسفل من دير مروان قصرًا، وكان يشرب فيه في تلك الليلة، وعنده طغج، وكان الذي تولى ذلك خادمًا من خدميهم، وأتى بهم علىٰ أميال فقتلوا وصلبوا، ومنهم من رُميَ

---

(١) ـ مروج الذهب ـ المسعودي.

بالنشاب، ومنهم من شرح لحمه من أفخاذه وعجيزته، وأكله السودان من مماليك أبي الجيش».[١]

وقد أكمل المسعودي قوله: «وَحُمِلَ أبو الجيش في تابوت إلىٰ مصر، وورد الخبر بذلك إلىٰ مصر يوم الأحد لخمس ليال خَلَوْنَ من ذي الحجة، وكان ذبحه الأيام بقيت من ذي القعدة، فبويع لابنه جيش - وكان خمارويه به يكنى - من الغد يوم الاثنين، وأتي بأبي الجيش إلىٰ مصر، فأخرج من التابوت، وجعل علىٰ السرير، وذلك علىٰ باب مصر، وخرج ولده الأمير جيش، وسائر الأمراء والأولياء، فتقدم القاضي أبو عبد الله محمد بن عبدة المعروف بالعبداني وصلى عليه، وذلك في الليل.

فحكى أبو بشر الدولابي عن أبي عبد الله النجاري وكان شيخًا من أهل العراق، وكان يقرأ في دور آل طولون وَمَقَابرهم - أنه كان في تلك الليلة ممن يقرأ عند القبر، وقد قدم أبو الجيش لِيُدَلّى في القبر، ونحن نقرأ جماعة من القراء سبعة سورة الدخان، فأحدر من السرير، ودلِّيَ في القبر، وانتهَيْنَا من السورة في هذا الوقت إلىٰ قوله عز وجل: ﴿خذوه فاعتلوه إلىٰ سواء الجحيم، ثم صبوا فوق رأسه من عذاب الحميم، ذق إنك أنت العزيز الكريم﴾ قال: فخفضنا أصواتنا وأدغمنا حياء ممن حضر».[٢]

احداث عام ٢٨٣هـ:

قال المسعودي: «وفي سنة ثلاث وثمانين ومائتين نزل المعتضد تكريت، وسار الحسين بن حمدان في الأولياء لحرب هارون الشاري، فكانت بينهم حرب عظيمة كانت للحسين بن حمدان عليه، فأتى به المعتضد أسيرًا بغير أمان، ومعه أخوه فدخل المعتضد بغداد، وقد نُصِبَتْ له القباب، وزينت له الطرقات، وَعَبَّأَ المعتضد بالله جيوشه بباب الشماسية أحسن ما يكون من التعبئة وأكمل هيئة، فاشتقوا بغداد إلىٰ

---

(١) مروج الذهب ـ المسعودي.

(٢) مروج الذهب ـ المسعودي.

القصر المعروف بالحسني، ثم خلع المعتضد علىٰ الحسين بن حمدان خِلَعًا شَرَّفَه بها، وطوقه بطوق من ذهب، وخلع علىٰ جماعة من فُرْسَانه ورؤساء أصحابه وأهله، وشهرهم في الناس كرامة لما كان من فعلهم وحسن بلائهم، ثم أمر بالشاري فأركب فيلًا وعليه دُرَّاعَة ديباج، وعلى رأسه برنس خز طويل، وخلفه أخوه علىٰ جمل فالج وهو ذو السنامين، وعليه دُرَّاعة ديباج وبرنس خز، وسيرهما في أثر الحسين بن حمدان وأصحابه، ثم دخل المعتضد في أثره عليه قَبَاء أسود وقلنسوة محدودة علىٰ فرس صناي عن يساره أخوه عبد الله بن الموفق، وخلفه بدر غلامه، وأبو القاسم عبيد الله بن سليمان بن وهب وزيره وابنه القاسم بن عبيد الله، فأكثر الناسُ الدعاء له، وتكاثف الناس في منصرفهم من الجانب الشرقي إلىٰ الغربي، فأنخسف بهم كرسي الجسر الأعلى، وسقط علىٰ زورق مملوء ناسًا، فغرق فِي هذا اليوم نحو من ألف نفس ممن عرف عون من لم يعرف، واستخرج الناس من دجلة بالكلاليب وبالغَاصَةِ، وارتفع الضجيج، وكثر الصُّرَاخ من الجانبين جميعًا، فبينما الناس كذلك إذ أخرج بعض الغَاصَةِ صبياَ عليه حلى فاخرة من ذهب وجوهر، فبصر به شيخ من النظارة طَرَّار، فجعل يلطم وجهه حتى أدمى أنفه، ثم تمرغ في التراب، وأظهر أنه ابنه، وجعل يقول: يا سيدي، لم تَمُتْ إذ أخرجوك صحيحًا سيويًا لم يأكلك السمك، ولم تمت، حبيبي ليتني كحلت عيني بك مرة قتل الموت، وأخذه فحمله علىٰ حمار ثم مضى به، فما برح القوم الذين رأوا من الشيخ ما رأوا حتى أقبل رجل معروف باليسار مشهور من التجار حين بلغه الخبر وهو لا يشك إلا أن الصبي في أيديهم، وليس يهمه ما كان عليه من حلى وثياب، وإنما أراد أن يكفنه ويصلي عليه ويدفنه، فخبره الناس بالخبر، فبقي هو ومن معه من التجار متعجبين مبهوتين، وسألوا عنه واستبحثوا، فإذا لا عين ولا أثر، وعَرَفَ تَوَابُو هذا الجسر هذا الشيخ المحتال فأيأسوا أبا الغريق منه، وذكروا أنه شيخ قد أعياهم أمره وحيرهم كيده، وأنه بلغ من حيله وخبثه ودهائه أنه أتى يومًا من أول الصباح إلىٰ باب بعض العُدُول الكبار المشهورين

بالرياسة واليسار ومعه جرة فارغة قد حملها علىٰ عاتقه وفأس وزنبيل، فقام في ثوب خَلَقٍ، ولم يتكلم حتى وضع الفأس في الدكاكين التي علىٰ باب ذلك العَدْلِ فهدمها، وجعل ينقي الآجر ويعزله، فسمع ذلك العدل بهدمها، ووقع الفأس والهدم، فخرج لينظر فإذا الشيخ دائب يهدم دكاكينه التي علىٰ باب دارِهِ، فقال: يا عبد اللّه، أي شيء تصنع؟ ومَنْ أمرك بهذا. فجعل الشيخ يعمل عمله، ولا يلتفت إلىٰ العدل، ولا يكلمه، فاجتمع الجيران وهما في المحاورة، فأخذوا بيد الشيخ، فوكزه هذا، ودفعه هذا، فالتفت إليهم، فقال: مالكم؟ ويلكم!! أي شيء تريدون مني. أما تستحون. تعبثون بي وأنا شيخ كبير.! فقالوا: ما لنا والعَبَثَ بك؟ وَيْحَكَ!! مَنْ أمرك بهذا؟ قال: وَيْحَكم!! أمرني صاحِبُ الدار، فقالوا: هذا صاحب الدار يكلمك، قال: لا واللّه ما هو هذا، فلما سمعوا كلامه وغفلته رحموه، وقالوا: هذا مجنون أو مخدوع خَدَعَهُ بعض جيران هذا العدل ممن قد حسده علىٰ ما أنعم اللّه تعالى به عليه، وهم الذين حملوا هذا الشيخ علىٰ هذا الفعل؛ فلما منعوه من الهدم مضى إلىٰ الجرة التي جاء بها- وقد كان وضعها إلىٰ جانب الباب- فأدخل يده فيها كأنه خبأ ثيابه بها، فصرخ وبكى، فلم يَشُكَّ العدلُ أن محتالًا خدعة وأخذ ثيابه، فقال: وأي شيء ذهب لك. قال: قميص جديد اشتريته أمس وَمِلْحَفَة لبيتي وسَرَاويل، فرقوا له جميعًا، ودَعاه العَدْلُ فكساه ووهب له دراهم كثيرة، ووهب له الجيرانُ دراهم كثيرة، وانصرف غانمًا، وهذا الشيخ كان يُعْرف بالعقاب، ويكنى بأبي الباز، وله أخبار عجيبةَ وحيل لطيفة وهو الذي احتال للمتوكل، حين بايعه بختيشوع الطبيب أنه إن سرق من داره شيئًا يعرفه في ثلاث ليال ذكرت من ذلك الشهر فعليه أن يحمل إلىٰ خزانة أمير المؤمنين عشرة آلاف دينار، وإن خرجت هذه الليالي ولم يتم عليه ما ذكرنا فله الضيعة المعين ذكرها في المبايعة، فأتي بهذا الشيخ في عنفوان شبابه إلىٰ المتوكل، فضمن للمتوكل أن يأخذ من دار بختيشوع شيئًا لا ينكره، وقد كان بختيشوع حَرَس داره وحصنها في هذه الليالي، فاحتال هذا الشيخ المعروف بالعقاب بحيل لطيفة إلىٰ أن سرق بختيشوع وجعله

في صندوق وأتى به المتوكل، في خبر ظريف، وأنه رسول لعيسى ابن مريم نزل إلىٰ بختيشوع بشمع أَسْرَجَه وتخليط عمله وبنج في طعام اتخذه أطعَمَه لحراس داره في تلك الليلة، وقد ذكرنا ذلك في كتابنا أخبار الزمان وهذا الشيخ قد بَرَّزَ في مكايده وما أورده من حيله علىٰ دالة المحتالة وغيرها من سائر المكارين والمحتالين ممن سلف وخلف منهم». [١]

قال المسعودي: «وفي سنة ثلاث وثمانين ومائتين كان الفداء بالأَسْرِ بين المسلمين والروم في شعبان، وكان بدؤه الثلاثاء، وفيه كان مسير جيش بن خمارَوَيه بن أحمد بن طولون من الشام إلىٰ مصر في جيوشه، فخالفه طغج بدمشق بعد ذلك.

وفيها خرج عن عسكر جيش بن خمارويه خاقان المفلحي وبندقة بن كمجور بن كنداج فساروا إلىٰ وادي القرى، ودخلوا مدينة السلام، فخلع عليهم المعتضد، وفيها كان الشغب بمصر، وقتل علي بن أحمد المارداني أبو محمد المارداني المقبوض عليه في هذا الوقت- وهو سنة اثنتين وثلاثين وثلاثمائة- بمصر، وقبض علىٰ جيش بن خماروبه، ونصب أخوه هارون بن خمارويه مكانه، وكانوا قد نقموا علىٰ جيش تقدمه لغلامه نجح المعروف بالطولوني وأخيه سلامة المعروف بالمؤتمن، وقد كان أخوه سلامة هذا بعد ذلك صحب جماعة من الخلفاء منهم القاهر والراضي، وأراه مع المتقي في هذا الوقت، وهو سنة اثنتين وثلاثين وثلاثمائة.

وفي سنة ثلاث وثمانين ومائتين كانت وفاة أبي عمرو مقدام بن عمرو الرعيني بمصر، ليومين بَقِيَا من شهر رمضان، وكان من جِلّةِ الفقهاء، ومن كبار أصحاب مالك.

وفيها وَلّى المعتضدُ يوسفَ بن يعقوب القضاء بمدينة السلام، وخلع عليه، وانتدبه للجانب الشرقي.

---

(١) مروج الذهب ـ المسعودي.

مصادرة ابن الطيب السرخسي ومقتله

وفي هذه السنة ـ وهي سنة ثلاث وثمانين ومائتين ـ قبض المعتضد علىٰ أحمد بن الطيب بن مروان السرخسي صاحب يعقوب بن إسحاق الكندي، وسَلّمه إلىٰ بحر غلامه، ووَجَّه إلىٰ داره مَنْ قبض علىٰ جميع ماله، وقرر جواريه علىٰ المال حتى استخرجوه، فكان جملة ما حصل من العين والوَرِقِ وثمن الآلات خمسين ومائة ألف دينار، وكان ابن الطيب قد ولي الحِسْبَة ببغداد، وكان موضعه من الفلسفة لا يُجْهَل، وله مصنفات حسان في أنواع من الفلسفة وفنون من الأخبار.

وقد تنازع الناس في كيفية قتله، والسبب الذي من أجله كان قتل المعتضد إياه، وقد أتينا علىٰ ما قيل في ذلك في كتابنا المترجم بالأوسط، فأغنى ذلك عن إعادته في ذلك الكتاب.

وفيها ورد الخبر بقتل عمرو بن الليث لرافع بن هَرْثَمة».[١]

احداث عام ٢٨٤هـ:

قال المسعودي: «وفي سنة أربع وثمانين ومائتين أدخل إلىٰ بغداد رأس رافع بن هرثمة، ثم صُلِبَ ساعة من نهار، ثم رُدَّ إلىٰ دار السلطان. وفي هذه السنة كان لأهل بغداد ثورة مع السلطان لصياحهم بالخدم السودان: يا عقيق، صب ماء واطرح دقيق، يا عاق، يا طويل الساق، وذلك أن الخدم في دار السلطان منهم اجتمعوا فكلموا المعتضد بما يلحقهم في الأزقة والشوارع والحروب وسائر الطرق من الصغير والكبير من العوام، فأمر المعتضد بجماعة من العامة، فضربوا بالسياط، فشغب العامة لذلك.

وفي هذه السنة ظهر للمعتضد شخص في صور مختلفة في داره، فكان تارة

---

(١) مروج الذهب ـ المسعودي .

يظهر في صورة راهب في لحية بيضاء وعليه لباس الرُّهْبَان، وتارة يظهر شابًا حسن الوجه ذا لحية سوداء بغير تلك البِزَّة، وتارة يظهر شيخًا أبيض اللحية ببِزَّة التجار، وتارة يظهر بيده سيف مسلول، وضرب بعض الخدم فقتله، فكانت الأبواب تؤخذ وتغلق فيظهر له أين كان في بيت أو صحن أو غيره، وكان يظهر له في أعلى الدار التي بناها، فأكثر الناس القول في ذلك، واستفاض الأمر، واشتهر في خواص الناس وعوامهم، وسارت به الركبان، وانتشرت به الأخبار والقول في ذلك علىٰ حسب ما كان يقع لكل واحد منهم، فمن قائل: إن شيطانًا مَرِيدًا صمد له يظهر فيؤذيه، ومنهم من يقول: إن بعض مؤمني الجن رأى ما هو عليه من المنكر وسَفْك الدماء فظهر له رادعًا وعن المنكر زاجرًا، ومنهم من رأى أن ذلك بعض خدمهِ كان قد هوى بعض جواريه فاحتال بحيلة فلسفية من بعض العقاقير الخاصة فيضعها في فمه فلا يحرك بحاسة البصر، وكل ذلك ظن وحسبان، فأحضر المعتضد المعزمين، واشتدَّ قَلَقُه، واستوحش، وجاز عليه أمره، فقتل وغرق جماعة من خدمه وجواريه، وضرب وحبس جماعة منهم، وقد أتينا علىٰ الخبر في ذلك وما حكي عن أفلاطون في هذا المعنى، وعلى خبر شغب أم المقتدر بالله والسبب الذي من أجله حبسها المعتضد وأراد قطع أنفها والتشويه بها في كتابنا أخبار الزمان.

وفي هذه السنة وَرَدَ الخبر بقتل أبي الليث الحارث بن عبد العزيز بنِ أبي دُلَف بسيفه لنفسه في الحرب، وذلك أن سيفه كان علىٰ عاتقه مشهرًا فكبابه فرسه فذبحه سيفه، فأخذ عيسى النوشري رأسه وأنفذه إلىٰ بغداد»[1].

احداث عام ٢٨٥هـ:

قال المسعودي: «وفي سنة خمس وثمانين ومائتين وقع صالح بن مدرك الطائي في نبهان وسنبس وغيرهم من طيء بالحاج، وعلى الحاج جيء الكبير، وكانت لجيء

---

(١) مروج الذهب ـ المسعودي.

مع صالح ومَنْ معه من الطائيين حرب عظيمة في الموضع المعروف بقاع الأجفر، وتشوش الحاج وأخذهم السيف، فمات عطشًا وقتلًا خلائقُ من الحاج، وأصاب جيء ضربات كثيرة، وكانت العرب ترتجز في ذلك اليوم وتقول: ما إن رأى الناس كيوم الأجفر الناس صَرْعَى والقبور تحفر وأخذ من الناس نحو من ألفي دينار.

وفاة إبراهيم بن محمد الحربي الفقيه:

وفي هذه السنة- وهي سنة خمس وثمانين ومائتين- كانت وفاة أبي إسحاق إبراهيم بن محمد الفقيه المحدث في الجانب الغربي، وله خمس وثمانون سنة، وكانت وفاته يوم الاثنين لسبع بقين من ذي الحجة، ودفن مما يلي باب الأنبار وسارعِ السكبش والأسد، وكان صدوقًا عالمًا فصيحًا جوادًا عفيفًا، وكان زاهداً عابدًا ناسكًا، وكان- مع ما وصفنا من زهده وعبادته- ضاحك السن، ظريف الطبع، سلس القياد، ولم يكن معه تجبر ولا تكبر، وربما مزح مع أصدقائه بما يستحسن منه، ويُسْتقبح من غيره، وكان شيخ البغداديين في وقته، وظريفهم، وناسكهم، وزاهدهم، ومسندهم في الحديث، وكان يتفقه لأهل العراق، وكان له مجلس يوم الجمعة في المسجد الجامع الغربي.

وأخبرنا أبو إسحاق إبراهيم بن جابر قال: كنت أجلس يوم الجمعة في حلقة إبراهيم الحربي، وكان يجلس إلينا غلامان في نهاية الحسن والجمال من الصورة والبزَّة من أبناء التجار من الكرخيين، وبزَّتهما واحدة، كأنهما روحان في جسد، إن قاما قاما معًا، وإن قعدا قعدا معًا، فلما كان في بعض الجمع حضر أحدهما وقد بان الاصفرار بوجهه والانكسار في عينيه، فتوسمت أن غيبة الآخرة لعلة وقد لحق الحاضر من أجل ذلك الانكسار، فلما كان الجمعة الثانية حضر الغائب ولم يحضر الذي كان في الجمعة الأولى منهما، وإذا الصفرة والإِنكسار بين في لونه ونشاطه، فعلمت أن ذلك للفراق الواقع بينهما، ولأجل الألفة الجامعة لهما، فلم يزالا يتسابقان في كل جمعة إلىٰ الحلقة، فأيهما سبق صاحبه إلىٰ الحلقة لم يجلس الآخر،

فصح عندي ما كان تقدم في نفس جواز كونه، فلما كان في بعض الجمع حضر أحدهما فجلس إلينا، وجاء الآخر فأشرف علىٰ الحلقة، فإذا صاحبه قد سبق، إذا المسبوق المطلع إلىٰ الحلقة قد خنقته العَبْرة، فتبينت ذلك في حماليق عينيه، وإذا في يسراه رقاع مكتوبة فقبض بيمينه رقعة من تلك الرقاع وحذف بها في وسط الحلقة، وانساب بين الناس مارًا مستحيًا، وأنا أرْمُقه ببصري، وكذلك جماعة ممن كان جالسًا في الحلقة، وكان إلىٰ جانبي علىٰ اليمين أبو عبد اللّه علي بن الحسين بن حوثرة، وذلك في عنفوان الشباب وأوان الحداثة، فوقعت الرقعة بين يحي إبراهيم الحربي، فقبض عليها ونَشَرَها وقرأها، وكان من شأنه فعل ذلك إذا وقعت في يده رقعة فيها دعاء أن يدعو لصاحبها مريضًا كان أو غير ذلك، ويؤمِّنُ علىٰ دعائه مَنْ حضر، فلما قرأ الرقعة أقبل يتأمل ما فيها تأملًا شافيًا لأنه رأى ملقيها، ثم قال: اللهم اجمع بينهما، وألِّف بين قلوبهما، واجعل ذلك مما يقرب منك ويُزْلِف لديك، وأمَّنُوا علىٰ دعائه كما جرت العادة منهم بفعله، ثم أعرج الرقعة بسبَّابته وإبهامه وحذفني بها، فتأملت ما فيها، وقد كنت مستطلعًا نحوها لتبين الملقى لها، فإذا فيها مكتوب: عَفَا اللَّه عن عبد أعَانَ بدعوة لَخِلّين كانا دائمين علىٰ الود إلىٰ أن وشى واشي الهوى بنميمة إلىٰ ذاك من هذا فحالا عن العهد فكانت الرقعة معي فلما كانت الجمعة الثانية حضرا معًا وإذا الاصفرار والانكسار قد زالا عنهما، فقلت لابن حوثرة: إني لأرى الدعوة قد سبقت لهما بالإِجابة من اللّه تعالى، وإن دعا الشيخ كأن علىٰ التمام إن شاء اللّه تعالى؛ فلما كان في تلك السنة كنت ممن حج فكأني أنظر إليهما بين مِنِى وعرفات محرمين جميعًا، فلم أزل أراهما متآلفين إلىٰ أن كهلا، وأرى أنهما في صف أصحاب الديباج في الكرخ، أو غيره من الصفوف.

قال المسعودي: وهذا الخبر سمعته من إبراهيم بن جابر القاضي قبل ولايته القضاء، وهو يومئذ ببغداد يعالج الفقر، ويتلقاه من خالقه بالرضا، ناصرًا للفقر علىٰ الغنى، فما مضت أيام حتى لقيته بحلب من بلاد قنسرين والواصم من أرض الشام،

وذلك في سنة تسع وثلاثمائة، وإذا هو بالضد عما عهدته، متوليًا القضاء علىٰ ما وصفنا، ناصرًا ومشرفًا للغنى علىٰ الفقر، فقلت له: أيها القاضي، تلك الحكاية التي كنت تحكيها عن الوالي الذي كان بالري، وأنه قال لك: إن الخواطر اعترضتن بين منازل الفقراء والأغنياء، فرأيت في النوم أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي اللّه عنه، فقال لي: يا فلان؟ ما أَحَسَنَ تواضع الأغنياء للفقراء شكرًا لله تعالى وأحسن من ذلك تعزز الفقراء علىٰ الأغنياء ثقة باللّه تعالى، فقال لي؛ إن الخلق تحت التدبير لا ينفكون من أحكامه في جميع متصرفاتهم، وكنت كثيرًا ما أسمعه فيما وصفنا من حال فقره يذمُ ذوي الحرص علىٰ الدنيا، ويذكر في ذلك خبرًا عن علي كرم اللّه وجهه- وهو أن عليًّا ﷺ كان يقول: ابنَ آدمَ؛ لا تتحمل هَم يومك الذي لم يأتِ علىٰ يومك الذي أنت فيه؛ فإنه إن يكن من أجَلِكَ يأت اللّه فيه برزقك، واعلم أنك لن تكتسب شيئًا فوق قُوتك إلاَّ كنت خازنًا فيه لغيرك- فركب بعد ذلك الهماليج من الخيل. ولقد أخبرت أنه قطع لزوجته أربعين ثوبًا تستريًا وقصبًا وأشباه ذلك من الثياب علىٰ مقراض واحد، وخَلَّفَ مالًا عظيمًا لغيره.

وفاة المبرد:

وفي هذه السنة ـ وهي سنة خمس وثمانين ومائتين ـ وكانت وفاة أبي العباس محمد بن يزيد النحوي المعروف بالمبرد، ليلة الاثنين لليلتين بقيتا من ذي الحجة، وله تسع وسبعون سنة، ودفن بمقابر باب الكوفة من الجانب الغربي بمدينة السلام».[1]

---

(١) مروج الذهب ـ المسعودي .

بدايات بزوغ نجم القرامطة في منطقة البحرين

أنشغلت الدولة العباسية في الكثير من المشاكل والحروب الداخلية التي أدت إلىٰ عدم الاهتمام بألاطراف، كل ذلك ساعد دعاة القرامطة علىٰ التحرك بيسر وسهولة، وساعدهم علىٰ ذلك تحالف الاعراب في منطقة البحرين معهم ضد أهالي القطيف والدولة العباسية، وفي هذه السنة ٢٨٦هـ بدأ ظهور قرامطة البحرين كقوة تهدد أطراف الدولة العباسية.

قال الطبري: «وفي عام ٢٨٦هـ وفي هذه السنة ظهر رجل من القرامطة يعرف بأبي سعيد الجنابي بالبحرين، فاجتمع إليه جماعة من الأعراب والقرامطة؛ وكان خروجه - فيما ذكر - في أول هذه السنة، وكثر أصحابه في جمادى الآخرة، وقوى أمره، فقتل من حوله من أهل القرى، ثم صار إلىٰ موضع يقال له القطيف، وبينه وبين البصرة مراحل، فقتل من بها».[1]

قال المسعودي: «وفي هذه السنة كان الفَزَعُ من أبي سعيد الجنابي بالبصرة ومن معه بالبحرين خوفًا من أن يكبسها، وكتب الواثقي ـ وهو أحمد بن محمد

---

(١) تاريخ الأمم والملوك ـ الطبري ج٥ ص٦٣٠.

وكان علىٰ حربها ـ إلىٰ المعتضد بذلك، فأطلق لسورها أربعة عشر ألف دينار فبنيت وحصنت».[١]

قال أبن الجوزي: «وفي هذه السنة ظهر رجل من القرامطة يكنى أبا سعيد، فاجتمع إليه جماعة منهم ومن الأعراب، وكثر أصحابه وذلك في جمادى الآخرة، وقوي أمره، فقتل من حوله من أهل القرى، ثم صار إلىٰ موضع يقال له: القطيف، بينه وبين البصرة مراحل، وقيل: إنه يريد البصرة، فكتب أحمد بن محمد الواثقي وكان يتقلد معادن البصرة وكور دجلة إلىٰ السلطان بما قد عزم عليه القرامطة، فكتب إليه في عمل سور علىٰ البصرة فقدرت النفقة عليه أربعة عشر ألف دينار، فبني، وغلب أبو سعيد علىٰ هجر وأمن أهلها».[٢]

---

(١) مروج الذهب ـ المسعودي .

(٢) كتاب المنتظم ـ ابن الجوزي.

من عجائب الدنيا الثلاث

في عام ٢٨٧هـ حدثت معركة آفان بين أبو سعيد الجنابي وعباس الغنوي وعدها العرب من عجائب الدنيا الثلاث.

في سنة سبع وثمانين ومائتين من شهر ربيع الاول غلظ أمر القرامطة بالبحرين، فأغاروا علىٰ نواحي هجر وقرب بعضهم من نواحي البصرة، فكتب احمد بن محمد بن يحيى الواثقي يسأل المدد، فوجه إليه في آخر الشهر بثماني شذوات، فيها ثلاثمائة رجل، وأمر المعتضد باختيار جيش لينفذه إلىٰ البصرة، وفي شهر ربيع الآخر منها ولى المعتضد عباس بن عمرو الغنوي اليمامة والبحرين ومحاربة ابي سعيد الجنابي ومن معه من القرامطة وضم اليه زهاء الفي رجل فعسكر العباس ببالفرك اياما حتى اجتمع اليه اصحابه، ثم مضى إلىٰ البصرة، ثم شخص منها إلىٰ البحرين واليمامة.[1]

قال المسعودي: «وفي رجب من هذه السنة، وهي سنة سبع وثمانين ومائتين كان خروج العباس بن عمرو من البصرة في جيش عظيم ومعه خلق من المطوعة نحو هجر، فالتقى هو وأبو سعيد الجنابي، فكانت بينهم وقائع انهزم فيها أصحاب

(١) تاريخ الأمم والملوك ـ الطبري ج٥ ص٦٣١.

العباس، وأسر وقتل من أصحابه نحو سبعمائة صبرًا، دون من هلك من الرمل والعطش، فأحرقت الشمس أجسادهم؛ ثم إن أبا سعيد من علىٰ العباس بن عمرو بعد ذلك فأطلقه فصار إلىٰ المعتضد فخلع عليه وبعد هذه الوقعة افتتح أبو سعيد مدينة هجر بعد حصار طويل، وقد أتينا علىٰ مبسوط هذه الحروب والسبب الذي من أجله كانت تخلية أبي سعيد العباس بن عمرو الغنوي في كتابنا الأوسط، وما كان من أمر العباس عمرو مع مَنْ بالبحرين من قومه وعصبتهم له».[١]

قال ابن الجوزي: «وفي شهر ربيع الأول غلظ أمر القرامطة بالبحرين، وأغاروا علىٰ نواحي هجر، وقرب بعضهم من نواحي البصرة فوجه أمير المؤمنين المعتضد إليهم جيشًا.

وفي شهر ربيع الآخر ولى المعتضد عباس بن عمرو الغنوي اليمامة والبحرين، ومحاربة أبي سعيد القرمطي، وضم إليه زهاء ألفي رجل، فسار نحو القرامطة فاقتتلوا، فأسر العباس، وقتل أصحابه، فانزعج أهل البصرة وهموا بالجلاء عنها[٢] ثم أطلق العباس.

ومن العجائب أنه كان مع العباس عشرة آلاف في محاربة أبي سعيد القرمطي فقبض عليهم أبو سعيد فنجا العباس وحده وقتل الباقون، وأن عمرو بن الليث مضى في خمسين ألفًا إلىٰ محاربة إسماعيل بن أحمد، فأخذ هو ونجا الباقون.

ولإحدى عشرة ليلة خلت من رجب، ولي حامد بن العباس الخراج والضياع بفارس، وكانت في يد عمرو بن الليث، ودفعت كتبه بالولاية إلىٰ أخيه أحمد بن

---

(١) مروج الذهب ـ المسعودي.

(٢) وقد أشار الطبري إلىٰ تخوف أهالي البصرة بعد هزيمة عباس الغنوي في هجر قوله: فاضطربت البصرة لذلك اضطرابًا شديدًا وهموا بالانتقال عنها، فمنعهم أحمد بن محمد الواثقي المتولي لمعاونها من ذلك، وتخوفوا هجوم القرامطة عليهم.

العباس، وكان حامد مقيمًا بواسط لأنه كان يليها».[١]

معركة آفان:

وتعتبر معركة آفان التي حدثت بين العباس بن عمرو الغنوي الذي اعتمده العباسيين واليًا علىٰ المنطقة، وأبى سعيد الجنابي القرمطي عام ٢٨٧هـ من عجائب الدنيا لدى العرب كما ذكر ابن الاثير قوله: «بلغني أن عبيد الله بن عبد الله بن طاهر قال: عجائب الدنيا ثلاث: جيش العباس بن عمرو يؤسر وحده وينجو وحده ويقتل جميع جيشه، وجيش عمرو بن الصفار يؤسر وحده ويسلم جميع جيشه وأنا انزل في بيتي، وتولى ابني أبو العباس الجسر بين بغداد». انتهى[٢]

كما ذكر ابن الجوزي: «ومن العجائب أنه كان مع العباس عشرة آلاف في محاربة أبي سعيد القرمطي فقبض عليهم أبو سعيد فنجا العباس وحده وقتل الباقون وأن عمرو بن الليث مضى في خمسين ألفا إلىٰ محاربة إسماعيل بن احمد فأخذ هو ونجا الباقون».

وقد أشار المسعودي المعاصر للقرامطة بعض تفاصيل هذه المعركة بقوله: «ومواقعه أبى سعيد العباس بن عمروالغنوي، وقد جرده المعتضد للقائه من البصرة في السبخة المعروفة بآفان، وآفان ماء ونخل أراد العباس نزولها، وذلك عند ارتحاله من الماء المعروف بالأعباء فسبقه أبو سعيد إلىٰ الماء، وطول هذه السبخة سبعة اميال وبينها وبين البصرة سبعة ايام وهي القطيف وبين القطيف وبين البحر ميل ولها مدينة علىٰ الساحل يقال لها عنك وفيها يقول الراجز:

طعن غلام لم يجئك بالسمك ولم يعلل بخياشيم عنك

فلما توسط العباس السبخة بعث أبا سعيد فغور ما وراءه من المياه، وكانت

---

(١) كتاب المنتظم ـ ابن الجوزي .

(٢) الكامل في التاريخ ـ ابن الأثير .

في أعلى السبخة وهو طريق ضيق، وأبو سعيد في سبعمائة فارس وراجل من كلاب وعقيل وبحرانيين والعباس في سبعة آلاف من جند ومطوعة البصرة والبحرانيين الذين كانوا خلوا عن البحرين وغيرهم، فأسر العباس وأتى علىٰ أكثر من كان معه ولم ينج إلا الشريد، وذلك في رجب من سنة ٢٨٧هـ». انتهى[١]

وقرية آفان المشار إليها أعلاه هي تلك القرية الدارسة التي قامت مدينة سيهات علىٰ أنقاضها كما أوضح المرحوم الأستاذ العلامة حمد الجاسر في المعجم الجغرافي للمنطقة الشرقية بأن آفان هي: «الأرض الواقعة بين مدينتي القطيف والدمام، المتاخمه لساحل البحر، تقع عنك في جانبها الشمالي الشرقي وعمران مدينة الدمام اتصل بجانبها الجنوبي وكان فيها نخل واثار عمران قديم، وفي هذا العهد فجرت فيها العيون وغرست حدائق النخيل، وكان ماء البحر يغمر جانبها الشرقي وتقدر مساحة تلك الأرض طولا بنحو ١٥ كيلا، وعرضا بنحو خمسة أكيال، حيث يلب بها من الغرب مرتفعات رملية من منطقة البيضاء وتقع بلدة سيهات في طرفها الغربي الشمالي الغربي، ويظهر أن هذه البلدة قامت علىٰ أنقاض بلدة أفأن ـ أفن ـ. انتهى[٢]

وسبب كون تلك الحرب من عجائب الدنيا كما عدها العرب هو انهزام عباس الغنوي بالرغم من كثرة عدد جنوده مقارنة بقلة عدد جنود خصمه أبى سعيد القرمطي، فكما أشار المسعودي فيما تقدم ان جيش الغنوي كان في سبعة آلاف من الجند ومطوعة البصرة والبحرينيين بينما جيش القرمطي سبعمائة فارس وراجل من كلاب وعقيل والبحرينيين، أي بنسبة عشرة إلىٰ واحد، وفي نص تاريخي آخر قال الجوزي: - «ومن العجائب أنه كان مع العباس عشرة آلاف في محاربة أبي سعيد

---

(١) التنبيه والإشراف ـ المسعودي .

(٢) حمد الجاسر (المعجم).

القرمطي». انتهى[١]

هنا نتساءل كيف استطاع أبي سعيد القضاء علىٰ جيش الغنوي؟ بالرغم من ترجيح كفة الغنوي عليه لكثرة عدد جنوده وقيل في المثل ـ الكثرة تغلب الشجاعة ـ

للإجابة علىٰ هذا التساؤل وجدنا ضالتنا فيما ذكره ابن الأثير حيث بين تفاصيل تلك المعركة ـ قوله: «في ربيع الآخر عظم أمر القرامطة بالبحرين وأغاروا علىٰ نواحي هجر وقرب بعضهم من نواحي البصرة فكتب أحمد الواثقي يسأل المدد فسير أليه سميريات فيها ثلاثمائة رجل وأمر المعتضد بأختيار رجل ينفذه إلىٰ البصرة وعزل بن عمرو الغنوي عن بلاد فارس، واقطعه اليمامة والبحرين وأمره بمحاربة القرامطة وضم إليه زهاء آلفي رجل، فسار إلىٰ البصرة، واجتمع إليه جمع كثير من المتطوعة والجند والخدم ثم سار إلىٰ أبي سعيد الجنابي، فلقوه مساء وتناوشوا القتال، وحجز بينهم الليل، فلما كان الليل انصرف عن العباس من كان معه من أعراب بني ضبة وكانوا ثلاثمائة وتبعهم مطوعة البصرة – يتضح ان عدد المنسحبين من جيش الغنوي بلغ خمسة آلاف تقريبا وبالتالي لم يتبق معه سوى ألفين فقط – فلما اصبح العباس باكر الحرب فاقتتلوا قتالا شديدا ثم حمل نجاح غلام أحمد بن عيسى بن الشيخ من ميسرة العباس في مائة رجل علىٰ ميمنة أبي سعيد، فتوغلوا فيهم، فقتلوا عن آخرهم وحمل الجنابي ومن معه علىٰ أصحاب العباس، فانهزموا وأسر وأحتوى الجنابي علىٰ ماكان في عسكره فلما كان الغد أحضر الجنابي الأسرى فقتلهم جميعا وحرقهم، وكانت الواقعة آخر شعبان ثم سار الجنابي إلىٰ هجر بعد الواقعة فدخلها ـ ذكر النويري عن فتح هجر بأن أبا سعيد تمكن منها بعد أن قطع المياه التي تسقيها ولما أيقن أهلها بالهلكة فر بعضهم في البحر نحو جزيرة أوال وسيراف ودان بعضهم بمذهب أبي سعيد وانحاز إليه. واما من لم يشاء اعتناق مذهبه ولا الفرار من وجهه فقد سقطوا قتلى سيوفه ثم سبيت المدينة ودمرت ولما خربت هجر صارت الأحساء

---

(١) المنتظم ـ ابن الجوزي .

عاصمة البحرين ـ وانصرف من سلم من المنهزمين وهم قليل نحو البصرة بغير زاد فخرج إليهم من البصرة نحو أربعمائة رجل علىٰ الرواحل ومعهم الطعام والكسوة والماء، فلقوا بها المنهزمين فخرج عليهم بنو أسد وأخذوا الرواحل وما عليها وقتلوا من سلم من المعركة: «يبدو ان هناك فتنه حصلت بسبب هذه المعركة» فاضطربت البصرة لذلك وعزم أهلها علىٰ الانتقال منها فمنعهم الواثقي وبقى العباس عند الجنابي أياما ثم أطلقه وقال له:أمضي إلىٰ صاحبك وعرفه ما رأيت، وحمله علىٰ رواحل فوصل إلىٰ بعض السواحل وركب البحر فوافى الابلة ثم سار منها إلىٰ بغداد فوصلها في رمضان فدخل علىٰ المعتضد فخلع عليه». انتهىٰ[1]

قال الطبري: «وفي هذه السنة كان خروج العباس بن عمرو الغنوي من البصرة بمن ضم إليه من الجند، مع من خف معه من مطوعة البصرة نحو أبي سعيد الجناني ومن انضوى إليه من القرامطة، فلقيهم طلائع لأبي سعيد، فخلف العباس سواده، وسار نحوهم، فلقي أبا سعيد ومن معه مساء، فتناوشوا القتال، ثم حجز بينهم الليل، فانصرف كل فريق منهما إلىٰ موضعهم.

فلما كان الليل انصرف من كان مع العباس من أعراب بني ضبة ـ وكانوا زهاء ثلثمائة ـ إلىٰ البصرة، ثم تبعهم مطوعة البصرة؛ فلما أصبح العباس غادي القرامطة الحرب، فاقتتلوا قتالًا شديدًا.

ثم إن صاحب ميسرة العباس ـ وهو نجاح غلام أحمد بن عيسى بن شيخ ـ حمل في جماعة من أصحابه زهاء مائة رجل علىٰ ميمنة أبي سعيد؛ فوغلوا فيهم، فقتل وجميع من معه، وحمل الجنابي وأصحابه علىٰ أصحاب العباس، فانهزموا، فاستأسر العباس، وأسر من أصحابه زهاء سبعمائة رجل، واحتوى الجنابي علىٰ ما كان في عسكر العباس؛ فلما كان من غد يوم الوقعة أحضر الجنابي من كان أسر من

---

(١) الكامل في التاريخ ـ ابن الأثير .

أصحاب العباس، فقتلهم جميعًا، ثم أمر بحطب فطرح عليهم، وأحرقهم.

وكانت هذه الوقعة - فيما ذكر - في آخر رجب، وورد خبرها بغداد لأربع خلون من شعبان.

وفيها ـ فيما ذكر ـ صار الجنابي إلىٰ هجر، فدخلها وآمن أهلها؛ وذلك بعد منصرفه من وقعة العباس، وانصرف فل أصحاب العباس بن عمرو يريدون البصرة، ولم يكن أفلت منهم إلا القليل بغير أزواد ولا كسًا، فخرج إليهم من البصرة جماعة بنحو من أربعمائة راحلة، عليها الأطعمة والكسا والماء، فخرج عليهم - فيما ذكر - بنو أسد، فأخذوا تلك الرواحل بما عليها، وقتلوا جماعة ممن كان مع تلك الرواحل ومن أفلت من أصحاب العباس؛ وذلك في شهر رمضان فاضطربت البصرة لذلك اضطرابًا شديدًا وهموا بالإنتقال عنها، فمنعهم أحمد بن محمد الواثقي المتولي لمعاونها من ذلك، وتخوفوا هجوم القرامطة عليهم». انتهىٰ[1]

كما ان ابن الجوزي أوضح سبب مقولة ان هذه المعركة من عجائب الدنيا بقوله: «ومن العجائب أنه كان مع العباس عشرة آلاف في محاربة أبي سعيد القرمطي فقبض عليهم أبو سعيد فنجا العباس وحده وقتل الباقون وأن عمرو بن الليث مضى في خمسين ألفا إلىٰ محاربة إسماعيل بن احمد فأخذ هو ونجا الباقون» حيث انه في تلك السنه حدثت معركة عباس الغنوي مع أبى سعيد كما في نفس السنة كانت المعركة بين إسماعيل بن احمد وعمرو بن الليث صاحب بلخ فاسر عمرو.

وعودا علىٰ أسباب تغلب أبي سعيد الجنابي بجيشه البالغ سبعمائة فارس علىٰ سبعة الاف مقاتل «أو عشرة الاف مقاتل كما في رواية أخرى» نرى ان هناك أسباب لتلك الهزيمة وهي:

١. صمود جيش القرمطي وثبوتهم في المعركة وكما قيل «كانت القرامطة

---

(١) تاريخ الأمم والملوك ـ الطبري ج٥ ص٦٣٢.

إذا كانوا في ألف حطموا مائة ألف وانتصفوا» ويرجع سبب صمود هؤلاء المحاربين بقولهم «نحن نقدر السلامة في الثبوت وهؤلاء يقدرونها في الهروب» وفي حقيقة الامر أن سبب صمودهم هو حال العصبية القرمطية التي يتمتعون بها في خلاف جيش الغنوي الذي يتشكل من عدة عصبيات، وهذا ما أوضحه ابن خلدون في مقدمته قوله: «إنما الصحيح في الغلب حال لعصبية أن يكون في أحد الجانبين عصبية واحدة جامعة لكلهم، وفي الجانب الآخر عصائب متعددة، لان العصائب إذا كانت متعددة يقع بينها التخاذل مايقع في الوحدان المتفرقين الفاقدين للعصبية، إذ تنزل كل عصابة منهم منزلة الواحد، ويكون الجانب الذي عصابته متعددة لايقاوم الجانب الذي عصبيته واحدة» انتهىٰ[1].

٢. بَرع القرامطة في علم التنجيم ويبدو ذلك في شعر أبو طاهر بن أبى سعيد الجنابي بعد هجومه علىٰ الكوفة ثم عودته منها بعد خمسين ليلة إلىٰ بلده هجر وكان ينوي العودة إلىٰ الكوفة بعد وقت قصير للقضاء علىٰ الخلافة العباسية فقال قصيدته ومنها:

أغركم مني رجوعي إلىٰ هجر	فعما قليل سوف يأتيكم الخبر
إذا طلع المريخ من أرض بابل	وقارنه كيوان فالحذر الحذر
فمن مبلغ أهل العراق رسالة	باني أنا المرهوب في البدو والحضر

٣. اعتمد أبى سعيد الجنابي علىٰ أساليب تساعد علىٰ كسب المعركة ومنها كما اعتقد بث الفرقة بين جيش العدو ويتضح من انسحاب اكثر من نصف جيش الغنوي بعد الليلة الأولى من المعركة مما اضعف الجيش المعادي، كما استخدم طريقة الكر والفر وأجادها وما يثبت ذلك توغل حملة نجاح غلام احمد بن عيسى بن الشيخ في ميمنة أبى سعيد فقتلوا جميعا عن آخرهم.

---

(١) مقدمة ابن خلدون ـ ص٢٥٤.

وكما يبدو أن أبى سعيد الجنابي يتمتع بشخصية قيادية وحنكة سياسية وخبرة عسكرية كما إن جنوده عودهم علىٰ خشونة العيش والاستبسال في المعارك وكان يعمل علىٰ بث الرعب في أعدائه وهو نصف المعركة، وفي النص التاريخي التالي يعرّف أبى سعيد بشخصيته كما جاء في المنتظم لابن الجوزي: «أنبأنا محمد بن أبي طاهر قال أنبأنا علي بن المحسن عن أبيه قال حدثنا القاضي أبو الحسن محمد بن عبد الواحد الهاشمي قال: سمعت العباس بن عمرو الغنوي يقول لما أسرني أبو سعيد القرمطي وكسر العسكر كان بعثه معي المعتضد إلىٰ قتاله، وحصلت في يده يئست من الحياة فأنا يوما علىٰ تلك الصورة إذ جاءني رسوله، فسلمت عليه وجلست فقال أتدري لم استدعيتك؟ قلت لا قال انك رجل عربي ومن المحال إذا استودعتك أمانة أن تخفيها ولا سيما منّي عليك بنفسك. قلت هو ذلك فقال، أنى فكرت فإذا لاطائل في قتلك وفي نفسي رسالة إلىٰ المعتضد، لا يجوز أن يؤديها غيرك فرأيت إطلاقك وتحميلك إياها إن حلفت أنك إن سيرتك إليه تؤديها، فحلفت له فقال: قل للمعتضد يا هذا، لم تخرق هيبتك، وتقتل رجالك، وتطمع أعدائك في نفسك، وتبعث في طلبي الجيوش وأنا رجل مقيم في فلاة، لازرع فيها ولا ضرع، وقد رضيت لنفسي بخشونة العيش والعز بأطراف هذه الرماح، ولا اغتصبتك بلدا ولا أزلت سلطانك عن عملك، ومع هذا فوالله لو أنفذت إلي جيشك كله ما جاز يظفر بي، لاني رجل نشأت في القشف، فأعتد ته أنا ورجالي، ولا مشقة علينا فيه وأن تنفذ جيوشك من الجيوش والثلج والريحان، فيجيئون من المسافة البعيدة الشاقة، وقد قتلهم السفر قبل قتالنا وانما غرضهم أن يبلغوا غرضا من مواقفتنا ساعة، ثم يهربون، وان هم هزموني بعد عشرين فرسخا أو ثلاثين، وجلت في الصحراء شهرا أو شهرين ثم كسبتهم علىٰ غرة فقتلتهم، وان كانوا محتزبين فما يمكنهم أن يطوفوا خلفي في الصحاري ولا تحملهم الإقامة في أماكنهم، فأنت تنفق الأموال وتكلف الرجال الأخطار وأنا سليم من ذلك وهيبتك تخترق في الأطراف كلما جرى عليك هذا فان احترت بعد

محاربتي فاستخرت الله، وان أمسكت فذلك إليك، ثم سيرني وأنفد معي عده إلىٰ الكوفه وسرت منها إلىٰ الحضرة، ودخلت إلىٰ المعتضد، فأخبرته بما قال في خلوة فرايته يتمعظ في جلده غيطا حتى ظننت أنه سيسير إليه بنفسه وخرجت فما رأيته بعد ذلك ذكره قال القاضي: كأنه عرف صدق قوله فكف عنه». انتهىٰ[1]

بهذه المواصفات لأبى سعيد الجنابي القرمطي استطاع أن يجعل معركته في آفان السيهاتيه إحدى عجائب الدنيا الثلاث.[2]

أحداث ما بعد معركة آفان:

بعد معركة آفان القطيفية، كانت بعض الحوادث شغلت الحاكم العباسي عن منازلة ابو سعيد ومنها ماذكره الطبري قوله: «ولثمان خلون من شهر رمضان منها - فيما ذكر - وردت خريطة علىٰ السلطان من الأبلة بموافاة العباس بن عمرو في مركب من مراكب البحر، وأن أبا سعيد الجنابي أطلقه وخادمًا له. ولإحدى عشرة خلت من شهر رمضان، وافى العباس بن عمرو مدينة السلام وصار إلىٰ دار المعتضد بالثريا، فذكر أنه بقي عند الجنابي أيامًا بعد الوقعة، ثم دعا به، فقال له: أتحب أن أطلقك؟، قال: نعم، قال: امض وعرف الذي وجه بك إلىٰ ما رأيت.

وحمله علىٰ رواحل، وضم إليه رجالًا من أصحابه، وحملهم ما يحتاجون إليه من الزاد والماء، وأمر الرجال الذين وجههم معه أن يؤدوه إلىٰ مأمنه، فساروا به حتى وصل إلىٰ بعض السواحل، فصادف به مركبًا، فحمله، فصار إلىٰ الأبلة، فخلع عليه المعتضد وصرفه إلىٰ منزله.

وفي يوم الخميس لإحدى عشرة خلت من شوال ارتحل المعتضد من مضربه بباب الشماسية في طلب وصيف خادم ابن أبي الساج، وكتم ذلك، وأظهر أنه يريد

---

(١) المنتظم ـ ابن الجوزي .

(٢) مقال للمؤلف نشر علىٰ صفحة شبكة راصد الاخبارية في شبكة الانترنت بتاريخ ٧/ ٦/ ٢٠٠٥م

ناحية ديار مضر.

وفي يوم الجمعة لاثنتي عشرة خلت منه، ورد الخبر - فيما ذكر - علىٰ السلطان أن القرامطة بالسواد من أهل جنبلاء وثبوا بواليهم بدر غلام الطائي، فقتلوا من المسلمين جمعًا فيهم النساء والصبيان، وأحرقوا المنازل».[١]

---

(١) تاريخ الرسل والملوك ـ الطبري.

القرامطة يدمرون مدينة هجر

بعد أن نجح القرامطة في السيطرة علىٰ معظم مدن القطيف منذ بدايات عام ٢٨٦هـ لم يتبق من مدن المنطقة المحصنة خارج سلطة القرامطة سوى مدينة هجر أكبر مدن المنطقة فاصبحت محاصرة منذ ذلك التاريخ، ويبدو من السرد التاريخي للاحداث أن الدولة العباسية لم تستطع فك حصار مدينة هجر بل إعتراها الخوف حتى في عقر دارها من خلال وصول القرامطة إلىٰ أسوار مدينة البصرة ناهيك عن حماية مدينة هجر البعيدة، لهذا حاولت الدولة العباسية تدمير القوة القرمطية في القطيف وفك الحصار عن مدينة هجر قصبة البحرين فأرسل الجيش العباسي كما تقدم وتم هزيمته هزيمة نكراء أطاحت بهيبة الدولة العباسية في منطقة القطيف وذلك عام ٢٨٧هـ، جراء تلك الاحداث المتعاقبة واصل القرامطة محاصرتهم لمدينة هجر بمعنويات مرتفعة، وانشغال الدولة العباسية بمشاكل كثيرة بالرغم أن المعتضد العباسي أعتبر الهزيمة التي لحقت بجيشه في القطيف، هي إهانه له شخصيا، لذا كانت له رغبة قوية في أعداد حملات متعاقبة حتى يتم هزيمة ابو سعيد الجنابي ولكن لم يمهله القدر وتوفى عام (٢٨٩هـ) وقد أشار إلىٰ ذلك المقريزي بقوله: «فلما وصل (عباس الغنوي) إلىٰ المعتضد عاتبه علىٰ تركه التحرز فاعتذر، ولم يبرح حتى رضى

عنه. وسأله عن خبره، فعرفه جميعه، وبلغه ما قال القرمطي، فقال: صدق، ما أخذ شيئًا كان في أيدينا. وأطرق مفكرا، ثم رفع رأسه وقال: كذب عدو الله الكافر، المسلمون رعيتي حيث كانوا من بلاد الله، والله لئن طال بي عمري لأشخصن بنفسي إلىٰ البصرة وجميع غلماني، ولأوجهن إليه جيشًا كثيفا، فإن هزمه وجهت جيشا، فإنه هزمه خرجت في جميع قوادي وجيشي إليه حتى يحكم الله بيني وبينه». [١]

مدة حصار هجر والسيطرة عليها:

أختلف المؤرخون في مدة حصار أبو سعيد الجنابي لمدينة هجر فهناك من قال تم حصارها لعدة أشهر، ومنهم من قال عدة سنوات، وفي الحقيقة أنه إختلف في السنة التي تم فيها سيطرة القرامطة علىٰ مدينة هجر، ولكن يمكننا أن نقول أنه تم سيطرتهم علىٰ هجر مابين عام ٢٨٧هـ حتى ٢٩٠هـ أي بعد هزيمة عباس الغنوي عام ٢٨٧هـ، وقبل وفاة ابو سعيد الجنابي عام ٣٠٠هـ..

وفيما يلي نورد بعض النصوص الواردة في محاصرة القرامطة لمدينة هجر حتى تم لهم الاستيلاء عليها وتدميرها وازالتها من الخارطة الهجرية حتى أيامنا هذه.

قال المقريزي: «واتفق أن البلد كان واسعًا، ولأهله عادة بالحروب، وهم رجال شداد جهال، فظفر أبو سعيد باشتهار دعوته في تلك الديار، فقاتل بمن أطاعه من عصاه، حتى اشتدت شوكته. وكان لا يظفر بقرية إلا قتل أهلها ونهبها، فهابه الناس، وأجابه كثير منهم، وفر منه خلق كثير إلىٰ بلدان شتى خوفًا من شره، ولم يمتنع عليه إلا هجر وهي مدينة البحرين ومنزل سلطانها، وبها التجار والوجوه فنازلها شهورًا يقاتل أهلها، ثم وكل بها رجلا. وارتفع فنزل الأحساء وبينها وبين هجر ميلان فابتنى بها دارا[٢]، وجعلها منزلا، وتقدم في زراعة الأرض وعمارتها،

(١) اتعاظ الحنفاء بأخبار الائمة الفاطميين الخلفاء ـ المقريزي.

(٢) كما يبدو أن أبو سعيد خلال محاصرته لمدينة هجر قام بوضع حجر الأساس لبناء مدينة الاحساء التي

وكان يركب إلىٰ هجر، ويحارب أهلها، ويعقب قومه علىٰ حصارها. ودعا العرب فأجابه بنو الأضبط من كلاب، وساروا إليه بحرمهم وأموالهم، فأنزلهم الأحساء، وأطمعوه في بني كلاب، وسائر من يقرب منه من العرب فضم إليهم رجالا، وساروا فأكثروا من القتل، وأقبلوا بالحريم والأموال والأمتعة إلىٰ الأحساء، فدخل الناس في طاعته، فوجه جيشًا إلىٰ بني عقيل فظفر بهم، ودخلوا في طاعته. فلما اجتمع إليه العرب مناهم ملك الأرض كلها، ورد إلىٰ من أجابه من العرب ما كان أخذ منهم من أهل وولد، ولم يرد عبدًا ولا أمة ولا إبلا ولا صبيا إلا أن يكون دون الأربع سنين. وجمع الصبيان في دور وأقام عليهم قومًا، وأجرى عليهم ما يحتاجون إليه، ووسمهم لئلا يختلطون بغيرهم، ونصب لهم عرفاء، وأخذ يعلمهم ركوب الخيل والطعان، فنشأوا لا يعرفون غير الحرب، وقد صارت دعوته طبعًا لهم. وقبض كل مال في البلد، والثمار، والحنطة، والشعير. وأقام رعاةً للإبل والغنم، ومعهم قوم لحفظها، والتنقل معها علىٰ نوب معروفة. وأجرى علىٰ أصحابه جرايات فلم يكن يصل لأحد غير ما يطعمه. هذا وهو لا يغفل عن هجر، وطال حصاره لهم علىٰ نيف وعشرين شهرًا حتى أكلوا الكلاب، فجمع أصحابه، وعمل دبابات، ومشى بها الرجال إلىٰ السور، فاقتتلوا يومهم، وكثر بينهم القتلى، ثم انصرف عنهم إلىٰ الأحساء، وباكرهم فناشوه، فانصرف إلىٰ قرب الأحساء، ثم عاد في خيل، فدار حول هجر يفكر فيما يكيدهم به، فإذا لهجر عين عظيمة كثيرة الماء، تخرج من نشز من الأرض غير بعيد منها، فيجتمع ماؤها في نهر يستقيم حتى يمر بجانب هجر، ثم ينزل إلىٰ النخل فيسقيه، فكانوا لا يفقدون الماء في حصارهم. فلما تبين له أمر العين انصرف إلىٰ الأحساء، ثم غدا فأوقف علىٰ باب المدينة رجالًا كثيرًا، ورجع إلىٰ الأحساء، وجمع الناس كلهم،

تبعد ميلان من مدينة هجر وبالتالي فان انتقال الحكم القرمطي من القطيف إلىٰ الاحساء كان مابين عام ٢٨٧هـ ـ ٢٩٠هـ ولكن هناك رأي آخر يتبناه المرحوم الشيخ/ محمد علي التاجر قوله أن أبو طاهر هو الذي نقل مركز ثقله إلىٰ الاحساء وأسس مدينته المؤمنية بعد أن أختلف أهل البحرين مع العقدانية (أهل الحل والعقد القرمطي)وذلك عام ٣١٤هـ. (عقد اللآل في تاريخ أوال ص٨٣).

وسار في آخر الليل فورد العين بكرة بالمعاول والرمل وأوقار الثياب الخلقان ووبر وصوف، وأمر بجمع الحجارة ونقلها إلىٰ العين، وأعد الرمل والحصى والتراب، ثم أمر بطرح الوبر والصوف وأوقار الثياب في العين، وطرح فوقها الرمل والحصى والتراب والحجارة، فقذفته العين، ولم يعن ما فعله شيئًا، فانصرف إلىٰ الأحساء بمن معه. وغدا في خيل فضرب البر حتى عرف أن منتهى العين بساحل البحر، وأنها تنخفض كلما نزلت، فرد جميع من كان معه، وانحدر علىٰ النهر نحوا من ميلين، ثم أمر بحفر نهر هنك، وأقبل يركب هو وجمعه في كل يوم والعمال يعملون حتى حفره إلىٰ السباخ، ومضى الماء كله فصب في البحر ثم سار فنزل علىٰ هجر وقد انقطع الماء عنهم ففر بعضهم فركب البحر، ودخل بعضهم في دعوته، وخرجوا إليه فنقلهم إلىٰ الأحساء، وبقيت طائفة لم يفروا لعجزهم، ولم يدخلوا في دعوته فقتلهم، وأخذ ما في المدينة، وأخربها فبقيت خرابًا، وصارت مدينة البحرين هي الأحساء. ثم أنفذ سرية إلىٰ عمان في ستمائة، وأردفهم بستمائة أخرى، فقاتلهم أهل عمان حتى تفانوا، وبقي من أهل عمان خمسة نفر، ومن القرامطة ستة نفر، فلحقوا بأبي سعيد، فأمر بهم فقتلوا، وقال: هؤلاء خاسوا بعهدي ولم يواسوا أصحابهم الذين قتلوا. وتطير بهلاك السرية، وكف عن أهل عمان».[1]

كما يذكر الحميري قوله: «ودخل أبو سعيد هذا مدينة هجر من بلاد اليمن[2] سنة سبع وثمانين ومائتين بعد حصار أربع سنين، فدخل علىٰ قوم هلكوا جوعا وهزلا وبعد أن كان الوباء وقع فيهم فمات منهم خلق، وقتل منهم القرمطي ثلاثمائة ألف فطرحهم أحياء في النار، ونجا قليل منهم إلىٰ جزيرة أوال، ولم يبق من أهل هجر يومئذ إلا عشرون رجلا».[3]

---

(١) اتعاظ الحنفاء ـ المقريزي .

(٢) يرى الحميري أن منطقة البحرين تقع ضمن نطاق اليمن وقد أشار إلىٰ ذلك في ص ١٧٦ فيما يتعلق بجزيرة جنابا وحددها أنها جزيرة في البحر من جزائر البحرين باليمن .

(٣) الروض المعطار في خبر الأقطار ـ الحميري ص١٧٦.

إذا اعتمدنا علىٰ قول الحميري أن أبو سعيد دخل هجر عام ٢٨٧هـ بعد حصار دام أربع سنوات، هذا يعني أن أبو سعيد حاصرها سنة ثلاث وثمانين ومائتين حتى دخلها في سنة سبع وثمانين ومائتين، أي أن ابو سعيد أستطاع أيضا أن يحاصر مدن القطيف الأخرى طيل تلك السنين حتى سيطر عليها في عام ست وثمانين ومائتين كما سبق ذكره، وبعد انتصاره علىٰ جيش عباس الغنوي، أرتفعت معنويات جيش القرمطي وافتتح هجر بعد حصارها لفترة زمنية طويلة.

إحدى هزائم القرامطة، في عام ٢٨٧هـ

بالرغم من انتصار قرامطة هجر علىٰ جيش المعتضد العباسي في عام ٢٨٧هـ الا أن القرامطة في سواد الكوفة تعرضوا إلىٰ هزيمة كبرى علىٰ يد الجيش العباسي كما ذكر الطبري قوله: «وفي يوم السبت لاثنتي عشرة خلت من ذي القعدة أوقع بدر غلام الطائي بالقرامطة علىٰ غرة منهم بنواحي روذميستان وغيرها، فقتل منهم ـ فيما ذكر ـ مقتلة عظيمة، ثم تركهم خوفًا علىٰ السواد أن يخرب؛ إذ كانوا فلاحية وعماله، وطلب رؤساءهم في أماكنهم، فقتل من ظفر به منهم؛ وكان السلطان قد قوى بدرًا بجماعة من جنده وغلمانه بسببهم للحدث الذي كان منهم».[١]

ومن أحداث عام ٢٨٧هـ التي شغلت الدولة العباسية عن مواجهة قرامطة هجر. أسر عمرو بن الليث وقتله وانقراض الدولة الصفارية:

قال النويري: «وفي سنة سبع وثمانين ملك خراسان من عمرو بن الليث الصفار، وسبب ذلك أن عمرا كان قد أرسل إلىٰ الخليفة المعتضد بالله يطلب منه أن يوليه ما وراء النهر، فوجه إليه الخلع واللواء بذلك، وكان هو إذ ذاك بنيسابور، فوجه لمحاربة إسماعيل محمد بن بشير - وكان صاحبه وخليفته - وعشرة من قواده، فتوجهوا إلىٰ آمل فعبر إليهم إسماعيل نهر جيحون، والتقوا فهزمهم وقتل محمد بن بشير في نحو

(١) تاريخ الطبري تاريخ الأمم والملوك ج٥ ص٦٣٥.

سنة آلاف رجل، وبلغ المنهزمون إلىٰ عمرو بنيسابور وعاد إسماعيل إلىٰ بخاري، فتجهز عمرو لقصده وسار من بينسابور نحو بلخ، فراسله إسماعيل يستعطفه ويقول: إن ولايتك قد اتسعت ولك دنيا عريضة، وأنه ليس بيدي إلا ما وراء النهر، وأنا في ثغر فاقنع بما في يدك واتركني، فأبى عمرو إلا قتاله، فذكر أصحاب عمرو له شدة العبور إلىٰ نهر بلخ، فقال: لو شئت أن أسكره ببدر الأموال لفعلت، وسار إسماعيل نحوه وعبر النهر إلىٰ الجانب الغربي، ونزل عمرو بلخ وأخذ إسماعيل عليه النواحي لكثرة جيوشه، فبقي عمرو كالمحاصر فطلب المحاجزة فأبى إسماعيل، والتقوا واقتتلوا فلم يكن بينهم كبير قتال حتى ولى عمرو هاربًا، ومر بأجمة في طريقه فقبل له إنها أقرب الطرق فقصدها في نفر يسير وقال لعامة من معه: اسلكوا الطريق الواضح، ودخل الأجمة فوحل به فرسه ومضى من معه، فجاء أصحاب إسماعيل فأخذوه أسيرًا، فسيره إسماعيل إلىٰ سمرقند، فلما وصل الخبر إلىٰ المعتضد ذم عمرًا ومدح إسماعيل، وقال: ثم خيره إسماعيل بين المقام عنده أو إنفاذه إلىٰ المعتضد فاختار التوجه إلىٰ الخليفة فسيره إليه، كانت هذه الوقعة في شهر ربيع الأول من السنة.

وأرسل الخليفة المعتضد بالله إلىٰ إسماعيل الخلع، وولاه ما كان بيد عمرو وخلع علىٰ نائبه بالحضرة وهو المعروف بالمرزباني، فاستولى إسماعيل علىٰ خراسان وصارت بيده.مملكة طبرستان»[1].

الداعي العلوي يخرج في أرض طبرستان عام ٢٨٧هـ:

قال المسعودي: «وفي هذه السنة- وهي سنة سبع وثمانين ومائتين- كان مسير الداعي العلوي من طبرستان إلىٰ بلد جرجان في جيوش كثيرة من الديلم وغيرهم فلقيته جيوش المسودة من قبل إسماعيل بن أحمد، وعليها محمد هارون، فكانت وقعة لم ير مثلها في ذلك العصر، وصبرَ الفريقان جميعًا وكانت للمبيضة

(١) نهاية الأرب في فنون الأدب النويري.

علىٰ المسودة، ثم كانت مكيدة من محمد بن هارون لما رأى من ثبوت الديلم علىٰ مَصَافها، فلم ينقض صفوفه، وولى فأسرعت الديلم ونقضت صفوفها، فرجعت عليهم المسودة، وأخذ السيف، فقتل منهم بشر كثير وأصاب الداعي ضربات، وذلك أن أصحابه لما نقضوا صفوفهم في الغنيمة ولم يعرجوا عليه ثبت مع من وقف لنصره فكرت عليهم الجيوش، فأسفرت الحرب وقد أثخِنَ يا لكُلُوم، وأسر ولى زيد بن محمد بن زيد وغيره، وبقى محمد الداعي أيامًا يسيرة، وتوفى لما ناله، فدفن بباب جرجان وقبره هناك معظم إلىٰ هذه الغاية».[1]

بالرغم من رغبة المعتضد العباسي الانتقام من قرامطة البحرين إلا أن هناك كانت أولويات كان يجب القيام بها ومنها القضاء علىٰ وصيف الخادم في الشام عام ٢٨٨هـ

قال المسعودي: «وفي هذه السنة- وهي سنة ثمان وثمانين ومائتين- كان دخول المعتضد إلىٰ الثغر الشامي في طلب وصيف الخادم، وراسله رشيق المعروف بالخزامي، واستأمن بالمعتضد وصيف البكتمري وغيره من القواد قواد الخادم، وأصحابه، ولد كان وصيف الخادم لما أخِذَ الأكثر من أصحابه أراد الدخول إلىٰ أرض الروم تعلق بالدروب، وقد كان المعتضد أسرع في السير من بغداد وسَتَرَ أخباره ولم يعلم بذلك وصيف مع شدة حذره وتفقده لأمره، حتى عبر المعتضد الفرات وسار إلىٰ الشام، فلم يُفْلح جسد المعتضد لذلك لما أتعب نفسه في سرعة السير، وقد كان المعتضد لما توسط الثغر الشامي خلف سواده بالكنيسة السوداء، وجرد القواد في طلب وصيف، فساروا في طلبه خمسة عشر ميلًا إلىٰ أن أدركه أوائل الخيل وفيهم خاقان المفلحي ووصيف موشكين وعلى كورة وغيرهم من القواد، فقاتلهم وصيف، وذلك في الموضع المعروف بدرب الجب، فلما أشرف المعتضد ووصيف قد خَذَلَه أصحابه وتفرق عنه جمعه أسر وأتي به المعتضد، فسلمه إلىٰ مؤنس الخادم،

---

(١) مروج الذهب ـ المسعودي .

وأمن جميع أصحابه إلا نفرًا انضافوا إليه من الثغر الشامي وغيره وأحرق المعتضد المراكب الحربية، وحمل من طرسوس أبا إسحاق إمام الجامع، وأبا عمير عدي بن أحمد بن عبد الباقي صاحب مدينة أذَنَةَ من الثغر الشامي وغيرهم من البحريين مثل البغيل وابنه، وكان دخول المعتضد إلىٰ مدينة السلام في المساء لسبع خلون من صفر سنة ثمان وثمانين ومائتين، ودخل جعفر بن المعتضد وهو المقتدر وبدر الكبير وسائر الجيش علىٰ الظهر، وقد زينت الطرق، وبين أيدي وصيف الخادم علىٰ جمل فالج وعليه دراعة ديباج وبرنس، وخلة علىٰ جمل آخر البغيل، وخلف البغيل ابنه علىٰ جمل آخر، وخلف البغيل علىٰ جمل آخر رجل من أهل الشام يعرف بابن المهندس، وقد لبسوا الدراريع من الحرير الأحمر والأصفر، وعلى رؤوسهم البرانس وطُوِّق وسُوِّرَ خاقان المفلحي وغيره من القواد ممن أبْلَى في ذلك اليوم الذي كان فيه أسر وصيف الخادم، وقد كان المعتضد أراد استحياء وصيف الخادم وأسف علىٰ كوت مثله لشهامته وحسن حيله وإقدامه، ثم قال: ليس في طبع هذا الخادم أن يرأسه أحد، بل في طبعه أن يرؤس في نفسه؛ وقد كان بعث إليه بعد أن قبض عليه وأوثق بالحديد: هل لك من شهوة؟ قال: نعم، باقة من الريحان أشمها، وكتب من سير الملوك الغابرة أنظر فيها، فلما رجع الرسول إلىٰ المعتضد وأخبره بما سأله أمر له بما طلب، وأمر من يراعي نظرة في الكتب، في أي فصل ينظر؟ فأخبر أو يديم النظر في سير الملوك وحروبها ومحنها، عون سائر ما حمل إلىٰ حضرته من الدفاتر، فتعجب المعتضد وقال: هو يُهَوِّنُ علىٰ نفسه الموت».

كما يذكر المسعودي أيضا من أحداث هذه السنة قوله: «وفي هذه السنة أدخل عمرو بن الليث إلىٰ مدينة السلام في جمادى الأولى، قدم به عبد الله بن الفتح رسول السلطان، فشهر عمرو، وأركب علىٰ جمل فالج وقد ألبس دراعة ديباج وخلفه بحر والوزير القاسم بن لبيد الله في الجيش، فأتوا به الثريا، فرآه المعتضد، ثم أدخل المطامير، وقد كان في هذا الوقت ثارت عساكر الشاكرية من قبل طاهر بن محمد

بن عمرو بن الليث غضبًا لجده عمرو، ولحقته ببلاد الأهواز، وخرجت عن حدود فارس، واضطرب الأمر، وبعث المعتضد عبد اللّه بن الفتح وأشناس إلىٰ إسماعيل بن أحمد ومعهما هدايا، منها: مائة بدنة ديباج، منسوجة بالذهب، مُرَصَّعَة بالجوهر، ومنطقة ذهب مرَصَّعَة بالجوهر، وغير ذلك من الجواهر، وثلاثمائة ألف دينار ليفرقها في أصحابه، ويبعثهم إلىٰ بلاد سجستان إلىٰ حرب طاهر بن محمد بن عمرو بن الليث، وأمر عبد اللّه بن الفتح أن يحمل في طريقه من خراج ما يجتاز به ن بلاد الجبل عَشَرَةَ آلاف ألف درهم، ويضيفها إلىٰ الثلاثمائة ألف دينار، سار بدر غلام المعتضد باللّه في عساكره إلىٰ بلاد فارس من هذه السنة، فنزل شيراز، وانكشف عن البلد الشاكرية».[١]

أحداث عام ٢٨٨هـ

زكرويه يبحث عن موطىء قدم في الشام بعد قتله عبدان القرمطي. ويذكر المؤرخون أن زكرويه بن مهرويه هو من قام بقتل الداعيه القرمطي عبدان، في منافسة علىٰ زعامة الدعوة الإسماعيلية، فاكتشف اتباع عبدان قاتل سيدهم، فطلبوه وبحثوا عنهم وتخفى في السواد، ونشر اتباعه إلىٰ الشام وجمع أعوان واتباع وكان ذلك عام ٢٨٨هـ.

وذكر النويري ذلك بقوله: «قد قدمنا من أخبار زكرويه بن مهرويه واختفائه وحرص أصحاب عبدان علىٰ قتله، وأنه لما طال عليه الأمر أرسل ابنه الحسن إلىٰ الشام وذلك في سنة ثمان وثمانين ومائتين.

قال الشريف أبو الحسين محمد بن علي الحسيني رحمه الله: ولما أرسل زكرويه بن مهرويه ابنه إلىٰ الشام أرسل معه رجلًا من القرامطة من أهل نهر ملحانا، يقال له الحسن بن أحمد ويكنى بأبي الحسين، وأمره أن يقصد بني كلب وينتسب لهم

---

(١) مروج الذهب ـ المسعودي.

محمد بن إسماعيل بن جعفر، ويدعوهم إلىٰ الإمام من ولده، فاستجاب له فخذ من بني العليص بن ضمضم بن عدي بن جناب بن كلب بن وبرة ومواليهم وانضاف إليه طائفة من بني الأصبع من كلب، ويسمى هؤلاء بالفاطميين وبايعوه، وكان الخبيث لما رجع إلىٰ الطالقان يكتب إلىٰ زكرويه يستأذنه في القدوم عليه، فيجيب بالتوقف، فخرج نحو العراق، فلما وصل إلىٰ السواد وجد زكرويه مختفيًا، فلم يزل حتى توصل إلىٰ المكان الذي هو فيه، فلم يظهر له لومًا علىٰ قدومه وبعث إليه بخبر من استجاب له بالشام، فقال: أنا أخرج حتى أظهر فيهم هناك، فوجه إليه نعم ما رأيت، فضم إليه ابن أخته عيسى بن مهرويه، ويسمى بالمدثر لقبًا وبعبد الله اسمًا، وغلامًا من بني مهرويه فتلقب بالمطوق وكان سياقًا، وأنفذهم إلىٰ الشام، وكتب إلىٰ ابنه الحسن يعرفه أنه ابن الحجة، ويأمره له بالسمع والطاعة، فسار حتى نزل في بني كلب، فلقيه الحسن بن زكرويه وسروا به، وجمع له الجمع وقال: هذا صاحب الإمام فامتثلوا أمره، وسروا به وقالوا له: مرنا بأمرك وبما أحببت، فقال لهم: استعدوا للحرب فقد أظلكم النصر، ففعلوا ذلك، واتصلت أخبارهم بشبل الديلمي مولى المعتضد، وذلك في سنة تسع وثمانين ومائتين فقصدهم فقتلوه وقتلوا جماعة من أصحابه، وكانت الوقعة بالرصافة من غربي الفرات، ودخلوا الرصافة واحرقوا مسجدها ونهبوها، وأصعدوا نحو الشام، واعترضوا الناس بالقتل والتحريق ونهب القرى، إلىٰ أن وردوا أطراف دمشق، وكان هارون بن خمارويه بن أحمد بن طولون رد أمر دمشق إلىٰ طغج بن جف الفرغاني، فلقيتهم عساكره فانهزمت ولم تثبت، وقتل كثير منهم وأخذوا منهم ما قدروا عليه.

قال: ولما هزم طغج نزل علىٰ دمشق وقاتل أهل البلد، وكان يحضر الحرب علىٰ ناقة ويقول لأصحابه: لا تسيروا من مصافكم حتى تنبعث بين أيديكم، فإذا سارت فاحملوا فإنه لا ترد لكم دابة إذ كانت مأمورة، فسمي بذلك صاحب الناقة، وحصر طغج بدمشق سبعة أشهر، فكتب إلىٰ طغج إلىٰ مصر بخبر من قتل من أصحابه، وأنه

محصور وقد فني أكثر الناس وخرب البلد، فأنفذوا إليه بدرًا الكبير غلام ابن طولون - وهو المعروف بالحمامي - فسار حتى قرب من دمشق وخرج إليه طغج واجتمعوا علىٰ محاربة القرامطة، والتقوا واقتتلوا بقرب دمشق، فأصاب رئيس القرامطة - ابن القداح - سهم فقتله، ويقال أصابه الزراقون بمزراق فيه نفط فاحترق، وحمى أصحابه فقاتلوا عسكر بدر الحمامي وطغج حتى انحازوا عنهم وانصرفت القرامطة وكان صاب الناقة هذا المقتول قد ضرب دنانير ودراهم، وكتب علىٰ السكة علىٰ أحد الوجهين: قل جاء الحق وزهق الباطل، وعلى الوجه الآخر: لا إله إلا الله، قل لا أسألكم عليه أجرًا إلا المودة في القربى. قال: فلما انصرفت القرامطة عن دمشق بعد قتل الطاغية بايعوا: الحسن بن زكرويه بن مهرويه فسمى نفسه أحمد وتكنى بأبي العباس وهو صاحب الشامة.

قال ابن الأثير: «ولما بايعه القرامطة دعا الناس فأجابه كثير من أهل البوادي وغيرهم، فاشتدت شوكته وأظهر شامة في وجهه، وزعم أنها آيته».[1]

وفي عام ٢٨٩هـ صلب وصيف الخادم:

قال المسعودي في مروجه: «وفي أول يوم من المحرم- وهو يوم الثلاثاء من سنة تسعٍ وثمانين ومائتين- توفي وصيف الخادم، فأخرج وصلب علىٰ الجسر بدقَ بلا رأس، وقد كان الخدم سألوا المعتضد أن يستروا عورته، فأباح لهم ذلك، فألبس ثيابًا، وَلُفَّ عليه ثوب جديد، وخيط علىٰ مكان الثياب من سرته إلىٰ الركبتين، وطلى بدنه بالصبر وغيره من الأطلية القابضة والماسكة لأجزاء جسمه، فأقام مَصْلُوبًا علىٰ الجسر لا يبلى إلىٰ سنة ثلاثمائة في خلافة المقتدر بالله.

وفي هذه السنة شغب الجند والعامة، فعمدت العامة إليه تماجُنًا وحطوه من فوق الخشبة، وقالوا: قد وجب علينا حق الأستاذ أبي علي وصيف الخادم لطول

(١) نهاية الأرب في فنون الأدب ـ النويري.

مجاورته لنا وصبره علينا، ولا يبلى علىٰ هذه الخشبة، فلفوه في رداء بعضهم، وحملوه علىٰ أكتافهم، وهم نحو من مائة ألف من الناس: يرقصون ويغنون ويصيحون حوله: الأستاذ، الأستاذ، فلما ضجروا من ذلك طرحوه في دجلة فغرق في ذلك اليوم منهم قوم في دجلة وذلك أنهم شَيَّعوه في الماء سباحة، فغرق منهم في جرية الماء خلق كثير».[١]

وفي هذه السنة أيضا قتل أبو الفوارس القرمطي:

قال المسعودي: «وفي هذه السنة أتي بجماعة من القَرَامطة من ناحية الكوفة، منهم المعروف بأبي الفوارس فأدخلوا علىٰ الجمل، فأمر المعتضد بالله بقتل أبي الفوارس بعد أن قطعت يداه ورجلاه، وصلب إلىٰ جانب وصيف الخادم، ثم حول إلىٰ ناحية الكنائس مما يلي الياسرية من الجانب الغربي، فصلب مع قَرَامطة هناك. وقد كان لأهل بغداد في قتل أبي الفوارس هذا أراجيف كثيرة وذلك أنه لمَّا قُدِّمَ ليضرب عنقه أشاعت العامة أنه قال لمن حضر قتله من العوام: هذه عمامتي تكون قبلك، فإني راجع بعد أربعين يومًا، فكان يجتمع في كل يوم خلائق من العوام تحت خشبته ويحصون الأيام ويقتتلون ويتناظرون في الطرق في ذلك، فلما تمت الأربعون يومًا- وقد كان كثر لغطهم، واجتمعوا، فكان بعضهم يقول: هذا جسده، ويقول آخر: قد مُر، وإنما السلطان قتل رجلًا آخر وصلبه لكي لا يفتتن الناس- فكثر تنازع الناس في ذلك حتى نودي بتفريقهم، فترك التنازع والخوض فيه».[٢]

توفي المعتضد العباسي في ربيع عام ٢٨٩هـ

قال المسعودي في مروجه: «وكانت وفاة المعتضد لأربع ساعات خلت من ليلة الاثنين لثمانٍ بَقِينَ من ربيع الآخر سنة تسع وثمانين ومائتين، في قصره المعروف

---

(١) مروج الذهب ـ المسعودي .

(٢) مروج الذهب ـ المسعودي .

بالحسني، بمدينة السلام، وقيل: إن وفاته كانت بسمّ إسماعيل بن بلبل قبل قتله إياه، فكان يَسْرِي في جسده، ومنهم من ذكر أن جسمه تحلل في مسيره في طلب وصيف الخادم علىٰ ما ذكرنا، ومنهم مَنْ رأى أن بعض جواريه سَمَّتْهُ في منديل أعطته إياه يتنشَّفُ به، وقيل غير ذلك مما عنه أعرضنا.

وقد كان أوصى أن يُدْفَنَ في دار محمد بن عبد اللّه بن طاهر، في الجانب الغربي من الدار المعروفة بدار الرخام، فلما اعتراه الغَشْيُ ووقع للموت شَكُوا في وفاته، فتقدم الطبيب إلىٰ بعض أعضائه فجسه فأحس به وهو علىٰ ما به من السكرات، فأنف من ذلك وَرَكَلَه برجله فقلبه أذرعًا، فيقال: إن الطبيب مات منها، ومات المعتضد من ساعته، وسمع ضجة وهو علىٰ ما به من الحال، ففتح عينيه، وأشار بيديه كالمستفهم، فقال له مؤنس الخادم: يا سيدي، الغلمان قد ضجوا عند القاسم بن عبيد اللّه، فأطلقنا لهم العَطَاء، فقَّطب وهمهم في سكرته، فكادت أَنْفُسُ الجماعة أن تخرج من هَيْبته، وحمل إلىٰ دار محمد بن عبد اللّه بن طاهر، فدفن بها.

قال المسعودي: وللمعتضد أخبار وسير وحروب؟ مسير في الأرض غير ما ذكرنا، قد أتينا علىٰ ذكرها والغُرَر من مبسوطها في كتابينا: أخبار الزمان والأوسط».[1]

المكتفي يرث الحكم العباسي بعد وفاة ابيه عام ٢٨٩هـ

قال المسعودي: «وبويع المكتفي باللّه- وهو علي بن أحمد المعتضد- بمدينة السلام، في اليوم الذي كانت فيه وفاة أبيه المعتضد، وهو يوم الاثنين لثمان بقين من شهر ربيع الآخر سنة تسع وثمانين ومائتين، وأَخَذَ له البيعة القاسم بن عبيد الله، والمكتفي يومئذ بالرقة، وللمكتفي يومئذ نيف وعشرون سنة، ويكنى بأبي محمد، فكان وصول المكتفي إلىٰ مدينة السلام من الرقة يوم الاثنين لسبع ليال بقين من جمادى الأولى سنة تسع وثمانين ومائتين، وكان دخوله في المساء، ونزل قصر

---

(١) مروج الذهب ـ المسعودي .

الحسنى علىٰ دجلة، وكانت وفاته يوم الأحد لثلاث عشرة ليلة خلت من ذي القعدة سنة خمس وتسعين ومائتين وهو يومئذ ابن إحدى وثلاثين سنة وثلاثة أشهر، فكانت خلافته ست سنين وسبعة أشهر واثنين وعشرين يومًا، وقيل: ست سنين وستة أشهر وستة عشر يومًا، علىٰ تباين الناس في تواريخهم، والله أعلم.

ذكر جمل من أخباره وسيرهولمع مما كان في أيامه اسم علي في الخلفاءولم يتقلد الخلافَةَ إلىٰ هذا الوقت- وهو سنة اثنتين وثلاثين وثلاثمائة- من خلافة المكتفي بالله من اسمه علي إلا علي بن أبي طالب والمكتفي.

ردّ المظالم إلى أهلها.

ولما نزل المكتفي قصر الحسني في اليوم الذي كان فيه دخوله إلي مدينة السلام خلع علىٰ القاسم بن عبيد الله، ولم يخلع علىٰ أحد من القُوّاد، وأمر بهدم المطامير التي كان المعتضد اتخذها لعذاب الناس، وإطلاق من كان محبوسًا فيها، وأمر بردِّ المنازل التي كان المعتضد اتخدها لموضع المطامير إلىٰ أهلها، وفرق فيهم أموالًا، فمالت قلوب الرعية إليه، وكثر الداعي له بهذا السبب.وغلب عليه القاسمَ بن عُبَيد اللهّ وفاتك مولاه ثم غلب عليه بعد وفاة القاسم بن عبيد الله وزيره العباس بن الحسن وفاتك، وقد كان القاسم بن عبيد الله أوقع بمحمد بن غالب الأصبهاني، وكان يتقلد ديوان الرسائل وكان ذا علم ومعرفة، وأوقع بمحمد بن بشارٍ وابن منسارة لشيء بلغه عنهم، فأوثقهم بالحديد، وأحْدَرَهُمْ إلىٰ البصرة، فيقال: إنهم غرقوا في الطريق، ولم يعرف لهم خبر إلىٰ هذه الغاية؛ ففي ذلك يقول علي بن بسام: عذرناك في قتلك المسلمين وقلنا: عداوة أهل الملـل فهذا المناريُّ مـا ذنـبـه ودينكما واحـد لـم يزل إيقاعه ببدر

وقد كانت الحال انفرجت بين القاسم بن عبيد الله وبدر قبل هذا الوقت، **فلما استخلف المكتفي أغراه القاسم ببدر، وكان ميل جماعة من القواد عن بدر**

فساروا إلىٰ حضرة السلطان، وسار بدر إلىٰ واسط، فأخرج القاسم المكتفي إلىٰ نهر ذيال، فعسكر هنالك، وجعل في نفس المكتفي من بدر كل حالة يقدر عليها من الشر، وأغراه به، فأحضر القاسم أبا حازم القاضي وكان ذا علم ودراية فأمره عن أمير المؤمنين بالمسير إلىٰ بدر فيأخذ له الأمان ويجيء به معه ويضمن له عن أمير المؤمنين ما أَحَبَّ، فقال أبو حازم: ما كنت أبلِّغُ عن أمير المؤمنين رسالة لم أسمعها منه، فلما امتنع عليه أحضر أبا عمرو محمد بن يوسف القاضي فأرسل به إلىٰ بدر في شذاء، فأعطاه الأمان والعهود والمواثيق عن المكتفي، وضمن له أن لا يسلمه عن يده إلا عن رؤية أمير المؤمنين، فخلى عسكره، وجلس معه في الشذاء مُصْعِدِينَ فلما انتهوا إلىٰ ناحية المدائن والسبب تلقاه جماعة من الخدم فأحاطوا بالشذاء، وتنحى أبو عمرو عنه إلىٰ طيار فركب فيه، وقرب بدر إلىٰ الشط، وسألهم أن يصلي ركعتين، وذلك في يوم الجمعة لست خلون من شهر رمضان سنة تسع وثمانين ومائتين قبل الزوال من ذلك اليوم، فأمهلوه للصلاة، فلما كان في الركعة الثانية قطعت عنقه وأخذ رأسه فحمل إلىٰ المكتفي، فلما وضع الرأس بين يدي المكتفي سجد وقال: الآن ذقت طعم الحياة ولذة الخلافة.

ودخل المكتفي إلىٰ مدينة السلام يِوم الأحد لثمان خلون من شهر رمضان؛ ففي محمد بن يوسف القاضي يقول بعض الشعراء في ضمانة لبدر العهودَ والمواثيقَ عن المكتفي:

قل لقاضي مدينة المنصور	بِمَ أحللت أخْذَ رأس الأمير؟
بعد إعطائه المواثيقَ والعهدَ	وَعَقْدَ الأمان في منشور
أيْنَ أيمانك التي يشهد اللّٰه	علىٰ أنها يمين فُجُورِ؟
أين تأكيدك الطَلاَقَ ثلاثًا	ليس فيهنَّ نية التخيير؟
أن كَفَّيْكَ لا تفارق كَفَّيْه	إلىٰ أن ترى مَلِيكَ السرير
يا قليل الحياء يا أكذب الأمة	يا شاهدًا شهادة زور

ليس هذا فعل القضاة، ولا ... تُحْسِنُ أمثاله ولاة الجسور
قد مضى من قتلت في رمضان ... راكعًا بعد سَجْدة التكبير
أي ذنب أتَيْتَ في الجمعة الزهر ... اء في خير خير خير الشهور؟
فأعِدَّ الجواب للحَكَم العادل ... من بعد منكر ونكير
يابني يوسف بن يعقوب أضحى ... أهْلُ بغداد منكُمُ في غرور
شَتَّتَ اللّه شملكم، وأراني ... بكم الذل بعد ذل الوزير
أنتم كلكم فداء أبي حا ... زم المستقيم كل الأمور

منزلة بدر:

قالوا: وكان بدر حرًا، وهو بدر بن خير من موالي المتوكل، وكان بدر في خدمة ناشئ غلام الموفق صاحب ركابه، ثم اتصل بالمعتضد، وقرب من قلبه وخفَّ بين يديه في أيام الموفق، وكان للمعتضد غلام يُقال له فاتك، وكان من أغلى غلمانه، فبعُدَ من قلبه، وانحطت مرتبته، وكان السبب في ذلك أن المعتضد غضب علىٰ بعض جواريه فأمر ببيعها، فدسَّ فاتك من ابتاعها له، فكان السبب في إبعاده من قلب المعتضد عند نموِّ ذلك إليه، وزاد أمر بدر، وعَلَتْ مرتبته، حتى كان يلتمس الحوائج به من المعتضد، وكانت الشعراء تقرن مدح بدر بمدح المعتضد، وكذلك من خاطبه فيما عدا المنظوم من الكلام.

قال المسعودي: وأخبرني أبو بكر محمد بن يحيى الصولي النديم الشطرنجي بمدينة السلام، قال: كان لي وعد علىٰ المعتضد، فما ظفرت به حتى عملت قصيدة ذكرت فيها بدرًا أولها:

أيها الهاجر مَزْحًا لا مجد ... أجَزَاءُ الود أن يُلْقَى بصد؟
لأمير المؤمنين المعتضد ... بَحْرُ جودٍ ليس يعدوه أحد
وأبو النجم لمن يقصده ... جدول منه إلىٰ البحر يَرِدْ
قد مضى الفطر إلىٰ الأضحي وقد ... آن أن يقرب وعد قد بعد

ما اقتضائي الوَعْدَ أنْ لَسْتُ علىٰ ثقة من أنه أخْذٌ بيد
غير أن النفس تهوى عاجلا وسوا أعطى كريم أو وَعَدْ

قال: فضَحِكَ وأمر بما وعدني به.

وأخبرنا محمد بن النديم بمدينة السلام، قال: سمعت المعتضد يقول: أنا آنَفُ من هبة القليل، ولا أرى الدنيا لو كانت لي أموالها وجمعت عندي تفي بقدر جودي، والناس يزعمون أني بخيل، أتراهم لا يعلمون أني جعلت أبا النجم بيني وبينهم أعرف ما مبلغ ما ينفقه يومًا فيومًا لو كنت بخيلًا ما أطلقت ذلك له.

واخبرنا أبو الحسن علي بن محمد الفقيه الوَرَّاقُ الأنطاكي بمدينة أنطاكية قال: أخبرني إبراهيم بن محمد الكاتب، عن يحيى بن علي المنجم النديم قال: كنت يومًا بين يدي المعتضد وهو مُقَطِّب، فأقبل بدر، فلما رآه من بعيد ضحك وقال لي: يا يحيى، من الذي يقول من الشعراء: في وجهه شافع يمحو إساءته من القلوب وَجِيهٌ حيثما شَفَعا

فقلت: يقوله الحكم بن قنبرة المارني البصري، فقال: للّه عرهُ أنشدني هذا الشعر، فأنشدته:

وَيْلِي علىٰ مَنْ أطار النوم.فامتنعا وزاد قلبي علىٰ أوجاعه وَجَعا
كأنما الشمس في أعطافه لمعت حسنًا، أو البدر من أزراره طلعا
مستقبل بالذي يهوى وإن كثرت منه الذُّنُوبُ ومعذور بما صنعا
في وجهه شافع يمحو إساءته من القلوب وَجِية حيثما شفعا

قال: وأخذ قوله:

أو البدر من أزراره طلعا أحمد بن يحمى بن العراف الكوفي فقال: بدا وكأنما قمر علىٰ أزراره طلعا يحتُ المسك من عرق الجبين بنانه ولعًا».[1]

---

(١) مروج الذهب ـ المسعودي ج٤ ص٣١٣.

من أحداث ٢٨٩هـ:

قال المسعودي في مروجه: «في سنة تسع وثمانين ومائتين ظهر القِرْمِطِيُّ بالشام، وكان من حروبه مع طغج وعساكر المصريين ما قد اشتهر خبره، وقد أتيا علىٰ ذكره فيما سلف من كتبنا وما كان من خروج المكتفي إلىٰ الرقة وأخذ القَرَامِطة وذلك في سنة إحدى وتسعين ومائتين، وكذلك ما كان من ذكرويه بل مهرويه ووقوعه بالحاج في سنة أربع وتسعين ومائتين إلىٰ أن قتل وأدخل إلىٰ مدينة السلام».[1]

انتشار القرامطة بسواد الكوفة وقتل القرمطي ابو الفوارس عام ٢٨٩هـ:

قال الطبري: ثم دخلت سنة تسع وثمانين ومائتين ذكر الخبر عن الكائن فيها من الأمورفمن ذلك ما كان من انتشار القرامطة بسواد الكوفة، فوجه إليهم شبل غلام أحمد بن محمد الطائي، وتقدم إليه في طلبهم، وأخذ من ظفر به منهم وحملهم إلىٰ باب السلطان.

وظفر برئيس لهم يعرف بابن أبي فوارس، فوجه به معهم، فدعا به المعتضد لثمان بقين من المحرم، فساءله، ثم أمر به فقلعت أضراسه، ثم خلع بمد إحدى يديه ـ فيما ذكر ـ ببكرة، وعلق في الأخرى صخرة، وترك علىٰ حالة تلك من نصف النهار إلىٰ المغرب، ثم قطعت يداه ورجلاه من غد ذلك اليوم، وضربت عنقه، وصلب بالجانب الشرقي، ثم حملت جثته بعد أيام إلىٰ الياسرية، فصلب مع من صلب هنالك من القرامطة.

ولليلتين خلتا من شهر ربيع الأول، أخرج من كانت له دار وحانوت بباب الشماسية عن داره وحانوته، وقيل لهم: خذوا أقفاصكم واخرجوا؛ وذلك أن المعتضد كان قد قدر أن يبني لنفسه دارًا يسكنها، فخط موضع السور، وحفر بعضه، وابتدأ في بناء دكة علىٰ دجلة، كان المعتضد أمر ببنائها لينتقل فيقيم فيها إلىٰ أن يفرغ

---

(١) مروج الذهب ـ المسعودي ج٤ ص٣١٤.

من بناء الدار والقصر.

وفي ربيع الآخر منها ليلة الأمير توفي المعتضد، فلما كان في صبيحتها أحضر دار السلطان يوسف بن يعقوب وأبو خازم عبد الحميد بن عبد العزيز وأبو عمر محمد بن يوسف بن يعقوب، وحضر الصلاة عليه الوزير القاسم بن عبيد الله بن سليمان، وأبو خازم وأبو عمر والحرم والخاصة، وكان أوصى أن يدفن في دار محمد بن عبد الله بن طاهر، فحفر له فيها، فحمل من قصره المعروف بالحسنى ليلًا، فدفن في قبره هنالك». [١]

أسباب ظهور القرامطة بالشام عام ٢٨٩هـ:

قال الطبري: «ذكر خبر هذا الرجل الذي ظهر بالشام وما كان من سبب ظهوره بها: ذكر أن زكرويه بن مهرويه الذي ذكرنا أنه كان داعيًا قرمط لما تتابع من المعتضد توجيه الجيوش إلىٰ من بسواد الكوفة من القرامطة، وألح في طلبهم، وأثخن فيهم القتلى، ورأى أنه لا مدفع عن أنفسهم عند أهل السواد ولا غناء، سعى في استغواء من قرب من الكوفة من أعراب أسد وطيء وتميم وغيرهم من قبائل الأعراب، ودعاهم إلىٰ رأيه؛ وزعم لهم أن من بالسواد من القرامطة يطابقونهم علىٰ أمره إن استجابوا له.

فلم يستجيبوا له، وكانت جماعة من كلب تخفر الطريق علىٰ البر بالسماوة فيما بين الكوفة ودمشق علىٰ طريق تدمر وغيرها، وتحمل الرسل وأمتعة التجار علىٰ إبلها، فأرسل زكرويه أولاده إليهم، فبايعوهم وخالطوهم، وانتموا إلىٰ علي بن أبي طالب وإلى محمد بن إسماعيل بن جعفر، وذكروا أنهم خائفون من السلطان، وأنهم ملجئون إليهم، فقبلوهم علىٰ ذلك، ثم دبوا فيهم بالدعاء إلىٰ رأى القرامطة؛ فلم يقبل ذلك أحد منهم - أعنى من الكلبيين - إلا الفخذ المعروفة ببني العليص ابن ضمضم بن عدي بن جناب ومواليهم خاصة، فبايعوا في آخر سنة تسع وثمانين

---

(١) تاريخ الطبري تاريخ الأمم والملوك ـ الطبري ج٥ ص٦٣٨.

ومائتين بناحية السماوة ابن زكرية المسمى بيحيى والمكنى أبا القاسم، ولقبوه الشيخ، علىٰ أمر احتال فيهم، ولقب به نفسه، وزعم لهم أنه أبو عبد الله ابن محمد بن إسماعيل بن جعفر بن محمد. وقد قيل: إنه زعم أنه محمد بن عبد الله بن يحيى. وقيل إنه زعم أنه محمد ابن عبد الله بن محمد بن إسماعيل بن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي ابن أبي طالب. وقيل إنه لم يكن لمحمد بن إسماعيل ابن يسمى عبد الله، وزعم لهم أن أباه المعروف بأبي محمود داعية له، وأن له بالسواد والمشرق والمغرب مائة ألف تابع، وأن ناقته التي يركبها مأمورة، وأنهم إذا اتبعوها في مسيرها ظفروا. وتكهن لهم، وأظهروا عضدًا له ناقصة، وذكر أنها آية، وانحارت إليه جماعة من بني الأصبغ، وأخلصوا له وتسموا بالفاطميين، ودانوا بدينه، فقصدهم سبك الديلمي مولى المعتضد بالله بناحية الرصافة في غربي الفرات من ديار مضر، فاغتروه وقتلوه، وحرقوا مسجد الرصافة، واعترضوا كل قرية اجتازوا بها حتى أصعدوا إلىٰ أعمال الشأم التي كان هارون بن خمارويه قوطع عليها، وأسند أمرها هارون إلىٰ طغج بن جف، فأناخ عليها وهزم كل عسكر لقيه لطغج حتى حصره في مدينة دمشق، فأنفذ المصريون إليه بدرًا الكبير غلام ابن طولون، فاجتمع مع طغج علىٰ محاربته، فواقعوهم قريبًا من دمشق، فقتل الله عدو الله يحيى بن زكرويه.

وكان سبب قتله - فيما ذكر - أن بعض البرابرة زرقه بمزراق واتبعه نفاط، فزرقه بالنار فأحرقه؛ وذلك في كبد الحرب وشدتها، ثم دارت علىٰ المصريين الحرب، فانحازوا، فاجتمعت موالى بني العليص إلىٰ بني العليص ومن معهم من الأصبغيين وغيرهم علىٰ نصب الحسين بن زكرويه أخي الملقب بالشيخ فنصبوا أخاه، وزعم لهم أنه أحمد بن عبد الله بن محمد بن إسماعيل بن جعفر ابن محمد، وهو ابن نيف وعشرين سنة، وقد كان الملقب بالشيخ حمل موالى بني العليص علىٰ صريحهم، فقتلوا جماعة منهم، واستذلوهم، فبايعوا الحسين ابن زكرويه المسمى بأحمد بن عبد الله بن محمد بن إسماعيل بن جعفر بعد أخيه، فأظهر شامة في وجهه ذكر أنها

آيته، وطرأ إليه ابن عمه عيسى بن مهرويه المسمى عبد الله، وزعم أنه عبد الله بن أحمد بن محمد بن إسماعيل بن جعفر بن محمد، فلقبه المدثر، وعهد إليه؛ وذكر أنه المعنى في السورة التي يذكر فيها المدثر، ولقب غلامًا من أهله المطوق، وقلده قتل أسرى المسلمين، وظهر علىٰ المصريين، وعلى جند حمص وغيرها من أهل الشأم، وتسمى بأمره المؤمنين علىٰ منابرها، وكان ذلك كله في سنة تسع وثمانين، وفي سنة تسعين».[1]

أحداث عام ٢٩٠هـ «القرامطة بالشام»

قال النويري: «قال الشريف أبو الحسين وسياقه أتم: ولما بايعوه ثار حتى افتتح عدة مدن من الشام، وظهر علىٰ جند حمص، وقتل خلقًا كثيرًا من جند المصريين، وتسمى بأمير المؤمنين علىٰ المنابر وفي كتبه، وذلك في سنة تسع وثمانين ومائتين وبعض سنة تسعين ومائتين، ثم سار بمن معه إلىٰ نحو الرقة، فخرج إليهم مولى الخليفة المكتفي بالله وكان عليها، فواقعهم فهزموه، وقتلوه واستباحوا عسكره ورجعوا يريدون دمشق، وجعلوا ينهبون جميع ما يمرون به القرى، ويقتلون ويسبون ويخربون، فلما يسبون ويخربون، فلما قربوا من دمشق أخرج إليهم طغج جيشًا كثيفًا أمر عليه غلامه بشيرًا، فهزم القرامطة الجيش وقتل بشير في خلق من أصحابه، فلما اتصل بالمكتفي قتل غلامه الذي كان علىٰ الرقة وخبر قتل بشير ندب أبا الأعزب السلمي، وضم إليه عشرة آلاف من الجند والموالى والأعراب، وخلع عليه لثلاث عشرة ليلة بقيت من سهر ربيع الآخر سنة تسعين ومائتين وأنفذه، فسار حتى نزل حلب ثم خرج فنزل وادي بطنان، فتفرق الناس ودخل قوم منهم الماء يتبردون فيه وذلك في القيظ، ووافاهم القرامطة يقدمهم المطوق، فكان كل إنسان يحذر علىٰ نفسه وينجوا بها، وركب أبو الأعز فرسه وصاح بالناس، فسار إليهم جماعة لقي بها أوائل القوم، فلم يلبث إلا اليسير حتى انهزم، وركبت القرامطة أكتاف الناس يقتلون

---

(١) تاريخ الطبري تاريخ الأمم والملوك ـ الطبري ج ٥ ص٦٤٣.

وينهبون حتى حجز الليل بينهم، وقد أتوا علىٰ عامة العسكر وسلم منهم قليل، ولحق أبو الأعز في جمعية معه بحلب، ثم تلاحق به قوم حتى حصل في نحو ألف رجل، ووافت القرامطة فنازلوا أهل حلب فحاربهم أبو الأعز، فلم يقدروا منه علىٰ شيء فانصرفوا، وجمع الحسين بن زكرويه أصحابه، وكانت قد اتصل به خلق كثير من اللصوص ومن بني كلب، فسار حتى نزل أطراف حمص فخطب له علىٰ منابرها، ثم نهض إليها فأعطاه أهلها الطاعة، وفتحوا له البلد فدخلها، ثم سار إلىٰ حماة ومعرة النعمان وغيرهما فقتل الرجل والنساء والأطفال، ثم رجع إلىٰ بعلبك فقتل عامة أهلها، ثم صار إلىٰ سلمية فحاربه أهلها وامتنعوا منه، فأعطاهم الأمان ففتحوا له، فبدأ بمن كان فيها من بني هاشم، وكان بها جماعة كثيرة، فقتلهم أجمعين، ثم كر علىٰ أهلها فأفناهم أجمعين وخرّبها، وخرج عنها وما بها عين تطرف، وكان مع ذلك لا يمر بقرية فيدع فيها أحدًا، حتى أخرب البلاد وسبى الذراري وقتل الأنفس من المسلمين وغيرهم، ولم يقم له أحد.

وقال الشريف: ووردت كتب التجار وسائر الناس من دمشق وغيرها بصورة الأمر وغلظه، وأن طغج قد فنيت رجاله وبقي في عدة يسيرة، وأن القرمطة تقصد دمشق في أوقات فلا يقاتلهم إلا العامة وقد أشرف الناس علىٰ الهلكة وكثر الضجيج بمدينة السلام، واجتمعت العامة إلىٰ يوسف بن يعقوب القاضي وسألوه إنهاء أخبار الناس إلىٰ الخليفة، فوعدهم بذلك، ووردت كتب المصريين علىٰ المكتفى بالله يعرفونه ما قتل من عسكرهم الذي خرج إلىٰ الشام، وأن القرمطة أفنتهم وأنهم قد أخربوا الشام، فأمر المكتفى الجيش بالاستعداد وإخراج المضارب إلىٰ باب الشماسية، وخرج إلىٰ مضربة في القواد والجند، ورحل لاثنتي عشرة ليلة خلت من شهر رمضان سنة تسعين ومائتين، وسلك طريق الموصل ومضى نحو الرقة بالجيوش حتى نزلها وانبثت جيوشه من حلب وحمص، وقلد محمد بن سليمان حرب الحسين بن زكرويه، واختار له جيشًا كثيفًا، وكان محمد بن سليمان صاحب ديوان العطاء

وعارض الجيش، فسار نحو القرامطة بجيشه.حربهم مع محمد بن سليمان وانهزام القرامطة والظفر بالحسن بن زكرويه صاحب الشام وأصحابه وقتلهم».[(١)]

القرامطة يحاصرون دمشق عام ٢٩٠هـ:

قال ابن الاثير في الكامل: «حوادث سنة تسعين ومائتي نذكر أخبار القرامطة في هذه السنة، في ربيع الآخر، سير طغج بن جف جيشًا من دمشق إلىٰ القرمطي، عليهم غلام له اسمه بشير، فهزمهم القرمطي وقتل بشيرًا.

وفيها حصر القرمطي دمشق، وضيق علىٰ أهلها وقتل أصحاب طغج، ولم يبق منه إلا القليل، واشرف أهلها علىٰ الهلكة، فاجتمع جماعة من أهل بغداد، وانهوا ذلك إلىٰ الخليفة فوعدهم النجدة، وأمد المصريون أهل دمشق ببدر وغيره من القواد، فقاتلوا الشيخ مقدم القرامطة، فقتل علىٰ باب دمشق، رماه بعض المغاربة بمزراق، وزرقه نفاط بالنار فاحترق، وقتل منهم خلق كثير.

وكان هذا القرمطي يزعم أنه إذا أشار بيده إلىٰ جهة من التي فيها محاربوه انهزموا؛ ولما قتل يحيى المعروف بالشيخ، وقتل أصحابه، اجتمع من بقي منهم علىٰ أخيه الحسين، وسمى نفسه أحمد، وكناه أبا العباس، ودعا الناس فأجابه أكثر أهل البوادي وغيرهم، فاشتدت شوكته، وأظهر شامة في وجه، وزعم أنها آيته، فسار إلىٰ دمشق، فصالحه أهلها علىٰ خراج دفعوه إليه وانصرف عنهم.

ثم سار إلىٰ أطراف حمص، فغلب عليها وخطب له علىٰ منابرها، وتسمي المهدي أمير المؤمنين، وأتاه ابن عمه عيسى بن المهدي، المسمى عبد الله بن أحمد بن محمد بن إسماعيل، فلقبه المدثر، وعهد إليه، وزعم أنه المدثر الذي في القرآن، ولقب غلامًا من أهله المطوق، وقلده قتل أسرى المسلمين». انتهىٰ[(٢)]

---

(١) نهاية الأرب في فنون الأدب ـ النويري .

(٢) الكامل في التاريخ ـ ابن الأثير.

وفي قصة سيطرة القرامطة على الشام:

ذكر ابن الجوزي: «سنة تسعين ومائتين فمن الحوادث فيها: أنه ورد كتاب من الرقة يذكر فيه أن يحيى بن زكرويه بن مهرويه، المكنى بأبي القاسم، المعروف بالشيخ ـ وكان من دعاة القرامطة ـ وافى الرقة في جمع كثير، فخرج إليه جماعة من أصحاب السلطان، فهزمهم، وقتل رئيسهم.

وورد الخبر أن جيشًا خرجوا من دمشق إلىٰ القرمطي، فهزمهم وقتل رئيسهم، فوجه أبو الأغر لحرب القرمطي في عشرة آلاف.

ولعشر بقين من جمادى الآخرة خرج المكتفي بعد العصر عامدًا إلىٰ سامرا يريد البناء بها، للانتقال إليها، فدخلها يوم الخميس لخمس بقين من جمادى، ثم انصرف إلىٰ مضارب ضربت له بالجوسق، فدعا القاسم بن عبيد الله والقوام بالبناء فقدروا له ما يحتاج إليه من المال، وأكثروا عليه، وطولوا مدة الفراغ، وجعل القاسم يصرفه عن رأيه في ذلك فثناه عن عزمه فعاد.

وفي يوم الجمعة لأربع عشرة خلت من شعبان قرئ كتابان في الجامعين بقتل يحيى بن زكرويه الملقب بالشيخ، قتله المصريون علىٰ باب دمشق بعد أن قتل منهم خلقًا كثيرًا وكسر لهم جيوشًا.

وكان يحيى هذا يركب جملًا فإذا أشار بيده إلىٰ ناحية من نواحي محاربيه انهزموا. فافتن بذلك أصحابه، فلما قتل عقد أخوه الحسين لنفسه وتسمى بأحمد بن عبد الله، وتكنى بأبي العباس، ودعا إلىٰ ما كان يدعو إليه أخوه، فأجابه أكثر أهل البوادي وقويت شوكته ووصل إلىٰ دمشق فصالحه أهلها علىٰ شيء فانصرف عنهم، ثم صار إلىٰ أطراف حمص فتغلب عليهم وخطب له علىٰ منابرها وتسمى بالمهدي، ثم صار إلىٰ حمص، فأطاعه أهلها، وفتحوا له بابها خوفًا علىٰ أنفسهم، ثم سار إلىٰ حماة ومعرة النعمان وغيرها، فقتل أهلها وسبى النساء والصبيان، وسار إلىٰ سلمية

فحاربه أهلها، ثم وادعهم ودخلها فقتل من بها من بني هاشم، ثم قتل البهائم وصبيان الكتاتيب، ثم خرج إلىٰ ما حول ذلك يقتل ويسبي ويخيف السبيل، ويستبيح وطء نساء الناس، وربما أخذ المرأة فوطئها جماعة منهم، فتأتي بولد فلا يدرى من أيهم هو، فيهنأ به جميعهم». انتهىٰ[(١)]

كما ذكر أبن الجوزي قوله: «ولليلتين خلتا من رمضان أمر المكتفي بإعطاء الجند أرزاقهم، والتأهب لحرب القرمطي بناحية الشام، فأطلق للجند في دفعة واحدة مائة ألف دينار، وكان السبب أن أهل الشام كتبوا إليه يشكون ما يلقون من القرامطة، فخرج المكتفي حتى انتهىٰ إلى الرقة، فنزلها، وسرح إلىٰ القرمطي جيشًا بعد جيش، وكان القرمطي يكتب إلىٰ أصحابه: من عبد الله أحمد بن عبد الله المهدي المنصور بالله، الناصر لدين الله، القائم بأمر الله، الحاكم بحكم الله، الداعي إلىٰ كتاب الله، الذاب عن حريم الله، المختار من ولد رسول الله صلى الله عليه وسلم. وكان ينتحل أنه من ولد علي ابن أبي طالب عليه سلام الله.

ووقع ثلج ببغداد يوم الرابع والعشرين من كانون الثاني منذ أول النهار إلىٰ العصر.

وحج بالناس في هذه السنة الفضل بن عبد الملك بن عبد الله بن العباس بن محمد». انتهىٰ[(٢)]

حوادث عام ٢٩٠هـ:

قال المسعودي: «وفي سنة تسعين ومائتين مات عبد اللّه بن أحمد بن حنبل، يوم السبت لعشر بَقِينَ من جمادى الآخرة». انتهىٰ[(٣)]

---

(١) ابن الجوزي.

(٢) ابن الجوزي .

(٣) مروج الذهب للمسعودي .

قال النويري: «وفي سنة تسعين ومائتين أنفذ المكتفى بالله عهدًا إلىٰ إسماعيل بولاية الري، فسار إليها ففارقها ابن هارون إلىٰ قزوين ثم عاد إلىٰ طبرستان، واستعمل، إسماعيل علىٰ جرجان بارس التركي الكبير، وألزمه إحضار محمد بن هارون، فكاتبه بارس وضمن له إصلاح أمره، فقصد بخاري فلما بلغها قيد وحمل علىٰ جمل، وحبس فمات بعد شهرين محبوسًا؛ وكان ابتداء أمر محمد بن هارون أنه كان خياطًا، ثم جمع جمعًا من أهل الفساد وقطع الطريق في مفازة سرخس مدة ثم استأمن إلىٰ رافع بن هرثمة وبقي معه إلىٰ أن انهوم من عمرو الصفار فاستأمن إلىٰ إسماعيل الساماني فسيره إسماعيل لقتال العلوي». انتهىٰ[1]

قال ابن الاثير: «في هذه السنة، في ربيع الآخر، سير طغج بن جف جيشًا من دمشق إلىٰ القرمطي، عليهم غلام له اسمه بشير، فهزمهم القرمطي وقتل بشيرًا.

وفيها حصر القرمطي دمشق، وضيق علىٰ أهلها وقتل أصحاب طغج، ولم يبق منه إلا القليل، واشرف أهلها علىٰ الهلكة، فاجتمع جماعة من أهل بغداد، وانهوا ذلك إلىٰ الخليفة فوعدهم النجدة، وأمد المصريون أهل دمشق ببدر وغيره من القواد، فقاتلوا الشيخ مقدم القرامطة، فقتل علىٰ باب دمشق، رماه بعض المغاربة بمزراق، وزرقه نفاط بالنار فاحترق، وقتل منهم خلق كثير.

وكان هذا القرمطي يزعم أنه إذا أشار بيده إلىٰ جهة من التي فيها محاربوه انهزموا؛ ولما قتل يحيى المعروف بالشيخ، وقتل أصحابه، اجتمع من بقي منهم علىٰ أخيه الحسين، وسمى نفسه أحمد، وكناه أبا العباس، ودعا الناس فأجابه أكثر أهل البوادي وغيرهم، فاشتدت شوكته، وأظهر شامة في وجه، وزعم أنها آيته، فسار إلىٰ دمشق، فصالحه أهلها علىٰ خراج دفعوه إليه وانصرف عنهم.

ثم سار إلىٰ أطراف حمص، فغلب عليها وخطب له علىٰ منابرها، وتسمي

---

(١) نهاية الأرب في فنون الأدب النويري.

المهدي أمير المؤمنين، وأتاه ابن عمه عيسى بن المهدي، المسمى عبد الله بن أحمد بن محمد بن إسماعيل، فلقبه المدثر، وعهد إليه، وزعم أنه المدثر الذي في القرآن، ولقب غلامًا من أهله المطوق، وقلده قتل أسرى المسلمين». انتهى[1]

القرامطة يقتلون بني هاشم في الشام عام ٢٩٠هـ:

قال ابن الاثير: «ولما أطاعه أهل حمص، وفتحوا له بابها خوفًا منه، سار إلىٰ حماه، ومعرة النعمان، وغيرهما فقتل أهلها وقتل النساء والصبيان، ثم سار إلىٰ بعلبك فقتل عامة أهلها ولم يبق منهم إلا اليسير، ثم سار إلىٰ سلمية فمنعه أهلها ثم صالحهم وأعطاهم الأمان، ففتحوا له بابها فبدأ بمن فيها من بني هاشم، وكانوا جماعة، فقتلهم أجمعين، ثم قتل البهائم، والصبيان بالمكاتب ثم خرج منها وليس بها عين تطرف.

وسار فيما حولها من القرى يسبي، ويقتل، ويخيف السبيل، فذكر عن متطبب بباب المحول يدعى أبا الحسين قال: جاءتني امرأة بعدما أدخل القرمطي صاحب الشامة بغداد، وقالت: أريد أن تعالج جرحًا في كتفي؛ فقلت: ها هنا امرأة تعالج النساء، فانتظرتها فقعدت وهي باكية مكروبة، فسألتها عن قصتها قالت: كان لي ولد طالت غيبته عني، فخرجت أطوف عليه البلاد فلم أره، فخرجت من الرقة في طلبه، فوقعت في عسكر القرمطي أطلبه، فرأيته، فشكوت إليه حالي وحال أخواته، فقال: دعيني من هذأن أخبريني ما دينك؟ فقلت: أما تعرف ما ديني؟ فقال: ما كنا فيه باطل، والدين ما نحن فيه اليوم؛ فعجبت من ذلك، وخرج وتركني، ووجه بخبز ولحم، فلم أمسه حتى عاد فأصلحه.

وأتاه رجل من أصحابه فسأله عني هل أحسن من أمر النساء شيئأن فقلت: نعم، فأدخلني دارأن فإذا امرأة تطلق، فقعدت بين يديها وجعلت أكلمها ولا تكلمني، حتى ولدت غلامأن فأصلحت من شأنه، وتلطفت بها حتى كلمتني، فسألتها عن حالها

---

(١) الكامل في التاريخ ـ ابن الأثير ج٧ ص٥٢٤.

فقالت: أنا امرأة هاشمية، أخذنا هؤلاء أقوام، فذبحوا أبي وأهلي جميعا وأخذني صاحبهم، فأقمت عنده خمسة أيام، ثم أمر بقتلي، فطلبني منه أربعة أنفس من قواده، فوهبني لهم، وكنت معهم، فوالله ما ادري ممن هذا الولد منهم.

قالت: فجاء رجل فقالت لي: هنيه، فهنيته، فأعطاني سبيكة فضة، وجاء آخر وآخر، أهني كل واحد منهم، ويعطيني سبيكة فضة، ثم جاء الرابع ومعه جماعة، فهنيته، فأعطاني ألف درهم، وبتنأن فلما أصبحنا قلت للمرأة: قد وجب حقي عليك فالله الله خلصني! قالت: ممن أخلصك؟ فأخبرتها خبر ابني، فقالت: عليك بالرجل الذي جاء آخر القوم، فأقمت يومي، فلما أمسيت وجاء الرجل قمت له، وقبلت يده ورجله، ووعدته أنني أعود بعد أن أوصل ما معي إلىٰ بناتي؛ فدعا قومًا من غلمانه وأمرهم بحملي إلىٰ مكن ذكره، وقال: اتركوها فيه وارجعوا؛ فساروا بين عشرة فراسخ، فلحقنا ابني، فضربني بالسيف فجرحني، ومنعه القوم، وساروا بي إلىٰ المكان الذي سماه لهم صاحبهم، وتركوني وجئت إلىٰ هاهنا.

قالت: ولما قدم الأمير بالقرامطة وبالأساري رأيت ابني فيهم علىٰ جمل عليه برنس، وهويبكي، فقلت: لا خفف الله عنك ولا خلصك! ثم إن كتب أهل الشام ومصر وصلت إلىٰ المكتفي يشكون ما يلقون من القرمطي من القتل، والسبي، وتخريب البلاد، فأمر الجند بالتأهب، وخرج من بغداد ف برمضان، وسار إلىٰ الشام وجعل طريقه علىٰ الموصل، وقدم بين يديه أبا الأغر في عشرة آلاف رجل، فنزل قريبًا من حلب، فكبسهم القرمطي، صاحب الشامة، فقتل منهم خلقًا كثيرأن وسلم أبوالأغر، فدخل حلب في ألف رجل، وكانت هذه الوقعة في رمضان، وسار القرمطي إلىٰ باب حلب، فحاربه أبوالأغر بمن بقي معه، وأهل البلد، فرجع عنهم.

وسار المكتفي حتى نزل الرقة، وسير الجيوش إليه، وجعل أمرهم إلىٰ محمد بن سليمان الكاتب.

وفيهأن في شوال تحارب القرمطي صاحب الشامة وبدر مولى ابن طولون، فانهزم القرمطي وقتل من أصحابه خلق كثير، ومضى من سلم منهم نحوالبادرية، فوجه المكتفي في أثرهم الحسين بن حمدان وغيره من القواد». انتهى[١]

ابن بانو يهاجم قلاع ابو سعيد الجنابي في هجر عام ٢٩٠هـ:

قال ابن الاثير: «وفيها (سنة تسعين ومائتين) كبس ابن بانوا أمير البحرين حصنًا للقرامطة، فظفر بمن فيه، وواقع قرابة أبي سعيد الجنابي، فهزمه ابن بانوا، وكان مقام هذا القرمطي بالقطيف، وهوولي عهد أبي سعيد، ثم إنه وجد بعدما انهزم أصحابه قتيلًا فاخذ رأسه وسار ابن بانوا إلىٰ القطيف فافتتحها». انتهى[٢]

قتل صاحب الشامة القرمطي عام ٢٩١هـ:

ذكر ابن الاثير حوادث سنة إحدى وتسعين ومائيتن وقال: «قد ذكرنا مسير المكتفي إلىٰ الرقة، وإرساله الجيوش إلىٰ صاحب الشامة، وتولية حرب صاحب الشامة محمد بن سليمان الكاتب، فلما كانت هذه السنة أمر محمد بن سليمان بمناهضة صاحب الشامة، فسار إليه في عساكر الخليفة، حتى لقوه وأصحابه بمكان بينهم وبين حماة اثنا عشر ميلًا لست خلون من المحرم، فقدم القرمطي أصحابه إليهم، وبقي في جماعة من أصحابه، معه مال كان جمعه، وسواد عسكره والتحمت الحرب بين أصحاب الخليفة والقرامطة، واشتدت، وانهزمت القرامطة وقتلوا كل قتلة وأسر من رجالهم بشر كثير، وتفرق الباقون في البوادي، وتبعهم أصحاب الخليفة.

فلما رأى صاحب الشامة ما نزل بأصحابه حمل أخًا له يكنى أبا الفضل مالأن وأمره أن يلحق بالبوادي إلىٰ أن يظهر بمكان فيسير إليه، وركب هووابن عمه المسمى بالمدثر، والمطوق صاحبه، وغلام له رومي، واخذ دليلًا وسار يريد الكوفة عرضًا في

---

(١) الكامل في التاريخ ـ ابن الأثير ج٧ ص٥٢٦.

(٢) الكامل في التاريخ ـ ابن الأثير ج ٧ ص٥٢٦ .

البرية، فانتهى إلىٰ الدالية من أعمال الفرات وقد نفد ما معهم من الزاد والعلف، فوجه بعض أصحابه إلىٰ الدالية المعروفة بابن طوق ليشتري لهم ما يحتاجون إليه، فأنكروا رأيه، فسألوه عن حاله فكتمه، فرفعوه إلىٰ متولي تلك الناحية خليفة أحمد بن محمد بن كشمرد، فسأله عن خبره، فأعلمه أن صاحب الشامة خلف رابية هناك مع ثلاثة نفر، فمضى إليهم وأخذهم، وأحضرهم عند ابن كشمرد، فوجه بهم إلىٰ المكتفي بالرقة، ورجعت الجيوش من الطلب بعد أن قتلوا وأسروأن وكان أكثر الأنس أثرًا في الحرب الحسين بن حمدان، وكتب محمد بن سليمان يثني عليه وعلى بني شيبان، فإنهم اصطلحوا الحرب، وهزموا القرامطة، واكثروا القتل فيهم والأسر، حتى لم ينج منهم إلا قليل.

وفي يوم الاثنين لأربع بقين من المحرم أدخل صاحب الشامة الرقة ظاهرًا علىٰ فالج وهوالجمل ذوالسنامين وبين يديه المدثر والمطوق؛ وسار المكتفي إلىٰ بغداد ومعه صاحب الشامة وأصحابه، وخلف العساكر مع محمد بن سليمان، وأدخل القرمطي بغداد علىٰ فيل، وأصحابه علىٰ الجمل، ثم أمر المكتفي بحبسهم إلىٰ أن يقدم محمد بن سليمان، فقدم بغداد، وقد استقصى في طلب القرامطة، فظفر بجماعة من أعيانهم ورؤوسهم، فأمر المكتفي بقطع أيديهم وأرجلهم، وضرب أعناقهم بعد ذلك، واخرجوا من الحبس، وفعل بهم ذلك، وضرب صاحب الشامة مائتي سوط، وقطعت يداه، وكوي، فغشي عليه، وأخذوا خشبًا وجعلوا فيه نارأن ووضعوه علىٰ خواصره، فجعل يفتح عينه ويغمضهأن فلما خافوا موته ضربوا عنقه، ورفعوا رأسه علىٰ خشبة، فكبر الناس لذلك، ونصب علىٰ الجسر». انتهى[1]

كما ذكر ابن الاثير في احداث ٢٩٠هـ: «فيها قدم رجل من بني العليص من وجوه القرامط، يسمى إسماعيل ابن النعمان، وكان نجا في جماعة لم ينج من رؤسائهم غيره، فكاتبه المكتفي وبذل له الأمان، فحضر في الأمان هوونيف ومائة

---

(١) الكامل في التاريخ ـ ابن الأثير ج٧ ص٥٣٠.

وستون نفساً فأمنوا واحسن إليهم ووصلوا بمال، وصاروا إلىٰ رحبة مالك بن طوق مع القاسم بن سيمأن وهي من عمله، فأقاموا معه مدة، ثم أرادوا الغدر بالقاسم، وعزموا علىٰ أن يثبوا بالرحبة يوم الفطر عند اشتغال الناس بالصلاة، وكان قد صار معهم جماعة كبيرة، فعلم بذلك، فقتلهم، فارتدع من كان بقي من موالي بني العيص، وذلوأن وألزموا السماوة، حتى جاءهم كتاب من الخبيث زكرويه يعلمهم أنه مما أوحي إليه أن صاحب الشامة وأخاه المعروف بالشيخ يقتلان، وأن إمامه الذي هو حي يظهر بعدهما ويظفر». انتهىٰ[1]

زكرويه بن مهرويه يتعرض للحجاج عام ٢٩٠هـ:

قال ابن الاثير: «في هذه السنة، في المحرم، أرتحل زكرويه من نهر المثنية يريد الحاج، فبلغ السلمان، وأقام ينتظرهم، فبلغت القافلة الأولى واقصة سابع المحرم، فأنذرهم أهلها وأخبروهم بقرب القرامطة، فارتحلوا لساعتهم.

وسار القرامطة إلىٰ واقصة، فسألوا أهلها عن الحاج، فأخبروهم أنهم ساروأن فاتهمهم زكرويه، فقتل العلافة، وأحرق العلف، وتحصن أهل واقصة في حصنهم، فحصرهم أيامًا ثم ارتحل عنهم نحوزبالة، وأغار في طريقه علىٰ جماعة من بني أسد.

ووصلت العساكر المنفذة من بغداد إلىٰ عيون الطف، فبلغهم مسير زكرويه من السلمان، فانصرفوأن وسار علان بن كشمرد جريدة، فنزل واقصة بعد أن جازت القافلة الأولى، ولقي زكرويه القرمطي قافلة الخراسانية بعقبة الشيطان راجعين من مكة، فحاربهم حربًا شديدة، فلما رأى شدة حربهم سألهم: هل فيكم نائب للسلطان؟ فقالوا: ما معنا أحد. قال: فلست أريدكم؛ فاطمأنوا وساروأن فلما ساروا أوقع بهم، وقتلهم عن آخرهم، ولم ينج إلا الشريد، وسبوا من الناس ما أرادوأن وقتلوا منهم.

ولقي بعض المنهزمين علان بن كشمرد، فأخبروه خبرهم، وقالوا له: ما بينك

---

(١) الكامل في التاريخ - ابن الأثير.

وبينهم إلا القليل، ولورأوك لقوزويت نفوسهم، فالله الله فيهم! فقال: لا أعرض أصحاب السلطان للقتل. ورجع هووأصحابه. وكتب من نجا من الحجاج من هذه القافلة الثانية إلىٰ رؤساء القافلة الثالثة من الحجاج يعلمونهم ما جرى من القرامطة، ويأمرونهم بالتحذر، والعدول عن الجادة نحوواسط والبصرة، والرجوع إلىٰ فيد والمدينة إلىٰ أن تأتيهم جيوش السلطان، فلم يسمعوأن ولم يقيموا.

وسارت القرامطة من العقبة بعد اخذ الحاج، وقد طموا الآبار والبرك بالجيف، والأراب، والحجارة، بواقصة، والثعلبية، والعقبة، وغيرها من المناهل في جميع طريقهم، وأقام بالهبير ينتظر القافلة الثالثة، فساروا فصادفوه هناك، فقاتلهم زكرويه ثلاثة أيام، وهم علىٰ غير ماء، فاستسلموا لشدة العطش، فوضع فيهم السيف وقتلهم عن آخرهم، وجمع القتلى كالتل، وأرسل خلف المنهزمين من يبذل لهم الأمان، فلما رجعوا قتلهم، وأن في القتلى مبارك القمي، وولده أبوالعشائر بن حمدان.

وكان نساء القرامطة يطفن بالماء بين القتلى يعرضن عليهم الماء، فمن كلمهن قتلنه، فقيل إن عدة القتلى بلغت عشرين ألفأن ولم ينج إلا من كان بين القتلى فلم يفطن له فنجا بعد ذلك، ومن هرب عند اشتغال القرامطة بالقتل والنهب، فكان من مات من هؤلاء أكثر ممن سلم ومن استعبدوه، وكان مبلغ ما أخذوه من هذه القافلة ألفي ألف دينار.

وكان في جملة ما أخذوا فيها أموال الطولونية وأسبابهم، فإنهم لما عزموا علىٰ الانتقال من مصر إلىٰ بغداد خافوا أن يستصحبوها فتؤخذ منهم، فعملوا الذهب والنقرة سبائك، وجعلوها في حدائج الجمال، وجميع ما لهم من الحلي والجوهر، وسيروا الجميع إلىٰ مكة سرأن وسار من مكة في هذه القافلة فأخذت.

وبث زكرويه الطلائع خوفًا من عسكر الذي كان بالقادسية، وأقام ينتظر وصول من كان في الحج من عسكر الخليفة وأصحابه، فكانوا بفيد ينتظرون هل تعرض

القرامطة لحاج أم لأن فكان معهم جماعة من التجار أرباب الأموال، فلما بلغهم ما صنع القرامطة أقاموا ينتظرون وصول عسكر من عند الخليفة، فسار زكرويه إليهم، وغور الآبار، والمصانع، والمياه إلىٰ فيد، فاحتمى أهل فيد ومن بها من الحجاج بالحصنين اللذين بفيد وحصرهم فيهما القرامطة، وأرسل زكرويه إلىٰ أهل فيد يأمرهم بإخراجهم أوبتسليم الحصنين إليه، وبذل لهم الأمان علىٰ ذلك، فلم يجيبوه، فتهددهم بالنهب والقتل، فازداد امتناعهم، وأقام عليهم عدة أيام، ثم سار إلىٰ الساج ثم إلىٰ جعفر أبي موسى.

ذكر قتل زكرويه: لما فعل زكرويه بالحجاج ما ذكرناه عظم ذلك علىٰ الخليفة خاصة، وعلى جميع المسلمين عامة، فجهز المكتفي الجيوش، فلما كان أول ربيع الأول سير وصيف بن صوارتكين مع جماعة من القواد والعساكر إلىٰ القرامطة، فساروا علىٰ طريق حفان فلقيهم زكرويه، ومن معه من القرامطة، ثامن ربيع الأول، فاقتتلوا يومهم، ثم حجز الليل، وباتوا يتحارسون، ثم بكروا إلىٰ القتال، فاقتتلوا قتالًا شديدأن فقتل من القرامطة مقتلة عظيمة». انتهىٰ[1]

وذكر ابن الأثير ضمن أحداث تلك السنة:

وفيها جاء نفر من القَرامطة من أصحاب أبي سعيد الجنّابيّ إلىٰ باب البصرة، وكان عليها محمّد بن إسحاق بن كنداجيق، وكان وصولهم يوم الجمعة، والناس في الصلاة، فوقع الصوت بمجيء القَرامطة، فخرج إليهم الموكّلون بحفظ باب البصرة، فرأوا رجلَيْن منهم، فخرجوا إليهما، فقتل القرامطة منهم رجلًا وعادوا فخرج إليهم محمّد بن إسحاق في جمع، فلم يرهم، فسيّر في أثرهم جماعة، فأدركوهم، وكانوا نحو ثلاثين رجلًان فقاتلوهم، فقُتل بينهم جماعة، وعاد ابن كنداجيق وأغلق أبواب البصرة، ظنًّا منه أنّ أولئك القرامطة كانوا مقدّمة لأصحابهم، وكاتب الوزير ببغداد

---

(١) الكامل في التاريخ ـ ابن الأثير .

يعرّفه وصول القرامطة ويستمدّه، فلمّا أصبح ولم يرَ للقرامطة أثرًا ندم علىٰ ما فعل، وسيّر إليه من بغداد عسكرًا مع بعض القوّاد.

وفيها خالف أهل طرابلس الغرب علىٰ المهديّ، عبيدالله العلويّ، فسيّر إليها عسكرًا فحاصرها، فلم يظفر بها، فسيّر إليها المهديُّ ابنَهُ أبا القاسم في جُمادى الآخرة سنة ثلاثمائة، فحاصرها، وصابرها، واشتدّ في القتال، فعدمت الأقوات في البلد حتّى أكل أهله الميتة. ففتح البلد عنفًا، وعفا عن أهله، وأخذ أموالًا عظيمة من الذين أثاروا الخلاف وغرّم أهل البلد جميع ما أخرجه علىٰ عسكره، وأخذ وجوه البلد رهائن عنده، واستعمل عليه عاملًا وانصرف.

وفيها كانت زلازل بالقَيروان لم يُرَ مثلها شدّة وعظمة، وثار أهل القَيروان، فقتلوا من كُتامة نحو ألف رجل.[١]

قبض المكتفي على صاحب الشامة القرمطي وقتله عام ٢٩١هـ:

قال ابن الاثير: «فلما رأى صاحب الشامة ما نزل بأصحابه حمل أخًا له يكنى أبا الفضل مالأن وأمره أن يلحق بالبوادي إلىٰ أن يظهر بمكان فيسير إليه، وركب هو وابن عمه المسمى بالمدثر، والمطوق صاحبه، وغلام له رومي، واخذ دليلًا وسار يريد الكوفة عرضًا في البرية، فانتهى إلىٰ الدالية من أعمال الفرات وقد نفد ما معهم من الزاد والعلف، فوجه بعض أصحابه إلىٰ الدالية المعروفة بابن طوق ليشتري لهم ما يحتاجون إليه، فأنكروا رأيه، فسألوه عن حاله فكتمه، فرفعوه إلىٰ متولي تلك الناحية خليفة أحمد بن محمد بن كشمرد، فسأله عن خبره، فأعلمه أن صاحب الشامة خلف رابية هناك مع ثلاثة نفر، فمضى إليهم وأخذهم، وأحضرهم عند ابن كشمرد، فوجه بهم إلىٰ المكتفي بالرقة، ورجعت الجيوش من الطلب بعد أن قتلوا وأسروأن وكان أكثر الأنس أثرًا في الحرب الحسين بن حمدان، وكتب محمد بن سليمان يثني عليه

(١) الكامل في التاريخ ـ ابن الأثير.

وعلى بني شيبان، فإنهم اصطلحوا الحرب، وهزموا القرامطة، واكثروا القتل فيهم والأسر، حتى لم ينج منهم إلا قليل.

وفي يوم الاثنين لأربع بقين من المحرم أدخل صاحب الشامة الرقة ظاهرًا علىٰ فالج وهوالجمل ذوالسنامين وبين يديه المدثر والمطوق؛ وسار المكتفي إلىٰ بغداد ومعه صاحب الشامة وأصحابه، وخلف العساكر مع محمد بن سليمان، وأدخل القرمطي بغداد علىٰ فيل، وأصحابه علىٰ الجمل، ثم أمر المكتفي بحبسهم إلىٰ أن يقدم محمد بن سليمان، فقدم بغداد، وقد استقصى في طلب القرامطة، فظفر بجماعة من أعيانهم ورؤوسهم، فأمر المكتفي بقطع أيديهم وأرجلهم، وضرب أعناقهم بعد ذلك، واخرجوا من الحبس، وفعل بهم ذلك، وضرب صاحب الشامة مائتي سوط، وقطعت يداه، وكوي، فغشي عليه، وأخذوا خشبًا وجعلوا فيه نارأن ووضعوه علىٰ خواصره، فجعل يفتح عينه ويغمضهأن فلما خافوا موته ضربوا عنقه، ورفعوا رأسه علىٰ خشبة، فكبر الناس لذلك، ونصب علىٰ الجسر.

وفيها قدم رجل من بني العليص من وجوه القرامط، يسمى إسماعيل ابن النعمان، وكان نجا في جماعة لم ينج من رؤسائهم غيره، فكاتبه المكتفي وبذل له الأمان، فحضر في الأمان هوونيف ومائة وستون نفسأن فأمنوا واحسن إليهم ووصلوا بمال، وصاروا إلىٰ رحبة مالك بن طوق مع القاسم بن سيمأن وهي من عمله، فأقاموا معه مدة، ثم أرادوا الغدر بالقاسم، وعزموا علىٰ أن يثبوا بالرحبة يوم الفطر عند اشتغال الناس بالصلاة، وكان قد صار معهم جماعة كبيرة، فعلم بذلك، فقتلهم، فارتدع من كان بقي من موالي بني العيص، وذلوأن وألزموا السماوة، حتى جاءهم كتاب من الخبيث زكرويه يعلمهم أنه مما أوحي إليه أن صاحب الشامة وأخاه المعروف بالشيخ يقتلان، وأن إمامه الذي هوحي يظهر بعدهما ويظفر». انتهىٰ[1]

---

(١) الكامل في التاريخ ـ ابن الأثير.

احداث عام ٢٩١هـ:

ماشار اليه ابن الاثير ايضا في موقعة المكتفي العباسي بصاحب الشامة قال: «حوادث سنة إحدى وتسعين ومائيتن ذكر أخبار القرامطة وقتل صاحب الشامة، ذكرنا مسير المكتفي إلىٰ الرقة، وإرساله الجيوش إلىٰ صاحب الشامة، وتولية حرب صاحب الشامة محمد بن سليمان الكاتب، فلما كانت هذه السنة أمر محمد بن سليمان بمناهضة صاحب الشامة، فسار إليه في عساكر الخليفة، حتى لقوه وأصحابه بمكان بينهم وبين حماة اثنا عشر ميلًا لست خلون من المحرم، فقدم القرمطي أصحابه إليهم، وبقي في جماعة من أصحابه، معه مال كان جمعه، وسواد عسكره والتحمت الحرب بين أصحاب الخليفة والقرامطة، واشتدت، وانهزمت القرامطة وقتلوا كل قتلة وأسر من رجالهم بشر كثير، وتفرق الباقون في البوادي، وتبعهم أصحاب الخليفة». انتهىٰ(١)

قال ابن الجوزي: «سنة إحدى وتسعين ومائتين فمن الحوادث فيها: وقعة بين أصحاب السلطان وبين القرامطة فهزموا القرامطة وأسروا وقتلوا، وتفرق الباقون في البوادي، وتبعهم أصحاب السلطان، ثم وقعوا بالقرمطي، فأخذوه، وكان يقال له صاحب الشامة، فحمل إلىٰ الرقة ظاهرًا للناس وعليه برنس، ثم إن المكتفي رحل إلىٰ بغداد، وحمل معه القرمطي في أول صفر فعزم أن يصلب القرمطي علىٰ دقل، ويجعل الدقل علىٰ ظهر فيل، فأمر بهدم طاقات الأبواب لئلا ترده.

ثم استسمح فعل ذلك، ثم جعل له كرسيًا ارتفاعه ذراعان ونصف علىٰ ظهر الفيل، ودخل المكتفي إلىٰ بغداد والأسرى بين يديه مقيدون، ورئيس القوم قد جعل في فيه خشبة مخروطة، وشدت إلىٰ قفاه كهيئة اللجام، وأمر المكتفي ببناء دكة في المصلى العتيق من الجانب الشرقي ارتفاعها عشرة أذرع، وبني لها درج فلما كان

---

(١) الكامل في التاريخ ـ ابن الأثير .

يوم الاثنين لسبع بقين من ربيع الأول أمر المكتفي القواد والغلمان بحضور الدكة، فحضر الناس وجيء بالأساري وهم يزيدون علىٰ ثلثمائة، وجيء بالقرمطي الحسين بن زكرويه المعروف بصاحب الشامة فصعد به إلىٰ الدكة، وقدم له أربعة وثلاثون إنسانًا من الأسارى، فقطعت أيديهم وأرجلهم، وضربت أعناقهم واحدًا بعد واحد، ثم قدم كبيرهم فضرب مائتي سوط، وقطعت يداه ورجلاه، وكوي، ثم أحرق ورفع رأسه علىٰ خشبة، ثم قتل الباقون، وصلب بدن القرمطي في طرف الجسر الأعلى.

ولثلاث بقين من رجب قرئ كتاب من خراسان يذكر فيه: أن الترك قصدوا المسلمين في جيش عظيم، وكان في عسكرهم سبعمائة قبة تركية، ولا يكون ذلك إلا للرؤساء منهم، فخرج من المسلمين خلق كثير فكبسوهم مع الصبح، وانهزم الباقون.

وفي شعبان ورد الخبر بأن صاحب الروم وجه عشرة صلبان، معها مائة ألف رجل إلىٰ الثغور، فأغاروا وسبوا من قدروا عليه من المسلمين وأحرقوا». انتهىٰ[(١)]

كما يذكر ابن الجوزي احداث هذه السنة قوله: «وفي رمضان ورد الخبر من القاسم بن سيما من الرحبة، يذكر أن الأعراب الذين استأمنوا ممن كان مع القرمطي نكثوا وغدروا، وعزموا أن يكبسوا الرحبة بيوم الفطر عند اشتغال الناس بالصلاة، وإني وقعت عليهم وأسرت.

وحج بالناس في هذه السنة الفضل بن عبد الملك بن عبد الله بن العباس بن محمد». انتهىٰ[(٢)]

وفي أحداث من عام ٢٩١هـ حتى ٢٩٥:

ذكرها النويري قوله:قال الشريف أبو الحسين رحمه الله تعالى: ولما دخلت سنة إحدى وتسعين ومائتين كتب القاسم بن عبيد الله وهو وزير المكتفى بالله إلىٰ

---

(١) المنتظم ـ ابن الجوزي.

(٢) المنتظم ـ ابن الجوزي.

محمد بن سليمان الكاتب يأمره بمناهضة القرامطة، فسار إليهم والتقى الجمعان يوم الثلاثاء لست خلون من المحرم من هذه السنة، بموضع بينه وبين حماة اثنا عشر ميلًا، فاقتتلوا قتالًا شديدًا حتى حجز الليل بينهم، وقتل عامة رجالهم، وورد كتاب محمد بن سليمان الكاتب إلىٰ القاسم بن عبيد الله الوزير، يخبره بكيفية المصاف والقتال ومن كان في الميمنة والميسرة والقلب والجناحين من قواد عسكره، وأن القرامطة اجتمعوا ستة كراديس، وأن ميسرتهم كان فيها ألف وخمسمائة فارس، وكمنوا خلفها ألف فارس وأربعمائة فارس، وفي ميمنتهم ألف فارس وأربعمائة فارس وكمنوا خلفها مائتي فارس، وذكر كيف كانت حملاتهم وقتالهم، وكيف كانت هزيمتهم، في كلام مطول تركناه اختصارا لطوله، إلا أن ملخصه أن القرامطة قتلوا قتلًا ذريعًا، وذكر أن الكردوس الذي كان في ميسرة القرامطة قصده الحسين بن حمدان، وكان في جناح ميمنة عسكر الخليفة، واقتتلوا أشد قتال حتى تكسرت الرماح وتقطعت السيوف فصرع من القرامطة ستمائة في أول دفعة، وأخذ أصحاب الحسين منهم خمسمائة فرس وأربعمائة طوق فضة، وأن القرامطة ولوا مدبرين فاتبعهم الحسين بن حمدان، فرجعوا عليه فلم يزل يحمل حمله بعد حمله – وهم من خلال ذلك يصرعون منهم الجماعة بعد الجماعة – حتى أفناهم الله تعالى، فلم يفلت منهم إلا أقل من مائتي رجل. قال: وحمل الكردوس الذي كان في ميمنتهم علىٰ القاسم بن سهل ويمن الخادم، فاستقبلوهم بالرماح فكسروها في صدورهم وعانق بعضهم بعضًا، فقتلوا من الكفرة جماعة كبيرة. قال: وأخذ بنو شيبان منهم ثلاثمائة فرس ومائة طوق فضة، وأخذ أصحاب خليفة بن المبارك منهم مثل ذلك، وذكر في كتابه أنه حمل هو عليهم في القلب، فما زال أصحابه يقتلون القرامطة – فرسانهم ورجالتهم – أكثر من خمسة أميال، وذكر في كتابه أن الحسن بن زكرويه لم يشهد هذا المصاف وأنه يشخص إليه إلىٰ سلمية. قال الشريف رحمه الله: وكان الحسن ابن زكرويه – لما أحس بقرب الجيوش – عرض أصحابه، وأخرج الأقوياء منهم عن الضعفة والسواد، وأنفذ الجيش وتخلف هو في السواد والضعفة، فلما

انهزم أصحابه ارتاع لذلك ورحل لوقته وسار خوفًا من الطلب، وتلاحق به من أفلت من أصحابه، فخاطبهم بأنهم أتوا من قبل أنفسهم وذنوبهم وأنهم لم يصدقوا الله، وحرضهم علىٰ المعاودة إلىٰ الحرب فلم يجبه منهم أحد إلىٰ ذلك، واعتلوا بفناء الرجال وكثرة الجراح فيهم، فلما أيس منهم قال لهم: قد كاتبني خلق من أهل بغداد بالبيعة لي، ودعاتي بها ينتظرون أمري، وقد خلت من السلطان الآن، وأنا شاخص نحوها لأظهر بها، ومستخلف عليكم أنا الحسين القاسم بن أحمد صاحبي، وكتبي ترد عليه بما يعمل به فاسمعوا له وأطيعوا أمره فضمنوا له ذلك، وشخص معه قريبه عيسى ابن أخت مهرويه المسمى بالمدثر وصاحبه المطوق وغلام له رومي، وأخذ دليلًا يرشدهم إلىٰ الطريق وساروا يريدون سواد الكوفة، وسلك البر وتجنب المدن والقرى، حتى صار قريبًا من الدالية نفذ زاده، فأمر الدليل فمال بهم إليها، ونزل بالقرب منها خلف رابية، ووجه بعض من كان معه لابتياع ما يصلحه، فلما دخلها أنكر زيه بعض أهلها وساء له عن أمره فورى وتلجلج، فاستراب به وقبض عليه وأتى به وإليها، وكان يعرف بأبي خبزة يخلف أحمد بن كشمرد صاحب الحرب بطريق الفرات، وقال: والدالية قرية من عمل الفرات، قال: فسأله أبو خبزة عن خبره ورهب عليه، فعرفه أن القرمطى الذي خرج أمير المؤمنين المكتفي بالله في طلبه، خاف رابية أشار إليها، فسار أبو خبزة إلىٰ ذلك الموضع ومعه جماعة بالسلاح حتى أشرف عليهم، فأخذهم وشدهم وثاقًا وتوجه بهم إلىٰ صاحبه ابن كشمرد، فسار بهم إلىٰ المكتفي وهو يومئذ بالرقة، فأمر أن يشهروا بها ففعل بهم ذلك، وألبس الحسن بن زكروية دراعة ديباج وبرنس من حرير وهو علىٰ بختي، والمدثر والمطوق علىٰ جملين عليهما دراعتا ديباج وبرانس حرير، وهم بين يديه، وذلك في يوم الأربعاء لأربع بقين من المحرم سنة إحدى وتسعين ومائتين.[1]

---

(١) نهاية الأرب في فنون الأدب ـ النويري .

المكتفي العباسي ينتقم من القرامطة ويقتل ثلاثمائة وستون أسيرا قرمطيا :

قال النويري: «وقدم محمد بن سليمان الكاتب الرقة والجيوش معه، بعد أن تتبعوا ما بقي من القرامطة فأسروا وقتلوا، فخلف المكتفى بالله عساكره مع محمد بن سليمان بالرقة، وشخص في خاصته وغلمانه وتبعه وزيره القاسم بن عبيد الله إلىٰ بغداد، وحمل القرمطي وأصحابه معه ومن أسر في الوقعة، وذلك في أول يوم من صفر سنة إحدى وتسعين ومائتين، فلما صار إلىٰ بغداد عمل له دميانه غلام يا زمان كرسيا سمكه ذراعان ونصف، وأركبه علىٰ فيل وركبه عليه ودخل المكتفى بالله وهو بين يديه مع أصحابه الأسرى، عليهم دراريع الديباج والبرانس والمطوق في وسط الأسرى علىٰ جمل، وهو غلام حدث قد جعل في فيه خشبة مخروطة قد شدت إلىٰ قفاه كاللجام، وذلك أنهم في وقت دخولهم الرقة أكثر الناس الدعاء عليهم، فكان هو يشتم الناس الذين يدعون عليهم ويبصق عليهم، وكان دخولهم كذلك لليلتين خلتا من شهر ربيع الأول من هذه السنة.

قال: فلما وصل المكتفي إلىٰ داره حبسهم ووكل بهم، ووصل محمد بن سليمان بعد ذلك علىٰ طريق الفرات في الجيش، وقد تلقط بقايا القرامطة من كل وجه، فنزل بباب الأنبار في ليلة الخميس لاثنتي عشرة ليلة خلت من شهر ربيع الأول من السنة، فأمر المكتفي وأصحاب القواد وأصحاب الشرط بتلقيه والدخول معه، فدخل محمد بن سليمان في زي حسن ومعه بين يديه نيف وسبعون أسيرًا، وخلع الخليفة علي بن سليمان وطوقه بطوق من ذهب، وسوره بسوار من ذهب، وخلع علي جميع القواد وطوقوا وسوروا، وحبس الأسرى وكان المكتفي بالله وقت دخوله أمر أن تبنى له دكة في المصلى العتيق من الجانب الشرقي، مربعة ذرعها عشرون ذراعًا في مثلها وارتفاعها عشرة أذرع يصعد إليها بدرج، فلما كان يوم الاثنين لأربع بقين من الشهر ربيع الأول أمر المكتفي القواد وجميع الغلمان وصاحب جيشه وصاحب شرطته أن يحضروا هذه الدكة، فحضروها وصعد الوجوه ووقف الباقون علىٰ دوابهم، وخرج

التجار والعامة للنظر وحملوا الأسرى كلهم مع خلق كثير منهم كانوا بالكوفة وحملوا إلىٰ بغداد وغيرهم ممن حمل ممن كان علىٰ مذهبهم، فأحضر جميعهم علىٰ الجمال وقتلوا جميعًا وعدتهم ثلاث مائة وستون وقيل ثلاثمائة ونيف وعشرون، وقدم الحسن بن زكرويه عيسى ابن أخت مهرويه، وهما زميلان، علىٰ بغل في عمارية، وقد أرسل عليهما أغشية، فأصعدا إلىٰ الدكة وأقعدا، وقدم أربعة وثلاثون إنسانًا من الأسرى من وجوه القرامطة، ممن عرف بالنكاية والعداوة للإسلام والكلب علىٰ سفك الدماء واستباحة النساء وقتل الأطفال، وكان كل واحد منهم يبطح علىٰ وجهه فتقطع يده اليمنى ويرمى بها إلىٰ أسفل ليراها الناس، ثم تقطع رجله اليسرى، ثم يده اليسرى، ثم رجله اليمنى ويرمى بها إلىٰ أسفل ثم تضرب عنقه ويرمى به إلىٰ أسفل، فلما فرغ منهم قدم المدثر ففعل به مثل ذلك ثم كوى ليعذب ثم ضربت عنقه، ثم قدم الحسن بن زكرويه فضرب مائتي سوط، ثم قطعت يداه ورجلاه وكوى وضربت عنقه، ورفع رأسه علىٰ خشبة، وحملت الرؤوس فصلبت علىٰ الجسر، وصلب بدن الحسن فمكث مصلوبًا نحو من سنة، ثم سقط عليه حائط، ودفنت أجساد الأسرى عند الدكة، وهدمت بعد أيام». انتهىٰ[1]

أحداث عام ٢٩٣هـ

ذكر ابن الجوزي أحداث سنة ثلاث وتسعين ومائتين قوله: «فمن الحوادث فيها: أنه ورد الخبر أن أخا الحسين بن زكرويه المعروف بصاحب الشامة ظهر بالدالية من طريق الفرات، واجتمع إليه جماعة من الاعراب والمتلصصة، وانه قد عاث بتلك الناحية، وحارب أهلها، فخرج إليه الجند. ثم ورد الخبر أنه صار إلىٰ طبرية، فامتنعوا من إدخاله، فحاربهم حتى دخلها فقتل عامة من بها من الرجال والنساء ونهبها وانصرف إلىٰ ناحية البادية.

---

(١) نهاية الأرب في فنون الأدب النويري.

وفي شهر ربيع الآخر ورد الخبر بأن الداعية الذي بنواحي اليمن صار إلىٰ مدينة صنعاء، فحاربه أهلها، فظفر بهم فقتلهم إلا القليل وتغلب علىٰ سائل مدن اليمن. ثم نبغ قوم من القرامطة فنهبوا بلد هيت، وقتلوا خلقًا من أهلها، وأخذوا ما قدروا عليه من المال، وأوقروا ثلاثة آلاف راحلة، فبعث السلطان إليهم فتفرقوا، وجاءوا برأس رئيسهم فسلموا. ثم نبغ منهم آخرون وجرت لهم حروب، ودخلوا الكوفة حين انصرف الناس من صلاة عيد الأضحى وهم ثماني مائة فارس، ونادوا: يالثارات الحسين ـ يعنون الحسين بن زكرويه المصلوب علىٰ الجسر ـ وشعارهم يا أحمد يا محمد ـ يعنون المقتولين معه ـ وأظهروا الأعلام البيض، فقتلوا من أدركوا، وسلبوا، وبادر الناس إلىٰ المدينة، فدخلوها ودخل من القرامطة خلفهم نحو من خمسمائة، فرماهم العوام بالحجارة وألقوا عليهم الستر فخرجوا بعد أن قتل منهم نحو من عشرين. ونصب المقياس علىٰ دجلة من جانبيها طوله خمس وعشرون ذراعًا، علىٰ كل ذراع علامة مدورة، وعلى كل خمسة أذرع علامة مربعة، مكتوب عليها بحديدة علامة الأذرع تعرف بها مبالغ الزيادات. وضمن محمد بن جعفر بادوريا بعشرة آلاف كر حنطة وشعير نصفان وبألف ألف وستمائة ألف درهم. وحج بالناس في هذه السنة الفضل بن عبد الملك الهاشمي». انتهىٰ[1]

قتل زكروية بن مهرويه وانتهاء أمر القرامطة بالشام والكوفة :

ذكر النويري: «كان الحسن بن زكرويه قد خلف القاسم بن أحمد المكني بأبي الحسين خليفة علىٰ من بسلمية من أصحابه كما قدمنا، فقدم سواد الكوفة إلىٰ زكرويه فأخبره بخبر القوم، الذين استخلفه عليهم ابنه الحسن أنهم اضطربوا عليه، وأنه خافهم وتركهم وانصرف، فلامه زكرويه علىٰ قدومه لومًا كثيرًا، وقال له: ألا كاتبتني قبل انصرافك إلي، ووجده علىٰ ما به تحت خوف شديد من طلب السلطان من وجه وطلب أصحاب عبدان الذي كان قد تسبب في قتله من وجه آخر ثم إن زكرويه

---

(١) ابن الجوزي.

أعرض عن القاسم وأنفذ رجلًا من أصحابه، وكان يعلم الصبيان بالزابوقة يقال له محمد بن عبد الله بن سعيد المكني أبا غانم في سنة ثلاث وتسعين ومائتين فتسمى نصرًا، وأمه أن يتوجه إلىٰ أحياء كلب ويدعوهم، فدار أحياء كلب ودعاهم فلم يقبله إلا رجل من بني زياد يعرف بمقدام بن الكيال، ثم استجاب له طوائف من الأصبعيين الذين يعرفون بالفواطم، وقوم من بني العليص وصعاليك من بني كلب، فسار بهم نحو الشام، وعامل المكتفى بالله يومئذ علىٰ دمشق والأردن أحمد بن كيغلغ، وهم بنواحي مصر علىٰ حرب إبراهيم الخليجي، وكان قد خالف كما قدمنا ذكر ذلك، فاغتم محمد بن عبد الله بن سعيد غيبته فصار إلىٰ مدينتي بصرى وأذرعات فحارب أهلها ثم أمنهم فلما استسلموا قتل مقاتلتهم وسبى ذراريهم وأخذ جميع أموالهم، وسار نحو دمشق فخرج إليه صالح بن الفضل خليفة ابن كيغلغ فيمن معه، فأثخنوا فيهم وظفروا عليهم ثم غروهم ببذل الأمان، فقتلوا صالحًا وعسكره وقصدوا دخول دمشق فدفعهم عنها أهلها فانصرفوا إلىٰ طبرية، ولحق بهم جماعة من الجند ممن سلم بدمشق، فواقعهم يوسف بن إبراهيم، عامل ابن كيغلغ علىٰ الأردن، فهزموه، وبذلوا له الأمان ثم غدروا به فقتلوه ونهبوا طبرية وقتلوا وسبوا النساء، فأنفذ المكتفي الحسين بن حمدان في طلبهم مع وجوه من القواد، فدخل دمشق وهم بطبرية، فلما علموا بذلك عطفوا نحو السماوة، وأتبعهم الحسين بن حمدان في البرية، فأقبلوا ينتقلون من ماء إلىٰ ماء يغورون ما يرتحلون عنه من الماء، فلم يزالوا علىٰ ذلك حتى وردوا الماء ين المعروفين بالدمعانة والحالة، فانقطع عنهم لعدم الماء فمال نحو رحبة مالك بن طوق، وأسرى عدو الله حتى وافى هيت غارون وذلك لتسع بقين من شعبان سنة ثلاث وتسعين ومائتين، طلوع الشمس، فنهب ربض هيت والسفن التي في الفرات وقتل نحو مائتي إنسان، وأقام هناك يومين والقوم متحصنون، ثم رحل بما أخذه وبمائتي كرحنطة إلىٰ نحو الماء ين وبقية أصحابه هناك، فلما اتصل الخبر بالمكتفى أرسل إلىٰ هيت محمد بن إسحاق بن كنداجيق ومعه جماعة من القواد

في جيش كثيف، فوجدهم أتبعه بمؤنس الخادم، فنهض محمد بن إسحاق نحوهم فوجدهم قد غاروا المياه، فأنفذ إليه من بغداد بالروايا والقرب والمزاد، وكتب إلىٰ الحسين بن حمدان بالنفوذ إليهم من الرحبة، فلما أحسوا بذلك إئتمروا بصاحبهم نصر، فوثب عليه رجل من أصحابه يقال له الذيب بن القائم فقتله، وشخص إلىٰ بغداد متقربًا بذلك ومستأمنًا، فأسنيت له الجائزة وكف عن طلب قومه بقتل محمد هذا، فمكث أيامًا ببغداد وهرب، ثم إن طلائع محمد بن كنداجيق ظفرت برأس محمد المقتول هذا، فحمل إلىٰ بغداد.

قال: ثم إن قومًا من بني كلاب أنكروا ما فعله الذيب من قتل محمد، ورضيه آخرون فتحزبوا أحزابًا، فاقتتلوا قتالًا شديدًا حتى كثرت القتلى بينهم ثم افترقوا، فصارت الفرقة التي رضيت قتله إلىٰ ناحية عين التمر، وتخلف من كره قتله علىٰ الماء الذي كانوا ينزلون عليه، واتصل الخبر بكروية بن مهرويه فرد القاسم إليهم.

إرسال زكرويه بن مهرويه القاسم بن أحمد ودخوله الكوفة وما كان من أمره

قال: ولما اتصل الخبر بزكرويه كان القاسم بن أحمد عنده، فرده إليهم لمعرفتهم به، ورد عليهم جمعهم ووعظهم، وقال: أنا رسول وليكم وهو غائب عليكم فيما أقدم عليه الذيب بن القائم، وأنكم قد ارتدتم عن الدين، فاعتذروا وحلفوا ما كان ذلك بمحبتهم، وذكروا ما جرى بينهم وبين أهلهم من الخلف والقتل والبعد بهذا السبب، فقال لهم: قد جئتكم الآن بما لم يأتكم به أحد تقدمني، وليكم يقول لكم: قد حضر أمركم وقرب ظهوركم، وقد بايع له من أهل الكوفة أربعون ألفا ومن أهل سوداها أكثر، وموعدكم اليوم الذي ذكره الله، يوم الزينة وأن يحشر الناس ضحى، فأجمعوا أمركم وسيرو إلىٰ الكوفة، فإنه لا دافع لكم عنها، ومنجز وعدي الذي جاءتكم به رسلي، فسروا بذلك سرورًا كثيرًا وارتحلوا نحو الكوفة، فلما وردوا إلىٰ القطقطانة، وهي قرية خراب في البر، بينها وبين الكوفة ستة وثلاثون ميلًا، وذلك يوم الأربعاء قبل يوم عرفة بيوم من سنة ثلاث وتسعين ومائتين، خلفوا بها الخدم والأموال أمرهم

أن يلحقوا به عن الرحبة ستة أميال لها ألف وسيلة ثم شاور الوجوه من أصحابه في أي وقت يأتي الكوفة؟ فقال قائل ليلًا فلا يتحرك أحد إلا قتلناه، ويخرج إلينا وإليها في قلة فنأخذه ونقتله، وقال آخر: نمهل أن ندخلها عشاء في يوم العيد، والجند سكارى والبلد خال، فنقصد باب إسحاق وهو غافل فنأخذه ونقف علىٰ بابه، فلا يأتينا أحد إلا قتلناه، فإنهم لا يأتونا إلا نفر بعد نفر، وكانت شحنة الكوفة يومئذ سبعة آلاف رجل، إلا أن المقيم بالكوفة يومئذ أربعة آلاف من الدميانية والمصريين وغيرهم، والناس فيها أحياء والبلد علىٰ غاية الاجتماع والحسن وكثرة الناسِ، وقال آخرون: نسير ليلتنا ثم نكمن في النجف في شعابه فنزيح الخيل والإبل وننام، ونركب عمود الصبح فنشنها غارة علىٰ أهل المصلى، وقد نزل الجند للصلاة وركب غلمانهم الدواب، ونضع السيف وجل أهل البلد هناك، فقال اللعين: هذا هو الرأي، فركبوا وساروا حتى حصلوا في بعض المواضع فناموا، فلم يوقظهم إلا مس الشمس يوم العيد، لطفًا من الله تعالى بالناس، قال: وقد كان أحد ما شغلهم أنهم اجتازوا بقوم من اليهود يدفنون ميتًا لهم بالنخيلة، فشغلهم قتلهم فلم يصلوا إلىٰ الكوفة إلا وقد صلى إسحاق بن عمران بالناس العيد، وانصرف والناس متبددون في ظاهر الكوفة ومنهم من قد انصرف، ولإسحاق بن عمران طلائع تتفقد، وكان ذلك لأمور قد أرجف الناس بها في البلد، من فتن تحدث من غير جهة القرامطة، وقيل كانت عدتهم ثمانمائة فارس وأربعمائة راجل: وهم يقاتلون علىٰ طمع وشبهة، فأقبلوا يقدمهم هذا المكنى بأبي الحسين. قال: وكان أحد الألطاف أن إسحاق بن عمران قد أحدث مصلى بالقرب من طرف البلد فصلى فيه، وكان الرجوع منه إلىٰ البلد سهلًا، فقصدت القرامطة المصلى العتيق، علىٰ ما كانوا يقدرون من اجتماع الناس فيه، فلم يصادف فيه أحد، فأقبلت خيل منهم من تلك الجهة، فدخلوا الكوفة من يمينها، فوضعوا السيف حتى وصلوا إلىٰ حبسها ففتحوه وقتلوا كثيرًا من الناس وأخرجوا خلقًا، فارتجت الكوفة وخرج الناس بالسلاح، وتكاثر الناس علىٰ من دخل الكوفة من القرامطة، فقذفوهم

بالحجارة فقتل منهم جماعة، وأقبل جل القوم نحو الخندق فقتلوا ناسًا، وناوشهم طوائف من الجند تخلفوا بالصحراء وبعض ما كان أنفذ إسحاق بن عمران طليعة، فقتلوا بعضهم وأفلت إلىٰ البلد، وكان إسحاق بن عمران قد انصرف في أحسن زي وأجمله، فلما صار قرب داره تفرق الجيش عنه إلا خواصًا، كان قد عمل لهم سماطًا في داره، فلما سار في بعض الطريق لحقه فارس من بني أسد علىٰ فرس له بلقاء، قد طعنت في عنقها ودمها سائل ودمها علىٰ كتفها إلىٰ الحافر، فشق الجند وزاحم غلمانه وجاوز إسحاق بن عمران، ثم قلب رأس فرسه إليه فوقف له، فقال: جاءتنا أيها الأمير خيل من الأعراب، فقتلت وسلبت وخرجت إلىٰ الصحراء، فلما رددناهم طعنت فرسي، فقلب إسحاق بن عمران فرسه راجعًا، وأمر بإخراج الجند نحو الخندق، وبين يدي إسحاق بن عمران نحو من ستين راجلًا، ومعه غلمانه ونفر يسير من الجند، حتى صار عند قصر عيسى بن موسى ومعه أبو عيسى صالح بن علي بن يحيى الهاشمي يسايره فالتفت إليه، وقال: خذ هؤلاء الرجالة وامض إلىٰ قنطرة بني عبد الوهاب - وهي إحدى قناطر الخندق - فاكشفها، فأخذهم ومضى، وتقدم إلىٰ عبد الله الحسين بن عمر العلوي أن يدور في البلد ويسكن الناس، فدار وعليه السواد فسكن الناس، وخرج كثير من الناس بالسلاح، وتفرق من دخل الكوفة من القرامطة لما رماهم أهلها، وقتل بعض القصابين رجلًا منهم بساطور، وكان فيمن تفرق منهم رجل من كلب يعرف بالمقلقل، وهو أحد رجالهم وشجعانهم في جمع معه، فأفضى به الطريق إلىٰ دار عيسى بن علي، فلقيهم أحد الفرسان من الجند يعرف بالورداني، قد ركب لما سمع الصيحة، فلم يشك أنهم من الجند لما رأى من كثرة الجواشن عليهم والدروع، فقال لهم: سيروا يا أصحابنا، فأمسكوا عنه حتى توسطهم ثم عطفوا عليه بالسيوف فقتلوه، وأخذوا دابته وساروا نحو الخندق للقاء أصحابهم، فلما صاروا بالصحراء من الكوفة نظر إليهم أبو عيسى، فلم يشك أنهم من أصحاب السلطان، ثم نظر إليهم وقد لقوا جماعة من العامة، فأقبلوا يسبلونهم، فتبين أمرهم فحمل عليهم فعدلوا عن سلب أولئك، وحمل فارسهم المقلقل - وكان رجلًا عظيمًا

جسيمًا - وفي يده سيف عريض، فالتقى هو وأبو عيسى فطعنه أبو عيسى تحت ثندوته فصرعه، فحذفه المقلقل بالسيف فأصاب جحفله فرسه فعقره، وأمر أبو عيسى بعض الرجالة فاختز رأسه ووجه به إلىٰ إسحاق بن عمران، وقد رفع رأسه، فكان ذلك أحد ما كسرهم؛ قال: واجتمعت الخيل والرجالة فقاتلهم إسحاق بمن معه - وليسوا بالكثيرين - قتالًا شديدًا، في يوم صائف شديد الحر طويل إلىٰ الزوال، وخرج الناس من العامة فانصرف القرامطة مكدودين فنزلوا العدير علىٰ ميلين من الكوفة وارتحلوا عشيًا نحو سوادهم، واجتازوا بالقادسية، وقد وصل إليهم رسول إسحاق بن عمران، فحذرهم أمرهم يعني حذر أهل القادسية، وعرف يومئذ صبر إسحاق ابن عمران علىٰ حملاتهم وتشجيعه لأصحابه.

قال: وأخرج إسحاق بن عمران مضاربة بظاهر الكوفة، وخرج إليه أصحابه فعسكر، وبات الناس بالكوفة علىٰ غاية الجزع والتحارس ونصب الحجارة علىٰ الأسطحة؛ قال: ولم وصلت القرامطة إلىٰ عين الرحبة وكانوا قد خلفوا سوادهم هناك، فرحلوا ثم وساروا بهم فنزلوا عينًا بسرة العذيب تعرف بعين عبد الله، ثم رحلوا فنزلوا قرية تعرف بالصوان علىٰ نهر هد من سواد الكوفة، ثم مضى أبو الحين إلىٰ قرية تعرف بالدرنة علىٰ نهر زياد من سواد الكوفة، فخرج إليه بها زكرويه وكان من أمره ما نذكره.

زكرويه بن مهرويه وقتاله عساكر الخليفة وأخذه الحاج وما كان من أمره إلىٰ أن قتل كان ظهور زكرويه بن مهرويه في سنة ثلاث وتسعين ومائتين، وذلك أنه لما وصل القاسم بن أحمد إلىٰ الدرنة خرج زكرويه إليه منها وكان بها مستترًا كما ذكرنا فيما تقدم، فقال القاسم للعسكر: هذا صاحبكم وسيدكم ووليكم الذي تنتظرونه، فترجلوا بأجمعهم وألصقوا خدودهم بالأرض، وضرب لزكرويه مضرب عظيم وطافوا به وسروا سرورًا عظيمًا، واجتمع إليه أهل دعوته من أهل السواد فعظم جيشه جدًا، وكان إسحاق بن عمران قد كتب إلىٰ العباس بن الحسن وزير المكتفي - يخبره

خبر القرامطة ومهاجمتهم علىٰ الكوفة وما كان من خبرهم، وأثنى علىٰ من عنده من الجند وذكر حسن بلائهم، فلما وصل إليه الكتاب قلق له، وشاور بعض أصحابه في لقاء الخليفة المكتفى بالله بذلك، فأشار عليه بتعجيله بذلك، فقال الوزير: كيف ألقاه بهذا مع ما يحتاج إليه من الأموال ولعهدي به، وقد ناظرني منذ يومين في دينار واحد، ذكر أنه فضل بقية نفقة رفعت إليه، فقال له صاحبه: أيها الوزير إن أسعفك وإلا ففي خدمك وأسبابك فضل فوظفها علينا، وتنفق فيها، فقال: فرجت، والله - عني، ثم لبس ثيابه وأتى إلىٰ المكتفي بالله فدخل عليه في غير وقت الدخول فعرفه الخبر، فقال له المكتفى: كأنك يا عباس قد قلت: كيف أخبر أمير المؤمنين بمثل هذا وقد ناظرني في دينار فضل نفقة! فقال: قد كان ذاك يا أمير المؤمنين، قال: إنما جرى ذلك لمثل هذا، فلا تبخل بمال في مثل هذا، وأباحه الأموال والإنفاق في الرجال ليلًا ونهارًا، فأنفذ الوزير جنى الصعفراني ومباركًا القمي وتحرير العمري ورائقًا وطائفة من الغلمان الحجرية وجماعة من القواد في جيش عظيم، فوصل أوائلهم في اليوم السادس من يوم النحر، فركب إليهم إسحاق بن عمران وذكر لهم قوة من لقي من القرامطة، وأنه قد مارسهم، وحذرهم أن يغيروا بهم، وقال لهم: سيروا إلىٰ القادسية فإن بينكم وبينها مرحلة، وإذا صرتم بها فأريحوا واستريحوا وتجمعوا، ثم سيروا إليهم وطاولوهم ونازلوهم فإن الظفر برجي بذلك فيهم عندي، ولا ترموا بأنفسكم عليهم صبر غير أنكال، فقال له بشر الأفشيني: إن رأيناهم كفيناك القول يا أبا يعقوب، إنما نخشى أن يهربوا، فدعا لهم بالنصر ورحلوا نحو القادسية، فتابوا بها ليلة ورحلوا في آخرها إلىٰ الصوان، وبين الموضعين نحو العشرة أميال، ورحلوا بالأثقال والفهود والبزاة وهم علىٰ غير تعبئة مستخففين بهم، فأسرعوا السير ووصلوا وقد تعب ظهرهم وقل نشاطهم وقد عمد القرامطة فضربوا بيوتهم إلىٰ جانب جرف عظيم لنهر هناك وأثقالهم مما يلي البيوت، والرجالة في أيديهم السيوف، وقتالهم من وجه واحد صفا واحدًا قدام البيوت بقدر نصف غلوة، والفرسان جلوس خلف الرجالة، فلما تراءى الفريقان ركب الفرسان وافترقوا فصاروا جناحين للرجالة، وحملوا علىٰ الناس فصدقوهم

الحملة فانكفأوا راجعين، وتلاقى الرجالة من الفريقين، فأتت رجالة العسكر علىٰ رجالة القرامطة وألجأوهم إلىٰ البيوت، وأقبلت الفرسان فنظروا إلىٰ الرجالة ينهبون بيوتهم، فترحلوا وحملوا خيلهم الأمتعة، وكانت القرامطة في مجنبات الناس لما رأوا من صدق القتال، فلما رأوا الناس قد حملوا الدواب والجمازات وتشاغلوا حملوا علىٰ الجمازات والبغال بالرماح، فأقبلت لا يردها شيء عن الناس تخطبهم، فانهزم الناس ووضع السيف فيهم، وقتل الأكثر وتبع الأقل نحو القادسية وفيهم مبارك القمى، فأقاموا ثلاثًا يجمعون السلب والأسرى، وجمع زكرويه الآلة والمتاع والأثاث والجمازات، فقبل إنه أخذ ثلاثمائة جمل وخمسمائة بغل مما كان للسلطان سوى ما أخذ للقواد، وقيل إنه قتل ألفًا وخمسمائة رجل، فقوى أصحابه جدًا، ودخل الكوفة فلول الجيش عراة. ورحل زكرويه يريد الحاج وبعث دعاته إلىٰ السواد، فلم يلحق به فيما قيل إلا النساء والصبيان، قال: ولما وقف الخليفة علىٰ صورة الأمر عظم عليه وعلى الناس وخافوا علىٰ الحجاج، فانفذ المكتفى بالله محمد بن إسحاق بن كنداج لحفظ الحاج وطلب زكرويه، وضم إليه خلقًا عظيمًا وجماعة من القواد ونحو ألفي رجل من بني شيبان واليمن وغيرهم، وكان زكرويه قد نزل علىٰ عين الزبيدية، ثم نزل علىٰ أربعة أميال من واقصة، فوافت القافلة لست أو سبع خلت من المحرم من سنة أربع وتسعين ومائتين، فأنذرهم أهل المنزل بالقرامطة فلم ينزلوا وطووا، فنجاهم الله عز وجل، وكان معهم من أصحاب السلطان الحسن بن موسى وسما الإبراهيمي، فلما وافى زكرويه واقصة تعرف الخبر فعرف أنهم قد حذروهم، فقتل جماعة من أهل المنزل ونهب وأحرق الحشيش وتحصن الباقون منه، ورحل فلقيه الخراسانية من الحجاج علىٰ الأرض البسيطة التي تخرج منها حجارة النار، يوم الأحد لإحدى عشرة ليلة خلت من المحرم، وليس معهم أحد من أصحاب السلطان، فرشقوا القرامطة بالنشاب وقد أحاطوا بهم فانحازوا عنهم، ثم تقدم إلىٰ الحاج جماعة منهم فسألوهم: هل فيكم سلطان، فأنا لا نريدكم؟ فقالوا لهم: لا، إنما

نحن قوم حجاج، فقال لهم زكرويه: امضوا، فرحلوا وأملهم حتى ساروا ثم قصدهم، يبعج الجمال بالرماح حتى كسر بعضها بعضا واختلطت، ووضع السيف فقتل خلقًا عظيمًا واستولى علىٰ الأموال.

وقدم محمد بن إسحاق بن كنداج الكوفة ثم رحل إلىٰ القادسية فلما وقف علىٰ خبر مسيرهم نحو راقصة أنفذ علان بن كشمرد في خيل جريدة، حتى لقي فل الخراسانية فأشاروا عليه أن يلحق الحاج فإن القافلة الثانية تنزل العقبة الليلة أو من غد، فحث حتى تسبق إليها فتجتمع أنت ومن فيها علىٰ قتال الكفرة، الله الله في الناس أدركهم، فرحل راجعًا نحو القادسية وقال: لا أغرر برجال السلطان للقتل، فلقي بعد ذلك من المكتفي شرًا؛ وورد زكرويه العقبة يوم الاثنين لاثنتي عشرة ليلة خلت من المحرم وفي القافلة مبارك القمى وأحمد ابن نصر الديلمي وأحمد بن علي الهمذاني، وقد كانت كتب المكتفي اتصلت إلىٰ أمراء القافلة الثانية والثالثة مع رسله، يأمرهم أن يتجنبوا الطريق ويرجعوا إلىٰ المدينة، ويأخذوا علىٰ طريق البصرة أو غيرها فلم يفعلوا ذلك، ولما التقوا قتالًا شديدًا فكانت الغلبة لأصحاب السلطان حتى لم يشكوا في ذلك، ثم خرج اللعين زكرويه إلىٰ آخر القافلة وقد رأى خللًا هناك، فعمل في الجمال كما عمل في جمال الخراسانية، وقتل سائر الناس إلا يسيرًا استبعدهم أو شريدًا، ثم أنفذ خيلًا فلحقت من أفلت من أوائل القوم حتى ردوهم إليه، فقتلهم وأخذ النساء وجميع ما في القافلة، وقتل مباركًا القمى ومظفرًا ابنه وأسر أبا العشائر، فقطع يديه ورجليه وضرب عنقه، وأطلق من النساء ما لا حاجة له فيها، ووقع بعض الجرحى بين القتلى حتى تخلصوا ليلًا، ومات كثير من الناس جوعًا وعطشًا، وورد من قدم من الناس يخبرون أن نساء القرامطة كن يطفن بين القتلى فيقلن: عزيز علينا، من يرد ماء نسقيه، فإن كلمهن جريح مطروح أجهزن عليه، قال: ويقال إن جميع القتلى كانوا نحوا من عشرين ألفًا، وأخذ من الأموال ما لا يحصى كثرة. قال: ولما اتصل خبر القافلتين بمدينة السلام جاء الناس من ذلك ما شغلهم،

وتقدم السلطان بإخراج المال وإزاحة العلل، وأخرج العباس بن الحسن ومحمد بن داود الجراح الكاتب المتولي دواوين الخراج والضياع بالمسير إلىٰ الكوفة لإنقاذ الجيش منها، وحمل معه أموالًا عظيمة، وقال: كلما قرب نفاذ ما معك كاتبني لأمدك بالأموال، وخرج إليها يوم الثلاثاء لإحدى عشرة ليلة بقيت من المحرم، وقدم خزانة سلاح جعلها بالكوفة فما زالت بقاياها هناك إلىٰ أن أخذها الهجري. قال: ثم رحل زكرويه يريد القافلة الثالثة فلم يدع ماء في طريقه إلا طرح فيه جيف الموتى، ونزل زبالة فقتل من بها من التجار، ونهب الحصن وبث الطلائع خوفًا من لحوق عسكر السلطان به، فلما أبطأت القافلة عليه فنزل الشقوق ثم نزل في رمل يقال له الهبير والطليح، وأقام ينتظر القافلة وفيها من القواد نفيس المولدي، وعلى ساقتها صالح الأسود ومعه الشمسة، وكان المعتضد جعل فيها جواهر نفيسًا ومعه الخزانة، وكان في القافلة من الوجوه إبراهيم بن أبي الأشعث، ومعه كاتبه المنذر بن إبراهيم وميمون ابن إبراهيم الكاتب وكان إليه ديوان الخراج، والفرات بن أحمد ابن محمد بن الفرات، والحسن بن إسماعيل قرابة العباس بن الحسن، وعلي بن العباس النهيكي وغيرهم من الرؤساء، وخلق من مياسير التجار وفيها من المتاجر والرقيق ما يخرج عن الوصف، وفيها جماعة من الأشراف منهم أبو عبد الله أحمد بن موسى بن جعفر وجماعة من أهله، فأصاب بعضهم جراحات وأسر بقيتهم، فعرفهم بعض المولدين من وجوه عسكره فأخبره بهم، فخلى لأبي عبد الله أحمد بن موسى وأهله الطريق، ومكنهم من جمال تحملوا عليها، وكان أحمد بن موسى أحد من دخل بغداد وخبر السلطان بأمرهم وجلالة حالهم؛ وأقاموا بفيد وقد اتصل بهم أنهم ينتظرون مددًا من السلطان ففعل ابن كشمرد ما فعل من رجوعه إلىٰ القادسية ولم ينجدهم، فلما طال مقامهم نفذ ما في المنزل وغلا السعر جدًا، وجلوا عن الأجفر والخزيمية ثم الثعلبية ثم الهبير، فلم يستتم نزولهم حتى ناهضهم زكرويه فقاتلهم يومهم كله، ثم باتوا علىٰ السواء، ثم باكرهم فقاتلهم فبينما هم كذلك إذ أقبلت قافلة العمرة، وكان المتمرون

يتخلفون للعمرة بعد خروج الحاج إذ دخل المحرم، وينفردون قافلة واحدة وانقطع ذلك من تلك السنة، فاجتمع الناس وقاتلوهم يومهم، ونفذ الماء وعطشوا ولا ماء لهم هناك، وباتوا وزكرويه مستظهر عليهم، ثم عاودهم القتال حتى ملك القافلة، فقتل الناس وأخذ ما فيها من حريم ومال وغير ذلك، وأفلت ناس قليل قتل الناس وأخذ ما فيها من حريم ومال وغير ذلك، وأفلت ناس قليل قتل أكثرهم العطش، ثم سار مصعدًا نحو فيد فتحصن منه أهلها، فطاولهم فصبروا عليه ونزل منهم ثمانية عشر رجلًا بالحبال من رأس الحصن، فقاتلوا رجالتهم قتالًا شديدًا وقد أسندوا ظهورهم بسور الحصن، ورمى أهل الحصن بالحجارة؛ قال: سمعت داود بن عتاب الفيدي ـ وكان نبيلًا صدوقًا ـ قال: نزلنا إليهم نحو أربعين رجلًا متزرين بالسراويلات، وقد كان لحقهم ـ لا أدري ـ عطش قال أو جوع، قال: فطردناهم فمالوا إلىٰ حصن يقرب منا، وقد كان بيننا وبين أهله عداوة قديمة، أخذوا منهم الأمان ونزلوا ليفتحوا لهم، فقال بعضنا لبعض: إن ظفروا به أخذوا منه ما يحتاجون إليه، وعادوا إليكم، قال: فطرحنا أنفسنا عليهم وأحس بذلك أهل الحصن فقويت قلوبهم، وخرجوا فكشفناهم، وتبعهم جماعة منا فسلبوا منهم جمالًا، وكان ذلك سبب صلاحنا مع أصحاب الحصن. قال الشريف: ولم يبق دار بالكوفة وبغداد والعراق إلا وفيها مصيبة وعبرة سابلة وضجيج وعويل، حتى قيل إن المكتفي اعتزل النساء همًا وغمًا، قال: وخفي أمر زكرويه، لا يعلم أين توجه، وقد كان أخذ ناحية مطلع الشمس، فتقدم المكتفي يتتبع أحواله وإشجان البلدان ـ التي يخاف مصيره إليها ـ بالرجال، وأنفذ وصيف ابن صوارتكين ولجيم بن الهضيم والقاسم بن سيما في جيش عظيم بالميرة والزاد والمال والجمال، لاستقبال الناس وإزاحة عللهم، وتقدم يطلب زكرويه حيث كان، إلىٰ أن وردت كتب أهل فيد بخبره، فكوتب عند ذلك إسحاق بن كنداج بأن يلزم القادسية ونواحي الكوفة بجيشه، وكوتب لجيم بالمسير إلىٰ خفان ومعارضة زكرويه حيث كان، وأن ينفذ الطلائع والأعراب ويرغبوا في تتبع حاله حتى يعرف، فجاءت الأخبار بما غلب علىٰ ظنهم، أنه لم يخط ناحية البصرة وأنه يقصد الاجتماع مع أبي

سعيد الجنابي وهو المقدم ذكره، فاجتمع القواد وتشاوروا واستقبلوا طريقًا يقال له الطريق الشامي، ويقال له طريق الطف وهو بين الكوفة والبصرة، وعملوا علىٰ المقام هناك ليكونوا بين الكوفة وواسط والبصرة، فساروا مستدبري القبلة مستقبلي البصرة يرتجلون من ماء إلىٰ آخر، حتى نزلوا يوم السبت لثمان بقين من شهر ربيع الأول سنة أربع وتسعين ومائتين ركبًا فيه ماء بقرية خراب يقال لها صماخ، كان يسكنها علىٰ قديم الدهر قوم من ربيعة يقال لهم بنو عنزة، وبين هذا الموضع وبين البصرة ثلاثة أيام، فلقيهم قوم من الأعراب فخبروهم أن القرامطة بالثنى، وهو موضع من ذي قار الذي كانت فيه وقعة العرب مع العجم في أيام كسرى، وهو واد كثير الماء العذب وبينه وبين صماغ عشرة أميال، فبات الجيش بصماغ وتراءت الطلائع في عشي يومئذ، ورحل زكرويه من غد وهو طامع بالظفر، فالتقوا بقرية خراب يقال لها إرم، بينها وبين الثنى ثلاثة أميال، وذلك يوم الأحد لسبع بقين من شهر ربيع الأول، فاقتتلوا قتالًا شديدًا صبر فيه الفريقان جميعًا، ثم انهزم زكروية فقتل الجيش أكثر من معه، وأسر خلق كثير منهم وأفلت صعاليك من العرب علىٰ الخيل مجردين، ووصل إلىٰ زكروية ـ وهو في القبة ـ في أوائل السواد، فظنوا أنه في الخيل التي انهزمت، فقذف رجل بنار فوقعت في قبته فخرج من ظهرها فألقى نفسه من مؤخرها، ولحقه بعض الرجالة ـ وهو لا يعرفه ـ فضربه علىٰ رأسه ضربة أثخنته فسقط إلىٰ الأرض فأدركه صاحب للجيم كله يعرفه فأخذه وصار به إليه، فأخذه لجيم وأركب الذي جاءه به نجيبًا فارهًا، وقال له: طر ـ إن أمكنك ـ حتى تأتي بغداد، وعرف العباس بن الحسن الوزير أنك رسولي إليه، واشرح له ما شاهدت وسلم إليه الخاتم، فسار حتى دخل بغداد وأعلمه بالخبر.

قال: ومضى لجيم إلىٰ وصيف والقاسم بن سيما فعرفهما خبر زكروية واجتمعوا جميعًا وكتبوا كتاب الفتح، ونهب الجيش عسكر القرامطة وأخذوا زوج زكروية واسمها مؤمنة وأخذ خليفته وجماعة من خاصته وأقربائه وكاتبه، وانصرف

العسكر نحو الكوفة فمات زكروية بخفان من جراحات أصابته، صبر وكفن وحمل علىٰ جمل إلىٰ بغداد، وأدخلت جثته وزوجته وحرم أصحابه وأولادهم والأسرى ورؤوس من قتل بين يديه وخلفه نساؤه من الجوالقات.

قال ابن الأثير: وانهزم جماعة من أصحابه إلىٰ الشام، فأوقع بهم أصحاب الحسين بن حمدان فقتلوا عن آخرهم، وأخذ الأعراب رجلين من أصحاب زكروية يعرف أحدهما بالحداد والآخر بالمنتقم وهو أخو امرأة زكروية، كانا قد توجها إليهم يدعوانهم إلىٰ الخروج إلىٰ صاحبهم، فسيروهما إلىٰ بغداد، وتتبع الخليفة القرامطة بالعراق فقتل بعضهم وحبس بعضهم، وبادت هذه الطائفة منهم بالعراق مدة». انتهى'[١]

أحداث عام ٢٩٤هـ

وقد ذكر ابن الجوزي كيفية القضاء علىٰ زكروية ضمن احداث سنة أربع وتسعين ومائتين قال في المنتظم: «فمن الحوادث فيها: أن القرامطة اعترضوا قافلة الحاج في طريق مكة بالعقبة فقتلوهم وسبوا من النساء ما أرادوا واحتووا علىٰ ما في القافلة، فأخذوا ما قيمته ألفي دينار، فلما ورد الخبر علىٰ السلطان أشخص أبا عبد الله محمد بن داود الهاشمي الكاتب إلىٰ الكوفة لتسريح الجيوش منها إلىٰ القرمطي لحربه فأعطى مالًا كثيرًا ليفرقه في الجند ومعه محمد بن سعيد الأزرق كاتب الجيش، ثم صار القرمطي إلىٰ الشقوق، فأقام بها بموضع يعرف بالطليح ينتظر القافلة الأخرى، فلما وافته لقيهم بالهبير فحاربوه يومهم إلىٰ الليل، ثم انصرف عنهم، فلما أصبح عاودهم القتال، فلما كان في اليوم الثالث عطش أهل القافلة وهم علىٰ غير ماء فاقتتلوا ثم استسلموا، فوضع فيهم السيف فلم يفلت إلا اليسير منهم وأخذوا جميع ما في القافلة.

---

(١) نهاية الأرب في فنون الأدب النويري.

فأرسل السلطان من بني شيبان ألفين ومائتي فارس إلىٰ القرمطي لحربه، وسار زكرويه إلىٰ فيد وراسل أهلها فلم يظفر منهم بشيء، فتنحى إلىٰ النباج، ثم إلىٰ حفر أبي موسى، ثم أنهض المكتفي وصيف بن صوارتكين ومعه جماعة من القواد، فنفذوا من القادسية علىٰ طريق خفان فلقيهم وصيف يوم السبت لثمان بقين من ربيع الأول، فاقتتلوا يومهم فقتلوا منهم مقتلة عظيمة. وخلصوا إلىٰ زكرويه فضرب بالسيف ضربة خالطت دماغه، وأسروا جماعة من أهله وأصحابه، وعاش خمسة أيام ثم مات، فشق بطنه وقدم به والأسارى فقتلوا». انتهىٰ[1]

تمكن المكتفي أن يقطع الطريق عن قرامطة الشام واتصالهم بقرامطة البحرين وبذلك استطاع انهاء التمرد القرمطي بالشام والكوفة وذلك عام ٢٩٤هـ ولم يتبق في الكوفة سوى بعض الشخصيات القرمطية المتفرقة ليس ذات قوة فعالة.

وبالرغم من ذلك ظهرت بعض الشخصيات القرمطية عام ٢٩٥هـ محاولة إعادة القوة القرمطية ولكنها باءت بالفشل ومنها ماشار اليها النويري قوله: «أخبار من ظهر من القرامطة بعد مقتل زكرويه بن مهرويه قال الشريف أبو الحسين: ولما قتل زكروية سكن أمر القرامطة وانقطعت حركاتهم وذكر دعوتهم، فلما دخلت سنة خمس وتسعين ومائتين خرج رجل من السواد من الزط يعرف بأبي حاتم، فقصد أصحاب البوراني خاصة، وكان هذا البوراني داعيًا وأصحابه يعرفون بالبورانية، فلما ظهر أبو حاتم حرم عليهم الثوم والكراث والفجل، وحرم عليهم إراقة الدم من جميع الحيوان، وأمرهم بأشياء لا يقبلها إلا الأحمق السخيف من ترك الشرائع، وهذه الطائفة من القرامطة تعرف بالبقلية. وأقام أبو حاتم هذا نحو سنة ثم زال، ثم اختلفوا بعده وكانوا أهل قرى بسواد الكوفة، فقالت طائفة منهم زكرويه بن مهرويه حي، وإنما شبه علىٰ الناس به، وقالت فرقة منهم الحجة لله محمد ابن إسماعيل. ثم خرج رجل من بني عجل قرمطي يقال له: محمد بن قطبة فاجتمع له نحو من

---

(١) ابن الجوزي.

مائة رجل، فمضى بهم إلىٰ نحو الجامدة من واسط، فنهب وأفسد فخرج إليهم أمير الناحية فقتلهم وأسرهم.» انتهىٰ[١]

احداث عام ٢٩٨هـ

قال النويري: «ذكر استيلاء أحمد بن إسماعيل علىٰ سجستان وفي شهر رجب سنة ثمان وتسعين ومائتين استولى علىٰ سجستان، وذلك أنه لما استتب ملكه واستقرت قواعده سار في سنة سبع وتسعين ومائتين إلىٰ الري، وكان مسكنه ببخارى ثم سار إلىٰ هراة، فسير منها جيشًا في المحرم سنة ثمان وتسعين إلىٰ سجستان وعدة من قواده، واستعمل عليهم الحسين بن علي المرورروزي، وكان بسجستان المعدل بن علي بن الليث الصفار، وهو صاحبها، فسير المعدل أخاه أبا علي محمد إلىٰ بست ليجني أموالها، فسار الأمير أحمد إليه ببست وحاربه، وأخذه أسيرًا وعاد به إلىٰ هراة، وتوجه الحسين إلىٰ سجستان وحصر المعدل، فلما بلغه أن أخاه أسر، صالح الحسين واستأمن له، واستولى الحسين علىٰ سجستان، واستعل عليها الأمير أحمد أبا منصور بن إسحاق ـ وهو ابن عنه ـ وعاد الحسين ومعه المعدل إلىٰ بخارى، وقال: ولما استولى علىٰ سجستان سار سبكرى من فارس إليها علىٰ طريق المفازة، فسير إليه أحمد جيشًا فأخذوه أسيرًا واستولى علىٰ عسكره، وكتب الأمير أحمد بذلك إلىٰ المقتدر بالله فشكره، وأمره أن يحمل السبكرى ومحمد ابن علي بن الليث إلىٰ بغداد، فسيرهما فأدخلا مشهورين علىٰ فيلين، وأعاد المقتدر رسل أحمد بالتحف والهدايا. ثم خالف أهل سجستان علىٰ الأمير أحمد». انتهىٰ[٢]

---

(١) نهاية الأرب في فنون الأدب ـ النويري .

(٢) نهاية الأرب في فنون الأدب ـ النويري .

مقتل ابو سعيد الجنابي

أستطاع ابو سعيد الجنابي أن يوطد حكم القرامطة في البحرين منذ استيلائه علىٰ مدنها عام ٢٨٦هـ حتى قتل عام ٣٠١هـ وفي روايه أخرى ذكرها المسعودي قوله أنه قتل عام ٣٠٠هـ.

تمكن ابو سعيد الجنابي خلال مسيرته القيادية لقرامطة البحرين أن يستولي علىٰ هجر والاحساء والقطيف والطائف وسائر بلاد البحرين.[١]

واختلفت الروايات في سبب مقتل ابي سعيد الجنابي وكثرت واختلفت الروايات أيضا في مقتله كما اختلفت في حياته! ولاطلاع القارئ الكريم علىٰ أحداث قتل ابوسعيد القرمطي. نسرد تلك الروايات كما أوردتها كتب التاريخ.

ذكر النويري قوله: «كان مقتله في سنة إحدى وثلاثمائة بعد أن استولى علىٰ سائر بلاد البحرين، وكان سبب مقتله أنه لما هزم جيش العباس بن عمرو كما تقدم واستولى علىٰ عسكره، أخذ من عسكره خادمًا له صقلبيا، فاستخدمه وجعله علىٰ طعامه وشرابه، فمكث كذلك مدة طويلة لا يرى أبا سعيد فيها مصليًا لله عز وجل

---

(١) الكامل في التاريخ ـ ابن الأثير ج٨ ص٨٤.

صلاة واحدة، ولا يصوم في شهر رمضان ولا في غيره يومًا واحدًا، فأضمر الخادم لذلك قتله، فدخل معه الحمام يومًا. وكان الحمام في داره، فأخذ الخادم معه خنجرًا ماضيًا - ولم يكن معه في الحمام غيره، فلما تمكن منه أضجعه فذبحه، ثم خرج فقال: السيد يستدعي فلانًا لبعض بني سنبر فأحضر فقال: ادخل فدخل، فبادره فقبض عليه وذبحه، ولم يزل يستدعي من رؤساء القرامطة واحدأ واحدًا حتى قتل جماعة من رؤساء الوجوه، إلىٰ أن استدعى بعضهم فنظر عند دخوله إلىٰ باب البيت الأول دمًا جاريًا، فاستراب بذلك وخرج مبادرًا فلم يدركه الخادم وأعلم الناس، وعدم الخادم إلىٰ الباب فأغلقه وكان وثيقًا، فاجتمع الناس ونقبوا نقوبًا إلىٰ أن وصلوا إليه، فأخذه ابنه سعيد فأمر بشده بالحبال، ثم قرض لحمه بالمقاريض حتى مات رحمه الله تعالى.

وخلف أبو سعيد من الأولاد: أبا القاسم سعيدًا، وأبا طاهر سليمان، وأبا منصور أحمد، وأبا العباس إبراهيم، والعباس محمد، وأبا يعقوب يوسف، وكان أبو سعيد قد جمع رؤساء دولته وبني زرقان، وكان أحدهم زوج ابنته، وبني سنبر، وكان متزوجًا إليهم، وهم أخوال أولاده وبهم قامت دولته وقوى أمره، فأوصى إليهم إن حدث به موت أن يكون بأمرهم ابنه سعيدًا إلىٰ أن يكبر أبو طاهر، وكان سعيد أكبر من أبي طاهر سنًا، فإذا كبر أبو طاهر كان المدبر لهم، فلما قتل جرى الأمر علىٰ ما وصاهم به، وكان قد أخبرهم أن الفتوح يكون لأبي طاهر، فجلس سعيد يدبر الأمر بعد مقتل أبيه إلىٰ سنة خمس وثلاثمائة، ثم سلم الأمر لأخيه أبي طاهر، فدبره وعمل أشياء موه بها علىٰ عقول أصحابه فقبلوها وعظموا أمره، وكان من أخباره ما نذكره إن شاء الله تعالى، وكانت مدة تغلب أبي سعيد علىٰ البحرين وما والاها نحوا من ستة عشر سنة» انتهى[1]

كما ويذكر المسعودي سبب قتل ابو سعيد وذلك بقوله: «وسبب فتك الخادمين الصقلبيين الذي كان أخذهما حين واقع بدر المحلى وكان جاء من عمان

(١) نهاية الأرب في فنون الأدب ـ النويري.

في البحر لقتاله، وكان اصطنعهما فقتلاه في الحمام في ذي القعدة سنة ٣٠٠هـ وعدة من خواص أصحابه من القطيفين معه وهم حمدان وعلى ابنا سنبر، وبشر، وابو جعفر ابنا نصير، وهما خالا ولد ابن سعيد المعروف بابن جنان ومحمد بن إسحاق، وكانت مدة أبي سعيد مذ ظهرت دعوته بالقطيف وافتتح سائر مدن البحرين وآخرتها هجر إلىٰ أن قتل سبعا وعشرين سنة». انتهىٰ[1]

وقد أختلف المؤرخون أيضا في سنة مقتل ابو سعيد الجنابي وأن كنت أرى أن رواية المسعودي أقرب إلىٰ الصحة لأنه عايش بدايات القرامطة في القرن الثالث الهجري حتى وفاته سنة ٣٥٤هـ وبالتالي ما يذكره أقرب إلىٰ الصحة.

(١) التنبيه والإشراف ـ المسعودي ص٣٥٧ـ٣٥٨ دار مكتبة الهلال.

قرامطة البحرين بعد أبي سعيد الجنابي

يبدو أن قتل أبو سعيد الجنابي أدى إلىٰ فراغ سياسي في أوساط القرامطة بسبب عدم تواجد قائد قرمطي تتوفر فيه مواصفات شبيهه بأبي سعيد كما أن أبي سعيد لم يشأ أن يكون له منافس مابين القرامطة أنفسهم بل قام بالعمل علىٰ تأسيس حكم وراثي يتداول فيه أفراد أسرته حكم قرامطة البحرين.

بعد مقتل أبوسعيد قام بمهام الحكم المجلس العسكري وسمي بمجلس العقدانية كما سنأتي علىٰ ذكره وقد استمر المجلس في الحكم لقرابة عشر سنوات إلىٰ أن كبر ابو طاهر ابن أبي سعيد الجنابي وتسلم الحكم من مجلس العسكر.

وقد ذكر المسعودي في حديثه عن أبو طاهر قوله: «وقتل أبوه أبو سعيد الجنابي سنة ٣٠٠هـ، وله يومئذ ست سنين، وبقى العسكر تسع سنين إلىٰ أن تسلمه أبو طاهر في شهر رمضان سنة ٣١٠هـ». انتهى[(١)]

ويبدو أن مجلس العسكر كان مواليا بشكل كبير لقائدهم وزعيمهم أبو سعيد فقد انتظروا مدة عشر سنوات حتى يكبر وريث الحكم القرمطي في هجر وهو أبو

---

(١) التنبيه والإشراف ـ المسعودي ص٣٥٤ دار ومكتبة الهلال.

طاهر (الابن الثاني لأبي سعيد) وقد ذكر الذهبي أن ابو سعيد أوصى أن يكون أبو طاهر هو الوريث للحكم من بعده.

وذكر المقريزي خلاف قول المسعودي حيث أن من استلم الحكم بعد مقتل أبى سعيد ليس العسكر، ولكن قام بهذه المهمة سعيد الابن البكر وجلس يدبر الامر بعد وفاة أبيه حتى سلم الحكم إلىٰ أخيه بعد خمس سنوات من وفاة أبيه، قوله: «وكان أبو سعيد قد جمع رؤساء دولته، وأوصى إن حدث به موت يكون القيم بأمرهم سعيد ابنه إلىٰ أن يكبر أبو طاهر، وكان أبو طاهر أصغر سنا من سعيد، فإذا كبر أبو طاهر كان المدبر؛ فلما قتل جرى الأمر علىٰ ذلك.

وكان قد قال لهم سيكون الفتوح له، فجلس سعيد يدبر الأمر بعد قتل أبيه، وأمر فشد الخادم بحبال، وقرض لحمه بالمقاريض حتى مات؛ فلما كان في سنة خمس وثلاثمائة سلم سعيد إلىٰ أخيه أبي طاهر سليمان الأمر، فعظموا أمره». انتهى[1]

وذكر ابن الأثير قول آخر قال: «وكان أبو سعيد قد عهد إلىٰ ابنه سعيد، وهو الأكبر فعجز عن الأمر فغلبه أخوه الأصغر أبو طاهر سليمان، وكان شهما شجاعا ويرد من أخباره ما يعلم به محله». انتهى[2]

وقد شارك المقريزي في رأيه المؤرخ الذهبي الذي ذكر في كتابه تاريخ الإسلام قوله: «هذه تتمة أخبار أبي طاهر سليمان بن أبي سعيد الحسن بن بهرام الجنابي القرمطي ذكرها المصنف في غير موضعها وأمر أن تلحق هنا، فالحقتها حسب مرسومه. الناسخ، قال: وكان أبوه يحبه ويرجحه للأمر بعده وأوصي: أن حدث بي موت فالأمر إلىٰ ابني سعيد إلىٰ أن يكبر أبو طاهر فيعيد سعيد إليه الأمر». انتهى[3]

---

(١) اتعاظ الحنفاء بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفاء المقريزي.

(٢) الكامل في التاريخ ـ ابن الأثير ج٨ ص٨٤.

(٣) تاريخ الإسلام ـ الذهبي ج٢٥ ص١٣ دار الكتاب العربي.

على كل حال من الروايات المذكورة يتضح أن القرامطة منذ وفاة ابوسعيد أعدوا الأمر لابنه أبو طاهر في انتظار ان يقوى عوده لاستلام زمام الحكم، وكان أول اختبار لمجلس الحكم القرمطي بعد وفاة أبو سعيد هو الرد علىٰ رسالة من الوزير العباسي فيها تهديد ووعيد كانت مرسلة إلىٰ أبي سعيد الجنابي قبل قتله ولكن الرسل وصلوا إلىٰ البصرة وعلموا بقتلة ثم واصلوا طريقهم إلىٰ هجر.

وقد أورد الذهبي ما جاء في الرسالة والرد عليه من قبل القرامطة، قال: «قال ثابت: وكان علي بن عيسى أشار بمكاتبة أبي سعيد بن بهرام الجنابي والاعذار إليه وحضه علىٰ الطاعة، ووبخه علىٰ ما يحكى عنه وعن أصحابه من ترك الصلاة والزكاة واستباحة المحرمات ثم توعده وتهدده. فبلغ الرسل وهم بالبصرة مقتله، فكتبوا إلىٰ الوزير، فكتب إليهم: أن سيروا إلىٰ من قام بعده. فساروا وواصلوا الكتاب إلىٰ أولاده، فكتبوا جوابه، فكان: للوزير أبي الحسن من إخوته، سلام علىٰ الوزير، فإنا نحمد إليه الله الذي لاإله إلىٰ هو، ونسأله أن يصلي علىٰ سيدنا محمد ﷺ. وفيه: فأما ما ذكره عنا من انفرادنا عن الجماعة فنحن بل أفردنا عنها، وأخرجنا من ديارنا، واستحلوا دماءنا، ونحن نشرح للوزير حالنا: كان قديم أمرنا أنا كنا مستورين مقبلين علىٰ تجارتنا ومعايشنا ننزه أنفسنا عن المعاصي، ونحافظ علىٰ الفرائض، فنقم علينا سفهاء الناس وفجارهم ممن لا يعرف بدين، وأكثروا التشنيع علينا حتى جمع الناس علينا، وتظاهروا وشهدوا علينا بالزور، وأن نساءنا بيننا بالسوية وأنا لا نحرم حراما ولا نحلل حلالا،فخرجنا هاربين ومن بقي منا جعلوا في رقابهم الحبل والسلاسل إلىٰ أن قال: فأجلونا إلىٰ جزيرة، فأرسلنا إليهم نطلب أموالنا وحرمنا، فمنعوناها، وعزمزا علىٰ حربنا، فحاكمناهم إلىٰ الله، وقال تعالى: ومن عاقب بمثل ماعوقب به ثم بغى عليه لينصرنه الله، فنصرنا الله عليهم وأما ما أدعى علينا من الكفر وترك الصلاة فنحن تائبون مؤمنون بالله. فكتب الوزير يعدهم الإحسان». انتهى[1]

---

(١) تاريخ الإسلام ـ الذهبي ج٢٣ ص١٠ دار الكتاب العربي.

الهيئة العقدانية (٣٠١هـ-٣١٠هـ)

لعبت الهيئة العقدانية الاستشارية دور مهم في تاريخ القرامطة فكانت بمثابة مجلس البرلمان الذي ينتخب الحاكم من عائلة أبو سعيد الجنابي، وكانوا علىٰ درجة كبيرة من الموالاة للأسرة الحاكمة القرمطية، ولهذا نلاحظ أنهم بعد وفاة أبو سعيد الجنابي، استلموا الحكم وحافظوا عليه حتى سلموا زمام الحكم إلىٰ أبو طاهر بن حسن بهرام، منتظرين أن يكبر وقد كانت المدة ما يقارب تسع سنوات كما يذكر المسعودي قوله: وقتل أبوه أبو سعيد الجنابي سنة ٣٠٠، وله يومئذ ست سنين، وبقي العسكر تسع سنين إلىٰ أن تسلمه أبو طاهر في شهر رمضان سنة ٣١٠هـ[١]

وقامت هيئة العقدانية تدير دولة القرامطة دون مخالفة وصية أبو سعيد بتسليم الحكم إلىٰ ابنه أبو طاهر كما تذكر بعض الروايات.

ذكر المؤرخ الذهبي قوله: «هذه تتمة أخبار أبي طاهر سليمان بن أبي سعيد الحسن بن بهرام الجنابي القرمطي ذكرها المصنف في غير موضعها وأمر أن تلحق هنا، فألحقتها حسب مرسومه. الناسخ، قال: وكان أبوه يحبه ويرجحه للأمر بعده

---

(١) التنبيه والإشراف ـ المسعودي ص٣٥٤.

وأوصي: أن حدث بي موت فالأمر إلىٰ ابني سعيد إلىٰ أن يكبر أبو طاهر فيعيد سعيد إليه الأمر». انتهىٰ[(١)]

ذكر محمد سعيد المسلم قوله: العقدانية بمثابة الوزراء لأبي طاهر سليمان القرمطي، وكان لهم مجلس يتألف من ستة أعضاء ولهم ستة وكلاء يجلسون وراءهم، ويرأس الاجتماع أبو طاهر أو صهره (أخ امرأته) أبو محمد سنبر، وإذا تغيب الوزراء أناب عنهم الوكلاء، وهذا المجلس هو الذي يرسم سياسة البلاد وتعرض عليه جميع شؤون الدولة». انتهىٰ[(٢)]

مع وجود روايات أخرى تذكر أن أبو طاهر ثار علىٰ أخوه سعيد الابن الأكبر الذي كان أبيه يمهد له لمسك زمام الحكم من بعده كما أوضح ابن خلدون قوله: «كان ابتداء أمر القرامطة سنة ثمان وثلاثمائة فنقل الكلام: وكان أبو سعيد يمهد لابنه الأكبر سعيد فلم به وثار به أخوه الأصغر الظاهر سليمان فقتله، وقام بأمرهم وبايعه العقدانية وجاءه كتاب عبيد الله المهدي بالولاية». انتهىٰ[(٣)]

وذكر ابن الأثير أيضًا ذلك بقوله: «وكان أبو سعيد قد عهد إلىٰ ابنه سعيد، وهو الأكبر فعجز عن الأمر فغلبه أخوه الأصغر أبو طاهر سليمان، وكان شهما شجاعا ويرد من أخباره مايعلم به محله». انتهىٰ[(٤)]

ويبدو أن ابوسعيد كان متخوفًا من أن تقوم الهيئة العقدانية باستلام الحكم وعدم تسليمه إلىٰ أبنائه حتى يكبروا فقام بوضع قصة القبر الذي قال انه سيظهر من جديد بعد موته كما ذكرها خسرو الذي زار القرامطة في الاحساء وقال: وقد قال لهم أبو سعيد إني أرجع إليكم يعني بعد الوفاة وقبره داخل المدينة وقد بنوا عنده قبرًا

---

(١) تاريخ الإسلام ـ الذهبي ج٢٥ ص١٣ دار الكتاب العربي.

(٢) واحة علىٰ ضفاف الخليج القطيف ـ محمد سعيد المسلم ص٢١١.

(٣) تاريخ ابن خلدون ص٩٥٦.

(٤) الكامل في التاريخ ـ ابن الأثير ج٨ ص٨٤.

جميلًا وقد أوصى أبناءه قائلًا يرعى الملك ويحافظ عليه ستة من أبنائي يحكمون الناس بالعدل وللقسطاس ولا يختلفون فيما بينهم حتى أعود». انتهىٰ[1]

على كل حال استمر المجلس العقداني مواليا إلىٰ الأسرة الحاكمة وكان يتدخل لفض النزاعات بين أفراد الأسرة واعتقد أن سر استمرار الحكم القرمطي هو وجود تلك الهيئة الاستشارية الحكيمة التي ساعدت علىٰ البقاء القرمطي أسياد علىٰ منطقة البحرين لمدة طويلة. ولكن في آخر المطاف كما سيأتي لاحقا انقلاب هذا المجلس علىٰ الأسرة الحاكمة عندما ابتعدت عن الأهداف القرمطية، وأهمها محاربة الدولة العباسية.

ذكر ابن خلدون أنه في عام ٣١٤هـ انتقل القرامطة من البحرين (القطيف) إلىٰ الاحساء وذلك بسبب الخلاف الذي وقع بين الهيئة العقدانية وأهالي القطيف مركز القرامطة في البحرين، وذلك يدل علىٰ مدى أهمية هذه الهيئة ونفوذها بين القرامطة، قال ابن خلدون في تاريخه: «وفي سنة أربع عشرة وقع بين العقدانية وأهل البحرين خلاف فخرج أبو الطاهر وبنى مدينة الاحساء وسماها المؤمنية[2] فلم تعرف إلا به، وبنى قصره وأصحابه حوله». انتهىٰ[3]

في الحقيقة أن الخلاف الذي وقع بين الهيئة القرمطية وأهالي البحرين، لم يكن الخلاف الأول بل هذا الخلاف الثاني منذ أن عرف القرامطة المنطقة فقد سبق هذا الخلاف خلاف أهالي القطيف مع أبو سعيد الجنابي عندما اكتشف الأهالي أن ابو سعيد القرمطي ليس داعية الإمام المهدي المنتظر من قبل الشيعة الامامية الاثني عشرية الذين ينتظرون ظهور المصلح الإمام المهدي (الإمام محمد بن الحسن ﷺ)

---

(١) سفرنامة ـ ناصر خسرو.

(٢) وهذا بخلاف ماذكره آل عبد القادر قوله: وفي سنة سبع عشر بنى أبو طاهر مدينة بجانب مدينة هجر وأطلق عليها الاحساء». انتهىٰ ص٩٠ في كتابه تحفة المستفيد.

(٣) تاريخ ابن خلدون ـ ص٩٥٦.

بل كان يدعوا إلىٰ إمام الإسماعيلية وبالتالي تم رفضه فهرب عنهم وحاربهم بالتعاون مع الأعراب، ودمر مدنهم وأقام دولته علىٰ أرض القطيف، ولكن يبدو في عام ٣١٤هـ عاود الأهالي انتفاضتهم ضد القرامطة لهذا قررت الهيئة العقدانية الانتقال إلىٰ عاصمة القرامطة الجديدة المؤمنية علىٰ أراضي أحساء بني سعد. بعيدا عن الأهالي الذين يختلفون عنهم في الولاء المذهبي.

الفصل السابع



أبو طاهر الجنابي

- أبي طاهر الجنابي
- إقتلاع الحجر الأسود
- ما بعد اقتلاع الحجر الأسود.
- أبو طاهر يتوقف عن قطع طريق الحاج
- وفاة ابو طاهر

أبو طاهر سليمان بن الحسن (٣١٠هـ-٣٣٢هـ)

هو أبي طاهر سليمان بن حسن ابن بهرام الجنابي ولد عام ٢٩٤هـ وهو الابن المدلل لوالده أبو سعيد الذي قتل سنة ٣٠٠هـ وكان عمر ابو طاهر يومئذ ست سنين وبقى المجلس العسكري يقوم بإدارة الحكم إلىٰ أن تسلمه أبو طاهر في شهر رمضان سنة ٣١٠هـ وله من العمر ست عشر سنة، وتوفي بالأحساء يوم الاثنين لسبع عشر ليلة خلت من شهر رمضان سنة ٣٣٢هـ وله ثمان وثلاثون سنة.[1]

من الجدير بالذكر أنه منذ استلام ابو طاهر الحكم لابد لنا أن نقول أن الصلة بين الفكر القرمطي والدولة البوسعيدية انقطع ولابد أن لانقحم الفكر القرمطي في أعمال أبو طاهر، فأعمال أبو طاهر تنسب إلىٰ الحكم الوراثي الذي اسسه ابو سعيد والده، لان ابو طاهر لم ينشىء علىٰ الفكر القرمطي ولم يكن داعيه قرمطي ولم يتدرج في الفكر القرمطي ولكنه وريث حكم ابو سعيد مؤسس دولةَ البوسعيديه (قرامطة البحرين)، ولنا أمثلة تاريخيه، كيزيد ابن معاويه وريث الملك الاموي، قاتل الإمام الحسين ﷺ، حارق الكعبة في حكمه، عندما حاصرها عام أربعة وستون هجرية، يزيد ابن معاوية الذي استحل مدينة الرسول في موقعة الحره، يزيد ابن معاوية

(١) التنبيه والإشراف ـ المسعودي ص٣٥٤ دار ومكتبة الهلال .

الملقب بأمير المؤمنين، فأقول ما صلة المؤمنين بهذا المجرم يزيد وافعالة الشنيئة؟ وما صلة المذهب السني بهذا المجرم؟. وهكذا من العدل القول أنه لا صلة بالفكر القرمطي والمذهب الاسماعيلي بأفعال أبو طاهر الجنابي وريث الدولة البوسعيديه. كما لا صلة بالمؤمنين ويزيد ابن معاوية.

أستلم أبو طاهر الحكم وهو صبي في سن المراهقة من رمضان سنة ٣١٠هـ[١]

---

(١) ذكر النويري أن أبو طاهر استلم الحكم في عام ٣٠٥هـ وفي عام ٣١٠ هاجم مدينة البصرة قوله: «سليمان بن الحسن بن بهرام الجنابي قد قدمنا أخبار أبيه أبي سعيد وحروبه وما استولى عليه، وذكرنا خبر مقتله وولاية ابنه سعيد، وأنه سلم الأمر إلىٰ أخيه أبي طاهر سليمان، هذا في سنة خمس وثلاثمائة، وقد قيل بل عجز سعيد عن الأمر فغلبه عليه أخوه أبو طاهر سليمان. قال: وكان شهمًا شجاعًا، وكان الخليفة المقتدر بالله قد كتب إلىٰ أبي سعيد كتابا لينا في معنى من عنده من أسرى المسلمين، وناظره وأقام الدليل علىٰ فساد مذهبه، فلما وصلت الرسل إلىٰ البصرة بلغهم موته، فكتبوا بذلك إلىٰ الخليفة فأمرهم بالمسير إلىٰ ابنه، فأتوا أبا طاهر بالكتاب فأكرم الرسل وأطلق الأسرى وأجاب عن الكتاب، ثم تحرك أبو طاهر بعد ذلك في سنة عشر وثلاثمائة، وعمل علىٰ أخذ البصرة فعمل سلاليم عراضًا، يصعد علىٰ كل مرقاة اثنان بزرافين - إذا احتيج إلىٰ نصبها وتخلع إذا أريد حملها، ورحل بهذه السلالم المزرقنة يريد البصرة فلما قرب منها أمهل إلىٰ أن جن الليل، وأمر بإخراج الأسنة وقد كانت وضعت في رمل كيلا تصدأ فركبت علىٰ الرماح، وفرق الجنن علىٰ أصحابه، وحشيت الغرائز بالرمل وحملت علىٰ الجمال وحملت أشياء من حديد قد أعدت لما يحتاج إليه، ثم سار بأصحابه إلىٰ السور قبل الفجر، فوضعوا السلالم وصعد عليها قوم من جلداء أصحابه، وتقدم إليهم من يتكلم من الموكلين بالأبواب، ودفع للآخرين ما أعده لكسر الأقفال، وقد كان التواني وقع في أرزاق الموكلين علىٰ الأبواب، فتفرقوا للمعاش إلا بقية من المشايخ القدماء فإن أرزاقهم كانت جارية عليهم، فصادفوا بعضهم هناك تلك الليلة فتسوروا ونزلوا ووضعوا السيف عليهم، وجاء الآخرون فكسروا الأقفال ودخل القرامطة، فأول ما عملوا أن طرحوا الرمل المحمول معهم في الأبواب نحو ذراع، ليمنعوا غلقها إلا بتعب، وساروا ونذل بهم قوم فبادروا سبكا المفلحي وهو يومئذ الأمير فأعلموه، فركب وقد طلع الفجر ومعه بعض غلمانه فتلقوه وقتلوه، وفزع الناس وركبت الخيل فقتل من تسرع منهم، وكانت العامة قد منعها السلطان أن تحمل سلاحًا، فاجتمعوا بغير سلاح ومعهم الآجر، وحضر سبك واجتمعت الجند ووقعت الحرب، فأصابت القرامطة جراحات والقتل في العامة كثير، واستمر ذلك إلىٰ آخر النهار واختلاط الظلام، ثم خرج القرامطة وقد قتلوا من الناس مقتلة عظيمة إلىٰ خارج البلد فباتوا خارج الدرب، وخرج الناس بعيالاتهم فركبوا السفن، وباكر أبو طاهر البلد فنزل دار عبد السلام الهاشمي، وتفرق أصحابه في البلد يقتلون من وجدوا وينهبون ما يجدون في المنازل، ويحمل ذلك إلىٰ موضع قد أمر بجمعه فيه.

وحكى ابن الأثير في تاريخه الكامل: أن دخولهم البصرة كان في شهر ربيع الآخر سنة إحدى عشرة

وبعد مضي ما يقارب سبعة شهور من استلام زمام الحكم القرمطي وبالتحديد في شهر ربيع الآخر سنة ٣١١هـ بدأ تجاربه الحربية من خلال غزوه البصرة والإقامة فيها لمدة سبعة عشر يوما وعودته منها محملا بالغنائم ومن ثم اعتراضه الحاج، واستمرت حروبه وغزواته حتى وفاته عام ٣٣٢هـ

بدأت غزواته في عهد المقتدر العباسي حتى أيام الراضي وقد أشار المسعودي إلىٰ تلك الغزوات قوله: «ومن الكوائن العظيمة والأنباء الجليلة التي كانت في أيامه ما لم يتقدم مثلها في الإسلام مسير أبي طاهر سليمان بن الحسن بن بهرام الجنابي صاحب البحرين من الإحساء من بلاد البحرين إلىٰ البصرة في أربعمائة فارس علىٰ أربع مائة حجرة لا حصان فيها وخمسمائة راجل ودخولهم إياه ليلًا وقتلهم سبكا المفلحي، ومن قدروا عليه من أصحابه، ومن ظهر لهم من الرعية، وذلك في ليلة الخميس لثلاث وقيل لخمس بقين من شهر ربيع الآخر سنة ٣١١ وقيل بل ليلة الاثنين لست بقين منه، وكان مسيرهم من الإحساء إليها في ست ليال وتهارب الناس منهم إلىٰ الأبلة والمفتح والشطوط والأنهار والجزائر، وغير ذلك وأقاموا في البلد سبعة عشر يومًا، ثم رحلوا عنها منقلبين بما احتملوا منها إلىٰ بلدهم، ثم اعترضه الحاج في منصرفهم عن مكة بنواحي الهبير، مما يلي الثعلبية وهو في خمسمائة

وثلاثمائة، وأنه وصل إليها في ألف وسبعمائة رجل، وأقام بها سبعة عشر يومًا يحمل منها ما يقدر عليه من الأموال والأمتعة والنساء والصبيان، وعاد إلىٰ بلده.

قال الشريف: وتراجع الناس فاشتغلوا بدفن من قتل، ولم يرد كثير منهم حريمه خوفًا من عود القرامطة، قال: ولما اتصل خبر هذه الحادثة بالسلطان أنفذ ابن نفيس في عدة وعدة فسكن الناس، وولى البلد فشحن السور بالرجالة، وتحرز الناس وأعدوا السلاح؛ قال: وكان أبو الهيجاء عبد الله بن حمدان قد قلد أعمال الكوفة وقصر ابن هبيرة والسواد وطريق مكة، فجرى بينه وبين البوراني وقائع عظيمة حتى ردهم عن عمله بشجاعته وإقدامه، فعمرت البلاد وأمن الناس وصلحت الطرق واستقام عز السلطان، فوقف القرمطي من ذلك علىٰ ما هاله، وكانت جواسيس أبي طاهر لا تنقطع عن العراق في صور مختلفة، واتصل به أن أبا الهيجاء يهون أمره ويتمنى أن ينتدب لحربه، فخاف ذلك ولم يأمنه.أخذ أبي طاهر الحاج وأسره ابن حمدان وما كان من أمره في إطلاقه». انتهىالمصدر النويري.

فارس وستمائة راجل وقتله من قتل من القواد وسائر الأولياء وغيرهم، وأسره أبو الهيجاء عبد الله بن حمادان بن حمدون أميرهم، وأحمد بن بدر العم، وأحمد بن محمد بن كشمرد، وغيرهم من الوجوه وسائر طبقات الناس من النساء والرجال، وأخذهم الشمسية وغيرها من صنوف الأموال التي لا يوقف علىٰ تحديدها ومبلغها، وذلك يوم الأحد لإحدى عشرة ليلة بقيت من المحرم سنة ٣١٢، ثم اعتراضه الحاج في بدأتهم سنة ٣١٣ في خمسمائة فارس وستمائة راجل أيضًا وظفره ببعضهم ورجوع الباقين إلىٰ الكوفة ومدينة السلام، ومصيره إلىٰ الكوفة وموافقته من كان بها من الأولياء الذي جردوا من الحضرة للقائه وهم جعفر بن ورقاء الشيباني، وجنى الصفواني الخادم مولى ابن صفوان العقيلي، وثمل الخادم الدلفي، صاحب أنطاكية والثغور الشامية، وطريف السبكري الخادم وإسحاق بن شروين السبكري وغيرهم من رؤساء الأجناد وهزيمته إياهم وقتله من قتل منهم وأسره جنيًا الصفواني وغيره، وذلك يوم الأحد لاثنتي عشرة ليلة بقيت من ذي القعدة من هذه السنة، ثم مسيره عن الكوفة إلىٰ الإحساء بالذرية والثقلة وتسليمه البلد إلىٰ إسماعيل بن يوسف بن محمد بن يوسف المعروف بالأخيضر صاحب اليمامة بن إبراهيم بن موسى بن عبد الله بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب ومسير أبي القاسم يوسف بن أبي الساج عن واسط في عساكر للقائه، وكان السلطان أشخصه عما كان يليه من الأعمال من بلاد آذربيجان وأرمينية وأران والبيلقان وغيرها ليستعد من واسط وينفذ إلىٰ بلاد البحرين، وكان مقيمًا بواسط، مستمدًا إلىٰ أن جاءه الخبر بمسير صاحب البحرين إلىٰ الكوفة، فخرج مبادرًا له مسبقه أبو طاهر إليها ونزل الموضع المعروف بالخورنق وحازاها ونزل ابن أبي الساج في اليوم الثاني بالقرب منه في الموضع المعروف بين النهرين مما يلي القرية المعروفة بحروراء وإليها أضيفت الحرورية من الخوارج، وأبو طاهر بينه وبين الكوفة فكانت الوقعة بينهم يوم السبت لتسع خلون من شوال سنة ٣١٥ فأسر ابن أبي الساد واصطلم عسكره وأتى علىٰ أكثر من ثلاثين ألف فارس وراجل مع تفرق كثير من أصحابه عنه في الطريق وتأخرهم عنه، وصاحب البحرين

في نحو من ألفين من المقاتلة أكثرهم رجالة، ثم مسيره عن الكوفة حتى جاز الأنبار وقطع عدة من أصحابه الفرات إلىٰ الجانب الشرقي، فقتلوا من كان بالأنبار من القواد منهم المعروف بالحارثي، وبرغوث وابن بلال ومحمد بن يوسف الخزري وغيرهم من الأولياء، وذلك يوم الثلاثاء لثلاث خلون من ذي القعدة من هذه السنة، وعقد علىٰ الفرات جسرًا، وخلف السواد والذرية، وعبر في جريدة وخيل من أصحابه إلىٰ الأنبار، وسار عنها يريد الحضرة، حتى انتهىٰ إلى النهير المعروف بزبارا فوق التل المعروف بعقرقوف بفرسخ وذلك علىٰ بعض يوم من مدينة السلام وكان مؤنس الخادم نصر، ونصر الحاجب المعروف بالقشوري، وأبو الهيجاء عبد الله بن حمدان، وقد كان أطلقه وغيره ممن سمينا أنه أسر معه قبل رحيله لمواقعة ابن أبي الساج وسائر من كان بالحضرة من عساكر السلطان معسكرين علىٰ هذا النهر، فلما أحسوا بدنوه قطعوا القنطرة التي عليها وصار النهر حاجزًا بين الفريقين فشرع قوم من رجالته فرموا النشاب، وذلك في اليوم الثاني عشر والثالث عشر من ذي القعدة من هذه السنة ورجع يريد الأنبار، وبعث مؤنس غلامه يلبق في نحو من ثلاثة، وقيل من سبعة آلاف علىٰ طريق قصر بن هبيرة من طريق الكوفة فعبروا علىٰ جسر الفرات المعروف بجسر سورا وساروا في البر ليخالفوه إلىٰ سوداه.

وقد كان قوم من الأولياء، شرعوا في الماء، فأحرقوا الجسر الذي عقده، فحصل في الجانب الشرقي وسواده في الجانب الغربي.

وقيل إنه قطع الجسر عند عبوره، وتأدى إليه خبر يلبق فعبر الفرات في زورق عشرة من أصحابه، فيهم ثلاثة إخوة له، وعبر خلق سباحة فسبق إلىٰ سواده. وقتل أخواه أبو العباس الفضل وأبو يعقوب يوسف، وكانا في السواد بن أبي الساج حين بلغهما قرب يلبق منهم، فلقي يلبق. فأتى علىٰ أكثر من كان معه ونجا يلبق منكسرًا. وذلك يوم الأربعاء لإحدى عشرة ليلة بقيت من ذي القعدة من هذه السنة.

وسار إلىٰ مدينة هيت في ثقله فنزل عليها وحصرها - وأنا يومئذ بها منحدرًا من

الشام أريد مدينة السلام - وعبر أصحابه الذين كانوا في جانب الأنبار علىٰ أطواف اتخذوها في الموضع المعروف بفم بقة أسفل هيت، فاجتمعوا منه فواقع أهل هيت يوم الأحد لثمان خلون من ذي الحجة من هذه السنة.

وكان عبر إليها من المساء هارون بن غريب الخل، وأبو العلاء سعيد بن حمدان، ويونس غلام الأصمعي وغيرهم من الأولياء. فكان القتال بينهم فوق السور واحترقت له عدة دبابات.

وعاد إلىٰ معسكره وارتحل عنها يوم الاثنين صبيحة الوقعة إلىٰ ناحية رحبة مالك بن طوق وارتفعت من معسكره نار عظيمة عند السحر قبل رحيله فظننا أنه يريد معاوية الحرب وإذا هو قد ضرب ثقلته بالنار لكثرة الذرية والثقلة وقلة الظهر، وصار إلىٰ الرحبة وعليها يومئذ أبو جعفر محمد بن عمرون التغلبي فافتتحها عنوة ونزلها وهي من الجانب الشامي، وقرقيسيا وهي من الجانب الخزري، وبث منها السوارب إلىٰ النواحي، منها سرية إلىٰ كفر توثا ورأس العين ونصيبين عليها الحسين بن علي بن سنبر الثقفي، ومعاذ الأعرابي الكلابي، فأوقعوا بالأعراب من تغلب والنمر وغيرهم من الحاضرة.

وقد كان أنفذ سليمان الجلي قبل ذلك إلىٰ كفر توثا لحمل الزاد والميرة إلىٰ معسكره، وكان من ذوي النسك منهم والدراية بمذهبهم. وقد كلمت غير واحد من دعاتهم، وذوي المعرفة منهم، فلم أر مثله دراية وتحصيلًا وتدينًا بما هو عليه وحسن إتقان للسياسة التي تكون مع الدعاة، وكان أولًا مع أبي زكريا البحراني، ثم صار مع أبي سعيد الجنابي وولده، ووجه بسرية له في نحو ألفين، وقيل دون ذلك إلىٰ الرقة، وهي علىٰ ثلاثين فرسخًا من الرحبة.

وكان علىٰ السرية الحسين بن علي بن سنبر ومعاذ الكلابي أيضًا، وكان نزولهما عليها يوم الأحد، لثمان بقين من جمادى الأولى سنة ٣١٦، وأميرها نجم غلام جني

الصفواني، فكان القتال بينهم يوم الثلاثاء والأربعاء، لخمس بقين من هذا الشهر، وانصرفوا في آخر يوم الأربعاء، وقد أصيب عدة من الفريقين، الأكثر منهم من السرية، راجعين إلىٰ الرحبة.[1]

وأقام صاحب البحرين بالرحبة يروّي في نزول مدينة الرملة من بلاد فلسطين أو مدينة دمشق فيما حكي، ثم عمل علىٰ الرجوع إلىٰ بلده لأمور قد ذكرناها في غير هذا الموضع من أخبارهم، فسار عن الرحبة في أول شعبان سنة ٣١٦ في البر والماء منحدرًا في الفرات.

وكان مقامه بالرحبة، إلىٰ أن خرج عنها نحوًا من سبعة أشهر، فنزل علىٰ هيت ثانية فقاتلهم قتلًا شديدًا في الماء والبر، ولم يكن معه في الأولى سفن، ثم انحدر عليهم، وسار إلىٰ ناحية الكوفة والقادسية. وامتار واجتاز بظاهر البصرة وعاد إلىٰ البحرين، وذلك في آخر المحرم وأول صفر سنة ٣١٧.

ثم سار إلىٰ مكة فدخلها يوم الاثنين لسبع خلون من ذي الحجة من هذه السنة في ستمائة فارس وتسعمائة راجل، وأميرها يومئذ محمد بن إسماعيل المعروف بابن مخلب بعد أن كان بها من الأولياء وغيرهم من عوام الناس من الحاج وغيرهم

---

(١) من أحداث سنة ٣١٦هـ خلال انشغال أبو طاهر في غزوته في السواد ماذكره المسعودي: «قال المسعودي: وقد أتينا فيما سلف من كتبنا علىٰ شرح هذه الحروب والوقائع وما كان من أخباره فيها وأخبار القرامطة البقلية بسواد الكوفة وغلبتهم عليها، وذلك في سنة ٣١٦، والعلة في تسميتهم البقلية، وهو اسم دياني عندهم، وكان رؤساءهم مسعود بن حريث وعيسى بن موسى بن أخت عبدان بن الربيط الملقب قرميط والمعروف بابن أبي السيد وابن الأعمى، وأبو الذر والجوهري وغيرهم. وكان جمهورهم بنو ذهل وبنو رفاعة وإيقاعهم ببني بن نفيس بناحية الطفوف، وجنبلاء، وتل فخار، وهزيمتهم إياه واحتوائهم علىٰ عسكره، ومواقعة هارون بن غريب الخال، وصافي غلام نصر القشوري إياهم، ومن قتل منهم وأسر، ومن انضاف منهم إلىٰ سليمان بن الحسن عبد رجوعه من هيت إلىٰ بلد البحرين، وكانوا يعرفون في عسكره بالأجميين، لكنى أكثرهم الأجام والطفوف من أعمال الكوفة وأخبار الغلام المعروف بالذكرى من أبناء ملوك الأعاجم من بلاد صبهان، ووروده إليهم في سنة ٣١٦». انتهى التنبيه والإشراف.

صافوه ثم انكشفوا من بين يديه عند قتل نطيف غلام ابن حاج. وكان من شحنة مكة وممن يعول عليه وأخذ الناس السيف وعاذوا بالمسجد والبيت. فاستحر القتل فيهم وعمهم. وقد تنوزع في عدة من قتل من الناس من أهل البلد وغيرهم من سائر الأمصار فمكثر ومقلل، فمنهم من يقول ثلاثين ألفًا ومنهم من يقول دون ذلك وأكثر. وكل ذلك ظن وحسبان إذ كان لا يضبط وهلك في بطون الأودية ورؤوس الجبال والبراري عطشًا وضرًا مالا يدركه الإحصاء واقتلع باب البيت الحرام.

وكان مصفحًا بالذهب وأخذ جميع ما كان من البيت من المحاريب الفضة والجزع وغيره ومعاليق وما يزين به البيت من مناطق ذهب وأنازيرات ذهب وفضة وقلع الحجر الأسود مقدار موضعه ما يدخل فيه اليد إلىٰ أقل من المرفق.

وجرد البيت مما كان عليه من الكسوة. وحمل ذلك علىٰ خمسين جملًا إلا ما أصابه الدم عند عوذ الناس به فإنه ترك. وذلك يوم السبت لثلاث عشرة ليلة خلت من ذي الحجة سنة ٣١٧.

وكان مقامهم بمكة ثمانية أيام يدخلونها غدوة ويخرجون منها عشيًا يقتلون وينهبون، ورحل عنها يوم السبت من هذا الشهر، وعرضت له هذيل بن مدركة ابن إلياس بن مضر وهم رجالة في المضايق والشعاب والجبال وحاربوه حربًا شديدًا بالنبل والخناجر ومنعوه من المسير واشتبهت عليهم الطرق فأقاموا بذلك ثلاثة أيام حائرين بين الجبال والأودية.

وتخلص كثير من النساء والرجال المأسورين واقتطعت هذيل مما كان معهم ألوفًا كثيرة من الإبل والثقلة. وكان ثقلته علىٰ نحو مائة ألف بعير عليها أصناف المال والأمتعة إلىٰ أن دله عبد أسود من عبيد هذيل يقال له زياد استأمن إليه علىٰ طريق سلكه فخرج عن المضايق وسار راجعًا إلىٰ بلده». انتهى[1]

---

(١) التنبيه والإشراف ـ المسعودي ص٣٥١.

قال المقريزي في هجوم أبو طاهر علىٰ البصرة منذ استلامه للحكم عام ٣١٠هـ:

«ثم خمدت أحوال القرامطة إلىٰ أن تحرك أبو طاهر بن أبي سعيد الجنابي، وعمل علىٰ أخذ البصرة سنة عشر وثلاثمائة، فعمل سلالم عراضا يصعد علىٰ كل مرقاة اثنان سورافيت، إذا احتيج إليها نصبت، وتخلع إذا حملت، فرحل يريد البصرة، فلما قاربها فرق السلاح، وحشى الغرائر بالرمل، وحملها علىٰ الجمال، فسار إلىٰ السور قبل الفجر، فوضع السلالم، وصعد عليها قوم، ونزلوا فوضعوا السيف وكسروا الأقفال، فدخل الجيش، فأول ما عملوا أن طرحوا الرمل المحمول في الأبواب ليمنع من غلقها، وبدر لهم الناس ومعهم الأمير، فقاتلوا وقتل الأمير، فأقاموا النهار يقتتلون حتى حجز بينهم الظلام، فخرجوا وقد قتل من الناس مقتلة عظيمة، فباتوا ثم باكروا البلد فقاتلوا ونهبوا.ثم رحلوا إلىٰ الأحساء، فأنفذ السلطان عسكرًا وكان أبو الهيجاء عبد الله بن حمدان قد قلد أعمال الكوفة والسواد وطريق مكة فدخل في أثرهم وأسر منهم وعاد.فلما قدمت قوافل الحاج اعترضها أبو طاهر القرمطي فقتل منهم؛ وأدركهم أبو الهيجاء ابن حمدان بجيوش كثيرة، فحملت القرامطة عليهم فهزموهم، وأخذ أبو الهيجاء أسيرا، فلما رآه أبو طاهر تضاحك وقال له: جئناك عبد الله، ولم نكلفك قصدنا.فتلطف له أبو الهيجاء حتى استأمنه، وأمر بتمييز الحاج، وعزل الجمالين والصناع ناحية، فأخذوا ما مع الحاج وخلوهم، فردوا بشر حال في صورة الموتى، ورحل من الغد من بعد أن أخذ من أبي الهيجاء وحده نحو عشرين ألف دينار مع أموال لا تحصى كثرة، ثم أطلق أبا الهيجاء بعد أشهر، فورد بغداد».

انتهى[(1)]

وقد ذكر المؤرخون تفاصيل تلك الهجمات التي قام بها ابو طاهر منذ أول تجربة له وهي هجومه علىٰ البصرة في أربعمائة فارس علىٰ أربع مائة حجرة لا حصان فيها وخمسمائة راجل ودخولهم إياه ليلًا، وذلك في شهر ربيع الآخر سنة

---

(1) اتعاظ الحنفاء ـ المقريزي.

٣١١ وأقاموا في البلد سبعة عشر يومًا، ثم رحلوا عنها منقلبين بما احتملوا منها إلىٰ بلدهم، ثم اعترضه الحاج في منصرفهم عن مكة بنواحي الهبير وذلك يوم الأحد لإحدى عشرة ليلة بقيت من المحرم سنة ٣١٢هـ[١]

معركة الهبير عام ٣١٢هـ:

يذكر النويري تفاصيل حادثة معركة الهبير التي قام بها أبو طاهر ضد الحجاج وسلبهم وأسر رؤسائهم، وذلك قوله: «كانت هذه الحادثة في سنة ثنتى عشرة وثلاثمائة، وذلك أن أبا طاهر بن أبي سعيد الجنابي القرمطي أنفذ رجلًا من جواسيسه إلىٰ مكة في سنة إحدى عشرة وثلاثمائة، وقد خرجت قوافل الحاج مع أبي الهيجاء بن حمدان في تلك السنة، فكان الجاسوس يقوم علىٰ المحجة فيقول: يا معشر الناس ادعوا علىٰ القرمطي عدو الله وعدو الإسلام، ويسأل عن أمير الحاج وفي كم هو وكم أرزقهم، ويسأل عمن خرج من التجار وما معهم من الأموال، فكان ذلك دأبه حتى قضى الحج، ثم خرج في أول النفر فأسرع إلىٰ سواد باهلة، ثم إلىٰ اليمامة وصار إلىٰ الأحساء في أيام يسيرة، فأخبر سليمان القرمطي بصورة الأمر، فوجه سليمان من يثل الآبار بينه وبين لبنه وبعض آبار لبنه ويسوى حياضها، وورد بعض الأعراب إلىٰ أبي الهيجاء - وهو بعيد ينتظر رجوع الحاج وذلك في آخر ذي الحجة من السنة - فأخبره أن آبار لبنه قد ثلت فاستراب بذلك، وجاء بعض الأعراب بجلة فيها قطعة من تمر هجر فتيقن أمر القرامطة، فشغل ذلك قلبه، وجاءه ما لم يقدره ولا ظنه فاضطرب من ذلك اضطرابًا شديدًا، وورد حاتم الخراساني بقافلة الحاج من مكة ثاني ذلك اليوم، ومعه قافلة عظيمة، فزاد ذلك في شغل قلب لأبي الهيجاء لخوفه عليه، ولم يظهر ذلك لحاتم ولا لغيره ثم ارتحل فلم يعترض عليه، فلما صار حاتم بالثعلبية أنهى إليه شيء من أخبار القرامطة وأنهم بلبنه، وكان القرمطي رحل من بلده في ستمائة فارس وألف راجل، وسار حاتم فاجتاز بالهبير ليلًا فلم ينزله، وسار حتى نزل الشقوق،

---

(١) التنبيه والإشراف ـ المسعودي.

وأغذ السير وسلمه الله ومن معه، ونزلت بفيد قافلة أخرى من غد رحيل حاتم من الخراسانية، ثم ساروا عنها حتى إذا كانوا بالهبير ظهر لهم أبو طاهر سليمان القرمطي، فقتل بعضهم وأفلت البعض حتى وردوا الكوفة، فاشتد خوف الناس بالكوفة علىٰ الحاج واضطربوا، إلا أن نفوسهم قوية بمقام أبي الهيجاء بفيد، وكان أبو الهيجاء قد أنفذ رجلًا طائيًا يعرف له أخبار القرامطة، يقال له مسبع بن العيدروس من بني سنبس - وكان خبيرًا بالبر، وتقدم إليه أن يسرع إليه بالخبر ويعدل عن الطريق، ومعه جماعة قد أزاح عللهم في الرزق والمحمل، فساروا حتى قربوا من لبنه فنزل إليهم فارسان، فركبوا خيولهم وتلقوهما فتطاردوا، وقصرا في الركض وهبطا واديًا خلفهما وخرجا منه، ولحقتهم الخيل فساروا علىٰ أرض جدب، فدفع عليهم نحو سبعين فارسًا، فلم ينته حتى طعنت فيهم وضربت، فرجع القوم علىٰ خيل مطرودة وخيول القرامطة مستريحة، فبالغوا في دفعهم بكل جهد فلم تك إلا ساعة حتى قتلوا جميعًا، وأسروا مسبعًا دليل القوم فحملوه إلىٰ لبنه، فسأله القرمطي وقال: إن صدقتني أطلقتك، فلما أخبره أمر بحفظه، قال: ولم يمض لأبي الهيجاء يومان بعد إرسال الطليعة حتى وردت قوافل الحاج وأصحاب السلطان معها، وفيها من الوجوه أحمد بن بدر، عم السيدة أم المقتدر بالله، وشفيع الخادم، وفلفل الأسود صاحب خزانة السلطان، وإسحاق بن عبد الملك الهاشمي صاحب الموسم وغيرهم، فأعلمهم أبو الهيجاء الخبر فأجالوا الرأي، فقال لهم: قد أنفذت رجالًا أثق بهم طليعة، وأخذت عليهم ألا يرجعوا حتى يشربوا من لبنه والصواب التوقف عن الرحيل لننظر ما يأتون به، فعملوا علىٰ ذلك وأقاموا بفيد ستة أيام، ونزلت القافلة الوسطى فيد وكثر الناس وغلت الأسعار، ولم يقدروا علىٰ حشيش للعلف ولا خبز، فضج الناس وأجمعوا علىٰ الرحيل فرحلوا عن فيد يوم الأحد، وخلف أبو الهيجاء ابن أخيه علي بن الحسين بن حمدان بفيد، في خيل ينتظرون الحاج الذي مع قافلة الشمسة؛ قال: وكان الحاج قبل ذلك يسيرون قافلة بعد قافلة لكثرتهم، ومن أراد أن يسير بعد الحاج سار، ومن أراد أن يتخلف

ليعتمر في الحرم تخلف، وكان الأمر يحملهم علىٰ ذلك فيسيرون قافلة بعد قافلة؛ قال: ثم وردت قافلة الشمسة فيد، فجاءهم بعض التجار بخبر ما اتصل بأبي الهيجاء، وكان في القافلة أبو عيسى صالح ابن علي الهاشمي، وجماعة من العباسيين، وأبو محمد بن الحسن ابن الحسين العلوي وعمر بن يحيى العلوي وغيرهما من الطالبيين وتجار الكوفة، فتجلت حقيقة الأخبار من أمر القرامطة، فاجتمعوا في مضرب أبو عيسى وتشاوروا، فاجتمع رأيهم علىٰ المقام بفيد إلىٰ أن ترتحل القافلة، ثم ينظروا لأنفسهم في عرب يخرجون معهم إلىٰ الكوفة، فأقام الناس بفيد يومهم ثم رحلوا بكرة، فلما جاوزوا المنزل افتقد علىٰ ابن الحسين بن حمدان من تخلف من القافلة، فسأل عنهم فأخبر بتخلفهم فرجع إلىٰ فيد ومعه بعض أصحابه فاجتمع بهم، وسألهم عن تخلفهم فقالوا بأجمعهم لا تحب سلوك هذه الطرق، ودافعوا عن الأخبار بسبب تخلفهم، وقالوا له: أنت وعمك بريان منا، قال: اكتبوا إلىٰ خطوطكم بذلك، ففعلوا، وانصرف فسار بالناس فلما وصل إلىٰ عمه أبي الهيجاء عرفه ذلك، فلامه عليه وقال: وددت أن جميع من ترى كان معهم، قال: ولما سارت القافلة مع علي بن الحسين بن حمدان أحضر هؤلاء الذين تخلفوا بفيد ابن نزار وابن توبة تاجرين من أهلها، فعرفوهم حاجتهم إلىٰ من يسلك بهم إلىٰ الكوفة علىٰ غير طريق الحاج، فجمعوا لهم جماعة من سنبس وتوصلوا بهم إلىٰ بني زبيد من الطائيين، ثم أخذوا ينزلون علىٰ العرب يقاتلون من قاتلهم، ويصلون من استرفدهم ويبرون ويخلعون، فسلمهم الله حتى وردوا الكوفة، وذلك بعد شدائد عظيمة وقتال في مواضع، ولم يسلم من الحاج غيرهم والقافلة الأولى التي كانت مع حاتم. قال: ولما وصل علي بن الحسين بن حمدان إلىٰ عمه أبي الهيجاء اجتمعت القوافل، وكثر الناس، وتجلى لهم خبر القرامطة وصح، فسار أبو الهيجاء بالناس إلىٰ الخزيمية ثم إلىٰ الثعلبية، ثم ساروا يريدون البطان، واجتمع الناس من أصحاب السلطان والرؤساء فتشاوروا، فلم يدع الأمير أبو الهيجاء الاستغاثة بالقوم يقول: ارجعوا ودعوني ألقي القرامطة في أصحابي، فإن أصبت فمعكم من تسيرون معه، وإلا فامضوا إلىٰ وادي القرى

أو المدينة أو غير ذلك، وإن ظفرت وجهت إليكم فعدتم وقد زال المحذور، ولم يزل يردد عليهم هذا القول من الأجفر إلىٰ الثعلبية، فمنهم من أجاب ومنهم من أبى ذلك وقال: لا نفترق، وكان أحمد بن بدر عم السيدة ممن أبى ذلك وصمم علىٰ الملازمة، فعمل ابن حمدان بما أرادوه دون رأيه، وبات الناس علىٰ أميال بقيت من البطان والأحمال علىٰ ظهور الجمال، وذلك ليلة الأحد لأيام خلت من صفر، فلما أضاء لهم الفجر ارتحلوا، وقدم أبو الهيجاء ستمائة راجل من الأولياء، كان السلطان أبعدهم لكثرة شغبهم ببغداد فكانوا بين يدي القوافل، وقارب بين القطر ودخل بعض الناس في بعض، وتقدم نزار بن محمد الضبي فكان في أول القافلة في أصحابه خلف الرجالة، وسار أبو الهيجاء في التغالبة والعجم في ميمنة القافلة، وألزم الساقة وميسرة القافلة جماعة من الأولياء مع بعض الأمراء، واحتاط بكل ما أمكن، وسار فلما أضحى النهار أقبلت عليهم خيل القرامطة، والقافلة في نهاية العظم جدًا، فكان أول من لقيهم رجالة أبي الهيجاء، فحملت القرامطة عليهم فخالطوهم فقتلوا جميعًا إلا نحوًا من عشرين رجلًا، وحمل نزار في جيشه فضارب بعض خيل القرامطة بالسيوف ساعة، فلحقته ضربة فهوى إلىٰ الأرض واعتنق فرسه، ومضى نحو المشرق وتبعه بقية أصحابه، فاستقاموا حتى وصلوا إلىٰ زبالة وساروا إلىٰ الكوفة، فلما سمع الأمير أبو الهيجاء الصوت وعرف الخبر وكان في آخر القافلة أسرع في خيله نحو أول القافلة، فوجد الأمر قد فاته بقتل من كان أمامها، وقويت القرامطة علىٰ حربه ووجد الحاج قد أخذوا يمنة ويسرة، فحمل علىٰ القرامطة فاستقبلوه فقتل جماعة من أهل بيته صبروا معه، وانهزم وضرب علىٰ رأسه ضربة لم تضره إلا أنه قد نزف منها، وأخذ أسيرًا ونزل أبو طاهر القرمطي علىٰ غلوتين من القافلة، ورجالته نحو من ستمائة علىٰ المطى فأنفذهم وفرسانًا من فرسانه فأحاطوا بالقافلة، ومنعوا الناس من الهرب، وكان قد هرب خلق منهم في وقت القتال، فتلف كثير منهم في الطريق عطشًا وأخذ بعضهم الأعراب فسلبوهم، وسلم قوم منهم إلىٰ زبالة وساروا إلىٰ الكوفة، وأتى بأبي

الهيجاء إلىٰ سليمان فلما نظر إليه تضاحك، وقال: قد جئناك عبد الله ولم نكلفك قصدنا، فتلطف له أبو الهيجاء بفضل عقله ودهائه وسعة حيلته وقوة نفسه، وألان له القول حتى أنس به، فاستأمنه علىٰ نفسه فأمنه فخلص بذلك ناسًا كثيرًا، وعمل في سلامة كثير من الحاج عملًا كثيرًا، ثم أمر القرمطي بتمييز الحاج وإخراجهم من القوافل، وعزل الجمالين والصناع ناحية فظنوا أنه إنما أخرجهم للقتل فارتاعوا لذلك، وكانوا قد عطشوا عطشًا شديدًا، فلما جنهم الليل ضجر الموكلون منهم، فأخذوا ما معهم وخلوهم، فورد من ورد منهم الكوفة بشر حال متورمي الأقدام في صور الموتى، ورحل أبو طاهر من الغد بعد أن أخذ من أبي الهيجاء وحده نحوا من عشرين ألف دينار من الأموال التي لا تحصى كثرة، وقدم كثير من الناس بخبر أبي الهيجاء، وأنه راكب مع القرامطة يدور معهم ويسأل في خلاص أسري كانوا معه، منهم أحمد بن بدر عم السيدة وفلفل الأسود وأحمد بن كشمرد وتحرير الخادم صاحب الشمسة وبدر الطائي وأخوه وغيرهم. قال: وزادت غلبة أبي طاهر لأصحابه فتنة، وعظموا أمره وسلب عقولهم حتى قالوا فيه أقوالًا مختلفة بحسب جهلهم، قال: ولما مضى لأبي الهيجاء شهور وهو عندهم أخذ يحتال في الخلاص، فمرة يعرض به ومرة يفصح به حتى أنس القرمطي بذلك وأجابه إليه، فسأله في ابن كشمرد وقال: هو ضعيف لكبره وعلته، وهذا الخادم الأسود ممن لا يضر السلطان فقده ولا ينفعه إطلاقه، وكلمه في أحمد بن بدر فامتنع عليه، فضمن له عشرين ألف دينار وبزاة وفهودًا وعبدانًا وثيابا، فاستحلفه وضمنه، وتخلص منه ناس كثير من الحاج، وأطلقه، وصار إلىٰ بغداد فتباشر الناس بذلك وابتهجوا به». انتهىٰ[1]

وذكر ابن الكثير أحداث وقعة أبو طاهر بالحاج وقال: «أخذ أبو طاهر جمال الحجاج جميعها وما أراد من الامتعة في مواضعهم فمات أكثرهم جوعا وعطشا ومن حر الشمس، وكان عمر أبي طاهر حينئذ سبع عشرة سنة، وانقلبت بغداد واجتمع حرم

---

(١) نهاية الأرب في فنون الأدب ـ النويري.

المأخوذين إلىٰ حرم المنكوبين الذين نكبهم ابن الفرات، وجعلن ينادين القرمطي الصغير أبو طاهر قتل المسلمين في طريق مكة، والقرمطي الكبير ابن الفرات قد قتل المسلمين ببغداد». انتهىٰ[1]

ونتيجة لوقعة الهبير اتهم الحاكم العباسي المقتدر الوزير ابن الفرات بمساندة القرامطة وقال له: من صادرك وأخذ أموالك ومن الذي سلم الناس إلىٰ القرمطي غيرك لما يجمع بينكما من التشيع والرفض؟ وقد ظهر أيضا أن ذلك الرجل العجمي كان من أصحاب القرمطي وأنت أوصلته، فحلف ابن الفرات انه ماكاتب القرمطي ولا هاداه ولا رأى ذلك الأعجمي إلا تلك الساعة والمقتدر معرض عنه». انتهىٰ[2]

ابوطاهر يطالب بالبصرة والأهواز:

بعد وقعة الهبير المشهورة اكتشف أبو طاهر مدى قوته وضعف الدولة العباسية عن حماية طرق الحج، فراسل المقتدر يطلب البصرة والاهواز فلم يجبه إلىٰ ذلك، وجراء رفض الدولة العباسية لمطالبة،سار من هجر يريد الحاج، يقول ابن الأثير: وكان جعفر بن ورقاء الشيباني متقلدا، أعمال الكوفة وطريق مكة، فلما سار الحجاج، من بغداد سار جعفر بين أيديهم خوفا من أبي طاهر، ومعه ألف رجل من بني شيبان، وسار مع الحجاج من أصحاب السلطان ثمل صاحب البحر، وجني الصفواني، وطريف السبكري وغيرهم، في ستة آلاف رجل، فلقي أبو طاهر القرمطي جعفرا الشيباني، فقاتله جعفر.

فبينما هو يقاتله إذا طلع جمع من القرامطة عن يمينه، فانهزم من بين أيديهم، فلقي القافلة الأولى وقد انحدرت من العقبة، فردهم إلىٰ الكوفة ومعهم عسكر الخليفة، وتبعهم أبو طاهر إلىٰ باب الكوفة، فقاتلهم، فانهزم عسكر الخليفة، وقتل

---

(١) الكامل في التاريخ - ابن الأثير ج٨ ص١٤٧.

(٢) الكامل في التاريخ - ابن الأثير ج٨ ص١٤٨.

منهم، واسر جنيا الصفواني، وهرب الباقون والحجاج من الكوفة، ودخلها أبو طاهر، وأقام ستة أيام بظاهر الكوفة يدخل البلد نهارا فيقيم في الجامع إلىٰ الليل، ثم يخرج يبيت في عسكره، وحمل منها ما قدر علىٰ حمله من الأموال والثياب وغير ذلك، وعاد إلىٰ هجر، ودخل المنهزمون بغداد، فتقدم المقتدر إلىٰ مؤنس المظفر بالخروج إلىٰ الكوفة، فسار إليها، فبلغها وقد عاد القرامطة عنها، فاستخلف عليها ياقوتا، وسار مؤنس إلىٰ واسط خوفا عليه من أبي طاهر، وخاف أهل بغداد، وانتقل الناس إلىٰ الجانب الشرقي، ولم يحج في هذه السنة من الناس أحد.[1]

ويذكر النويري تفاصيل تلك الحملة القرمطية علىٰ الكوفة قوله: وردت القافلة الأولى هم وعسكر الخليفة بعد أن انحدروا من العقبة، وتبعهم أبو طاهر إلىٰ باب الكوفة وبها يومئذ جنى الصفواني، كان الخليفة قد أنفذه في جيش عظيم إلىٰ الكوفة، وبها أيضًا ثمل في جيش عظيم، وأقبل أبو طاهر حتى نزل بظاهر الكوفة في يوم الأحد لثلاث عشرة ليلة خلت من ذي العقدة، وأقبل جنى إلىٰ خندق الكوفة في عشية هذا اليوم، وأهل البلد والعامة منتشرون علىٰ الخندق، وجعفر بن ورقاء في بني شيبان نازل علىٰ القنطرة التي علىٰ الخندق مما يلي دور بني العباس، ونمل علىٰ القنطرة التي تليها، وجنى مما يلي ذلك من ناحية يمنة الكوفة، فناوشه الناس، وخرج أبو محمد الحسن بن يحيى بن عمر العلوي فطارد بعض فرسانه، وانكفأ أبو طاهر راجعًا، وبات الناس علىٰ تلك الحال وقد قوى الطمع فيه، فلما كان الليل ورد كتاب السلطان يخاطب أبا محمد بن ورقاء في تدبير الجيش، فعمل علىٰ لقاء جنى الخادم ليعرفه ذلك، فأشير عليه ألا يفعل فأبى ذلك، ثم ركب يعرف جنيًا ما كتب به إليه، فأنف جنى أن يكون تابعًا وأسر ذلك في نفسه، وباكرهم القرمطي بالقتال بعد أن أضحى النهار، فدخلت الرجالة وراء الفرسان بجيش خرس عن الكلام صمت وحركات خفية، والبارقة فيهم ظاهرة في ضوء الشمس، وهم يزفون عسكرهم زفًا، حتى إذا وصلوا

---

(١) الكامل في التاريخ ـ ابن الأثير ج٨ص١٥٦.

إلىٰ عسكر السلطان مالوا علىٰ جيش ابن ورقاء وهو في مسيرة الناس، فما تمهل بنو شيبان حتى انهزموا راجعين، فعبروا القنطرة التي علىٰ الخندق إلىٰ جانب الكوفة وتبعوهم، فصاروا من وراء جنى وثمل فوضعوا السيف في الناس، وجنى جالس قبل ذلك علىٰ كرسي حديد يبين أنه لا يقاتل وكأنه يريد قتاله بعد الناس فأسروه، وقاتله ثمل وقاومه وهو منهزم علىٰ محاملة ومدافعة، إلىٰ أن تخلص وسلم جعفر بن ورقاء وكثير من أصحابه، وقتل كثير من العامة وغيرهم في الطرقات، ووصل أبو طاهر إلىٰ البلد فرفع السيف ونهب منازل الناس، وأقام بالكوفة ستة أيام بظاهرها يدخل البلد نهارا ويقيم بجامعها إلىٰ الليل، ثم يخرج فيبيت بعسكره، وحمل منها ما قدر علىٰ حمله، ودخل المنهزمون بغداد ولم يحجوا في هذه السنة، وخاف أهل بغداد وانتقل الناس إلىٰ الجانب الشرقي.قال: ورحل أبو طاهر عن الكوفة في يوم الاثنين لعشر بقين من ذي العقدة وقتل يوم دخوله أبو موسى العباسي صاحب صلاة الكوفة ورحل مؤنس المظفر من بغداد بجيش السلطان عند اتصال الأخبار ببغداد، فسار منهم حتى دخل الكوفة، فكان وصوله إليها بعد رحيل القرامطة عنها، فأقام بها ثلاثة أيام ثم رحل عنها، ثم عاد القرمطي في سنة خمس عشرة.[1]

أبو طاهر يواصل هجومه على الحجاج في عام ٣١٣هـ:

يذكر المسعودي أن أبو طاهر هاجم الحاج العائدين إلىٰ الكوفة في موسم الحج لعام ٣١٣هـ ودخوله الكوفة وتسليمها إلىٰ إسماعيل (الاخيضر، مؤسسة دولة بني الاخيضر بنجد) قال المسعودي: «أعترض أبو طاهر سليمان بن حسن بن بهرام الجنابي الحاج في بدأ موسم الحج بخمسمائة فارس وستمائة راجل وظفره ببعضهم ورجوع الباقيين إلىٰ الكوفة ومدينة السلام، ومسيرته إلىٰ الكوفة وحربه مع رؤساء الأجناد الذين جردوا للقائه، فهزمهم وقتل منهم وأسر بعضهم، وذلك يوم الأحد لاثنتي عشرة ليلة بقيت من ذي القعدة من عام ٣١٣هـ ثم سار القرمطي أبو طاهر عن

(١) نهاية الأرب في فنون الأدب ـ النويري.

الكوفة إلى الاحساء بالذرية والثقلة وتسليمه البلد إلىٰ إسماعيل بن يوسف بن محمد بن يوسف المعروف بالاخيضر (صاحب اليمامة) الذي يتصل نسبه إلىٰ إبراهيم بن موسى بن عبد الله بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب». انتهىٰ[(١)]

المقتدر يجهز بن أبي الساج لمحاربة أبي طاهر عام٣١٤هـ:

قال ابن الأثير: «في هذه السنة (سنة أربع عشرة وثلاثمائة) قلد المقتدر يوسف بن أبي الساج نواحي المشرق، وأذن له في أخذ أموالها وصرفها إلىٰ قواده وأجناده، وأمر بالقدوم إلىٰ بغداد من أذربيجان والمسير إلىٰ واسط ليسير إلىٰ هجر لمحاربة أبي طاهر القرمطي فسار إلىٰ واسط وكان بها مؤنس المظفر فلما قاربها يوسف صعد مؤنس إلىٰ بغداد ليقيم بها وجعل له أموال الخراج بنواحي همدان وسارة، وقم وقاشان، وماه البصرة، وماه الكوفة، ولمسبذان، لينفقها علىٰ مائدته، ويستعين بذلك علىٰ محاربة القرامطة وكان هذا كله من تدبير الخصيبي». انتهىٰ[(٢)]

القرامطة ينتقلون إلى الاحساء ويبنون المؤمنية:

في عام ٣١٤هـ ينتقل القرامطة من القطيف إلىٰ الاحساء بعد خلاف الهيئة العقدانية مع أهالي البحرين (القطيف والخط وهجر) كما أشار إلىٰ ذلك ابن خلدون في تاريخه: «وفي سنة أربع عشرة وقع بين العقدانية وأهل البحرين خلاف فخرج أبو الطاهر وبنى مدينة الاحساء وسماها المؤمنية[(٣)] فلم تعرف إلا به، وبنى قصره وأصحابه حوله». انتهىٰ[(٤)]

في الحقيقة أن هذا الخلاف الذي وقع بين أهالي القطيف مركز القرامطة

---

(١) التنبيه والإشراف ـ المسعودي ص٣٤٧.

(٢) الكامل في التاريخ ـ ابن الأثير ـ ج٨ ص١٦٢.

(٣) وهذا بخلاف ماذكره آل عبد القادر قوله: «وفي سنة سبع عشر بنى أبو طاهر مدينة بجانب مدينة هجر وأطلق عليها الاحساء». انتهىٰ ص٩٠ في كتابه تحفة المستفيد.

(٤) تاريخ ابن خلدون ـ ص٩٥٦.

قبل الانتقال منها، يدل علىٰ أن أهالي القطيف لم يكونوا يتبعون المذهب الشيعي الاسماعيلي، كما ينشر بعض الباحثين المستشرقين ومنهم المستشرق/ جون د.كول الذي يقول: وقد تحول البحارنة تدريجيا من المذهب الاسماعيلي الداعي للمساواة بين البشر - والذي دعت إليه الحركة القرمطية خلال القرن التاسع إلىٰ الحادي عشر الميلادي - إلىٰ المذهب الإمامي الاثني عشري الذي يعتبر أكثر محافظة من المذهب الاسماعيلي وينظر إليه السنة علىٰ أنه أقل إثارة للاعتراض ضدهم». انتهىٰ[1]

بل أن سبب الخلاف دليل علىٰ عدم الولاء المذهبي للقرامطة واختلاف مذهب أهالي القطيف مركز الحكم القرمطي مع القرامطة، ولم تذكر الكتب التاريخية تحول شيعة البحرين من المذهب الشيعي الاثني عشري إلىٰ المذهب الاسماعيلي بل العكس كانت هناك مقاومة للإسماعيلية في عهد أبو سعيد الجنابي، وكذلك في عهد أبو طاهر مما أدى إلىٰ انتقال مركز الحكم من القطيف إلىٰ أحساء بني سعد.

معركة أبي الساج مع أبو طاهر القرمطي:

كما أشرنا أن المقتدر قلد يوسف بن أبي الساج نواحي المشرق، وأذن له في أخذ أموالها وصرفها إلىٰ قواده وأجناده، وأمره بالقدوم إلىٰ بغداد من أذربيجان والمسير إلىٰ واسط ليسير إلىٰ هجر لمحاربة أبي طاهر القرمطي وكان ذلك عام ٣١٤هـ فقام ابن أبي الساج بتجهيز الجيش حتى أن التقى مع القرمطي عام ٣١٥هـ يوم السبت من شهر شوال كما يذكر المسعودي قوله: «كانت هناك وقعة بين أبي القاسم بن أبي الساج في مقابلة أبو طاهر الجنابي، وكان مسير بن أبي الساج عن واسط في عساكره للقائه، وكان السلطان العباسي(المقتدر جعفر بن أحمد المعتضد) أشخصه عما كان يليه من الأعمال من بلاد أذربيجان وأرمينيه واران والبيلقان وغيرها ليستعد من واسط وينفذ إلىٰ بلاد البحرين، وكان مقيما بواسط، مستعدا إلىٰ أن جاءه الخبر بمسير

---

(١) الإمبراطوريات التجارية المتصارعة والشيعة الامامية في شرق الجزيرة العربية - جوان د. كول ص٤.

صاحب البحرين إلىٰ الكوفة، فخرج مبادرا له فسبقه أبو طاهر إليها ونزل الموضع المعروف بالخورنق وحازها ونزل ابن أبي الساج في اليوم الثاني بالقرب منه في الموضع المعروف بين النهرين مما يلي القرية المعروفة بحروراء وأبو طاهر بينه وبين الكوفة فكانت الوقعة بينهم فأسر ابن الساج واصطلم عسكره وأتى علىٰ أكثر من ثلاثين ألف فارس وراجل مع تفرق كثيرا من أصحابه عنه في الطريق وتأخرهم عنه، وأبو طاهر في نحو ألفين من المقاتلة أكثرهم رجالة». انتهىٰ[1]

ويذكر المقريزي تفاصيل معركة أبي ساج بقوله: «فلما كان في سنة خمس عشرة وثلاثمائة خرج القرمطي من بلده لقتال ابن أبي الساج، وقد كان السلطان أنزله في جيش كثير بواسط ليسير إلىٰ بلد القرمطي، فاستصعب مسيره لكثرة من معه، وثقل عليه سيره في أرض قفر، فاحتال علىٰ القرمطي، وكاتبه بإظهار المواطأة، وأطمعه في أخذ بغداد ومعاضدته، فاغتر بذلك، ورحل بعيال وحشم وأتباع، وجيشه علىٰ أقوى ما يمكنه، وأقبل يريد الكوفة. ورحل ابن أبي الساج بجيشه عن واسط إلىٰ الكوفة، وقد سبقه القرمطي، ودخلها لسبع خلون من شوال، فاستولى عليها، وأخذ منها الميرة، وأعد ما يحتاج إليه؛ وأقبل ابن أبي الساج علىٰ غير تعبئة، وعبر مستهينا بأمر القرمطي مستحقرا له، ثم واقعه وهو في جيش يضيق عنه موضعه، ولا يملك تدبيره، وقد تفرق عنه عسكره، وركبوا من نهب القرى وأذى الناس وإظهار الفجور شيئا كثيرا، فأقبل إليه القرمطي وقاتله، فانهزمت عساكر ابن أبي الساج بعد ما كثرت بينهما القتلى والجراح، فقتلوا الناس قتلا ذريعًا حتى صاروا في بساط واحد نحو فرسخين أو أربع، واحتوى علىٰ عسكره، ونهب الأكره من أهل السواد ما قدروا عليه، وأقام أربعين يومًا؛ وخرج بعد أن يئس من مجيء عسكر إليه، فقصد بغداد، ونزل بسواد الأنبار، وعبر الفرات إلىٰ الجانب الغربي، وتوجه بين الفرات ودجلة يريد بغداد، فجيش الجيش إليه؛ وسار مؤنس حتى نازله علىٰ نحو ثلاثة فراسخ من

---

(١) التنبيه والإشراف ـ المسعودي ص٣٤٧.

بغداد، وقاتل القرامطة قتالا شديدًا، وورد كتاب المقتدر يأمر مؤنسا بمعاجلته القتال، ويذكر ما لزم من صرف الأموال إلىٰ وقت وصوله. فكتب إليه: إن في مقامنا أطال الله بقاء مولانا نفقة المال، وفي لقائنا نفقة الرجال؛ ونحن أحرياء باختيار نفقة المال علىٰ نفقة الرجال. ثم أنفذ إلىٰ القرمطي يقول له: ويلك، ظننتني كمن لقيك أبرز لك رجالي، والله ما يسرني أن أظفر بك بقتل رجل مسلم من أصحابي، ولكني أطاولك وأمنعك مأكولا ومشروبا حتى آخذك أخذًا بيدي إن شاء الله.

وأنفذ يلبق في جيش للإيقاع بمن في قصر ابن هبيرة، فعظم ذلك علىٰ القرمطي فاضطرب، وأخذ أصحابه يحتالون في الهرب، وتركوا مضاربهم، فنهب مؤنس ما خلفوه، وسار جيش القرمطي من غربي الفرات، وسار مؤنس من شرقيه، إلىٰ أن وافى القرمطي الرحبة، ومؤنس يحتال في إرسال زواريق فيها فاكهة مسمومة، فكان القرامطة يأخذونها، فكثرت الميتة فيهم، وكثر بهم الذرب، وظهر جهدهم، فكروا راجعين وقد قل الظهر معهم، فقاتلوا أهل هيت وانصرفوا مفلولين، فدخل الكوفة علىٰ حال ضعف وجراحات وعلل لثلاث خلون من رمضان سنة ست عشرة وثلاثمائة فأقام بها إلىٰ مستهل ذي الحجة، ولم يقتل ولا نهب، ثم رحل». انتهىٰ[1]

أبو طاهر إلى الانبار بعد معركته مع ابن الساج:

يوم الثلاثاء من شهر ذي القعدة من سنة ٣١٥هـ بعد معركته مع ابن الساج سار عن الكوفة إلىٰ الانبار وقطع عدة من أصحابه الفرات إلىٰ الجانب الشرقي، فقتلوا من كان بالأنبار من القواد منهم المعروف بالحارثي، وبرغوث وابن بلال ومحمد بن يوسف الخزري وغيرهم من الأولياء، وعقد علىٰ الفرات جسرا، وخلف السواد والذرية وعبر مع أصحابه إلىٰ الانبار، وسار عنها يريد الحضرة، حتى انتهىٰ إلى النهير المعروف بزبارا فوق التل المعروف بعقرقوف بفرسخ وذلك علىٰ بعض يوم من مدينة

---

(١) اتعاظ الحنفاء بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفاء - المقريزي.

السلام، وكان مجموعة من عساكر السلطان ومنهم مؤنس الخادم، ونصر الحاجب، وأبو الهيجاء، معسكرين علىٰ هذا النهر، فلما أحسوا بدنوه قطعوا القنطرة التي عليها وصار النهر حاجزا بين الفريقين فشرع قوم من رجالته فرموا بالنشاب وذلك في اليوم الثاني عشر والثالث عشر منذي القعدة من هذه السنة، فرجع القرمطي يريد الانبار، فبعث مؤنس غلامه المسمى يلبق في نحو من ثلاثة، وقيل سبعة آلاف علىٰ طريق قصر بن هبيرة من طريق الكوفة. فعبروا علىٰ جسر الفرات المعروف بجسر سورا وساروا في البر ليخالفوه إلىٰ سواده، وكان قوم من الأولياء شرعوا في الماء، فأحرقوا الجسر الذي عقده، فحصل في الجانب الشرقي وسواده في الجانب الغربي. وقيل إنه قطع الجسر عند عبوره، وتأدى إليه خبر يلبق فعبر الفرات في زورق عشرة عشرة من أصحابه، فيهم ثلاثة إخوة له، وعبر خلق سباحه فسبق إلىٰ سواده. وقتل أخواه أبو العباس الفضل وأبو يعقوب يوسف، وكانا في السواد بن أبي الساج حين بلغهما قرب يبلق منهم فلقى يلبق. فأتى علىٰ أكثر من كان معه ونجا يلبق منكسرا. وذلك يوم الأربعاء لإحدى عشرة ليلة بقيت من ذي القعدة من هذه السنة.

وفي ثمان خلون من ذي الحجة من ٣١٥هـ سار أبو طاهر إلىٰ مدينة هيت فنزل عليها وحصرها وعبر أصحابه الذين كانوا في جانب الانبار علىٰ أطواف اتخذوها في الموضع المعروف بفم بقة أسفل هيت، فاجتمعوا منه فواقع أهل هيت، وكان عبر إليها من المساء هارون بن غريب الخال وأبو العلاء سعيد بن حمدان، ويونس غلام الأصمعي وغيرهم من الأولياء، فكان القتال بينهم فوق السور واحترقت له عدة دبابات، وعاد إلىٰ معسكره وارتحل عنها إلىٰ ناحية رحبة مالك بن طوق واحرق بعض ما معه من الامتعه لقلة ما يحملها عليه وصار إلىٰ الرحبة وعليها يومئذ أبو جعفر محمد بن عمرون التغلبي وافتتحها عنوة ونزلها.

في جمادى الأولى من سنة ٣١٦هـ وجه سريه في نحو ألفين إلىٰ الرقة وكان أميرها نجم غلام جني الصفواني وهي علىٰ ثلاثين فرسخا من الرحبة، وكان علىٰ

السرية الحسين بن سنبر ومعاذ الكلابي وكان نزولهما عليها يوم الأحد فكان القتال بينهم يوم الثلاثاء والأربعاء، وانصرفوا في آخر يوم الأربعاء وقد أصيب عدة من الفريقين الأكثر منهم من السرية، راجعين من الرحبة.[1]

أبو طاهر يقرر إتاوة على كل رأس دينار على أعراب الرحبة:

قال ابن الأثير: «لما سار القرامطة من الانبار عاد مؤنس الخادم إلىٰ بغداد، فدخلها ثالث المحرم (عام ٣١٦هـ)، وسار أبو طاهر القرمطي إلىٰ الدالية من طريق الفرات، فلم يجد فيها شيئا، فقتل من أهلها جماعة، ثم سار إلىٰ الرحبة، فدخلها ثامن المحرم، بعد أن حاربه أهلها، فوضع فيهم السيف بعد أن ظفر بهم، فأمر مؤنس المظفر بالمسير إلىٰ الرقة فسار إليها في صفر وجعل طريقه علىٰ الموصل، فوصل إليها ف ربيع الأول، ونزل بها، وأرسل أهل قرقيسيا يطلبون من أبي طاهر الأمان، فأمنهم وأمرهم أن لا يظهر أحد منهم بالنهار، فأجابوه إلىٰ ذلك.

وسير أبو طاهر سرية إلىٰ الأعراب بالجزيرة، فنهبوهم، وأخذوا أموالهم، فخافه الأعراب خوفا شديدا وهربوا من بين يديه، وقرر عليهم إتاوة علىٰ كل رأس دينار يحملونه إلىٰ هجر، ثم أصعد أبو طاهر من الرحبة إلىٰ الرقة، فدخل أصحابه الربض وقتلوا منهم ثلاثين رجلا، وأعان أهل الرقة أهل الربض، وقتلوا من القرامطة جماعة، فقاتلهم ثلاثة أيام، ثم انصرفوا آخر ربيع الآخر، وبثت القرامطة سرية إلىٰ رأس عين، وكفرتوثا، فطلب أهلها الأمان فأمنوهم، وساروا أيضا إلىٰ سنجار، فنهبوا الجبال ونازلوا سنجار، فطلب أهلها الأمان فأمنوهم.

وكان مؤنس قد وصل إلىٰ الموصل، فبلغه قصد القرامطة إلىٰ الرقة فجد السير إليها، فسار أبو طاهر عنها، وعاد إلىٰ الرحبة، ووصل مؤنس إلىٰ الرقة بعد انصراف القرامطة عنها، ثم أن القرامطة ساروا إلىٰ هيت، وكان أهلها قد أحكموا سورها،

---

(١) التنبيه والإشراف - المسعودي ص٣٤٩.

فقاتلوه، فعاد عنهم إلىٰ الكوفة، فبلغ الخبر إلىٰ بغداد، فأخرج هارون بن غريب، وبني بن نفيس ونصر الحاجب إليها ووصلت خيل القرامطة إلىٰ قصر ابن هبيرة، فقتلوا منه جماعة.

ثم إن نصر الحاجب حم في طريقة حمى حادة، فتجلد وسار فلما قاربهم القرمطي لم يكن في نصر قوة علىٰ النهوض والمحاربة، فاستخلف أحمد بن كيغلغ، وأشتد مرض نصر، وأمسك لسانه لشدة مرضه، فردوه إلىٰ بغداد، فمات في الطريق أواخر شه رمضان، فجعل مكانه علىٰ الجيش هارون بن غريب، ورتب ابنه أحمد بن نصر في الجبة للمقتدر مكان أبيه فانصرف القرامطة إلىٰ البرية، وعاد هارون إلىٰ بغداد في الجيش، فدخلها لثمان بقين من شوال». انتهىٰ[1]

ظهور مذهب القرامطة بالسواد بزعامة حريث بن مسعود:

على اثر البطولات التي قام بها أبو طاهر القرمطي ووصوله حتى الانبار وفرض إتاوات علىٰ الكثير من المناطق التي هاجمها، مما أضعف من هيبة الدولة العباسية وأظهر ضعفها وعدم قدرتها علىٰ مقاومة القرمطي مما أدى إلىٰ تشجيع القرامطة في السواد علىٰ إشهار مذهبهم وذلك ما ذكره ابن الأثير قوله: لما كان من أمر أبي طاهر القرمطي ما ذكرناه اجتمع من كان بالسواد ممن يعتقد مذهب القرامطة فيكتم اعتقاده خوفا فأظهروا اعتقادهم، فاجتمع منهم بسواد واسط أكثر من عشرة آلاف رجل وولوا أمرهم رجلا يعرف بحريث بن مسعود، واجتمع طائفة أخرى بعين التمر ونواحيها في جمع كثير، وولوا أمرهم إنسانا يسمى عيسى بن موسى وكانوا يدعون إلىٰ المهدي، وسار إلىٰ الكوفة، ونزل بظاهرها، وجبى الخراج، وصرف العمال عن السواد.

وسار حريث بن مسعود إلىٰ أعمال الموفقي وبنى بها دارا سماها دار الهجرة،

---

(١) الكامل في التاريخ ـ ابن الأثير ج٨ ص١٨١.

واستولى علىٰ تلك الناحية، فكانوا ينهبون، ويسبون، ويقتلون، وكان يتقلد الحرب بواسط بنّيّ بن نفيس، فقاتلوهم، فهزموه، فسير المقتدر بالله إلىٰ حريث ابن مسعود ومن معه هارون بن غريب، والى عيسى بن موسى ومن معه بالكوفة صافيا البصري، فأوقع بهم هارون، واوقع صافي بمن سار إليهم، فانهزمت القرامطة، واسر منهم كثير، وقتل أكثر ممن أسر، وأخذت أعلامهم، وكانت بيضا، وعليها مكتوب ﴿وَنُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ علىٰ الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا فِي الأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمْ الْوَارِثِينَ﴾[1] فأدخلت بغداد منكوسة، واضمحل أمر من بالسواد منهم، وكفى الله الناس شرهم». انتهى[2]

من شدة الضعف الذي أصاب الدولة العباسية وعدم قدرتها علىٰ مواجهة أبو طاهر القرمطي قاموا باستخدام الفاكهة المسمومة لقتل جنود أبي طاهر.

قال المقريزي: «وأنفذ يلبق في جيش للإيقاع بمن في قصر ابن هبيرة، فعظم ذلك علىٰ القرمطي فاضطرب، وأخذ أصحابه يحتالون في الهرب، وتركوا مضاربهم، فنهب مؤنس ما خلفوه، وسار جيش القرمطي من غربي الفرات، وسار مؤنس من شرقيه، إلىٰ أن وافى القرمطي الرحبة، ومؤنس يحتال في إرسال زواريق فيها فاكهة مسمومة، فكان القرامطة يأخذونها، فكثرت الميتة فيهم، وكثر بهم الذرب، وظهر جهدهم، فكروا راجعين وقد قل الظهر معهم، فقاتلوا أهل هيت وانصرفوا مفلولين، فدخل الكوفة علىٰ حال ضعف وجراحات وعلل لثلاث خلون من رمضان سنة ست عشرة وثلاثمائة فأقام بها إلىٰ مستهل ذي الحجة، ولم يقتل ولا نهب، ثم رحل». انتهى[3]

---

(١) سورة القصص آية (٥).

(٢) الكامل في التاريخ - ابن الأثير ج٨ص١٨٦.

(٣) اتعاظ الحنفاء بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفاء - المقريزي.

عودة أبو طاهر إلى البحرين في آخر المحرم عام ٣١٧هـ

قال المسعودي: «أقام أبو طاهر في الرحبة نحوا من سبعة أشهر، وكان خلالها علىٰ نية نزول مدينة الرملة من بلاد فلسطين أو مدينة دمشق ثم عاد عن أمره وعمل علىٰ الرجوع إلىٰ بلده البحرين بسبب بعض الأمور فسار عن الرحبة في أول شعبان سنة ٣١٦هـ وفي طريقه نزل علىٰ هيت ثانية وقاتلهم قتالا شديدا ثم انحدر عنهم إلىٰ ناحية الكوفة والقادسية واجتاز بظاهر البصرة وعاد إلىٰ البحرين في آخر المحرم وأول صفر سنة ٣١٧هـ». انتهىٰ[1]

أبو طاهر يأخذ قسط من الراحة في البحرين لمدة عشرة أشهر ومن ثم يقرر السير إلى مكة:

بعد عودة أبو طاهر إلىٰ البحرين أخذ قسط من الراحة تقارب عشرة أشهر في البحرين بعدها عزم علىٰ غزوة جديدة فسار هذه المرة إلىٰ مكة ليس للحج بل لسلب الحجيج وهذا ما عتاد عليه فدخل مكة يوم الاثنين لسبع خلون من ذي الحجة من عام ٣١٧هـ في ستمائة فارس وتسعمائة راجل، وأميرها يومئذ محمد بن إسماعيل المعروف بابن مخلب، وأخذ الناس بالسيف وعاذوا بالمسجد والبيت فاستمر القتل فيهم وعمهم وقيل أن عدد القتلى ثلاثين ألف وأكثر وهلك في بطون الأودية ورؤوس الجبال والبراري عطشا وضرا مالا يدركه الإحصاء، واقتلع باب البيت الحرام وكان مصفحا بالذهب وأخذ جميع ماكان من البت من المحاريب الفضة، الجزع، وغيره ومعاليق وما يزين به البيت من مناطق ذهب وانازيرات ذهب وفضه وقلع الحجر الأسود ومقدار موضعه ما يدخل فيه اليد إلىٰ أقل من المرفق. وجرد البيت من الكسوة وحمل ذلك علىٰ خمسين جملا إلا ماصابه الدم عند عود الناس به فانه ترك. وذلك يوم السبت لثلاث عشر ليلة خلت من ذي الحجة سنة ٣١٧هـ.

---

(١) التنبيه والإشراف ـ المسعودي ص٣٥٠.

وكان مقامهم بمكة ثمانية أيام يدخلونها غدوة ويخرجون منها عشيا يقتلون وينهبون. ورحل عنها يوم السبت من شهر ذي الحجة.

قبيلة هذيل تعترض طريق أبو طاهر:

في طريق عودة أبو طاهر من مكة، عرضت له هذيل بن مدركة ابن الياس بن مضر وهم رجالة في المضايق والشعاب والجبال وحاربوه حربا شديدا بالنبل والخناجر ومنعوه من المسير واشتبهت عليهم الطرق فأقاموا بذلك ثلاثة أيام حائرين بين الجبال والأودية، وتخلص كثير من النساء والرجال المأسورين واقتطعت هذيل مما كان معهم الوفا كثيرة من الإبل والثقلة وكانت ثقلته علىٰ نحو مائة ألف بعير عليها أصناف المال والأمتعة، إلىٰ أن ذله عبد اسود من عبيد هذيل يقال له زياد استأمن إليه علىٰ طريق سلكه فخرج عن المضايق وسار راجعا إلىٰ بلده.[1]

(١) التنبيه والإشراف - المسعودي ص٣٥٠.

إقتلاع الحجر الأسود

تعتبر حادثة اقتلاع الحجر الأسود من قبل القرامطة نقطة سوداء في تاريخهم، وقد ذكر هذه الحادثة الكثير من المؤرخين نذكر بعض منها:

قال المقريزي أن أبو طاهر اقتلع الحجر الأسود واعتقاده انه مغناطيس القلوب: «فلما كان في سنة سبع عشرة رحل بجيشه، فوافى مكة لثمان خلون من ذي الحجة، فقتل الناس في المسجد قتلا ذريعا، ونهب الكعبة، وأخذ كسوتها وحليها، ونزع الباب وستائره، وأظهر الاستخفاف به، وقلع الحجر الأسود وأخذه معه وظن أنه مغناطيس القلوب، وأخذ الميزاب أيضا.

وعاد إلىٰ بلده في المحرم سنة ثماني عشرة وقد أصابه كد شديد، وقد أخذ ستة وعشرين ألف حمل خفا، وضرب آلاتهم وأثقالهم بالنار، وأستملك من النساء والغلمان والصبيان ما ضاق بهم الفضاء كثرةً، وحاصرته هذيل فأشرف علىٰ الهلكة حتى عدل به دليل إلىٰ غير الطريق المعروف إلىٰ بلده». انتهىٰ[1]

قال ابن الأثير: «حج بالناس في هذه السنة (سنة سبع عشر وثلاثمائة) منصور

(١) اتعاظ الحنفاء بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفاء ـ المقريزي.

الديلمي وسار بهم من بغداد إلىٰ مكة فسلموا في الطريق، فوافاهم أبو طاهر القرمطي بمكة يوم التروية فنهب هو وأصحابه أموال الحجاج وقتلوهم حتى في المسجد الحرام وفي البيت نفسه، وقلع الحجر الأسود ونفذه إلىٰ هجر، فخرج إليه ابن محلب أمير مكة في جماعة من الإشراف، فسألوه في أموالهم فلم يشفعهم، فقاتلوه فقتلهم أجمعين، وقلع باب البيت، واصعد رجلا ليقلع الميزاب فسقط فمات وطرح القتلى في بئر زمزم ودفن الباقين في المسجد الحرام حيث قتلوا بغير كفن ولا غسل ولا صلي علىٰ أحد منهم وأخذ كسوة البيت فقسمها بين أصحابه ونهب دور أهل مكة.

فلما بلغ ذلك المهدي أبا محمد عبيد الله العلوي بإفريقيه كتب إليه ينكر عليه ذلك ويلومه ويلعنه ويقيم عليه القيامة، ويقول قد حققت علىٰ شيعتنا ودعاة دولتنا اسم الكفر والإلحاد بما فعلت وإن لم ترد علىٰ أهل مكة وعلى الحجاج وغيرهم ما أخذت منهم، وترد الحجر الأسود إلىٰ مكانه وترد كسوة الكعبة فأنا بريء منك في الدنيا والآخرة.

فلما وصل هذا الكتاب أعاد الحجر الأسود علىٰ ما نذكره واستعاد ما أمكنه من الأموال من أهل مكة فرده، وقال: إن الناس اقتسموا كسوة الكعبة وأموال الحجاج، ولا أقدر علىٰ منعهم». انتهىٰ[1]

كما أشار النويري قوله: «مسير أبي طاهر إلىٰ مكة ونهبها وأخذ الحجر الأسود وإعادته وما كان من أخباره في خلال ذلك وفي سنة سبع عشرة وثلاثمائة حج بالناس منصور الديلمي، وسلموا في مسيرهم حتى أتوا مكة، فوافاهم أبو طاهر القرمطي بمكة يوم التروية، وهو يوم الاثنين لثمان خلون من ذي الحجة، فنهب هو وأصحابه أموال الحجاج وقتلوهم حتى في المسجد الحرام والبيت، وقلعوا الحجر الأسود ونفذوه إلىٰ هجر، وأخذوا كسوة الكعبة وباب البيت، وطلع رجل منهم ليقلع

(١) الكامل في التاريخ ـ ابن الأثير ـ ج٨ ص٢٠٧ ص٢٠٨.

الميزاب فسقط فمات، وخرج لأمير مكة ابن مجلب في جماعة من الأشراف إلىٰ أبي طاهر، وسألوه في أموالهم فلم يشفعهم فقاتلوه فقتلهم جميعًا وطرح القتلى في بئر زمزم، ودفن الناس في المسجد الحرام حيث قتلوا من غير غسل ولا كفن ولا صلاة علىٰ أحد منهم، ونهب دور أهل مكة، قال الشريف أبو الحسين: ولما نهب القرامطة مكة ورجع أبو طاهر إلىٰ بلده لحقه كد شديد عند خروجه من مكة، وحاصرته هذيل فأشرف علىٰ الهلكة إلىٰ أن عدل به دليل من الطريق المعروف إلىٰ غيره، فوصل إلىٰ بلده بعد ذلك في المحرم سنة ثماني عشرة وثلاثمائة، فأقام به ثم سار إلىٰ الكوفة فدخلها في شهر رمضان سنة تسع عشرة وثلاثمائة، فاشتروا منها أمتعة وأسروا خلقًا من السواد، وعاثوا ورجعوا بعد خمسين يومًا إلىٰ بلدهم، فأقاموا به». انتهىٰ[1]

قال ابن خلدون: «وفي سنة سبع عشرة هجم (أبو طاهر) علىٰ مكة وقتل كثيرا من الحاج ومن أهلها ونهب أموالهم جميعا وقلع باب البيت والميزاب، وقسم كسوة البيت في أصحابه، واقتلع الحجر الأسود وانصرف به وأراد أن يجعل الحج عنده، وكتب إليه عبيد الله المهدي من القيروان يوبخه علىٰ ذلك، ويتهدده، فكتب إليه بالعجز عن رده من الناس ووعد برد الحجر، فرده سنه تسع وثلاثين بعد أن خاطبه منصور إسماعيل من القيروان في رده فردوه، وقد كان الحكم المتغلب علىٰ الدولة ببغداد أيام المستكفي بذل لهم خمسين ألفا من الذهب علىٰ أن يردوه فأبوا، وزعموا أنهم إنما حملوه بأمر إمامهم عبيد الله، وإنما يردونه بأمره وأمر خليفته». انتهىٰ[2]

وذكر اليافعي أحداث سنة سبع عشر وثلاثمائة قوله: «قال محمود الاصبهاني دخل القرمطي وهو سكران فصفر لفرسه فسأل عند البيت وقتل جماعة ضرب الحجر الأسود بدبوث فكسر منه قلعة وبقي الحجر الأسود بهجر نيفا وعشرين سنة ولما قلع الحجر الأسود قال شعرا يدل علىٰ عظيم زندقته حيث يقول:

---

(١) نهاية الأرب في فنون الأدب ـ المقريزي.

(٢) تاريخ ابن خلدون ص٩٥٦.

فلو كـان هـذا البيت لله ربـنا   لصب علينا النار من فوقنا صبا
لا نـا حجينا حـجة جاهلية   محللة لم تبق شرقا ولا غـربا
وإنـا تركنا بين زمـزم والصفا   جبابر لانبقى سـوى ربها ربا[1]

(١) مرآة الجنان وعبرة اليقظان ـ ج٢ ص٢٧٢ المتوفى سنة ٧٦٨هـ وعرف عنه أنه من المتعصبين ضد شيعة أهل البيت .

ما بعد اقتلاع الحجر الأسود

بعد أن مكث أبو طاهر ثمانية أيام في مكة يدخلها غدوة ويخرج منها عشيا رحل عنها يوم السبت ليلة الثالث عشر من شهر ذي الحجة ووصل إلىٰ هجر في شهر محرم من عام ٣١٨هـ.

بعد عودة أبو طاهر من مكة إلىٰ هجر ومعه الحجر الأسود، كتب إليه الخليفة العباسي المقتدر يتوعده علىٰ ما استحل به في مكة المكرمة، فأجابه أبو طاهر بكتابا شديد اللهجة يستحقره فيه كما جاء في كتاب كشف أسرار الباطنية وأخبار القرامطة، قال فيه:

«بسم الله الرحمن الرحيم والحمد لله رب العالمين والعاقبة للمتقين.

من أبي (طاهر سليمان بن) الحسن الجنابي، الداعي إلىٰ تقوى الله القائم بأمر الله، الآخذ بآثار رسول الله ﷺ إلىٰ قائد الارجاس المسمى بولد العباس.

أما بعد ـ عرفك الله مراشد الأمور، وجنبك التمسك بحبل الغرور ـ فانه وصل كتابك بوعيدك وتهديدك، وذكرك ما وضعته من نظم كلامك، وقمت به من فخامة إعظامك، من التعليق بالأباطيل، والإصغاء إلىٰ فحش الأقاويل من الذين يصدون عن

السبيل، فبشرهم بعذاب أليم علىٰ حين زوال دولتك، ونفاد منتهى طلبتك، وتمكن أولياء الله من رقبتك، وهجومهم علىٰ معاقل أوطانك، ظفرا، وسبيهم حرمك قسرا، وقتل جموعك صبرا، أولئك حزب الله ﴿أَلاَ إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمْ الْمُفْلِحُونَ﴾[1] وجند الله هم الغالبون. هذا وقد خرج عليك الإمام المنتظر كالأسد الغضنفر في سرابيل الظفر، متقلدا سيف الغضب، مستغنيا عن نصر العرب، لا تأخذه في الله لومة لائم، ﴿ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾[2] وقد اكتنفه العز من حواليه، وسارت الهيبة بين يديه، وضربت الدولة عليه سرادقها، وألقت عنه قناع بوائقها، وانقشعت طخاء الظلمة، ودجنة الضلالة، وغاصت بحار الجهالة، ليحق الحق ويبطل الباطل، ولو كره المجرمون.

تالله غرتك نفسك، وأطمعتك فيما لست نائله، وسولت لك ما لست واصله فكتبت لي بما أجمعت عليه أذهان كتابك، ذكرتني بالعيوب الشنيعة، وقذفتني بالمثالب السمجة، تالله ﴿وَلَتُسْأَلُنَّ عَمَّا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾[3] فأما ما ذكرت من قتل الحجيج واخراب الأمصار، وإحراق المساجد فو الله ما فعلت ذلك إلا بعد وضوح الحجة كإيضاح الشمس، وادعاء طوائف منهم أنهم أبرار، ومعاينتي منهم أخلاق الفجار فحكمت عليهم بحكم الله ﴿وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُوْلَئِكَ هُمْ الْكَافِرُونَ﴾[4].

خبرني أيها المحتج لهم، والمناظر عنهم، في أي آية من كتاب الله أو أي خبر عن رسول الله ﷺ إباحة شرب الخمور، وضرب الطنبور، وعزف القيان، ومعانقة الغلمان، وقد جمعوا الأموال من ظهور الأيتام، واحتووها من وجوه الحرام.

---

(١) سورة المجادلة آية ٢٢.

(٢) سورة المائدة آية ٥٤.

(٣) سور النحل آية ٩٣.

(٤) سورة المائدة آية ٤٤.

وأما ما ذكرت من إحراق مساجد الأبرار، فأي مساجد أحق بالخراب من مساجد إذا توسطتها، سمعت فيها الكذب علىٰ الله تعالى، وعلى رسوله ﷺ، بأسانيد عن مشايخ فجره، بما أجمعوا عليه من الضلالة، وابتدعوا من الجهالة.

وأما تخويفك لي بالله، وأمرك بمراقبته، فالعجب من بهتك وصلابة حدقتك، أترى أني أجهل بالله منك، وصرفك أموال المسلمين للصفاعنة والضراطين، ومنعها عن مستحقيها، يدعى علىٰ المنابر للصبيان ويخطب للخصيان ﴿أَاللَّهُ أَذِنَ لَكُمْ أَمْ عَلَىٰ اللَّهِ تَفْتَرُونَ﴾[1].

وأما ما ذكرت أني تسميت بسمة عدوان، فليس بأعظم من تسميتك بالمقتدر بالله، أمير المؤمنين أي جيش صدمك، فاقتدرت عليه، أم أي عدو ساقك فابتدرت اليه؟! لأنت أمير الفاسقين أولى بك من أمير المؤمنين وانك لتقلد بعض خدمك شيئا من أمرك، فيكاتبه الشريف والرئيس بالسيد والمولى، فأي الأمرين ﴿أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى﴾ أوما علمت أنه من انقاد له نفر من عشيرته، وعصابه من بني عمه وأسرته فقد سادهم وعلا فيهم.

وبعد: فمالك وللوعيد والإبراق والتهديد، اعزم علىٰ ماأنت عليه عازم وأقدم علىٰ ما أنت عليه قادم، والله من ورائي ظهير، وهو نعم المولى ونعم النصير، والحمد لله وصلى الله علىٰ خير بريته وآله وعترته». انتهى[2]

عاد أبو طاهر في شهر محرم إلىٰ هجر ولكنه مازال يهوى الانتقام من الدولة العباسية من خلال الهجوم الكوفة كما ذكر المقريزي قوله: «وعاد إلىٰ بلده في المحرم سنة ثماني عشرة وقد أصابه كد شديد، وقد أخذ ستة وعشرين ألف حمل خفا، وضرب آلاتهم وأثقالهم بالنار، وأستملك من النساء والغلمان والصبيان ما

---

(١) سورة يونس آية ٥٩.

(٢) نقلا من كتاب أخبار القرامطة ـ الدكتور سهيل زكار ص٣٧٣.

ضاق بهم الفضاء كثرةً، وحاصرته هذيل فأشرف علىٰ الهلكة حتى عدل به دليل إلىٰ غير الطريق المعروف إلىٰ بلده.

فلما كان في شهر رمضان سنة تسع عشرة وثلاثمائة سار إلىٰ الكوفة، فعاث عسكره في السواد، وأسروا خلقا، واشتروا أمتعة، ورجعوا بعد خمسين ليلة أقاموا بها إلىٰ بلدهم.

وبعث أبو طاهر سرية في البحر نحو أربعين مركبا فوضعوا السيف في أهل الساحل، ولم يلقوا أحدا إلا قتلوه من رجل وامرأة وصبي فما نجا منهم إلا من لحق بالجبال، وسبوا النساء، واجتمع الناس، فقتلوا منهم في الحرب معهم خلقا كثيرا، وأسروا جماعة، ثم تحاملوا عليهم، وتبادوا بالشهادة، وجدوا فقتلوا أكثرهم، وأخذوا جميع من بقى أسرا بحيث لم يفلت منهم أحد، وحملت الأسرى إلىٰ بغداد مع الرءوس وهم نحو المائة رجل ومائة رأس فحبسوا ببغداد.

ثم خلصوا وصاروا إلىٰ أبي طاهر فكانوا يتحدثون بعد خلاصهم إلىٰ أبي طاهر أن كثيرا من الكبراء وغيرهم كانوا يرسلون إليهم بما يتقربون به إليهم، وكان سبب خلاصهم مكاتبة جرت بينهم بالمهادنة علىٰ أن يردوا الحجر الأسود، ويطلق الأسرى، ولا يعترضوا الحاج، فجرى الأمر علىٰ ذلك.

ودخل القرمطي في سنة ثلاث وعشرين إلىٰ الكوفة والحاج قد خرج في ذي القعدة، وعاد الحاج إلىٰ الكوفة، ولم يقدر علىٰ مقاومتهم، فظفر بمن ظفر منهم، فلم يكثر القتل، وأخذ ما وجد». انتهىٰ[1]

ابو طاهر يبعث سرية إلى أهل الساحل:

ذكر المقريزي: «فلما كان في شهر رمضان سنة تسع عشرة وثلاثمائة سار إلىٰ

---

(١) اتعاظ الحنفاء ـ المقريزي.

الكوفة، فعاث عسكره في السواد، وأسروا خلقا، واشتروا أمتعة، ورجعوا بعد خمسين ليلة أقاموا بها إلىٰ بلدهم. وبعث أبو طاهر سرية في البحر نحو أربعين مركبا فوضعوا السيف في أهل الساحل، ولم يلقوا أحدا إلا قتلوه من رجل وامرأة وصبي فما نجا منهم إلا من لحق بالجبال، وسبوا النساء، واجتمع الناس، فقتلوا منهم في الحرب معهم خلقا كثيرا، وأسروا جماعة، ثم تحاملوا عليهم، وتبادوا بالشهادة، وجدوا فقتلوا أكثرهم، وأخذوا جميع من بقى أسرا بحيث لم يفلت منهم أحد، وحملت الأسرى إلىٰ بغداد مع الرءوس وهم نحو المائة رجل ومائة رأس فحبسوا ببغداد. ثم خلصوا وصاروا إلىٰ أبي طاهر فكانوا يتحدثون بعد خلاصهم إلىٰ أبي طاهر أن كثيرا من الكبراء وغيرهم كانوا يرسلون إليهم بما يتقربون به إليهم، وكان سبب خلاصهم مكاتبة جرت بينهم بالمهادنة علىٰ أن يردوا الحجر الأسود، ويطلق الأسرى، ولا يعترضوا الحاج، فجرى الأمر علىٰ ذلك». انتهىٰ[1]

وفي عام ٣١٩هـ حدث أمر عظيم في أوساط قرامطة البحرين راح علىٰ أثرها الكثير من الضحايا وسبب ذلك ما قاله المسعودي: «وأخبار الغلام المعروف بالذكرى من أبناء ملوك الأعاجم من بلاد صبهان، وروده إليهم في سنة ٣١٦، وتسيلم أبي طاهر الأمر إليه في سنة ٣١٩ وإجماعهم عليه، وما رسم من الرسوم والمذاهب التي أخذهم بها، وقتله لأبي حفص بن زرقان زوج أخت أبي طاهر.

وكان يدعي الشريك، وكان أكملهم عقلًا، وأوسعهم علمًا، وأحسنهم أدبًا، وبني سلمان وغيرهم من وجوه العسكر، وهم نحو من سبعمائة رجل، وما أظهر في العسكر من المذاهب الشنيعة، والسير القبيحة، التي لم تعهد، ولا عرفت في عسكر هؤلاء القوم منذ استولى أبو سعيد علىٰ هذه البلاد وولده وزوالها بزواله ورجوعهم عنها، واعتذارهم عنها، وما وقع عليها من التدبير إلىٰ أن قتل فيما قيل وعاد الأمر إلىٰ

---

(١) اتعاظ الحنفاء ـ المقريزي.

أبي طاهر». انتهى [١]

وقد أشار ابن مسكويه إلىٰ قصة الغلام المعروف بالذكرى من أبناء ملوك الأعاجم من بلاد صبهان وأسباب قدومه إلىٰ هجر قوله: «كان ابن سنبر يعادي المعروف بابي حفص الشريك[٢] فاحتال في حياة أبي طاهر بان أحضر رجلا من أهل اصبهان فكشف له أسرارا كان أبو سعيد الجنابي كشفها له في حياته ولم يكشفها لغيره وعرفه. مواضع دفائن له لم يعلم بها غيره ولم يعلم أبو طاهر أن أباه أبا سعيد كشف ذلك لابن سنبر فقال ابن سنبر لهذا الرجل الاصبهاني: امض إلىٰ أبي طاهر وعرفه انك الرجل الذي كان أبوه وهو يدعوان إليه فإذا هو سألك عن العلامات والدليل أظهرت له هذه الأسرار. وشرط ابن سنبر علىٰ هذا الاصبهاني أن يكون إذا تمكن من الأمر قتل أبا حفص الشريك، فضمن له الاصبهاني ذلك فمضى إلىٰ أبي طاهر وأعطاه العلامات وحدثه بالأسرار فلم يشك في صحة تلك العلامات فوثب أبو طاهر وقام بين يديه وسلم الأمر إليه، وقال لأصحابه: هذا هو الذي كنت أدعوكم إليه والأمر له. فتمكن الرجل من الأمر وثبت ووفى بما كان ضمنه لابن سنبر وقتل أبا حفص الشريك. ثم كان يأمر أبا طاهر وإخوته بقتل من يشاء ويقول (قد مرض) يعني أنه قد شك في الدين فيقتل وأخذ يقتل واحدا واحدا من رؤساء القوم وأهل البصائر منهم والنجدة وأمره ممتثل مطاع لا يخالف إلىٰ أن يأتي علىٰ عدد كثير منهم. وكان إذا أمر الرجل أن يقتل أخاه أو أباه أو ابنه لم يتوقف وبادر إلىٰ امتثال أمره فخافه أبو طاهر وبلغه انه عمل علىٰ قتله فقال لإخوته: قد وقع علي غلط وشبهة في أمر هذا الرجل وليس هو صاحب الأمر الذي يعرف ضمائر القلوب ولا تخفى عليه الأسرار ويمكنه أن يبرئ المريض ويعمل كل ما يريد. وجاؤا إلىٰ الرجل فعرفوه أن والدتهم

---

(١) التنبيه والإشراف ـ المسعودي ص٣٥٥.

(٢) قال عنه المسعودي: أبي حفص بن زرقان زوج أخت أبي طاهر. وكان يدعي الشريك، وكان أكملهم عقلًا، وأوسعهم علمًا، وأحسنهم أدبًا.

عليلة وسألوه أن يدخل إليها ونوَموا والدتهم علىٰ فراش وغطوها بازار فدخل إليها فلما رآها قال لهم: هذه علة ليبرأ صاحبها فطهروها (معناه اقتلوها). فلما قال لهم ذلك قالوا لأمهم: اجلسي. فجلست وقالوا: أنها لفي عافية وأنت كذاب. فقتلوه». انتهى[١]

وذكر ابن الأثير أن هذه الحادثة وقعت عام ٣٢٦هـ وهنا يختلف مع المؤرخين السابقين له وبالرغم من إنني أرجح ما ذكره المسعودي وابن مسكويه لأنهم مصادر تاريخيه سبقوا أبن الأثير، ولكن لابأس في ذكر روايته لمزيد من الاطلاع والمعرفة.

قال ابن الأثير: «في هذه السنة فسد حال القرامطة، وقتل بعضهم بعضا وسبب ذلك أنه كان رجل منهم يقال له ابن سنبر وهو من خواص أبي سعيد القرمطي والمطلعين علىٰ سره وكان له عدو من القرامطة اسمه أبو حفص الشريك، فعمد ابن سنبر إلىٰ رجل من أصبهان[٢] وقال له: إذا ملكتك أمر القرامطة أريد منك أن تقتل عدوي أبا حفص، فأجابه إلىٰ ذلك وعاهده عليه فأطلعه علىٰ أسرار أبي سعيد، وعلامات كان يذكر أنها في صاحبهم الذين يدعون إليه، فحضر عند أولاد أبي سعيد، وذكر لهم ذلك، فقال أبو طاهر: هذا هو الذي يدعوا إليه، فأطاعوه، ودانوا له، حتى كان يأمر الرجل بقتل أخيه فيقتله، وكان إذا كره رجلا يقول له أنه مريض، يعني أنه قد شك في دينه ويأمر بقتله.

---

(١) كتاب تجارب الأمم ـ ابن مسكويه ـ ج٢ ص٥٥.

(٢) قال المسعودي: «الذكري: من أبناء ملوك الأعاجم من بلاد صبهان ووروده إليهم في سنة ٣١٦هـ وتسليم أبي طاهر الأمر إليه في سنة ٣١٩هـ وإجماعهم عليه وما رسم من رسوم والمذاهب التي أخذهم بها وقتله لأبي حفص بن زرقان زوج أخت أبي طاهر وكان يدعى الشريك، وكان أكملهم عقلا وأوسعهم علما وأحسنهم أدبا .وبني سلمان وغيرهم من وجوه العسكر وهم نحو سبعمائة رجل وما أظهر في العسكر من المذاهب الشنيعة والسير القبيحة التي لم تعهد ولاعرفت في عسكر هؤلاء القوم منذ استولى أبو سعيد علىٰ هذه البلاد وولده وزوالها بزواله ورجوعهم عنها واعتذارهم عنها وما وقع عليها من التدبير إلىٰ أن قتل فيما قيل . المصدر التنبيه والإشراف للمسعودي.

وبلغ أبا طاهر أن الاصبهاني يريد قتله ليفرد بالملك، فقال لإخوته لقد أخطأنا في هذا الرجل، وسأكشف حاله، فقال له: إن لنا مريضا، فانظر إليه ليبرأ، فحضروا وأضجعوا والدته وغطوها بإزارا فلما رآها قال: إن هذا المريض لايبرأ فاقتلوه! فقالوا له: كذبت هذه والدته، ثم قتلوه بعد أن قتل منهم خلق كثير من عظمائهم وشجعانهم وكان هذا سبب تمسكهم بهجر وترك قصد البلاد والإفساد فيها». انتهى[(١)]

في عام ٣٢٠هـ:

بويع القاهر العباسي قال المسعودي: «وبويع القاهر محمد بن أحمد المعتضد، ويكنى أبا منصور، وأمه أم ولد، تسمى قبول، يوم الخميس لليلتين بقيتا من شوال سنة ٣٢٠. ثم خلع وسملت عيناه يوم الأربعاء لخمس خلون من جمادى الأولى سنة ٣٢٢ وله ست وثلاثون سنة وأشهر. ولم يسمل قبله أحد من الخلفاء وملوك الإسلام. وكانت خلافته سنة وستة أشهر وستة أيام وكان أبيض يعلوه حمرة، مربوعا، حسن الجسم، أعين، وافر اللحية، ألثغ، شديد الإقدام علىٰ سفك الدماء، أهوج، محبًا لجمع المال علىٰ قلته في أيامه قليل الرغبة في اصطناع الرجال، غير مفكر في عواقب أموره، راكبًا ردعه، واطئًا عشواته يريد الشبه بمن تقدم من آبائه، فلا يمكنه ذلك لسوء تدبيره وقبح سياسته. واستوزر أبا علي محمد بن مقلة ثم جعفر محمد بن القاسم بن عبيد الله، ثم أبا العباس أحمد بن عبيد الله الخصيبي وكان نقش خاتمه (القاهر بالله) وقاضيه عمر بن محمد بن يوسف بن يعقوب، وحاجبه علي بن يلبق، وبدر الخرشني، وفارس بن الزنداق، ومحمد ابن ياقوت، وسلامة المؤتمن المعروف بأخي نجح». انتهى[(٢)]

أبو طاهر يوجه سرية إلىٰ جنابه مسقط رأس أبيه أبو سعيد الجنابي عام ٣٢١هـ:

---

(١) الكامل في التاريخ ـ ج٨ ص٣٥١.

(٢) التنبيه والإشراف ـ المسعودي ص٣٥٢.

قال النويري: «وأنفذ أبو طاهر سرية إلىٰ جنابة وسينيز ومهروبان في البحر، فيها وجوه أصحابه في نحو أربعين مركبًا، فوافت ساحل سينيز فصعدوا من المراكب، فحملوا علىٰ أهلها حملة واحدة فانكشف الناس عنهم، فوضعوا فيهم السيف فما لقوا أحدًا إلا قتلوه من رجل وامرأة، فما نجا إلا من لحق بالجبال وسبوا النساء، فترك الناس الديار وخرجوا يريدون الهرب، فنادى أبو بكر الطرازي في الناس: لا يهرب أحد، فإنا نقاتل من ورد إلينا، وضرب بالبوق ووجه من حبس الناس عن سلوك الطرقات وردهم إلىٰ البلد، وجمع الناس بالمسجد الجامع ورغبهم في الجهاد وأسعفهم بماله، ورغبت المتطوعة في الاجتماع فقويت قلوب الناس، وأنفذ أبو بكر سرية من وقته من خاصة غلمانه في نحو ثلاثمائة رجل في البحر، ووجه سرية أخرى في البر، وأنفذ إلىٰ مهروبان يخبر أنه علىٰ لقاء العدو، وسألهم الإنجاد في المراكب لمعاونة أهل جنابه علىٰ قتال القرامطة، فساروا والتقى الفريقان في البر والبحر من أهل جنابه وسينيز، ووافت قوارب مهروبان فأشعلوا النيران في القوارب، فأحرقوا بعضها وتخلص منهم نحو عشرين قاربًا، وانتشبت الحرب فقتل الله منهم خلقًا كثيرًا، وأسر جماعة ولحق بعضهم بالجبال، وورد علىٰ أبي بكر الطرازي من أخبره بذلك، فجمع الناس وغدا نحو الجبال، وأرسل فارسًا إلىٰ من بسينيز من أصحابه أن يلحقوا به، وأنفذ إلىٰ جنابه ألا يتخلف عنه من فيه حراك، لتكون الوقعة بهم من كل وجه، فوافوا المنهزمين من القرامطة في بعض كهوف الجبال، وذلك في يوم الأربعاء فلما رأوا الناس قد أقبلوا نحوهم كسروا جفون سيوفهم، وحملوا عليهم فثبتوا لهم، ولم نزل الحرب قائمة بينهم يوم الأربعاء والخميس إلىٰ نصف النهار، ثم نادى أبو بكر الطرازى، من جاء برأس فله خمسون درهمًا، فتنادى الناس بالشهادة وجدوا ونشطوا، وقتلوا خلقًا كثيرًا وأخذوا جميع من بقي أسرى، وحملوا مشهرين والناس يكثرون حمد الله عز وجل والثناء عليه، ولم يفلت منهم أحد.

وكتب الناس محضرًا أنفذوه إلىٰ بغداد، وحملت الأسرى والرؤوس معه،

قال الشريف: ونسخه المحضر: «بسم الله الرحمن الرحيم» ـ حضر من وقع بخطه وشهادته آخر هذا الكتاب المحضر، وقد حضر عندهم ثلاثة من القرامطة ـ لعنهم الله ـ ذكر أحدهم أنه يقال له ـ سيار بن عمر بن سيار، والآخر ذكر أنه يقال له – علي بن محمد بن عمر، والآخر ذكر أنه يعرف بأحمد ابن غالب بن جعفر الأحساوى، فذكروا أنهم متى نفذ رسولهم إلىٰ صاحبهم سليمان بن الحسن القرمطي رد الحجر والشمسة وكسوة البيت وأطلق الأسارى الذين في قبضته، وهادن السلطان وارتدع عن السعي بالفساد والقطع علىٰ الحاج، ولم يحفزهم ولم يعترض عليهم، ويقول هؤلاء النفر من جملة الأسرى الذين في يد محمد بن علي الطرازى ـ وهم الذين ظفر الله بهم ـ فمتى ما وفي سليمان بن الحسن القرمطي بما بذلوه عنه أفرج السلطان عنهم وردهم إليه، وذلك في يوم الجمعة لعشر خلون من جمادى الآخرة سنة إحدى وعشرين وثلاثمائة، وأسفل ذلك خطوط أهل البلد بالشهادة وأحضر سيار بن عمر بن سيار وعلي بن محمد بن عمر المعروف بأبي الهذيل بن المهلب وأحمد العيار، وهم من جملة الأسرى في الوقعتين بسينيز وجنابه، فعرض عليهم رؤوس أصحابهم ممن قتل من القرامطة، ليعرفوا بأسمائهم وأنسابهم فذكروا نحو المائة رأس، ومن الأسرى نحوهم، وحملوا إلىٰ بغداد فحبسوا وأجري عليهم، ويقال إنه قد كان فيهم من اخوة سليمان بن الحسن من كتم أمره.

وحدثني ابن حمدان أنهم كانوا بعد خلاصهم ومصيرهم إلىٰ أبي طاهر يتحدثون: أن كثيرًا من الكبراء وغيرهم كانوا يرسلون إليهم ما يتقربون به إلىٰ قلوبهم، وذكروا أنهم كانوا يكثرون الخشوع وذكر النبي صلى الله عليه وسلم وتعظيمه وإقامة الصلاة، قال: ويضحكون من فعلهم هذا وخديعتهم الناس، قال: ويضحك أبو طاهر واخوته مما يتحدثون به، قال: وكان سبب تخلص هؤلاء الأسرى أن أبا بكر بن ياقوت كتب في المهادنة، وجرى بينهم خطوب في المراسلة إلىٰ أن وافقهم أن يردوا الحجر

الأسود ويخلوا الأسرى ولا يعرضوا للحاج، فجرى الأمر علىٰ ذلك». انتهى[1]

في عام ٣٢٢هـ بويع الراضي العباسي وقد حدث في أيامه سار أبو طاهر عن الاحساء لاعتراض الحاج في بداية موسم الحج لعام ٣٢٢هـ قال المسعودي: «بويع الراضي محمد بن جعفر المقتدر ويكنى أبا العباس، وأمه أم ولد تسمى ظلوم، يوم الخميس لست ليال خلون من جمادى الأولى سنة ٣٢٢، وتوفي بمدينة السلام يوم السبت لست عشرة ليلة خلت من شهر ربيع الأول سنة ٣٢٩ وله اثنتان وثلاثون سنة وأشهر، وكانت خلافته ست سنين وعشرة أشهر وعشرة أيام. وكان أسمر، أعين، مسنون الوجه، خفيف العارضين، دحداحًا، نحيفًا، جوادًا، محبًا للأدب، حسن الشعر، شديد التضريب بين أوليائه، لاستبدادهم بالأمور دونه، وقصور يده عن تغيير ذلك، فاستوزر محمد ابن علي بن مقلة، وولده أبا الحسين علي بن محمد وكانا يخاطبان بالوزارة وتخرج الكتب بأسمائهما ثم استوزر أبا علي عبد الرحمن بن عيسى بن داود بن الجراح، ثم أبا جعفر محمد بن القاسم الكرخي. ثم أبا القاسم سليمان بن الحسن بن مخلد بن الجراح، ثم أبا الفتح الفضل بن جعفر بن الفرات، ثم أبا عبد الله أحمد بن محمد البريدي، ثم سليمان بن الحسن بن مخلد.

وكان نقش خاتمه (الراضي بالله) وقاضيه عمر بن محمد بن يوسف، ثم ابناه يوسف، والحسن وحاجباه محمد بن ياقوت، ثم مولاه ذكي.

ومما ذكر في أيامه من الحوادث العظيمة مسير القرمطي سليمان بن الحسن صاحب البحرين عن الإحساء لاعتراض الحاج في بدأتهم لموسم سنة ٣٢٣ خرج لست بقين من شوال في تسعمائة فارس وتسعمائة راجل، وقسم العسكر نصفين من الجابرية وهي من الإحساء علىٰ ثلاثة أيام، فجعل علىٰ أحد النصفين أبا عبد الله الحسين بن علي بن سنبر ومعاذًا الكلابي فساروا قاصدين طريق مكة لطلب أول

---

(١) نهاية الأرب في فنون الأدب ـ النويري.

الحاج وقصد القرمطي القادسية لاستقبال القافلة الشمسية مع لؤلؤ غلام المتهشم، فوقع ابن سنبر بالخوارزمية وغيرهم، وكان رؤساءهم شاذان وابن حاتم وغيرهما بناحية زبالة والعقبة، فأسرهما وغيرهما من أهل القوافل وقتل، وذلك لسبع عشرة ليلة خلت من ذي القعدة من هذه السنة، وانهزم الباقون راجعين يريدون العذيب، ولا علم عندهم أن القرمطي أمامهم، وسار لؤلؤ غلام المتهشم بالناس، ولقيه القرمطي بالقادسية يوم الأربعاء لإحدى عشرة ليلة بقيت من ذي القعدة من هذه السنة.

فقاتل لؤلؤ إلىٰ أن نالته جراحات، وانكشف أصحابه عنه، وطرح نفسه بين القتلى. ودخل الكوفة في الليل مستخفيًا، واستولى أبو طاهر علىٰ تلك القافلة بأسرها وكان من انقضاض الكواكب ليلة الأربعاء التي كانت الوقعة في صبيحتها ما لم ير مثله في الإسلام، والقرمطي حينئذ سائر من خفان يريد القادسية وبينهما ستة أميال.

ورجع القرمطي مستقبلًا للمنهزمين من ابن سنبر الراجعين يريدون الكوفة فلقيه بالعذيب، فاستأمنه قرة لقافلته، وبذل عنها مالًا فأطلقه، ولم يعرض له، وأوقع بالباقي، فقتل وسبى، وصار إليه من صنوف الأموال والأمتعة ما لا يوقف علىٰ تحديده ولا يحاط بمبلغه.

وكانت له بعد ذلك سريتان إلىٰ الكوفة وناحية واسط في أيام الراضي أيضًا لم يلق فيهما حربًا أثر تأثيرًا يذكر، ولم يزل مقيمًا بالإحساء من بلاد البحرين إلىٰ أن توفي يوم الاثنين لسبع عشرة ليلة خلت من شهر رمضان سنة ٣٣٢، وله ثمان وثلاثون سنة، لأن مولده في شهر رمضان سنة ٢٩٤». انتهى[1]

حاجب الخليفة ياقوت يطلب من أبو طاهر رد الحجر الأسود:

قال ابن الأثير: «في هذه السنة (سنة اثنتين وعشرين وثلاثمائة) أرسل محمد بن ياقوت حاجب الخليفة رسولا إلىٰ أبي طاهر القرمطي يدعوه إلىٰ طاعة الخليفة ليقره

---

(١) التنبيه والإشراف ـ المسعودي ص٣٥٤.

علىٰ ما بيده من البلاد ويقلده بعد ذلك ما شاء من البلدان ويحسن إليه، ويلتمس منه أن يكف عن الحجاج جميعهم وأن يرد الحجر الأسود إلىٰ موضعه بمكه فأجاب أبو طاهر إلىٰ أنه لا يتعرض للحجاج ولا يصيبهم بمكروه ولم يجب إلىٰ رد الحجر الأسود إلىٰ مكة وسأل أن يطلق الميره من البصرة ليخطب للخليفة في أعمال هجر». انتهىٰ[1]

كما يذكر ابن الأثير قوله: «وفيها (٣٢٢هـ) سار جماعة من أصحاب أبي طاهر القرمطي إلىٰ نواحي توج في مراكب وخرجوا منها إلىٰ تلك الأعمال فلما ابعدوا عن المراكب أرسل الوالي في البلاد إلىٰ المراكب واحرقها وجمع الناس وحارب القرامطة فقتل بعضا وأسر بعضا فيهم ابن الغمر وهو من أكبر دعاتهم». انتهىٰ[2]

---

(١) الكامل في التاريخ ـ ابن الأثير ـ ج٨ص٢٩٥.

(٢) لكامل في التاريخ ـ ابن الأثير ج٨ ص٢٩٥.

أبوطاهر يتوقف عن قطع طريق الحاج مقابل دفع ضريبة علىٰ كل حاج

في سنة ٣٢٣هـ هاجم أبو طاهر الكوفة لسلب قوافل الحاج[1] الخارجة من الكوفة كما يبدو وفي هذه الحملة اقترح احد رجال الكوفة علىٰ أصحاب أبو طاهر

(١) قال المسعودي في التنبيه والإشراف: مسير القرمطي سليمان بن الحسن صاحب البحرين عن الإحساء لاعتراض الحاج في بدأتهم لموسم سنة ٣٢٣ خرج لست بقين من شوال في تسعمائة فارس وتسعمائة راجل، وقسم العسكر نصفين من الجابرية وهي من الإحساء علىٰ ثلاثة أيام، فجعل علىٰ أحد النصفين أبا عبد الله الحسين بن علي بن سنبر ومعاذًا الكلابي فساروا قاصدين طريق مكة لطلب أول الحاج وقصد القرمطي القادسية لاستقبال القافلة الشمسية مع لؤلؤ غلام المتهشم، فوقع ابن سنبر بالخوارزمية وغيرهم، وكان رؤساءهم شاذان وابن حاتم وغيرهما بناحية زبالة والعقبة، فأسرهما وغيرهما من أهل القوافل وقتل، وذلك لسبع عشرة ليلة خلت من ذي القعدة من هذه السنة، وانهزم الباقون راجعين يريدون العذيب، ولا علم عندهم أن القرمطي أمامهم، وسار لؤلؤ غلام المتهشم بالناس، ولقيه القرمطي بالقادسية يوم الأربعاء لإحدى عشرة ليلة بقيت من ذي القعدة من هذه السنة. فقاتل لؤلؤ إلىٰ أن نالته جراحات، وانكشف أصحابه عنه، وطرح نفسه بين القتلى. ودخل الكوفة في الليل مستخفيًا، واستولى أبو طاهر علىٰ تلك القافلة بأسرها وكان من انقضاض الكواكب ليلة الأربعاء التي كانت الوقعة في صبيحتها ما لم ير مثله في الإسلام، والقرمطي حينئذ سائر من خفان يريد القادسية وبينهما ستة أميال. ورجع القرمطي مستقبلاً للمنهزمين من ابن سنبر الراجعين يريدون الكوفة فلقيه بالعذيب، فاستأمنه قرة لقافلته، وبذل عنها مالاً فأطلقه، ولم يعرض له، وأوقع بالباقي، فقتل وسبى، وصار إليه من صنوف الأموال والأمتعة ما لا يوقف علىٰ تحديده ولا يحاط بمبلغه. انتهى

أن يأخذ ضريبة حج بأن يؤدي كل رجل دينارًا. كما ذكر النويري قوله: «قال الشريف: وفي سنة ثلاث وعشرين وثلاثمائة دخل القرمطي الكوفة، واستقبل لؤلؤًا الأمير خارجًا بالحاج في ذي القعدة، فرجع بهم لؤلؤ إلىٰ الكوفة وتفرقوا فيها، بعد أن واقعته الخراسانية فلم يقدر علىٰ مقاومتهم وامتنعوا منه، إلا أن الناس تسربوا وافترقوا، فظفر بمن ظفر منهم فلم يكثر القتل وأخذ ما وجد، وأشار بعض أهل الكوفة علىٰ بعض أصحابه في هذه السنة ـ عند نزولهم بالكوفة ـ أن يسار في الحاج بغير ما يجري فيهم، فقال الرجل: الذي من أصحاب القرمطي: والله ما ندري ما عند سيدنا أبي طاهر، من تمزيق هؤلاء الذين من شرق الأرض وغربها، واتخاذهم ومن وراءهم أعداء، وما يفوز بأكثر أموالهم إلا الأعراب والشراد من الناس، قال الكوفي: فلو أنه حين يظفر بهم دعائهم أن يؤدي كل رجل دينارًا وأطلقهم وأمنهم لم يكره أحد منهم ذلك وخف عليهم وسهل، وحج الناس من كل بلد لأنهم ظماء إلىٰ ذلك جدًا، ولم يبق ملك إلا كاتبه وهاداه واحتاج إليه في حفظ أهل بلده وخاصته، فجبي في كل سنة ما لا يصبر إلىٰ سلطان مثله من الخراج، واستولى علىٰ الأرض وانقاد له الناس، وإن منع من ذلك السلطان اكتسب المذمة، وصار عند الناس هو المانع من الحج، فاستصوب رأيه وفرج عنه، لأن أصحاب أبي طاهر كان قد ظهر منهم اضطراب عليه وقلت طاعتهم له، قال: حتى لقد سمعت بعضهم وقد لحقه فارس من العرفاء يركض ويدور في الكوفة ويقول: ارجع إلىٰ العسكر فإن السيد يأمرك بذلك، فذكر أمه بقبيح من الشتيمة بعد أن كانوا يعبدونه، قال: ولما سمع رئيس القرامطة كلام الكوفي وما أشار به من أمر الحاج وما جرى من الكلام في ذلك دخل إلىٰ أبي طاهر فعرفه ما جرى، فبادر من وقته ونادى في الناس بالأمان، وأحضر الخراسانية وقرر معهم أنهم يحجون ويؤدون إليه المال في كل سنة، ويكونون آمنين علىٰ أنفسهم وأموالهم فلم يأمنوا له، فسلم سياسة أمرهم إلىٰ أبي علي عمر بن يحيى العلوي، واستقر للقرامطة

ضريبة ورسم علىٰ سفر الحاج». انتهىٰ[(١)]

ابو طاهر يعود إلى الكوفة من جديد عام ٣٢٥هـ:

قال المقريزي: «فلما كان سنة خمس وعشرين كبس أبو طاهر الكوفة، وقبض علىٰ شفيع اللؤلؤي أميرها بأمان، فبعثه إلىٰ السلطان يعرفه أنهم صعاليك لا بد لهم من أموال، فإن أعطاهم مالا لم يفسدوا عليه، وخدموه فيما يلتمسه، وإلا فلا يجدوا بدا من أن يأكلوا بأسيافهم، وبر أبو طاهر شفيعًا ووصله، فوصل شفيع إلىٰ السلطان وعرفه، فبعث إليهم رجلا فناظر القرمطي، وملأ صدره من السلطان وأتباعه، فزاده انكسارا، وسار عن البلد، فابتلاه الله بالجدري وقتله؛ فملك التدبير بعده أخوته وابن سنبر». انتهىٰ[(٢)]

في عام ٣٢٩هـ بويع المتقي العباسي

قال المسعودي: «وبويع المتقي إبراهيم بن المقتدر ويكنى أبا إسحاق وأمه أم ولد تسمى خلوب يوم الخميس لتسع بقين من شهر ربيع الأول سنة ٣٢٩، وخلع وسملت عيناه يوم السبت لعشر ليال بقين من صفر سنة ٣٣٣ وله ثلاثون سنة، وأشهر وكانت خلافته ثلاث سنين وعشرة أشهر وعشرين يومًا، وكان أبيض صافي اللون أشهل، في شعره شقرة وهو حي إلىٰ وقتنا هذا - وهو سنة ٣٤٥ مكرم علىٰ ما ينمى إلينا من أخباره واستوزر سليمان بن الحسن بن مخلد، ثم أبا الحسين أحمد بن محمد بن ميمون، ثم أبا جعفر محمد بن القاسم الكرخي بعد أن دبر الأمور أبو الحسن علي بن عيسى بن داود بن الجراح، وميسم الوزارة لأخيه عبد الرحمن بن عيسى، ثم أبا إسحاق محمد بن أحمد القراريطي، ثم أبا العباس أحمد بن عبد الله الأصبهاني، ثم أبا الحسين علي بن محمد بن علي ابن مقلة وكان نقش خاتمه المتقي بالله وقاضيه

---

(١) نهاية الأرب في فنون الأدب ـ النويري.

(٢) اتعاظ الحنفاء ـ المقريزي.

المعروف بالخرقي، وحاجبه سلامة مولاه المؤتمن المعروف بأخي نجح، ثم بدر الخرشني، ثم أحمد بن خاقان ومن الحوادث العظيمة التي كانت في أيامه في الملك مما لم يجر مثله علىٰ أحد من خلفاء بني العباس. دخول أبي الحسين البريدي إلىٰ مدينة السلام في جيوشه في الماء وعلى الظهر، يوم السبت لتسع بقين من جمادى الآخرة سنة ٣٣ وهرب المتقي عن دار ملكه، ومعه محمد بن رائق يريدان الموصل، وانتهبت دار الخلافة وغيرها من دور الأولياء وانتهك الحريم بعد ممانعة عظيمة وحروب وقتل من الناس وغرق نحو من عشرة آلاف، وقيل أكثر من ذلك». انتهىٰ[١]

أحداث عام ٣٣٠هـ

في عام ٣٣٠هـ استطاع أبو عبد الله البريدي من الاستيلاء علىٰ بغداد بمساعدة القرامطة والترك والديلم في جيش أبن رائق، وكان سبب ذلك أن ابن رائق أنحدر إلىٰ واسط في عاشر المحرم من هذه السنة لان ابن البريدي أخر حمل المال، فهرب بنو الريدي إلىٰ البصرة وسعى لهم أبو عبد الله الكوفي حتى عادوا وضمنوا بقأيا واسط بمائة وتسعين ألف دينار، وضمنوها كل سنة بستمائة ألف دينار، وعاد ابن رائق إلىٰ بغداد، فشغب الجند عليه ورحلوا عنه إلىٰ أبي عبد الله البريدي بواسط، فلما وصلوا إليه قوي بهم، فعزم الاستيلاء علىٰ بغداد، وسير أخاه أبا الحسين إلىٰ بغداد في جميع الجيش وانهزم أهل بغداد واستولى أصحاب البريدي علىٰ دار الخلافة وهرب المتقي وابنه الأمير أبو منصور نحو الموصل وكثر النهب في بغداد ليلا ونهارا وكبست الدوز وأخرج أهلها منها وعظم الأمر وغلت الأسعار، وأخذ القوي بالضعيف، ووقعت الفتن، فمن ذلك أنه كان معه طائفة من القرامطة فجرى بينهم وبين الأتراك حرب قتل فيها جماعة، وانهزم القرامطة وفارقوا بغداد ونظرا لهذه الأحداث نفرت قلوب الناس عن أبو الحسين البريدي وسارع الجند إلىٰ الهرب من البريدي إلىٰ المتقي العباسي،

---

(١) التنبيه والإشراف ـ المسعودي ص٣٦٠.

وسار المتقي مع الجند إلىٰ بغداد، فلما قارب منها، وهرب أبو الحسين إلىٰ واسط.[١]

وقد كان أبن البريدي من حلفاء القرامطة وله علاقة قوية مع أبو طاهر القرمطي كما ينقل لنا التاريخ تلك العلاقة قال ابن الأثير: «في شوال مات أبو عبد الله البريدي بعد أن قتل أخاه بثمانية أشهر بحمى حادة، واستقر في الأمر بعده أخوه أبو الحسين فأساء السيرة إلىٰ الأجناد، فثاروا به ليقتلوه ويجعلوا أبا القاسم ابن أخيه أبي عبد الله مكانه، فهرب منهم إلىٰ هجر، واستجار بالقرامطة فأعانوه، وسار معه إخوان لأبي طاهر القرمطي في جيش إلىٰ البصرة فرأوا أبا القاسم قد حفظها، فردهم عنها، فحصروه مده ثم ضجروا وأصلحوا بينه وبين عمه وعادوا، ودخل أبو الحسين البصرة فتجهز منها، وسار إلىٰ بغداد فدخل علىٰ توزون». انتهىٰ[٢]

---

(١) الكامل في التاريخ ـ ابن الأثير ج٨ ص٣٨٠.

(٢) الكامل في التاريخ ـ ابن الأثير ـ ج٨ ص٤١٠.

وفاة أبو طاهر الجنابي ـ بالجدري

بعد أن استطاع أبو طاهر القرمطي إرهاب الدولة العباسية وإطرافها وفرض الإتاوات علىٰ الكثير من المناطق، وبعد أن استطاع أن يحافظ علىٰ ملك أبيه، كل ذلك مع احتفاظه بالحجر الأسود منذ اقتلاعه من الكعبة عام ٣١٧هـ كما يروى في كتب التاريخ، إلىٰ أن جاء أجله المحتوم في عام ٣٣٢هـ كما قال المسعودي: «ولم يزل مقيما بالاحساء من بلاد البحرين إلىٰ أن توفى سنة ٣٣٢ وله ثمان وثلاثون سنة لان مولده في شهر رمضان سنة ٩٤ وقتل أبوه أبو سعيد الجنابي سنة ٣٠٠ وله يومئذ ست سنين وبقي العسكر تسع سنين إلىٰ أن تسلمه أبو طاهر في شهر رمضان سنة ٣١٠هـ». انتهى[1]

وقد كان سبب وفاة أبو طاهر، هو إصابته بداء الجدري كما ينقل النويري قوله: «وفي سنة اثنتين وثلاثين وثلاثمائة هلك أبو طاهر سليمان بن أبي سعيد وأخوه أبو منصور بجدري أصابهما[2]، وملك التدبير بعده أخواه أبو القاسم سعيد وهو أكبرهم،

---

(١) التنبيه والإشراف ـ المسعودي ص٣٩١ مطبعة بريل.

(٢) ذكر المسعودي قوله . وقتل أخواه أبو العباس الفضل وأبو يعقوب يوسف وكانا في السواد بن أبي الساج حين بلغهما قرب يلق منهم فلقى يلبق. فأتى علىٰ أكثر من كان معه ونجا يلبق منكسرا . وذلك يوم الأربعاء لإحدى عشرة ليلة بقيت من ذي القعدة من هذه السنة.

وأبو العباس، وكانا يتفقان معه علىٰ تدبير الأمر، وكان لهم أخ آخر لا يختلط بهم لاشتغاله بالشرب واللهو، قال: وشركهما في تدبير الأمر ابن سنبر». انتهىٰ[1]

توفي أبو طاهر بعد أن ملك البحرين لإحدى وثلاثين سنة، وله عشرة من الولد، أكبرهم سابور قال ابن خلدون: «وأقام أبو طاهر بالبحرين وهو يتعاهد العراق والشام بالغزو حتى ضربت له الإتاوة ببغداد وبدمشق علىٰ بني طغج، ثم هلك أبو طاهر سنة اثنتين وثلاثين لإحدى وثلاثين سنة من ملكه، ومات عن عشرة من الولد كبيرهم سابور، وولى أخوه الأكبر أحمد بن الحسن، واختلف بعض العقدانية عليه ومالوا إلىٰ ولاية سابور بن أبي طاهر، وكاتبوا القائم في ذلك فجاء جوابه بولاية الأخ أحمد وأن يكون الولد سابور ولي عهده فاستقر أحمد في الولاية عليهم وكنوه أبا منصور، وهو الذي رد الحجر الأسود إلىٰ مكانه كما قلناه». انتهىٰ[2]

---

(١) نهاية الأرب في فنون الأدب ـ النويري.

(٢) تاريخ ابن خلدون ـ ص٩٥٦.

الفصل الثامن



احمد بن الحسن الجنابي

- احمد بن الحسن
- احداث ٣٢٣هـ حتى ٣٥٩هـ
- اعادة الحجر الأسود

أحمد بن الحسن أبو المنصور ٣٣٢هـ ـ ٣٥٨هـ ـ ٣٥٩هـ

أختلف المؤرخون في تحديد من أمسك بالحكم القرمطي بعد وفاة أبو طاهر وهناك روايات متضاربة نحتاج إلىٰ استعراضها لمعرفة من قام بالحكم القرمطي.

يذكر المقريزي أن الحكم بعد أبو طاهر كان بتدبير أخوته وابن سنبر (أعتقد أنه أخ زوجة أبو سعيد الثانية من عائلة سنبر) قال المقريزي: «فلما كان سنة خمس وعشرين كبس أبو طاهر الكوفة، وقبض علىٰ شفيع اللؤلؤي أميرها بأمان، فبعثه إلىٰ السلطان يعرفه أنهم صعاليك لا بد لهم من أموال، فإن أعطاهم مالا لم يفسدوا عليه، وخدموه فيما يلتمسه، وإلا فلا يجدوا بدا من أن يأكلوا بأسيافهم، وبر أبو طاهر شفيعًا ووصله، فوصل شفيع إلىٰ السلطان وعرفه، فبعث إليهم رجلا فناظر القرمطي، وملأ صدره من السلطان وأتباعه، فزاده انكسارا، وسار عن البلد، فابتلاه الله بالجدري وقتله؛ فملك التدبير بعده أخوته وابن سنبر». انتهىٰ[1]

ويذكر المقريزي أيضا أبناء أبي سعيد الجنابي قوله: وترك أبو سعيد من الأولاد:

- أبا القاسم سعيدا.

---

(١) اتعاظ الحنفاء بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفاء ـ المقريزي .

- وأبا طاهر سليمان.
- وأبا منصور أحمد.
- وأبا إسحاق إبراهيم.
- وأبا العباس محمدا.
- وأبا يعقوب يوسف.

وكان أبو سعيد قد جمع رؤساء دولته، وأوصى إن حدث به موت يكون القيم بأمرهم سعيد ابنه إلىٰ أن يكبر أبو طاهر، وكان أبو طاهر أصغر سنا من سعيد، فإذا كبر أبو طاهر كان المدبر؛ فلما قتل جرى الأمر علىٰ ذلك.

وكان قد قال لهم سيكون الفتوح له، فجلس سعيد يدبر الأمر بعد قتل أبيه، وأمر فشد الخادم بحبال، وقرض لحمه بالمقاريض حتى مات؛ فلما كان في سنة خمس وثلاثمائة سلم سعيد إلىٰ أخيه أبي طاهر سليمان الأمر، فعظموا أمره.[1]

يبدوا من قول المقريزي في ترتيب أبناء أبي سعيد أن أبا منصور هو الابن الثالث في الترتيب ويأتي بعد أبو طاهر مباشرة وهذا يرجح كفة من يرى أن أبو منصور هو الذي استلم زمام الحكم بعد أبي طاهر، كما أن هذا الرأي قريب إلىٰ الصحة نظرا لامتداد الحكم بعد أبو منصور في ابنه الوريث لحكم القرامطة المعروف بالأعصم القرمطي كما سيأتي.

على كل حال نستعرض بعض الروايات التي توضح الاختلاف الذي أشرنا إليه:

قال النويري أن أبو منصور توفي مع أبو طاهر بالجدري: «وفي سنة اثنتين

---

(١) اتعاظ الحنفاء بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفاء ـ المقريزي .

وثلاثين وثلاثمائة هلك أبو طاهر سليمان بن أبي سعيد وأخوه أبو منصور بجدري أصابهما[١]، وملك التدبير بعده أخواه أبو القاسم سعيد وهو أكبرهم، وأبو العباس، وكانا يتفقان معه علىٰ تدبير الأمر، وكان لهم أخ آخر لا يختلط بهم لاشتغاله بالشرب واللهو، قال: وشركهما في تدبير الأمر ابن سنبر». انتهىٰ[٢]

قال المسعودي في أحداث غزوة أبو طاهر علىٰ الانبار عام ٣١٥هـ وقتل فيها أخوة ابو طاهر وهما ابو العباس الفضل وابو يعقوب يوسف، قال: وقيل إنه قطع الجسر عند عبوره، وتأدى اليه خبر يلبق فعبر الفرات في زورق عشرة عشرة من أصحابه، فيهم ثلاثة إخوة له، وعبر خلق سباحة فسبق إلىٰ سواده، وقتل أخواه، أبو العباس الفضل وأبو يعقوب يوسف». انتهىٰ[٣]

وقال ابن الأثير: «في هذه السنة (سنة اثنتين وثلاثين وثلاثمائة) في رمضان، مات أبو طاهر الهجري رئيس القرامطة، أصابه جدري فمات، وكان له ثلاثة إخوة منهم: أبو القاسم سعيد بن الحسن، وهو الأكبر، وأبو العباس الفضل بن الحسن، وهذان كانا يتفقان مع أبي طاهر علىٰ الرأي والتدبير، وكان لهما أخ ثالث لا يجتمع بهما، وهو مشغول بالشراب واللهو». انتهىٰ[٤]

بينما يروي القلقشندي أن ابو منصور أحمد بن سعيد هو من استلم الحكم بعد أبي طاهر قوله: «ثم برز أمر المنصور الفاطمي صاحب إفريقية لأحمد بن أبي سعيد أمير القرامطة بعد موت أبي طاهر بإعادة الحجر الأسود إلىٰ مكانه فأعاده في سنة

---

(١) ذكر المسعودي قوله . وقتل أخواه أبو العباس الفضل وأبو يعقوب يوسف وكانا في السواد بن أبي الساج حين بلغهما قرب يبلق منهم فلقي يلبق. فأتى علىٰ أكثر من كان معه ونجا يلبق منكسرا . وذلك يوم الأربعاء لإحدى عشرة ليلة بقيت من ذي القعدة من هذه السنة.

(٢) نهاية الأرب في فنون الأدب ـ النويري.

(٣) التنبيه والإشراف ـ المسعودي طبعة ليدن ص٣٨٣.

(٤) الكامل في التاريخ ـ ابن الأثير ج٨ص٤١٥.

تسع وثلاثين وثلثمائة». انتهى[١]

وكذلك ذكر أبو محمد اليافعي أن أخوهم أبو القاسم سعيد بن حسن الابن الأكبر لمؤسس دولة القرامطة بالبحرين هو الذي استلم الحكم بعد أبو طاهر حيث قال: «ولم يحج الركب لموت القرمطي الطاغية ابي طاهر بهجر من جدري اهلكه واراح الله تعالى منه العباد والبلاد واقام بعده ابو القاسم القرمطي».[٢]

ونشير هنا أيضا إلىٰ أن ابن مسكويه لم يذكر أبو المنصور ضمن إخوة أبو طاهر الذين كانوا يدخلون في أمور الحكم: «وكان أبو طاهر له إخوان أبو القاسم سعيد بن الحسن وأبو العباس الفضل بن الحسن ولهم أخ آخر لايدخل معهم في أمورهم يقال له أبو يعقوب اسحق مقبل علىٰ الشراب والقصف وأمر الثلاثة واحد وكلمتهم واحدة لايختلفون فكانوا اذا أرادوا عقد أمر أو ورد عليهم أمر ركبوا وأصحروا واتفقوا علىٰ مايعملون ولا يطلعون أحد علىٰ أمرهم فاذا انصرفوا أمضوا ما أتفقوا عليه». انتهى[٣]

وبالرغم من اختلاف المؤرخون في تسلم الحكم القرمطي إلىٰ أبو المنصور بن حسن الجنابي بعد وفاة أخيه أبو طاهر، فنلاحظ أن ابن خلدون يوضح تفاصيل استلام أبو المنصور الحكم بقوله: «ثم هلك أبو طاهر سنة اثنين وثلاثين لإحدى وثلاثين سنة من ملكه ومات عن عشرة من الولد كبيرهم سابور، وولي أخوه الأكبر أحمد بن الحسن واختلف بعض العقدانية عليه ومالوا إلىٰ ولاية سابور بن أبي طاهر وكاتبوا القائم في ذلك فجاء جوابه بولاية الاخ أحمد وأن يكون الولد سابور ولي عهده فاستقر أحمد في الولاية عليهم وكنوه ابا منصور، وهو الذي رد الحجر الأسود إلىٰ مكانه». انتهى[٤]

---

(١) صبح الأعشى ـ القلقشندي.

(٢) مرآة الجنان وعبرة اليقظان ـ ج٢ ص٣١١.

(٣) تجارب الأمم ج٢ ص٥٦.

(٤) تاريخ ابن خلدون ص٩٥٦.

في الحقيقة لقد تم استعراضنا للروايات المختلفة في خليفة ابو طاهر للحكم ليتضح للقارىء الكريم مدى الجهد الذي يعانيه الباحث في التاريخ القرمطي واختلاف وتضارب الروايات، وبالتالي علينا أن نستعرض تلك الروايات ومن ثم ترجيح مانراه هو الصواب.

وكما أرى من الروايات السابقة فالترجيح يقع علىٰ الرأي القائل أن أبا منصور هو خليفة الحكم القرمطي بعد ابو طاهر وهو الابن الثالث في الترتيب ويأتي بعد أبو طاهر مباشرة، وكما أشرنا آنفا أن هذا الرأي قريب إلىٰ الصحة نظرا لامتداد الحكم بعد أبو منصور في ابنه الوريث لحكم القرامطة المعروف بالأعصم القرمطي.

احداث حكم أبو منصور التي امتدت من٣٣٢هـ حتى ٣٥٩هـ

في عام ٣٣٣هـ: بويع المتقي إبراهيم بن المقتدر العباسي قال المسعودي: «وبويع المتقي إبراهيم بن المقتدر ويكنى أبا إسحاق وأمه أم ولد تسمى خلوب يوم الخميس لتسع بقين من شهر ربيع الأول سنة ٣٢٩، وخلع وسملت عيناه يوم السبت لعشر ليال بقين من صفر سنة ٣٣٣ وله ثلاثون سنة، وأشهر وكانت خلافته ثلاث سنين وعشرة أشهر وعشرين يومًا، وكان أبيض صافي اللون أشهل، في شعره شقرة ـ وهو حي إلىٰ وقتنا هذا ـ وهو سنة ٣٤٥ مكرم علىٰ ما ينمى إلينا من أخباره.

واستوزر سليمان بن الحسن بن مخلد، ثم أبا الحسين أحمد بن محمد بن ميمون، ثم أبا جعفر محمد بن القاسم الكرخي.

بعد أن دبر الأمور أبو الحسن علي بن عيسى بن داود بن الجراح، وميسم الوزارة لأخيه عبد الرحمن بن عيسى، ثم أبا إسحاق محمد بن أحمد القراريطي، ثم أبا العباس أحمد بن عبد الله الأصبهاني، ثم أبا الحسين علي بن محمد بن علي ابن مقلة.

وكان نقش خاتمه (المتقي بالله) وقاضيه المعروف بالخرقي، وحاجبه سلامة

مولاه المؤتمن المعروف بأخي نجح، ثم بدر الخرشني، ثم أحمد بن خاقان.

ومن الحوادث العظيمة التي كانت في أيامه في الملك مما لم يجر مثله علىٰ أحد من خلفاء بني العباس. دخول أبي الحسين البريدي إلىٰ مدينة السلام في جيوشه في الماء وعلى الظهر، يوم السبت لتسع بقين من جمادى الآخرة سنة ٣٣ وهرب المتقي عن دار ملكه، ومعه محمد بن رائق يريدان الموصل.وانتهبت دار الخلافة وغيرها من دور الأولياء وانتهك الحريم بعد ممانعة عظيمة وحروب وقتل من الناس وغرق نحو من عشرة آلاف، وقيل أكثر من ذلك». انتهى[1]

عام ٣٣٤هـ سيطر بني بويه على دار الخلافة العباسية:

بعد الاضطراب في بغداد كاتب بعض القادة الأتراك أحمد بن بويه لاستنقاذ العراق من وضعه المتردي، فسارع ابن بويه وتمكن من دخول بغداد في عام ٣٣٤هـ، وبايع المستكفي علي بن بويه وخلع عليه لقب التشريف، فلقبه معز الدولة، ولقب أخاه عليا عماد الدولة، كما لقب أخاه الاخر الحسن بلقب ركن الدولة. ولكن بعد سنة وأربعة أشهر من خلافة المستكفي، قام معز الدولة البويهي بعزله، ومبايعة الخليفة المطيع يوم الخميس ٢٢ جمادى الآخرة سنة ٣٣٤هـ وأحضر المستكفي عنده واشهد علىٰ نفسه بالخلع.وسير معز الدولة علىٰ المطيع سيطرة كاملة حيث لم يكن له من سلطه أو سطوة.[2]

في عام ٣٣٤هـ بويع المستكفي:

قال المسعودي: «وبويع المستكفي عبد الله بن علي المكتفي ويكنى أبا القاسم، وأمه أم ولد رومية تسمى غصن، في الموضع المعروف بالبثق علىٰ نهر عيسى بإزاء القرية المعروفة بالسندية، في الوقت الذي سملت فيه عينا المتقي.

---

(١) التنبيه والإشراف ـ المسعودي ص٣٦٠.

(٢) الخلافة العباسية في عهد تسلط البويهيون ـ د/ وفاء محمد علي ـ ص٤٥.

وخلع يوم الخميس لثمان بقين من جمادى الآخرة سنة ٣٣٤، وسملت عيناه، وله ثمان، وقيل ثلاثة وأربعون سنة وأشهر؛ وكانت خلافته سنة وشهرين وثمانية وعشرين يومًا. وكان أبيض اللون، حسن الوجه، صغير الفم، بعارضه شيب، وكان المدبر للأمور في أيامه أبو جعفر محمد بن شيرزاد كاتب توزون التركي. وقد كان أبو الفرج أحمد بن محمد السامري خلع عليه ووزر سبعة وأربعين يومًا، وهو آخر من خوطب بالوزارة في أيام بني العباس إلىٰ وقتنا هذا. ثم الشيرازي أبو أحمد الفضل بن عبد الرحمن نفذت الكتب عنه باسمه، ثم غلب ابن شيرزاد علىٰ الأمر.

وكان نقش خاتمه (المستكفي بالله) وقاضيه ابن أبي الشوارب، وابن أبي موسى الهاشمي؛ وحاجبه أحمد بن خاقان المفلحي». انتهى[1]

خلافة المطيع[2]

قال المسعودي: «وبويع المطيع الفضل بن جعفر المقتدر بالله، ويكنى أبا القاسم، وأمه أم ولد صقلبية، تسمى مشعلة - يوم الخميس لثمان ليال بقين من جمادى الآخرة سنة ٣٣٤. ولخمس سنين خلت من خلافته أعيد الحجر الأسود إلىٰ موضعه من البيت الحرام في ذي الحجة سنة ٣٣٩ وكان أخذه في سنة ٣١٧ علىٰ ما قدمنا في خلافة المقتدر في هذا الكتاب». انتهى[3]

القرامطة يستنكرون مسير معز الدولة في أراضيهم عام ٣٣٦هـ؛

قال ابن الأثير: «في هذه السنة سار معز الدولة ومعه مطيع الله إلىٰ البصرة لاستنقاذها من يد أبي القاسم عبد الله بن أبي عبد الله البريدي، وسلكوا البرية إليها

---

(١) التنبيه والإشراف ـ المسعودي ص٣٦١.

(٢) في هذه السنة أستطاع الأسرة البويهية من السيطرة علىٰ الحكم العباسي ولم يتبق للعباسيين سوى مسمى الخلافة وأصبح بإمكان البويهيين تغيير الخليفة حينما يريدون ذلك . والحكم الفعلي لحكام بني بويه الذين يتبعون المذهب الزيدي الشيعي .

(٣) التنبيه والإشراف ـ المسعودي ص٣٦٢.

فأرسل القرامطة من هجر إلىٰ معز الدولة ينكرون عليه مسيره إلىٰ البرية بغير أمرهم وهي لهم فلم يجبهم عن كتابهم وقال للرسول قل لهم من انتم حتى تستأمروا وليس قصدي من أخذ البصرة غيركم وستعلمون ما تلقون مني». انتهىٰ[1]

(١) الكامل في التاريخ ـ ابن الأثير ـ ج٨ ص٤٦٩.

إعادة الحجر الأسود عام ٣٣٩هـ

قال المقريزي: «فلما كان في سنة تسع وثلاثين أرادوا أن يستميلوا الناس فحملوا الحجر الأسود إلىٰ الكوفة، ونصبوه فيها علىٰ الاسطوانة بالجامع. وكان قد جاء عن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب الملقب زين العابدين: أن الحجر الأسود يعلق في مسجد الجامع بالكوفة في آخر الزمان.

ثم قدم به سنبر بن الحسن بن سنبر إلىٰ مكة وأمير مكة معه فلما صار بفناء البيت أظهر الحجر من سفط كان به مصونا، وعلى الحجر ضباب فضة قد عملت عليه، تأخذه طولا وعرضا، تضبط شقوقًا حدثت فيه بعد انقلاعه؛ وكان قد أحضر له صانع معه جص يشد به الحجر، وحضر جماعة من حجبة البيت، فوضع سنبر بن الحسن بن سنبر الحجر بيده في موضعه ومعه الحجبة وشده الصانع الجص بعد وضعه وقال لما رده: أخذناه بقدرة الله، ورددناه بمشيئته.

ونظر الناس إليه وقبلوه والتمسوه، وطاف سنبر بالبيت. وكان قلع الحجر من ركن البيت يوم الاثنين لأربع عشرة خلت من ذي القعدة سنة سبع عشرة وثلاثمائة. وكان رده يوم الثلاثاء لعشر خلون من ذي الحجة يوم النحر سنة تسع وثلاثين وثلاثمائة. فكانت مدة كينونته عند الجنابي وأصحابه اثنين وعشرين سنة إلا أربعة

أيام». انتهى[١]

قال النويري: «إعادة الحجر الأسود إلىٰ الكعبة شرفها الله تعالى قال: وفي سنة تسع وثلاثين وثلاثمائة أراد القرامطة أن يستميلوا أهل الإسلام، فحملوا الحجر الأسود وأتوا به الكوفة، فنصبوه في المسجد الجامع علىٰ الأسطوانة السابعة في القبلة مما يلي صحن المسجد حتى يراه الناس ثم حملوه إلىٰ مكة شرفها الله تعالى، وقالوا: أخذناه بأمر ورددناه بأمر». انتهى[٢]

قال ابن الأثير: «في هذه السنة (سنة تسع وثلاثين وثلاثمائة) أعاد القرامطة الحجر الأسود إلىٰ مكة وقالوا: أخذناه بأمر وأعدناه بأمر، وكان بجكم قد بذل لهم في ردَه خمسين ألف دينار فلم يجيبوه؟ وردَوه الآن بغير شيء في ذي القعدة، فلما أرادوا ردَه حملوه إلىٰ الكوفة، وعلقوه بجامعها حتى رآه الناس، ثم حملوه إلىٰ مكة وكانوا أخذوه من ركن البيت الحرام سنة سبع عشر وثلاثمائة، وكان مكثه عندهم اثنين وعشرين سنة». انتهى[٣]

أحداث عام ٣٥٢هـ:

في سنة اثنتين وخمسين وثلاثمائة أمر معز الدولة ابن بويه بإلزام أهل بغداد في يوم عاشوراء النوح والمأتم وأمر بغلق الأبواب وعلقت عليها المسوح ومنع الطباخين من عمل الأطعمة وخرجت نساء الشيعة منشرات الشعر مسمحات الوجوه يلطمن.[٤]

---

(١) اتعاظ الحنفاء بأخبار الائمة الفاطميين الخلفاء ـ المقريزي .

(٢) نهاية الأرب في فنون الأدب ـ النويري.

(٣) الكامل في التاريخ ـ ابن الأثير ـ ج٨ ص.٣٣٩

(٤) مرآة الجنان وعبرة اليقظان ـ محمد اليافعي اليمني المكي ـ ج٢ ص٣٤٧.

عام ٣٥٢هـ أصبحت الخطبة بمكة للقرامطة مع المطيع:

ذكر القلقشندي في ذكره لخطبة الحرم في مكة قال: «السلمانيون من بني الحسن نسبة إلىٰ سليمان بن داود بن الحسن المثنى بن الحسن السبط. وكان سليمان هذا في أيام المأمون بالمدينة وحدثت الرياسة فيها لبنيه بعد أيام، وكان كبيرهم آخر المائة الثالثة محمد بن سليمان الربذي.

قال البيهقي: خلع طاعة العباسيين وخطب لنفسه بالإمامة في سنة إحدى وثلاثمائة في خلافة المقتدر؛ ثم اعترضه أبو طاهر القرمطي في سنة ثنتي عشرة وثلاثمائة، فانقطع حجيج العراق بسبب ذلك.

ثم أنفذ المقتدر الحجيج من العراق في سنة سبع عشرة وثلاثمائة فوافاهم القرمطي بمكة فنهبهم، وخطب لعبيد الله المهدي صاحب إفريقية وقلع الحجر الأسود وباب الكعبة وحملهما إلىٰ الأحساء، وتعطل الحج من العراق إلىٰ أن ولي الخلافة القاهر في سنة عشرين وثلاثمائة فحج بالناس أميره في تلك السنة.

ثم انقطع الحج من العراق بعدها إلىٰ أن صولحت القرامطة علىٰ مال يؤديه الحجيج إليهم، فحجوا في سنة سبع وعشرين وثلاثمائة؛ وخطب بمكة للراضي بن المقتدر، وفي سنة تسع وعشرين لأخيه المتقي من بعده.

ثم انقطع الحج من العراق بسبب القرامطة إلىٰ سنة ثلاث وثلاثين وثلاثمائة؛ فخرج ركب العراق بمهادنة القرامطة في خلافة المستكفي؛ ثم خطب بمكة لمعز الدولة بن بويه مع المقتدر في سنة أربع وثلاثين وثلاثمائة؛ ثم تعطل الحج بسبب القرامطة؛ ثم برز أمر المنصور الفاطمي صاحب إفريقية لأحمد بن أبي سعيد أمير القرامطة بعد موت أبي طاهر بإعادة الحجر الأسود إلىٰ مكانه فأعاده في سنة تسع وثلاثين وثلاثمائة.

وفي سنة ثنتين وأربعين وثلاثمائة حاول أمير الركب المصري الخطبة لابن

الإخشيد صاحب مصر فلم يتأت له ذلك وخطب لابن بويه، واتصلت وفود الحج من يومئذ.

وفي سنة ثلاث وخمسين خطب للقرمطي بمكة مع المطيع. وفي سنة ست وخمسين وثلاثمائة خطب بمكة لبختيار بن معز الدولة بعد موت أبيه». انتهىٰ[١]

سيطرة بني بويه على الحكم العباسي:

قال المسعودي: «والغالب علىٰ أمر المطيع والقيم بتدبير الحضرة إلىٰ هذا الوقت أحمد بن بويه الديلمي، المسمى بمعز الدولة وكتابه وزالت أكثر رسوم الخلافة، والوزارة في وقتنا هذا، وهو سنة ٣٤٥ علىٰ ما ينمى إلينا من أخبارهم ويتصل بنا من أحوالهم، لطول غيبتنا عن العراق، ومقامنا بأرض مصر والشام قال المسعودي، أبو الحسن علي بن الحسين بن علي: ولم نعرض لوصف أخلاق المتقي والمستكفي والمطيع ومذاهبهم، إذ كانوا كالمولى عليهم، لا أمر ينفذ لهم.

أما ما نأى عنهم من البلدان، فتغلب علىٰ أكثرها المتغلبون، واستظهروا بكثرة الرجال والأموال، واقتصروا علىٰ مكاتبتهم بإمرة المؤمنين والدعاء لهم وأما بالحضرة، فتفرد بالأمور غيرهم، فصاروا مقهورين خائفين، قد قنعوا باسم الخلافة، ورضوا بالسلامة.

وما أشبه أمور الناس بالوقت إلا بما كانت عليه ملوك الطوائف بعد قتل الإسكندر بن فيلبّس الملك داريوش وهو دارا بن دارا ملك بابل إلىٰ ظهور أردشير بن بابك الملك كل قد غلب علىٰ صقعه، يحامي عنه ويطلب الازدياد إليه، مع قلة العمارة، وانقطاع السبل، وخراب كثير من البلاد، وذهاب الأطراف، وغلبة الروم وغيرهم من الممالك علىٰ كثير من ثغور الإسلام ومدنه». انتهىٰ[٢]

---

(١) صبح الأعشى ـ القلقشندي.

(٢) التنبيه والإشراف ـ المسعودي ص٣٦٣.

قال ابن الأثير: «وفيها (سنة أربع وخمسين وثلاثمائة) سير معز الدولة عسكرا إلىٰ عمان، فلقوا أميرها وهو نافع مولى يوسف بن وجيه، وكان يوسف قد هلك، وملك نافع البلدة بعده، وكان أسود، فدخل نافع في طاعة معز الدولة، وخطب له، وضرب له اسمه علىٰ الدينار والدرهم، فلما عاد العسكر عنه وثب به أهل عمان فأخرجوه عنهم، وأدخلوا القرامطة الهجريين إليهم، وتسلموا البلد، فكانوا يقيمون فيه نهارا ويخرجون ليلا إلىٰ معسكرهم، وكتبوا إلىٰ أصحابهم بهجر يعرفونهم الخبر ليأمروهم بما يفعلون». انتهىٰ[1]

احداث عام ٣٥٥هـ:

قال ابن الأثير: «قد ذكرنا في السنة التي قبل هذا الخبر عمان ودخول القرامطة إليها، وهرب نافع عنها، فلما هرب نافع، واستولى القرامطة علىٰ البلد، كان معهم كاتب يعرف بعلي بن أحمد ينظر في أمر البلد، وكان بعمان قاض له عشيرة وجاه، فاتفق هو وأهل البلد أن ينصبوا في الإمرة رجلا يعرف بابن طغان وكان من صغار القواد بعمان، وأدناهم مرتبه، فلما استقر في الإمرة خاف ممن فوقه من القواد، فقبض علىٰ ثمانين قائدا، فقتل بعضهم، وغرق بعضهم.

وقدم البلد ابنا أخت لرجل ممن قد غرقهم، فأقاما مدة، ثم إنهما دخلا علىٰ طغان يوما من الأيام السلام، فسلما عليه، فلما تقوض المجلس قتلاه فاجتمع رأي الناس علىٰ تأمير عبد الوهاب بن أحمد بن مروان، وهو من أقارب القاضي، فولي الإمارة بعد امتناع منه، واستكتب عليَّ بن أحمد الذي كان مع الهجريين، فأمر عبد الوهاب كاتبه عليا أن يعطي الجند أرزاقهم صلة، ففعل ذلك، فلما انتهىٰ إلى الزنج، وكانوا ستة آلاف رجل، ولهم بأس وشدة، قال لهم عليٌ: إن الأمير عبد الوهاب أمرني أن أعطي البيض من الجند كذا وكذا، وأمر لكم بنصف ذلك، فاضطربوا وامتنعوا، فقال

---

(١) الكامل في التاريخ ـ ابن الأثير ج٨ ـ ص٥٦٥.

لهم: هل لكم أن تبايعوني فأعطيكم مثل سائر الأجناد؟ فأجابوه إلىٰ ذلك وبايعوه، وأعطاهم مثل البيض من الجند، فامتنع البيض من ذلك ووقع بينهم حرب، فظهر الزنج عليهم، فسكنوا، واتفقوا مع الزنج، وأخرجوا عبد الوهاب من البلد، فاستقر في الإمارة عليُّ بن أحمد ثم إن معز الدولة سار إلىٰ واسط لحرب عمران بن شاهين ولإرسال جيش إلىٰ عمان فلما وصل إلىٰ واسط قدم عليه نافع الأسود الذي كان صاحب عمان، فأحسن إليه، وأقام للفراغ من أمر عمران بن شاهين،على ما نذكره أن شاء الله تعالى. وانحدر من واسط إلىٰ الابلة،في شهر رمضان فأقام بها يجهز الجيش والمراكب ليسيروا إلىٰ عمان، ففرغ منه، وساروا منتصف شوال، واستعمل عليهم أبا الفرج محمد بن العباس بن فسانجس، وكانوا في مائة قطعة، فلما كانوا بسيراف انضم إليهم الجيش الذي جهزه عضد الدولة من فارس نجدة لعمه معز الدولة، فاجتمعوا وساروا إلىٰ عمان، ودخلها تاسع ذي الحجة وخطب لمعز الدولة فيها، وقتل من أهلها مقتلة عظيمة، وأحرقت مراكبهم وهي تسعة وثمانون مركبا». انتهى[1]

أحداث عام ٣٥٧هـ

قال السيوطي: «وفي سنة سبع (٣٥٧هـ) ملك القرامطة دمشق، ولم يحج أحد فيها لا من الشام ولا من مصر، وعزموا علىٰ قصد مصر ليملكوها، فجاء العبيديون (الفاطميون) فأخذوها، وقامت دولة الرفض (التشيع لأهل البيت) في الأقاليم: المغرب، ومصر، والعراق، وذلك أن كافور الإخشيدي صاحب مصر لما مات اختل النظام وقلت الأموال علىٰ الجند، فكتب جماعة إلىٰ المعز يطلبون منه عسكرا ليسلموا إليه مصر، فأرسل مولاه جوهرا القائد في مائة ألف فارس فملكها ونزل موضع القاهرة اليوم واختطها، وبنى دار الإمارة للمعز، وهي المعروفة الآن بالقصرين وقطع خطبة بني العباس، ولبس السواد وألبس الخطباء البياض، وأمر أن يقال في الخطبة: اللهم صل علىٰ محمد المصطفى، وعلى علي المرتضى، وعلى

(١) الكامل في التاريخ ـ ابن الأثير ـ ج٨ ص٥٦٨.

فاطمة البتول، وعلى الحسن والحسين سبطي الرسول، وصل علىٰ الأئمة آباء أمير المؤمنين المعز بالله، وذلك كله في شهر شعبان سنة ثمان وخمسين.

ثم في ربيع الآخر سنة تسع وخمسين أذنوا في مصر بحي علىٰ خير العمل وشرعوا في بناء الجامع الأزهر، ففرغ في رمضان سنة إحدى وستين».[١]

جوهر الصقلي يستولي على مصر:

قال ابن الأثير: «في هذه السنة (ثمان وخمسين وثلاثمائة) سير المعز لدين الله أبو تميم معد بن إسماعيل المنصور بالله القائد أبا الحسن جوهرا، غلام والده المنصور، وهو رومي، في جيش كثيف إلىٰ الديار المصرية، فاستولى عليها.

وكان سبب ذلك أنه لما مات كافور الإخشيدي، صاحب مصر، اختلفت القلوب فيها، ووقع بها غلاء شديد، حتى بلغ الخبز كل رطل بدرهمين، والحنطة كل ويبة بدينار وسدس مصري، فلما بلغ الخبر بهذه الأحوال إلىٰ المعز، وهو بإفريقية، سير جوهر أليها، فلما اتصل خبر مسيره إلىٰ العساكر الإخشيدية بمصر هربوا عنها جميعهم قبل وصوله.

ثم أنه قدمها سابع عشر شعبان، وأقيمت الدعوة للمعز بمصر في الجامع العتيق في شوال، وكان الخطيب أبا محمد عبد الله بن الحسين الشمشاطي

وفي جمادى الأولى من سنة تسع وخمسين (وثلاثمائة) سار جوهر إلىٰ جامع ابن طولون، وأمر المؤذن فأذن بحي علىٰ خير العمل، وهو أول ما أذن بمصر، ثم أذن بعده في الجامع العتيق، وجهر في الصلاة ببسم الله الرحمن الرحيم استقر جوهر بمصر شرع في بناء القاهرة». انتهى[٢]

---

(١) تاريخ الخلفاء ـ السيوطي ـ ص٣٥١ ـ المكتبة العصرية بيروت .

(٢) الكامل في التاريخ ـ ابن الأثير ـ ج٨ ص٥٩٠.

بعد سيطرة جوهر علىٰ مصر سير حملة بقيادة جعفر بن فلاح الكتامي إلىٰ الشام فبلغ الرملة في ذي الحجة من عام ٣٥٨هـ وبها محمد بن طغج وجرت بينهما حروب كان الظفر فيها لجعفر ابن فلاح وأسر ابن طغج وسار إلىٰ طبرية فرأى ابن ملهم قد أقام الدعوة للمعز لدين الله، فسار عنها إلىٰ دمشق فقاتل أهلها وظفر بهم وملك البلد وأقام الخطبة للمعز يوم الجمعة في المحرم عام تسع وخمسين وثلاثمائة.

وقام الشريف أبو القاسم بثورة ضد الفاطميين في دمشق في الجمعة الثانية وأبطل الخطبة للمعز لدين الله وأعاد خطبة المطيع لله العباسي، فقاتله جعفر بن فلاح قتالا شديدا وبعدها وقع الصلح بينهما في يوم الخميس لست عشر خلت من ذي الحجة سنة تسع وخمسين وثلاثمائة، ودخل جعفر بن فلاح البلد يوم الجمعة فصلى مع الناس وسكنهم وطيب قلوبهم وقبض علىٰ الشريف أبي القاسم وسيره إلىٰ مصر واستقر أمر دمشق.[1]

في عام ٣٥٨ قام سابور بن سليمان بانقلاب على عمه :

ذكر ابن خلدون: «ثم قبض سابور علىٰ عمه أبي منصور فاعتقله بموافقة إخوته له علىٰ ذلك وذلك سنة ثمان وخمسين (وثلاثمائة)، ثم ثار بهم أخوه فأخرجه من الاعتقال وقتل سابور ونفى إخوته وأشياعهم إلىٰ جزيرة أوال، ثم هلك أبو منصور سنة تسع وخمسين يقال مسموما علىٰ يد شيعة سابور، وولي ابنه أبو علي الحسن بن أحمد ويلقب الأعصم، وقيل الاغنم فطالت مدته وعظمت وقائعه زنفى جمعا كثيرا من ولد أبي طاهر، يقال: اجتمع منهم بجزيرة أوال نحو من ثلاثمائة، وحج هذا الأعصم بنفسه ولم يتعرض للحاج ولا أنكر الخطبة للمطيع». انتهىٰ[2]

قال ابن الأثير: «في هذه السنة (ثمان وخمسين وثلاثمائة) عاشر المحرم، عمل

---

(١) الكامل في التاريخ ـ ابن الأثير ـ ج٨ ص٥٩٢.

(٢) تاريخ ابن خلدون ص ٩٥٦.

أهل بغداد ماقد صار لهم عاده من إغلاق الأسواق، وتعطيل المعاش، وإظهار النوح والمأتم، بسبب الحسين بن علي رضوان الله عليهما ﷺ وفيها أرسل القرامطة رسلا إلىٰ بني نمير وغيرهم من العرب يدعونهم إلىٰ طاعتهم فأجابوا إلىٰ ذلك وأخذت عليهم الإيمان بالطاعة، وأرسل أبو تغلب ابن حمدان إلىٰ القرامطة بهجر هدايا جميلة قيمتها خمسون ألف درهم.

وفيها (ثمان وخمسين وثلاثمائة) طلب سابور بن أبي طاهر القرمطي من أعمامه أن يسلموا الأمر إليه والجيش، وذكر أن أباه عهد إليه بذلك، فحبسوه في داره ووكلوا به ثم أخرج ميتا في نصف رمضان، فدفن ومنع أهله من البكاء عليه ثم أذن لهم بعد أسبوع أن يعملوا ما يريدون». انتهىٰ[1]

---

(١) الكامل في التاريخ ـ ابن الأثير ـ ج٨ ص٦٠٠.

الفصل التاسع



الحسن بن احمد الجنابي

- حملة الأعصم إلى الشام
- وفاة الاعصم في الشام

الحسن بن أحمد بن بهرام القرمطي(الأعصم أو الاغنم ٣٥٩ -٣٦٦هـ)

في عهد الحسن القرمطي المعروف بالأعصم كان هناك تحولا جذريا في السياسة العامة للقرامطة فمنذ تأسيس هذه الدولة كان هدفهم الرئيس هو الإطاحة بالحكم العباسي الذين يرونه مغتصب للخلافة الإسلامية. وإتباع أئمة المذهب الاسماعيلي، ولكن بعد أن امسك الأعصم بزمام الحكم أصبح الهدف الرئيس هو جمع الضرائب ومحاربة من يمتنع عن دفعها ولهذا، قام بحرب ضد الدولة الفاطمية الإسماعيلية المسيطرة علىٰ مصر والشام لامتناعها عن دفع الإتاوة[1] التي كانت تدفعها الدولة الإخشيدية في مصر والشام من قبل.

ذكر الدكتور سهيل زكار نقلا عن كتاب مرآة الزمان ترجمة للحسن بن أحمد قوله: «أبو علي، وقيل أبو محمد القرمطي الجنابي، ولد بالاحساء في رمضان سنة ثمان وسبعين ومائتين وغلب علىٰ الشام سنة تسع وخمسين وثلاثمائة، وقتل جعفر

---

(١) وقال جوهر القائد الفاطمي وقد ذكرت له قرامطة الاحساء والجزية التي لهم عليهم فقال: من هؤلاء الكلاب، ألان أنفذ كتامة إلىٰ الاحساء فيشدون براذينهم علىٰ أبوابهم ويسبونهم . (أخبار القرامطة ص٣٢٧).

ابن فلاح، واستخلف علىٰ دمشق ظالم بن موهوب العقيلي ثم عاد إلىٰ الاحساء، وفي سنة اثنتين وستين وثلاثمائة، توجه إلىٰ مصر، ونزل بميسول الطواحين، ذلك ان المعز كان يصافيه لما كان بالمغرب، ويهاديه فلما وصل إلىٰ مصر قطع ذلك عنه، ليخرج المعز منها، فامتنع المطيع، وقال: كلهم قرامطة، وعلى دين واحد، أما المصريون فأ ماتوا السنن، وقتلوا العلماء، وأما هؤلاء فقتلوا الحاج، وقلعوا الحجر الاسود، وفعلوا وفعلوا، فقال عز الدولة للقرمطي: اذهب فافعل ماتراه، وذكروا أنه أعطاه سلاحا ومالا، فسار إلىٰ الشام، ومعه أعلام سود، وأظهر أن المطيع ولاه وعلى الاعلام اسم المطيع، وتحته مكتوب: «السادة الراجعين الي الحق» وملك الشام، ولعن المعز علىٰ منبر دمشق وآباءه، وقال: هؤلاء من ولد القداح كذابون ممخرقون،؟ أعداءالاسلام، ونحن أعلم بهم، من عندنا ظهر القداح. ثم أقام الدعوة لبني العباس، وسار إلىٰ مصر، وحصر المعز في القاهرة فأرضاه بمال، فرجع إلىٰ الاحساء، ثم عاد إلىٰ الشام فنزل الرملة، فمات بها في رجب، وهو يظهر بطاعة عبد الكريم الطائع وجده أبو سعيد الجنابي أول القرامطة». انتهى'[1]

وقال ابن خلدون: «ثم قبض سابور علىٰ عمه أبي منصور فاعتقله بموافقة إخوته له علىٰ ذلك وذلك سنة ثمان وخمسين (وثلاثمائة)، ثم ثار بهم أخوه فأخرجه من الاعتقال وقتل سابور ونفى إخوته وأشياعهم إلىٰ جزيرة أوال، ثم هلك أبو منصور سنة تسع وخمسين يقال مسموما علىٰ يد شيعة سابور، وولي ابنه أبو علي الحسن بن أحمد ويلقب الأعصم، وقيل الاغنم فطالت مدته وعظمت وقائعه زنفى جمعا كثيرا من ولد ابي طاهر، يقال: اجتمع منهم بجزيرة أوال نحو من ثلاثمائة، وحج هذا الأعصم بنفسه ولم يتعرض للحاج ولاأنكر الخطبة للمطيع.

ولما استولى جوهر قائد المعز لدين الله علىٰ مصر وجعفر بن فلاح الكتامي علىٰ دمشق طالب الحسن بالضريبة التي كانت له علىٰ دمشق فمنعوه ونابذوه، وكتب

---

(١) أخبار القرامطة ـ الدكتور سهيل زكار ص٢٣٩.

له المعز وأغلظ عليه ودس لشيعة أبي طاهر وبنيه أن الامر لولده، واطلع الحسن علىٰ ذلك فخلع المعز اثنتين وثلاثماية وخطب للمطيع العباسي في منابره ولبس السواد. ثم زحف إلىٰ دمشق وخرج جعفر بن فلاح لحربه، فهزمه الاعصم وقتله، وملك دمشق وسار إلىٰ مصر فحاصر جوهرا بها وضيق عليه.

ثم غدر به العرب وأجفلوا فأجفل معهم وعاد إلىٰ الشام ونزل الرملة، وكتب اليه المعز سنة إحدى وستين بالنفي والتوبيخ وعزله عن القرامطة وولى بني طاهر فخرجوا من أوال ونهبوا الاحساء في غيبته، وكتب اليهم الطائع العباسي بالتزام الطاعة وأن يصالحوا ابن عمهم ويقيموا بجزيرة أوال وبعث من أحكم بينهم الصلح». انتهىٰ[1]

يبدو أن الأعصم أمسك بزمام الحكم في حياة عمه أبو يعقوب الذي ذكره ابن مسكويه بقوله أنه لايشارك أخوته وانه مشغول في الشرب واللهو، وقد يكون ذلك فيه من الصحة إذا اعتمدنا قول ابن الأثير أن أبو يعقوب توفي عام ٣٦٦هـ قوله: قال ابن الاثير: «وفيها توفي أبو يعقوب يوسف بن الحسن الجنابي صاحب هجر، وكان مولده سنة ثمانين ومائتين، وتولى أمر القرامطة بعده ستة نفر شركة وسموا السادة، وكانوا متفقين» انتهىٰ[2]

ويبدو أن أبو يعقوب كان كبير السن عندما تولى الأعصم الحكم القرمطي لهذا استبعد عن زمام الحكم لكبر سنه حيث توفي عن عمر يناهز ستة وثمانين سنة

مسير الأعصم إلىٰ الشام بسبب ثلاثمائة ألف دينار كانت تدفع لهم:

في سنة ستين وثلاثمائة وفي بداية حكم الحسين بن أحمد القرمطي حمل سار الجيش القرمطي إلىٰ الشام بمساندة وتشجيع من الدولة العباسية وعلى رأسهم حكام آل بويه وسبب هذه الحملة القرمطيه كما ذكرها ابن الأثير قوله: «في هذه السنة، في

---

(١) تاريخ ابن خلدون ص٩٥٦ ص٩٥٧.

(٢) الكامل في التاريخ ـ ابن الأثير ـ ج٨ ص٦٨٨.

ذي القعدة، وصل القرامطة إلىٰ دمشق فملكوها وقتلوا جعفر بن فلاح، وسبب ذلك أنهم لما بلغهم استيلاء جعفر بن فلاح علىٰ الشام أهمهم وأزعجهم وقلقوا لأنه كان تقرر بينهم وبين طغج أن يحمل إليهم كل سنة ثلاثمائة ألف دينار، فلما ملكها جعفر علموا أن المال يفوتهم، فعزموا علىٰ قصد الشام، وصاحبهم حينئذ الحسين بن بهرام القرمطي، فأرسل إلىٰ عز الدولة بختيار يطلب منه المساعدة بالسلاح والمال، فأجابه إلىٰ ذلك، واستقر الحال أنهم إذا وصلوا إلىٰ الكوفة سائرين إلىٰ الشام حمل الذي استقر، فلما وصلوا إلىٰ الكوفة أوصل إليهم ذلك وساروا إلىٰ دمشق.

وبلغ خبرهم إلىٰ جعفر بن فلاح، فاستهان بهم ولم يحترز منهم، فلم يشعر بهم حتى كبسوه بظاهر دمشق وقتلوه وأخذوا ماله وسلاحه ودوابه، وملكوا دمشق، وأمنوا أهلها، وساروا إلىٰ الرملة، واستولوا علىٰ جميع مابينهما.

فلما سمع من بها من المغاربة خبرهم ساروا عنها إلىٰ يافا فتحصنوا بها، وملك القرامطة الرملة، وساروا إلىٰ مصر، وتركوا علىٰ يافا من يحصرها، فلما وصلوا إلىٰ مصر اجتمع معهم خلق كثير من العرب والجند والإخشيدية والكافورية فاجتمعوا بعين شمس عند مصر، واجتمع عساكر جوهر وخرجوا إليهم فاقتتلوا غير مرة، الظفر في جميع تلك الأيام للقرامطة، وحصروا المغاربة حصرا شديدا، ثم إن المغاربة خرجوا في بعض الأيام من مصر، وحملوا علىٰ ميمنة القرامطة، فانهزم من بها من العرب وغيرهم، وقصدوا سواد القرامطة فنهبوه، فاضطروا إلىٰ الرحيل، فعادوا إلىٰ الشام، فنزلوا الرملة. ثم حصروا يافا حصرا شديدا، وضيقوا علىٰ من بها، فسير جوهر من مصر نجدة إلىٰ أصحابه المحصورين بيافا، ومعهم ميرة في خمسة عشر مركبا، فأرسل القرامطة مراكبهم إليها، فأخذوا مراكب جوهر، ولم ينج منها غير مركبين فغنمهما مراكب الروم.

وللحسين بن بهرام مقدم القرامطة شعر، فمنه في المغاربة أصحاب المعز لدين الله:

زعمت رجال الغرب أني هبتها فدمي إذا ما بينهم مطلول
يامصر إن لم أسق أرضك من دم يروي ثراك فلا سقاني النيل[1]

سيطرة الفاطميون على مصر:

قصة سيطرة الدولة الفاطمية علىٰ مصر كما ذكرها القلقشندي قوله: «ثم كانت الدولة الفاطمية بمصر: فملكها جوهر قائد المعز الفاطمي وخطب بها لمولاه المعز وأذن بحي علىٰ خير العمل في سنة تسع وخمسين وثلاثمائة، وقطعت الخطبة العباسية منها، وأقام بها جعفر بن فلاح نائبًا، ثم تغلبت القرامطة عليها في سنة ستين وثلاثمائة، ثم اقتلعها منهم المعز وولى عليها ريان الخادم؛ ثم غلب عليها افتكين مولى معز الدولة بن بويه الديلمي، وقطع الخطبة منها للمعز الفاطمي، وخطب لخليفة بغداد في سنة أربع وستين وثلاثمائة؛ ثم انتزعها المعز الفاطمي بعد ذلك وقبض عليه وأحضره معه إلىٰ مصر؛ ثم بعد موت المعز وولاية ابنه العزيز تغلب عليها شخص اسمه قسام إلا أنه كان يخطب فيها للعزيز؛ ثم انتزعها منه العزيز وقرر فيها بكتكين في سنة اثنتين وسبعين وثلاثمائة؛ ثم انتزعها منه بكجور مولى قرعويه صاحب حلب بأمر العزيز الفاطمي صاحب مصر في سنة ثلاث وسبعين وثلاثمائة؛ ثم انتزعها منه وقرر فيها منيرًا الخادم في سنة سبع وسبعين وثلاثمائة؛ ثم استعمل الحاكم بن العزيز الفاطمي عليها أبا محمد الأسود في سنة ثلاث وتسعين وثلثمائة، ثم انتزعها منه أنوش تكين الدزبري بأمر المستنصر الفاطمي في سنة تسع و عشرين وأربعمائة، ثم أمر بالخروج عن طاعته في سنة ثلاث و ثلاثين وأربعمائة؛ فخرج عنها وفسد أمرها بذلك؛ ثم تغلب عليها أتسز بن أرتق الخوارزمي أحد أمراء السلطان ملكشاه السلجوقي في سنة ثمان وستين وأربعمائة، وقطع الخطبة بها للمستنصر الفاطمي وخطب للمقتدي العباسي، ومنع من الأذان بحي علىٰ خير العمل، ولم يخطب بعد ذلك بالشام لأحد من الفاطميين، ثم غلب عليها تتش بن ألب أرسلان بن داود بن ميكائيل بن سلجوق،

(١) الكامل في التاريخ ـ أبن الأثير ـ ج٨ ص٦١٦.

وملكها في سنة إحدى وتسعين وأربعمائة وتوفي؛ فملكها بعده تبنه دقاق وأشرك معه في الخطبة أخاه رضوان صاحب حلب مقدمًا لرضوان في الذكر في الخطبة بعد حربٍ جرت بينهما، وتوفي دقاق سنة تسع وتسعين وأربعمائة، فخطب طغتكين أتابك دولته لابن دقاق، وهو طفل عمره سنة واحدة، ثم قطع الخطبة له وخطب لعمه بلتاش بن تتش، ثم قطع الخطبة لبلتاش وأعاد الخطبة للطفل، وهو آخر من خطب له بدمشق من بني سلجوق؛ ثم استقر طغتكين المقدم ذكره في ملك دمشق بنفسه، وبقي حتى توفي في سنة اثنتين وعشرين وخمسمائة، وملك بعده ابنه تاج الملوك توري بعهد من أبيه، وتوفي سنةست وعشرين وخمسمائة؛ وملك بعده ابنه مجير الدين أرتق وفي أيامه تغلبت الفرنج علىٰ ناحية دمشق.

ثم انتزعها منهم الملك العادل نور الدين محمود بن زنكي المعروف بنور الدين الشهيد وملكها في سنة تسع وربعين وخمسمائة، واجتمع له ملك سائر الشام معها، وهو الذي بنى أسوار مدن الشام حين وقعت بالزلازل كدمشق وحماة وحمص وحلب وشيزر وبعلبك وغيرها؛ وتوفي فملك بعده ابنه الملك الصالح إسماعيل وعمره إحدى عشرة سنة، وبقي بها حتى انتزعها منه السلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب صاحب مصر في سنة سبعين وخمسمائة، وقرر فيها أخاه سيف الإسلام طغتكين بن أيوب؛ ثم استخلف عليها السلطان صلاح الدين بعد ذلك ابن أخيه عز الدين فرخشاه بن شاهنشاه بن أيوب في سنة ست وسبعين وخمسمائة؛ ثم صرفه عنها وقرر فيها ابنه الملك الأفضل نور الدين عليًا؛ وهو الذي وزر له الوزير ضياء الدين بن الأثير صاحب المثل السائر. ثم انتزعها منه أخوه الملك العزيز عثمان ابن السلطان صلاح الدين صاحب مصر بعد وفاة أبيه بمعاضدة عمه العادل أبي بكر في سنة اثنتين وتسعين وخمسمائة، والخليفة يومئذ بغداد الناصر لدين الله، وكان يميل إلىٰ التشيع، فكتب إليه الأفضل علي يستجيشه علىٰ أخيه العزيز عثمان وعمه العادل أبي بكر؛ من شعره: مولاي إن أبا بكرٍ وصاحبه عثمان قد غصبا بالسيف حق علي

فانظر إلىٰ حظ هذا الاسم كيف لقي من الأواخر ما لاقى من الأول.

فكتب إليه الناصر لدين الله في جوابه:

غصبوا عليًا حقه إذ لم يكن بعد النبي له بيثرب ناصر
فاصبر فإن غدًا عليك حسابهم وابشر فناصرك الغمام الناصر[1]

(١) صبح الأعشى ـ القلقشندي.

حملة الاعصم إلىٰ الشام

في عام ٣٦٠هـ من شهر ذي القعدة. الحسن بن أحمد بن أبى سعيد يقصد دمشق ويملكها، وتحالف آل بويه والحمدانيين مع القرامطة ضد الفاطميين، ومد القرامطة بالمال للحرب.

بسبب امتناع الفاطميين عن دفع الاتاوة التي كانت تدفع من قبل الاخشيدين للقرامطة أضطر القرمطي الحسن بن أحمد إلىٰ التحالف مع اعداء الامس ضد القادة والزعماء الروحيينن للمذهب الاسماعيلي في الشام ومصر. قال النويري: «قال الشريف أبو الحسين رحمه الله تعالى: وفي سنة ستين وثلاثمائة سار الحسن بن أحمد بن أبي سعيد الجنابي، وهو الذي انتهىٰ إليه أمر القرامطة، من بلده إلىٰ الكوفة، وعزم علىٰ قصد الشام وسبب ذلك أنه كان قد تقرر للقرامطة في الدولة الأخشيدية من مال دمشق في كل سنة ثلاثمائة ألف دينار، فلما ملك المعز لدين الله العبيدي الديار المصرية، واستولى جعفر بن فلاح علىٰ الشام، علموا أن ذلك يفوتهم، فسار الحسن بن أحمد إلىٰ الكوفة، وراسل بختيار الديلمي أحد ملوك الدولة البويهية، في طلب السلاح والمساعدة، فأنفذ إليه خزانة سلاح من بغداد وسبب له علىٰ أبي تغلب بن ناصر الدولة بن حمدان بأربعمائة ألف درهم، فرحل الحسن من الكوفة حتى أتى

الرحبة وعليها أبو تغلب بن حمدان، فحمل إليه المال المسبب له به عليه وحمل إليه العلوفة، وأرسل إليه يقول: هذا شيء كنت أردت أن أسير أنا فيه بنفسي، وأنت تقوم مقامي فيه، وأنا مقيم في هذا الموضع إلىٰ أن يرد علىٰ خبرك، فإن احتجت إلىٰ مسيري سرت إليك ونادى في عسكره: من أراد المسير من الجند الإخشيدية وغيرهم إلىٰ الشام مع الحسن بن أحمد فلا اعتراض عليه، فقد أذنا له في المسير والعسكران واحد، فخرج إلىٰ عسكر القرمطي جماعة من عسكر أبي تغلب، وكان فيه كثير من الإخشيدية الذين كانوا بمصر وفلسطين، صاروا إليه لما انهزموا من المغاربة عند ملكهم الديار المصرية بعد الدولة الإخشيدية؛ قال: وسبب مظاهرة ابن حمدان للقرمطي أنه كان قد وقع بينه وبين جعفر بن فلاح مراسلات، أغلظ جعفر فيها علىٰ أبي تغلب وتهدده بالمسير إليه، فلما أرسل ابن جعفر إلىٰ الحسن ابن أحمد هذه الرسالة ومكن الجند من المسير معه سره ذلك وزاد قوة، وسار عن الرحبة وقرب من أرض دمشق ووصل إلىٰ ضياع المرج فظفرت خيله برجل مغربي يقال له علي بن مولاه، فقتلوه وقتلوا معه جماعة من المغاربة فوقعت الذلة علىٰ المغاربة، وكان ظالم بن موهوب العقيلى علىٰ مقدمة القرامطة في جمع من بني عقيل وبني كلاب، فلقي المغاربة في صحراء المزة وأقبل شبل بن معروف العقيلي معينا لظالم، ولم يزل القتال بينهم إلىٰ أن أقبل الحسن بن أحمد القرمطي فقوى العقيليون، وتشمرت المغاربة ولم يزل القتال إلىٰ العصر، ثم حمل ومن معه فانهزمت المغاربة وأخذهم السيف وتفرقوا، وقتل جعفر بن فلاح ولم يعرف، واشتغلت العرب بنهب العسكر، وكانت هذه الوقعة في يوم الخميس لست خلون من ذي القعدة سنة ستين وثلاثمائة، فلما كان بعد الوقعة عثر بجعفر بن فلاح من عرفة وهو مقتول مطروح علىٰ الطريق، فاشتهر خبره في الناس، ثم نزل الحسن بن أحمد بعد الوقعة علىٰ ظاهر المزة فجنى مالًا من البلد وسار يريد الرملة، وكان جوهر القائد قد أنفذ من مصر رجلًا من المغاربة يقال له سعادة بن حيان ذكر أنه في أحد ألفًا، فلما بلغ ابن حيان أن ابن فلاح قد قتل وجاءه بعد ذلك قوم من المنهزمين فأخبروه بخبر الواقعة، تحير وتقطعت به الأسباب، فلم تكن له جهة غير

الدخول إلىٰ يافا، ولم يكن له بها عدة ولا دار، فلما دخل إليها جاءه الحسن بن أحمد فنزل عليها، واجتمعت عرب الشام فنازلها وناصبها بالقتال، حتى اشتد الحصار وقل ما بها جدًا، وكان يدخل إليها شيء من الطعام يريد الدخول به إلىٰ يافا ضربت عنقه، فلما طال بهم الأمر أكلوا دوابهم وجميع ما عندهم من الحيوان، ثم هلك أكثرهم من الجوع، وكان الحسن بن أحمد قد سار عن يافا نحو مصر، وخلف علىٰ حصارها أبا المنجى وظالما العقيلي ونزل علىٰ مصر يوم الجمعة مستهل شهر ربيع الأول سنة إحدى وستين وثلاثمائة، فقاتل المغاربة علىٰ الخندق الذي لمدينتهم، وقتل كثيرًا منهم خارج الخندق وحاصرهم شهورًا، ثم رحل عنها إلىٰ الأحساء ولم يعلم الناس ما كان السبب في ذلك، فلما تيقنت المغاربة أنه قد رحل إلىٰ بلده أنفذ جوهر القائد ابن أخته نحو يافا، وبلغ من عليها يحاصرها أن الحسن بن أحمد رحل عن مصر، وأن إبراهيم ابن أخت جوهر خارج يريد يافا، فساروا القوم عنها وتوجهوا نحو دمشق، فنزلوا بعسكرهم علىٰ ظاهرها، فجرى بين ظالم وأبي المنجي كلام وخلاف ذكر أنه بسبب أخذ الخراج، وكان كل واحد منهما يريد أخذه للنفقة في رجاله، وكان أبو المنجي كبيرًا عند القرمطي يستخلفه علىٰ تدبير أحواله». انتهى[1]

كما يذكر ابن الأثير تلك الحملة القرمطية وأسبابها قوله: «في هذه السنة (سنة ستين وثلاثمائة) في ذي القعدة وصل القرامطة إلىٰ دمشق فملكوها وقتلوا جعفر بن فلاح.

وسبب ذلك أنهم لما بلغهم استيلاء جعفر بن فلاح علىٰ الشام أهمهم وأزعجهم وقلقوا لأنه كان قد تقرر بينهم وبين ابن طغج أن يحمل إليهم كل سنة ثلاثمائة ألف دينار، فلما ملكها جعفر علموا أن المال يفوتهم، فعزموا علىٰ قصد الشام، وصاحبهم حينئذ الحسين بن بهرام القرمطي، فأرسل إلىٰ عز الدولة بختيار (آل بويه) يطلب منه المساعدة بالسلاح والمال، فأجابه إلىٰ ذلك، واستقر الحال أنهم إذا وصلوا إلىٰ

(١) نهاية الأرب في فنون الأدب ـ النويري.

الكوفة سائرين إلىٰ الشام حمل الذي استقر، فلما وصلوا إلىٰ الكوفة أوصل إليهم ذلك، وساروا إلىٰ دمشق.

ويلغ خبرهم إلىٰ جعفر بن فلاح (الفاطمي)، فاستهان بهم ولم يحترز منهم، فلم يشعر بهم حتى كبسوه بظاهر دمشق وقتلوه وأخذوا ماله وسلاحه ودوابه وملكوا دمشق، وأمنوا أهلها، وساروا إلىٰ الرملة، واستولوا علىٰ جميع ما بينهما.

فلما سمع من بها من المغاربة خبرهم ساروا عنها إلىٰ يافا فتحصنوا بها، وملك القرامطة الرملة، وساروا إلىٰ مصر، وتركوا علىٰ يافا من يحصرها، فلما وصلوا إلىٰ مصر اجتمع معهم خلق كثير من العرب والجند والإخشيدية والكافورية فاجتمعوا بعين شمس عند مصر، واجتمع عساكر جوهر، وخرجوا إليهم فاقتتلوا غير مرة، الظفر في جميع تلك الأيام للقرامطة، وحصروا المغاربة حصرا شديدا، ثم أن المغاربة خرجوا بعض الأيام من مصر، وحملوا علىٰ ميمنة القرامطة، فانهزم من بها من العرب وغيرهم وقصدوا سواد القرامطة فنهبوه فاضطروا إلىٰ الرحيل، فعادوا إلىٰ الشام، فنزلوا الرملة.

ثم حصروا يافا حصرا شديدا، وضيقوا علىٰ من بها، فسير جوهر من مصر نجدة إلىٰ أصحابه المحصورين بيافا، ومعهم ميرة في خمسة عشر مركبا، فأرسل القرامطة مراكبهم إليها، فأخذوا مراكب جوهر، ولم ينج منها غير مركبين فغنمها مراكب الروم.

وللحسين بن بهرام مقدم القرامطة شعر، فمنه في المغاربة أصحاب المعز لدين الله:

زعمت رجال الغرب أني هبتها ... فدمي إذا ما بينهم مطلول
يامصر إن لم أسق أرضك من دم ... يروي ثراك فلا سقاني النيل[1]

---

(١) الكامل في التاريخ ـ ابن الأثير ج٨ص٦١٦.

المعتز لدين الله يرسل خطاب إلى الحسن القرمطي:

قال النويري: «ولما رحل القوم عن يافا إلىٰ دمشق جاءها إبراهيم ابن أخت جوهر القائد، فأخرج من كان بها وسار بهم إلىٰ مصر، ورجع الحسن ابن أحمد فنزل الرملة، ولقيه أبو المنجي وظالم فذكر أبو المنجي للحسن ابن أحمد ما جرى من ظالم وما تكلم به، فقبض عليه ولم يزل محبوسًا حتى ضمنه شبل بن معروف فخلى سبيله، فهرب إلىٰ شط الفرات إلىٰ حصن كان له في منزل بني زياد، ثم إن الحسن بن أحمد طرح مراكب في البحر وجعل فيها رجالًا مقاتلة، وجمع كل من قدر عليه من العرب وغيرهم وتأهب للمسير إلىٰ مصر، وكان الجوهر يكتب إلىٰ المعتز لدين الله إلىٰ القيروان بما جرى علىٰ عسكره، من القتل والحصار والقتل، أن الحسن بن أحمد يقاتلهم علىٰ خندق عسكرهم، وقد أشرف علىٰ أخذ مصر فقلق من ذلك قلقًا شديد، وجمع من يقدر عليه وسار إلىٰ مصر، وظنها أنها تؤخذ قبل أن يصل إليها فدخلها في يوم الثلاثاء لخمس خلون من شهر رمضان سنة اثنتي وستين وثلاثمائة وكان شديد الخوف من الحسن بن أحمد، فلما نزل مصر عزم علىٰ أن يكتب إلىٰ الحسن بن أحمد كتابًا يعرفه فيه أن المذهب واحد، وأنهم منهم استمدوا، ولأن ساداتهم في هذا الأمر، وبهم وصلوا إلىٰ هذه المرتبة وترهب عليه، وكان غرض المعز لدين الله العبيدي في ذلك أن يعلم من جواب القرمطي ما في نفسه، وهل خافه لما وافى مصر أم لا؟ قال: والحسن بن أحمد يعرف أن المذهب واحد، لأنه يعلم الظاهر من مذهبه والباطن، لأن الجميع اتفقوا علىٰ تعطيل الخالق وإباحة الأنفس والأموال وبطلان النبوة، فهم متفقون علىٰ المذهب، وإذا تمكن بعضهم من بعض يرى قتله ولا يبقي عليه.

قال الشريف: وكان عنوان الكتاب: من عبد الله ووليه وخيرته وصفيه معد أبي تميم بن إسماعيل المعز لدين الله أمير المؤمنين، وسلالة خير النبيين ونجل علي أفضل الوصيين إلىٰ الحسن بن أحمد، ونسخة الكتاب:

«بسم الله الرحمن الرحيم» ـ رسوم النطقاء ومذاهب الأئمة والأنبياء ومسالك الرسل والأوصياء، السلف والآنف منا صلوات الله علينا وعلى آبائنا، أولى الأيدي والأبصار في متقدم الدهور والأكوار وسالف الأزمان والأعصار عند قيامهم بأحكام الله، وانتصابهم لأمر الله، بالابتداء بالإعذار والانتهاء بالإنذار، قبل إنفاذ الأقدار في أهل الشقاق والإصرار، لتكون الحجة علىٰ من خالف وعصى، العقوبة علىٰ من بان وغوى، حسبما قال الله جل وعز ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولاً﴾، ﴿وَإِنْ مِنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلا فِيهَا نَذِيرٌ﴾ وقوله سبحانه ﴿قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾، ﴿فَإِنْ آمَنُوا بِمِثْلِ مَا آمَنتُمْ بِهِ فَقَدِ اهْتَدَوْا وَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا هُمْ فِي شِقَاقٍ﴾، أما بعد أيها الناس: فإنا نحمد الله بجميع محامده ونمجده بأحسن مماجدة، حمدًا دائمًا أبدًا ومجدًا عاليًا سرمدا، علىٰ سبوغ نعمائه وحسن بلائه، ونبتغي إليه الوسيلة بالتوفيق والمعونة، علىٰ طاعته والتسديد في نصرته، ونستكفيه ممايلة الهوى والزيغ عن قصد الهدى، ونستزيد منه إتمام الصلوات وإفاضة البركات وطيب التحيات، علىٰ أوليائه الماضين وخلفائه التالين، منا ومن آبائنا الراشدين المهديين المنتخبين، الذين قضوا بالحق وكانوا به يعدلون.

أيها الناس ﴿قَدْ جَاءَكُمْ بَصَائِرُ مِنْ رَبِّكُمْ فَمَنْ أَبْصَرَ فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ عَمِيَ فَعَلَيْهَا﴾ ليذكر من تذكر وينذر من أبصر واعتبر. أيها الناس: إن الله جل وعز إذا أراد أمرًا قضاه، وإذا قضاه أمضاه، وكان من قضائه فينا قبل التكوين أن خلقنا أشباحًا، وأبرز أرواحنا بالقدرة مالكين، وبالقوة قادرين، حين لا سماء مبينة، ولا أرض مدحية، ولا شمس تضيء، ولا قمر يسرى، ولا كوكب يجري، ولا ليل يجن، ولا أفق يكن، ولا لسان ينطق ولا جناح يخفق، ولا ليل؛ ولا نهار، ولا فلك دوار، ولا كوكب سيار، فنحن أول الفكرة، وآخر العمل بقدر ومقدور، وأمر في القدوم مبرور، فعندما تكامل الأمر وصح العزم أنشأ الله جل وعز المنشآت فأبدأ الأمهات من هيولانا، فطبعنا أنوارًا وظلمة وحركة، وسكونا، فكان من حكمة السابق في عمله ما ترون

من فلك دوار، وكوكب سيار، وليل ونهار، وما في الآفاق من آثار معجزات، وأقدار باهرات، وما في الأقطار من الآثار، وما في النفوس من الأجناس والصور والأنواع، من كثيف ولطيف، وموجود ومعدوم وظاهر وباطن، ومحسوس وملموس، ودان وشاسع، وهابط وطالع كل ذلك لنا ومن أجلنا، دلالة علينا وإشارة إلينا، يهدي الله ما كان له لب سجيح، ورأى صحيح، قد سبقت منا له الحسنى، فدان بالمعنى، ثم إنه جل وعلا أبرز من مكنون العلم ومخزون الحكم آدم وحواء أبوين ذكرًا وأنثى، سببًا لإنشاء البشرية، ودلالة لاظهار القدرة القوية الكونية، وزوج بينهما فتوالدا الأولاد، وتكاثرت الأعداد، ونحن ننقل في الأنصاب الزكية والأرحام الطاهرة المريضة، كلمنا ضمنا من صلب ورحم أظهر منا قدرة وعلمًا وهلم جرا إلىٰ آخر الجد الأول والأب الأفضل سيد المرسلين وإمام النبيين أحمد ومحمد صلوات الله عليه وعلى آله في كل ناد ومشهد، فحسن آلاؤه وبان غناؤه، وأباد المشركين وقصم الظالمين، وأظهر واستعمل الصدق، وبان بالأحدية ودان بالصمدية، فعندها، فعندها سقطت الأصنام وانعقد الإسلام، وظهر الأيمان وبطل السحر والقربان، وارتفع الكفر والطغيان، وخمدت بيوت النيران وهربت عبدة الأوثان، وأتى بالقرآن شاهدًا بالحق والبرهان فيه خير ما كان وما يكون إلىٰ يوم الوقت المعلوم، مبينًا عن كتب تقدمت في صحف قد نزلت، تبيانًا لكل شيء وهدى ورحمة ونورًا وسراجًا منيرًا، وكل ذلك دلالات لنا ومقدمات بين أيدينا، وأسباب لإظهار أمرنا، هدايات وشهادات، وسعادات قدسيات إلا هيات أوليات كائنات، منشآت مبديات معيدات وما من ناطق نطق ولا نبي بعث ولا وصى ظهر إلا قد أشار إلينا، ولوح بنا ودل علينا في كتابه وخطابه، ومنار أعلامه ومرموز كلامه، ما هو موجود غير معدوم وظاهر وباطن، يعلمه من سمع الندا أو شاهد ورأى، من الملأ الأعلى، فمن أغفل منكم أو نسى أو ضل أو غوى فلينظر في الكتب الأولى والصحف المنزلة، وليتأمل آي القرآن وما فيه من البيان، وليسأل أهل الذكر إن كان لا يعلم، فقد أمر الله عز وجل

﴿فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لا تَعْلَمُونَ﴾.

قال: وهذا الكتاب طويل جدًا لا طائل فيه، قطعناه ههنا وسنذكر جملة من هذا الكتاب في أخبار المعز لدين الله غير ما في هذا الموضع، علىٰ ما نقف عليه إن شاء الله تعالى في موضعه.

قال: والجواب من الحسن بن أحمد القرمطي الأعصم: وصل إلينا كتابك الذي تفصيله وقل تحصيله، ونحن سائرون علىٰ أثره والسلام.

وسار الحسن بن أحمد بعد ذلك إلىٰ مصر، فنزل بعسكره عين شمس، وناشب المغاربة القتال، وانبثت سراياه في أرض مصر وبعث عمالًا إلىٰ الصعيد تجنى الأموال، وضيق علىٰ المغاربة وداومهم القتال علىٰ خندق مدينتهم، يعني الشريف بمدينتهم القاهرة المعزية، قال: فذكر أنه هزمهم حتى عبر الخندق فامتنعوا منه بالسور، وعظم ذلك علىٰ المعز لدين الله وتحير في أمره، ولم يجسر أن يخرج بعسكره خارج الخندق، وكان ابن الجراح الطائي في جمع عظيم مع الحسن بن أحمد القرمطي، وكان قوة لعسكره ومنعة ومقدمة، فنظر القوم فإذا ليس لهم بالحسن بن أحمد طاقة، ففكروا في أمره فلم يجدوا لهم حيلة غير فل عسكره، وعلموا أنه لا يقدر علىٰ فله إلا بابن الجراح، وأن ذلك لا يتم إلا ببذل ما يطلبه من المال، فراسلوا ابن الجراح وبذلوا له مائة ألف دينار، علىٰ أن يفل لهم عسكر القرمطي فأجابهم إلىٰ ذلك، ثم إنهم فكروا في أمر المال فاستعظموه، فعملوا دنانير من النحاس وطلوها بالذهب وجعلوها في أكياس، وجعلوا علىٰ رأس كل كيس منها دنانير يسيرة من الذهب تغطى ما تحتها وشدوها وحملت لابن الجراح بعد أن استوثقوا منه، وعاهدوه ألا يغدر بهم إذا وصل إليهم المال، فلما وصل إليه المال عمل علىٰ فل عسكره، وتقدم إلىٰ كبراء أصحابه بأن يتبعوه إذا توافق العسكران، وقامت الحرب فلما اشتد القتال ولى ابن الجراح منهزمًا، وتبعه أصحابه في جمع كثير، فلما نظر إليه القرمطي قد انهزم بعد الاستظهار تحير ولزمه أن يقاتل هو ومن معه فاجتهد في القتال حتى تخلص،

ولم تكن له بهم طاقة وكانوا قد بادروه من كل جانب، فخشي علىٰ نفسه وانهزم واتبعوه قومه ودخل المغاربة معسكره، فظفروا بإتباع وباعة نحو من ألف وخمسمائة رجل، فأخذوهم أسرى وانتهبوا العسكر وضربوا أعناقهم، وذلك في شهر رمضان سنة ثلاث وستين وثلاثمائة، ثم جردوا خلف الحسن بن أحمد، أبا محمود إبراهيم بن جعفر في عشرة آلاف رجل من المغاربة، فسار خلفه وتباطأ في السير خوفًا من أن يعطف عليه، وسار الحسن فنزل أذرعات وأنفذ أبا المنجى في طائفة كثيرة من الجند إلىٰ دمشق، وكان ابنه قبل ذلك واليًا عليها، ثم سار القرمطي في البرية إلىٰ بلده وفي نيته العود، وكانت المغاربة، لما سمعوا بقصة ظالم، وقبض القرمطي عليه لما جرى بينه وبين أبي المنجى ما ذكرناه، وهربه إلىٰ حصنه، راسلوه ليأتي القرمطي من خلفه، فسار يريد بعلبك فلقيه الخبر بهزيمة القرمطي ونزول أبي المنجى علىٰ دمشق، فسار ظالم نحو دمشق ونزل أبو محمود أذرعات، وذكر أنه كان بينه وبين ظالم مراسلة واتفقا علىٰ أبي المنجى، وبلغ أبو المنجى مسير ظالم إليه وكان في شرذمة يسيرة، وأبو المنجى بدمشق في نحو ألفي رجل، وكان قد ورد إليه الخبر في أن ظالمًا يصبح من غد في عقبة دمر، وكان الجند قبل ذلك قد طلبوا منه الرزق، فقال: ما معي مال، فلما ورد إليه خبر ظالم أعطي الجند علىٰ السرج دينارين لكل رجل، ثم إن ظالمًا أصبح من غد ذلك اليوم في عقبة دمر، فخرج أبو المنجى وابنه بمن معهما إلىٰ الميدان للقتال، فذكر أن ظالمًا أنفذ إلىٰ أبي المنجى رسولًا يقول له: إنما جئت مستأمنًا إليكم، وقد كان الجند حقدوا علىٰ أبي المنجى من جهة الرزق، فلما صار ظالم في عقبة دمر مشرفًا علىٰ دمشق ذهب قوم من الجند نحو العقبة، فاستأمنوا إلىٰ ظالم وتبعهم قوم بعد قوم، فقوى طمع ظالم بهم فانحدر من العقبة، ثم سار بمن معه حتى قرب من أبي المنجى فأحاط به فلم يقدر علىٰ الهرب فأخذ هو وابنه من بعد أن وقعت فيه ضربة، وانقلب عسكره إلىٰ ظالم، وملك ظالم البلد، وذلك في يوم السبت لعشر خلون من شهر رمضان سنة ثلاث وستين وثلاثمائة. فلما

تمكن ظالم ونزل البلد أوثق أبا المنجى وابنه ثم حبسهما، وقبض علىٰ جماعة من أصحابه فأخذ أموالهم، ثم قدم أبو محمود بعد ذلك دمشق في يوم الثلاثاء لثمان بقين من شهر رمضان، فلقيه ظالم وتقرب إليه بأبي المنجي وابنه، فعمل لكل واحد منهما قفصًا من خشب وحملهما إلىٰ مصر فحبسا». انتهى(١)

أحداث عام ٣٦٣هـ

قال ابن الاثير: «في هذه السنة (ثلاث وستين وثلاثمائة) سار القرامطة، ومقدمهم الحسن بن أحمد، من الاحساء إلىٰ ديار مصر فحصرها ولما سمع المعز لدين الله صاحب مصر بأنه يريد قصد مصر كتب اليه كتابا يذكر فيه فضل نفسه وأهل بيته وأن الدعوة واحده وأن القرامطة إنما كانت دعوتهم إليه والى أبائه من قبله، ووعظه وبالغ، وتهدده، وسير الكتاب إليه.

فكتب جوابه: ووصل كتابك الذي قل تحصيله وكثر تفضيله ونحن سائرون إليك علىٰ أثره، والسلام. وسار حتى وصل إلىٰ مصر فنزل علىٰ عين شمس بعسكره، وأنشب القتال وبث السرايا في البلاد ينهبونها فكثرت جموعه وأتاه من العرب خلق كثير وكان ممن أتاه حسان بن الجراح الطائي، أمير العرب بالشام ومعه جمع عظيم.

فلما رأى المعز كثرة جموعه استعظم ذلك وأهمه وتحيَّر في أمره ولم يقدم علىٰ إخراج عسكره لقتاله، واستشار أهل الرأي من نصحائه فقالوا: ليس حيلة غير السعي في تفريق كلمتهم وإلغاء الحلف بينهم، ولا يتم ذلك إلا بابن الجراح، فراسله المعز واستماله، وبذل له مائة ألف دينار إن هو خالف علىٰ القرمطي، فأجابه ابن الجراح إلىٰ ما طلب منه، فاستحلفوه فحلف أنه إذا وصل إليه المال المقرر انهزم بالناس.

فأحضروا المال، فلما رأوه استكثروه، فضربوا أكثرها دنانير من صفر وألبسوها الذهب، وجعلوها في أسافل الأكياس، وجعلوا الذهب الخالص علىٰ رؤوسها،

---

(١) نهاية الأرب في فنون الأدب ـ النويري.

وحمل إليه، فأرسل إلىٰ المعز أن يخرج في عسكره يوم كذا ويقاتلوه وهو في الجهة الفلانية فإنه ينهزم، ففعل المعز ذلك فانهزم وتبعه العرب كافة، فلما رآه الحسن القرمطي منهزما تحير في أمره، وثبت، وقاتل بعسكره، إلا أن عسكر المعز طمعوا فيه وتابعوا الحملات عليه من كل جانب، فأرهقوه، فولى منهزما، واتبعوا أثره، وظفروا بمعسكره فأخذوا من فيه أسرى، وكانوا نحو ألف وخمسمائة أسير، فضربت أعناقهم، ونهب ما في المعسكر.

وجرد المعز القائد أبا محمد بن إبراهيم بن جعفر في عشرة آلاف رجل، وأمره بإتباع القرامطة والإيقاع بهم، فاتبعهم، وتثاقل في سيره خوفا أن ترجع القرامطة إليه، وأما هم فإنهم ساروا حتى نزلوا أذرعات، وساروا منها إلىٰ بلدهم الاحساء، ويظهرون أنهم يعودون» انتهىٰ[1]

قال ابن الأثير: «لما بلغ المعز (الفاطمي) انهزام القرمطي من الشام، وعوده إلىٰ بلاده، أرسل القائد ظالم بن موهوب العقيلي واليا علىٰ دمشق، فدخلها وعظم حاله، وكثرت جموعه وأمواله وعدته، لان أبا المنجي وابنه صاحبي القرمطي كانا بدمشق، ومعهما جماعة من القرامطة، فأخذهم ظالم وحبسهم، واخذ أموالهم وجميع مايملكونه.

ثم إن القائد أبا محمود الذي سيره المعز يتبع القرامطة وصل إلىٰ دمشق بعد وصول ظالم إليها بأيام قليلة، فخرج ظالم متلقيا له مسرورا بقدومه، لأنه كان مستشعرا من عود القرمطي إليه، فطلب منه أن ينزل بعسكره بظاهر دمشق ففعل، وسلَم إليه أبا المنجَي وابنه ورجلا آخر يعرف بالنابلسي، وكان هرب من الرملة، وتقرب من القرمطي، فأسر بدمشق أيضا وحملهم أبو محمد إلىٰ مصر، فسجن أبو المنجَي وابنه، وقيل للنابلسي: أنت الذي قلت لو أن معي عشرة أسهم لرميت تسعة

(١) الكامل في التاريخ ـ ابن الأثير ج٨ ص٦٣٩.

في المغاربة وواحد في الروم؟ فاعترف، فسلخ جلده وحشي تبنا وصلب»[١]

احداث عام ٣٦٤هـ:

كانت هناك فتنة بين الأتراك وآل بويه فاستنجد بختيار بن معز الدولة بابن عمه عضد الدولة أبن ركن الدولة وحاربا الأتراك وانهزم القائد التركي المعروف بـ الفتكين مولى معز الدولة بن بويه وسار مع طائفة من الجند الترك إلىٰ حمص ونزل بالقرب من ها فقصده ظالم بن موهوب العقيلي (الفاطمي) أمير دمشق فلم يتمكن منه وسار الفكتين إلىٰ ظاهر دمشق، وخرج أشرافها وشيوخها وأظهروا السرور بقدومه وسألوه أن يقيم معهم ويكف عنهم شر الأحداث، فأجابهم إلىٰ ذلك واستحلفهم علىٰ الطاعة، ودخل البلد وقطع خطبة المعز الفاطمي وخطب للطائع (العباسي) وكانت العرب قد استولت علىٰ سواد البلد فقصدهم واوقع بهم وقتل كثيرا منهم وأبان شجاعة وقوة نفس وحسن تدبير فأذعنوا له، وكثر جمعه وثبت قدمه، وعزم المعز الفاطمي علىٰ قتال الفتكين وجهز العسكر لقصده لكنه مرض ومات سنه خمس وستين وثلاثمائة وولي بعده ابنه العزيز بالله فأمن الفتكين بموت المعز الفاطمي جهة مصر، فقصد صيدا فحصرها وفيها ظالم العقيلي (الفاطمي) فقاتلهم وقتل منهم نحو أربعة آلاف قتيل، ثم توجه نحو عكا وقصد طبريه وفعل فيها مثل من القتل والنهب مثل صيدا ثم عاد إلىٰ دمشق،

فلما سمع العزيز ما فعله الفتكين بساحل الشام، استشار وزيره يعقوب بن كلس فيما يفعل فأشار بإرسال جوهر في العسكر إلىٰ الشام فجهزه وسيره، فوصل الشام في ذي القعدة من سنة خمس وستين وثلاثمائة فحصر الفتكين ودامت الحرب شهرين قتل فيها الكثير، فلما رأى أهل دمشق طول مقام المغاربة عليهم أشاروا علىٰ الفتكين بمكاتبة الحسن بن أحمد القرمطي واستنجاده، ففعل ذلك.[٢]

---

(١) الكامل في التاريخ ـ ابن الأثير ـ ج٨ ص٦٤٠.

(٢) الكامل في التاريخ ـ ابن الأثير ـ ج٨ ص٦٥٨.

وفاة الحسن بن أحمد (الأعصم) عام ٣٦٦هـ

في عام خمس وستين وثلاثمائة كاتب القائد التركي هفتكين [١] القرامطة لمحاربة الفاطميين فكاتبوه بأنهم سائرون إلىٰ الشام فتوجه عدد ثلاثة من قواد القرامطة بالاحساء وهم (إسحاق، وكسرى،وجعفر) وجعفر هو ابن عم الحسن القرمطي (الأعصم)، ونزل القرامطة ظاهر دمشق واجتمعوا مع القائد التركي وقاتلوا جوهر قائد الفاطميين [٢]، في الرملة، حتى أن قدم الأعصم إلىٰ دمشق واجتمع مع ابن

---

(١) وهفتكين هذا يقال له الفتكين أبو منصور التركيّ الشرابيّ غلام معزّ الدولة، وكان فيه شجاعة وثبات في الحراب. فلمّا سارت الأتراك من بغداد لحرب الديلم جرى بينهم قتال عظيم اشتهر فيه هفتكين إلاّ أن أصحابه انهزموا عنه وصار في ظائفة قليلة، فولّى بمن معه من الأتراك وهم نحو الأربعمائة، فسار إلىٰ الرحبة ـ(المواعظ والاعتبار ـ المقريزي).

(٢) جوهر: مملوك رومي رباه المعز لدين الله أبو تميم معد، وكناه بأبي الحسن، وعظم محله عنده في سنة سبع وأربعين وثلثمائة، وصار في رتبة الوزارة، فصيره قائد جيوشه وبعثه في صفر منها، ومعه عساكر كثيرة فيهم الأمير: زيري بن مناد الصنهاجي وغيره من الأكابر، فسار إلىٰ تاهرت وأوقع بعدة أقوام، وافتتح مدنًا وسار إلىٰ فاس، فنازلها مدة، ولم ينل منها شيئًا، فرحل عنها سجلماسة، وحارب ثائرًا، فأسره بها، وانتهى في مسيره إلىٰ البحر المحيط، واصطاد منه سمكًا، وبعثه في قلة ماء إلىٰ مولاه المعز، وأعلمه أنه قد استولى علىٰ ما مر به من المدائن والأمم، حتى انتهىإلى البحر المحيط، ثم عاد إلىٰ فاس، فألح عليه بالقتال إلىٰ أن أخذها عنوة، وأسر صاحبها، وحمله هو والثائر بسجلماسة في قفصين، مع هدية إلىٰ المعز، وعاد في أخريات السنة، وقد عظم شأنه وبعد صيته، ثم لما قوي عزم المعز علىٰ تسيير الجيوش لأخذ مصر، وتهيأ أمرها، فقدم عليها القائد جوهرًا، وبرز إلىٰ رمادة، ومعه ما ينيف علىٰ مائة

عمه في جمادى الأولى سنة ستة وستين وثلاثمائة وخلال هذه الحرب مع الفاطميين توفي الحسن بن أحمد القرمطي بالرملة من ارض الشام، ورجع أبن عمه جعفر إلىٰ الاحساء واستلم هو وإسحاق حكم القرامطة في البحرين.

وذكر النويري تفاصيل تحالف القرامطة مع هفتكين حتى وفاة الأعصم قوله: «وفي سنة خمس وستين وثلاثمائة كاتب هفتكين التركي وهو بالشام القرامطة وقد جرى بينه وبين المغاربة حروب ووقائع وانتصر بهم فكاتبوه بأنهم سائرون إلىٰ الشام، فوافوا دمشق في هذه السنة، وكان الذي وافى منهم إسحاق وكسرى وجعفر، فنزلوا ظاهر دمشق نحو الشماسية ووافى معهم كثير من العجم ممن كان من أصحاب هفتكين، فلقي هفتكين القرامطة وحمل إليهم الأموال وأكرمهم وفرح بهم وأمن، فأقاموا علىٰ دمشق أياما ثم رحلوا متوجهين إلىٰ الرملة، وكان بها أبو محمود إبراهيم بن جعفر فتحصن منهم بيافا، ونزلت القرامطة الرمل ونصبوا القتال علىٰ يافا، حتى كلَ الفريقان من القتال وصار بعضهم يحدث بعضا، وأقامت القرامطة بالرملة يجبون المال فندب العزيز بالله نزار بن المعز لدين الله ـ وكان قد ولى الأمر بعد وفاة أبيه ـ جوهر القائد إلىٰ الخروج إلىٰ الشام في سنة خمس وستين، وحمل إليه خزائن السلاح والأموال، فسار يريد الشام في عساكر لم تخرج المغاربة من مصر بمثلها،

ألف فارس، وبين يديه أكثر من ألف صندوق من المال، وكان المعز يخرج إليه في كل يوم ويخلو به، وأطلق يده في بيوت أمواله، فأخذ منها ما يريد زيادة علىٰ ما حمله معه، وخرج إليه يومًا، فقام جوهر بين يديه، وقد اجتمع الجيش، فالتفت المعز إلىٰ المشايخ الذين وجههم مع جوهر، وقال: والله لو خرج جوهر هذا وحده لفتح مصر، ولتدخلن إلىٰ مصر بالأردية من غير حرب، ولتنزلن في خرابات ابن طولون، وتبنى مدينة تسمى القاهرة تقهر الدنيا، وأمر المعز بإفراغ الذهب في هيئة الأرحية، وحملها مع جوهر علىٰ الجمال ظاهرة، وأمر أولاده وإخوانه الأمراء، وولي العهد، وسائر أهل الدولة أن يمشوا في خدمته، وهو راكب وكتب إلىٰ سائر عماله يأمرهم إذا قدم عليهم جوهر أن يترجلوا مشاة في خدمته، فلما قدم برقة افتدى صاحبها من ترجله ومشيه في ركابه بخمسين ألف دينار ذهبًا، فأبى جوهر إلا أن يمشي في ركابه، ورد المال فمشى، ولما رحل من القيروان إلىٰ مصر في يوم السبت رابع عشر ربيع الأول سنة ثمان وخمسين وثلثمائة أنشد محمد بن هانئ، في ذلك: رأيت بعيني فوق ما كنت (المواعظ والاعتبار ـ المقريزي).

وتواترت الأخبار إلىٰ هفتكين بمسيره، وهو علىٰ عكا وكان قد ملك صيدا، فنزل عكا وسار فنزل طبرية، وفارق القرامطة الرملة ونزلها جوهر، وسار إسحاق وكسرى القرمطيان إلىٰ الاحساء، وبقي جعفر لم يسر معهم وانضم إلىٰ هفتكين بطبرية وسار جوهر في طلبهما فسارا إلىٰ دمشق وتبعهما جوهر حتى نزل بالشماسية بظاهر دمشق، والمناوشة تقع بينهم تارة والموادعة أخرى، فلم يزل الأمر كذلك إلىٰ جمادى الأولى سنة ست وستين وثلاثمائة، فوردت الأخبار وقويت بقرب الحسن بن أحمد القرمطي من دمشق، وجاء من بشر ابن عمه جعفر بذلك، فسار إليه وصح ذلك عند جوهر فنزل دمشق وسار نحو طبرية وجد في السير، وكان قد هلك من عسكره خلق كثير، فخاف أن يدركه الحسن بن أحمد القرمطي فأسرع المسير من طبرية، وخرج الحسن ابن أحمد من البرية يريد طبرية فوجده قد سار عنها، فأنفذ خلفه سرية فلحقته فرجع إليها أصحاب جوهر، فقتلوا جماعة من العرب وسار جوهر حتى نزل ظاهر الرملة، وأتاه الخبر عن الحسن فدخل جوهر زيتون الرمل وتحصن به، وسار هفتكين من دمشق في أثر الحسن ابن أحمد فلحقه وتوفي الحسن بن أحم بالرملة، وتولى أمر القرامطة بعده ابن عمه جعفر، واجتمع هو وهفتكين علىٰ قتال جوهر، فقاتلوه بقية سنة ست وستين وثلاثمائة، ثم رجع جعفر إلىٰ بلده». انتهىٰ[1]

ابن الاثير يروي أن الأعصم عاد إلىٰ الاحساء بعد هزيمته في الشام، وأن العزيز الفاطمي جعل يرسل أليه عشرين ألف دينار كل سنة. وهو المبلغ الذين كان يستلمه في الأصل من الدولة الإخشيدية، وكان سبب الحرب مع الدولة الفاطمية.

قال ابن الأثير: سار القرمطي إلىٰ دمشق بعد استنجاد الفتكين به لمحاربة جوهر فوصل الحسن القرمطي دمشق واجتمع مع الفتكين، فرحل جوهر خوفا أن يبقى بين عدوين، فسارا كلاهما في أثر جوهر فأدركاه بظاهر الرملة فاقتتلوا فكان جمع الفتكين والقرمطي نحو خمسين ألف فارس وراجل من رجال الشام والعرب وغيرهم فنزلوا

---

(١) نهاية الأرب في فنون الأدب ـ النويري.

علىٰ نهر الطواحين وقطعوا الماء عن جوهر فرحل عنهم إلىٰ عسقلان، وتبعه الفتكين والقرمطي فحصراه بها وطال الحصار فقلت الميرة وعدمت الأقوات فاضطروا إلىٰ أكل الميته وكان جوهر يراسل الفتكين ويدعوه إلىٰ الموافقه والطاعة ويبذل له البذول الكثيرة، فيهم أن يفعل،فيمنعه القرمطي ويخوفه منه فزادت الشدة علىٰ جوهر ومن معه فعاينوا الهلاك فأرسل إلىٰ الفتكين يطلب منه أن يجتمع به فتقدم الفتكين واجتمعا وقال له جوهر: قد عرفت ما يجمعنا من عصمة الاسلام وحرمة الدين، وقد طالت الفتنة، وأريقت فيها الدماء، وقد دعوتك إلىٰ الصلح والطاعة والموافقة، وبذلت لك الرغائب، فأبيت إلا القبول ممن يشب نار الفتنة فراقب الله تعالى، ونهبت الاموال، ونحن المؤاخذون بها عند الله تعالى، وراجع نفسك، وغلب رأيك علىٰ هوى غيرك.

فقال فتكين: أنا والله واثق بك في صحة الرأي والمشورة منك، لكنني غير متمكن مما تدعونني إليه بسبب القرمطي الذي أحوجتني أنت إلىٰ مداراته والقبول منه.

فقال جوهر: إذا كان الأمر علىٰ ما ذكرت فإنني أصدقك الحال تعويلا علىٰ أمانتك، وما أجده من الفتوه عندك، وقد ضاق الأمر بنا وأريد أن تمن علي بنفسي وبمن معي من المسلمين، وتذم لنا، وأعود إلىٰ صاحبي شاكرا لك وتكون قد جمعت بين حقن الدماء واصطناع المعروف، فأجابه إلىٰ ذلك وحلف له علىٰ الوفاء به.

وعاد الفتكين إلىٰ القرمطي وعرفه الحال، فقال له لقد أخطأت فإن جوهر له رأي وحزم ومكيده وسيرجع إلىٰ صاحبه فيحمله علىٰ قصدنا بما لاطاقة لنا به، والصواب أن ترجع عن ذلك ليموتوا جوعا ونأخذهم بالسيف، فامتنع الفتكين من ذلك وقال: لا أغدر به وأذن لجوهر بالمسير إلىٰ مصر.

صدق ظن القرمطي في جوهر:

عندما وصل جوهر إلىٰ العزيز الفاطمي وشرح له الحال، جهز العزيز جيشا

وسار وجوهر في مقدمة جيشه قاصدا حرب القرمطي والفتكين، حتى وصل الرملة واصطفوا للحرب وكان ذلك في المحرم سنة سبع وستين وثلاثمائة، وراسل العزيز الفتكين يرغبه ويطلب أن يحضر عنده فرفض ذلك ونشبت الحرب وانهزم الفتكين والقرمطي وقتل منهم نحو عشرين الفا، وانهزم الفتكين وكظه العطش فلقيه المفرج بن دغفل الطائي وكان بينهما أنس قديم فسقاه الماء وأخذه إلىٰ بيته وأعلم العزيز بأسر الفتكين وسلمه إليه، فلما وصل الفتكين إلىٰ العزيز أكرمه وأحسن اليه وأعاد إليه جميع من كان يخدمه وأخذه معه إلىٰ مصر وجعله من أخص خدمه وحجابه.

أما الحسن القرمطي فإنه وصل منهزما إلىٰ طبرية،فأدركه رسول العزيز يدعوه إلىٰ العودة إليه ليحسن إليه، ويفعل معه أكثر مما فعل مع الفتكين فلم يرجع، فأرسل إليه العزيز عشرين الف دينار، وجعلها كل سنة فكان يرسلها إليه، وعاد إلىٰ الاحساء.[1]

وذكر المقريزي أن الأعصم الحسن القرمطي توفي في الرملة قوله:، وسار في أثره هفتكين فمات الحسن بن أحمد القرمطي بالرملة، وقام من بعده بأمر القرامطة ابن عمّه جعفر، ففسد ما بينه وبين هفتكين، ورجع عن الرملة إلىٰ الأحساء، وناصب هفتكين القتال، وألح فيه علىٰ جوهر حتّى انهزم عنه وسار إلىٰ عسقلان وقد غنم هتفكين ممّا كان معه شيئًا يجلذ عن الوصف، ونزل علىٰ البلد محاصرًا لها. وبلغ ذلك العزيز، فاستعدّ للمسير إلىٰ بلاد الشام، فلما طال الأمر علىٰ جهور راسل هفتكين حتّى يقرّر الصلح علىٰ مال يحمله إليه وأن يخرج من تحت سيف هفتكين، فعلق سيفه علىٰ باب عسقلان، وخرج جوهر ومن معه من تحته وساروا إلىٰ القاهرة، فوجد العزيز قد برز يريد المسير، فسار معه، وكان مدّة قتال هفتكين لجوهر علىٰ ظاهر الرملة وفي عسقلان سبعة عشر شهرًا. وسار العزيز بالله حتّى نزل الرملة، وكان هفتكين بطبرّية، فسار إلىٰ لقاء العزيز ومعه أبو إسحاق وأبو ظاهر أخو عز الدولة

---

(١) الكامل في التاريخ - ابن الأثير - ج٨ ص٦٦١.

ابن بختيار بن أحمد بن نويه وأبو اللحاد مرزبان عز الدولة ابن بختيار بن عز الدولة ابن بويه، فحاربوه، فلم يكن غير ساعة حتّى هزمتْ عساكرُ العزيز عساكر هفتكين وملكوه في يوم الخميس لسبع بقين من المحرّم سنة ثمان وستّين وثلثمائة، واستأمن أبو إسحاق ومرزبان بن بختيار وقُتل أبو طاهر أخو عز الدولة ابن بختيار، وأخذ أكثر أصحابه أسرى، وطُلب هفتكين في القتلى فلم يوجد.

وكان قد فرّ وقت الهزيمة علىٰ فرس بمفرده، فأخذه بعض العرب أسيرًا، فقدم به علىٰ مفرّج بن دعقل بن الجراح الطائيّ وعمامته في عنقه، فبعض به إلىٰ العزيز، فأمر به فشهر في العسكر، وطيف به علىٰ جمل، فأخذ الناس يلطمونه ويهزّون لحيته حتى رأى في نفسه العبر، ثم سار العزيز بهفتكين والأسرى إلىٰ القاهرة، فاصطنعه ومن معه، وأحسن إليه غاية الإحسان، وأنزله في دار وواصله بالعطاء والخلع حتّى قال: لقد احتشمت من ركوبي مع مولانا العزيز بالله وتطوّفي إليه بما غموني من فضله وإحسانه. فلما بلغ ذلك العزيز قال لعمه حيدرة: يا عمّ؛ والله إني أحبّ أن أرى النعم عند الناس ظاهرة، وارى عليهم الذهب والفضة والجهور ولهم الخيل واللباس والضياع والعقار، وأن يكون ذلك كلّه من عندي.

وبلغ العزيز أنّ الناسَ من العامّة يقولون: ما هذا التركيّ؟ فأمر به فشهّر في أجمل حال، ولمّا رجع من تطوّفه وهب له مالًا جزيلًا، وخلع عليه وأمر سائر الأولياء بأن يدعوه إلىٰ دورهم، فما منهم إلا من عمل له دعوة، وقدم غليه وقاد بين يديه الخيول: ثمّ إن العزيز قال له بعد ذلك: كيف رأيت دعوات أصحابنا؟ فقال: يما مولانا، حسنة في الغاية وما فيهم إلا من أنعم وأكرم. فصار يركب للصيد والتفرّج، وجمع إليه العزيز بالله أصحابه من الأتراك والديلم، واستحجبه واختصّ به،ومازال علىٰ ذلك إلىٰ أن توفّي في سنة اثنين وسبعين وثلثمائة، فاتّهم العزيزُ وزيرَه يعقوب بن كِلّس أنه سمّة لأن هفتكين كان يترفّع عليه، فاعتقله مدّة ثمّ أخرجه». انتهىٰ[1]

(١) المواعظ والاعتبار ـ المقريزي.

نقود قرمطية باسم الحسن بن أحمد (الأعصم):

ترك الأعصم قبل وفاته بصمه تاريخية علىٰ أرض دمشق الا وهي الدنانير التي ضربت في دمشق بأسمه، مؤرخه في عام ٣٦١هـ وكذلك هناك أخرى أرخت في ٣٦٤هـ كتب عليها(الله ـ محمد رسول الله ـ إله المطيع لله ـ الحسن بن أحمد ـ محمد رسول الله أرسله بالهدى ودين الحق ليظهره علىٰ الدين كله ولو كره المشركون) وكتب علىٰ الوجه الآخر سنة ضرب النقود و(لااله إلا الله السادة الرؤساء ـ بسم الله ضرب هذا الدينار لسنة إحدى وستين وثلاثمائة لله الأمر من قبل ومن بعد ويومئذ يفرح المؤمنون بنصر الله).[1]

(١) من سواد الكوفة إلىٰ البحرين ـ مي الخليفة ص٣١٦.

الفصل العاشر



حكم مجلس السادة

- مجلس السادة
- الأصفر يهاجم الاحساء
- انتهاء الحكم القرمطي
- الهجرة إلى مدن البحرين

مجلس السادة

في عام ٣٦٦هـ بعد وفاة الأعصم إستلم الحكم ستة من أحفاد أبي سعيد وأطلق عليهم مجلس السادة ومنهم (إسحاق وجعفر) وجاء حكم السادة من القرامطة. ومحاولتهم الاستيلاء علىٰ الكوفة، ولكن كانت هزيمتهم فيها قد أذهبت هيبتهم في نفوس أعدائهم. وبدأ العد التنازلي لزوال ملكهم.

يروي ابن الأثير أن مجلس السادة قام بالحكم بعد وفاة صاحب هجر أبو يعقوب ابن أبي سعيد قوله: «وفيها(عام ٣٦٦هـ) توفي أبو يعقوب يوسف بن الحسن الجنابي صاحب هجر، وكان مولده سنة ثمانين ومائتين، وتولى أمر القرامطة بعده ستة نفر شركة وسموا السادة، وكانوا متفقين». انتهىٰ[١]

من قول ابن الأثير يفهم أن الحاكم في هجر أيام الأعصم هو أبو يعقوب الذي عرف عنه اللهو والشرب كما ذكر ابن مسكويه، فإذا كان صحيح مايذكره ابن الأثير فيبدوا أنه كان مجرد حاكم لارأي له لكبر سنه، وأن الحاكم الفعلي هو الأعصم ابن أخيه، والله أعلم.

---

(١) الكامل في التاريخ ـ ابن الأثير ـ ج٨ ص٦٨٨.

بعد أن ضعف القرامطة بعد قتالهم الفاطميين في الشام وهزيمتهم فيها وبموت الأعصم وتولي الحكم مجلس السادة القرمطية وهم مجموعة من أحفاد أبو سعيد القرمطي ومنهم القائد الميداني جعفر القرمطي، وإسحاق، ولكن حلفائهم بني بويه لم يمهلوهم فقاموا بالقبض علىٰ نائبهم في بغداد، وبفعلهم هذه أضطر مجلس السادة القرمطي للتوجه إلىٰ الكوفة عام ٣٧٥هـ لمهاجمتها ورفع الخطبة لشرف الدولة نكاية بأخيه صمصام الدولة (أبناء عضد الدولة البويهي) وبالتالي انتهت فترة التحالف ضد الفاطميين بعد أن استخدم هذا التحالف من صالح الدولة العباسية لضرب الفاطميين والقرامطة.

وخلال حكم السادة كان محاولتهم الاستيلاء علىٰ الكوفة وخروجهم عنها قال ابن الأثير: «في هذه السنة (خمس وسبعين وثلاثمائة) ورد إسحاق وجعفر الهجريان وهما من الستة القرامطة الذين تلقبون بالسادة، فملكا الكوفة، وخطبا لشرف الدولة[1]، فانزعج الناس لذلك لما في النفوس من هيبتهم وبأسهم، وكان لهم من الهيبة ما إن عضد الدولة وبختيار أقطعهم الكثير وكان نائبهم ببغداد يعرف بأبي بكر بن شاهويه، يتحكم تحكم الوزراء فقبض عليه صمصام الدولة، فلما ورد القرامطة القرامطة الكوفة كتب إليهما صمصام الدولة يتلطفهما، ويسألهما عن سبب حركتهما، فذكر أن قبض نائبهم هو السبب في قصدهم بلاده، وبثا أصحابهما، وجبيا المال. ووصل أبو قيس الحسن بن المنذر إلىٰ الجامعين، وهو من أكابرهم، فأرسل صمصام الدولة العساكر ومعهم العرب، فعبروا الفرات إليه وقاتلوه فانهزم عنهم وأسر أبو قيس وجماعة من قوادهم، فقتلوا، فعاد القرامطة وسيروا جيشا آخر في عدد كثير وعدة، فالتقوا هم وعساكر صمصام الدولة بالجامعين أيضا فأجلت الواقعة عن هزيمة القرامطة، وقتل مقدمهم وغيره، وأسر جماعة، ونهب سوادهم فلما بلغ

---

(١) توفي شرف الدولة بن عضد الدولة سنة تسع وسبعين وثلاثمائة وحمل إلىٰ مشهد أمير المؤمنين علي ابن اب طالب ﷺ فدفن به . كما روي ابن الأثير في الكامل ج٩ ص٦١.

المنهزمون إلىٰ الكوفة رحل القرامطة وتبعهم العسكر إلىٰ القادسية، فلم يدركوهم وزال من يومئذ ناموسهم». انتهىٰ[١]

ويذكر ابن مسكويه قصة هزيمة مجلس السادة بالكوفة بشيء من التفصيل وذلك في أحداث عام ٣٧٥هـ قال: «وفي هذه السنة ورد اسحق وجعفر الهجريان في جمع كثير وهما من القرامطة الستة الذين يلقبون بالسادة فملكا الكوفة وأقاما بها الخطبة لشرف الدولة، فوقع الانزعاج الشديد من ذلك بمدينة السلام لما كان قد تمكن في قلوب الناس من هيبة هؤلاء القوم وقوة باسهم ومسالمة الملوك لهم لشدة مراسهم حتى أن عضد الدولة وعز الدولة قبله أقطعاهم اقطاعات بواسط وسقي الفرات فكانت مآربهم تقضى ومطالبهم تمضى وأبو بكر ابن شاهويه صاحبهم يجري بالحضرة مجرى الوزراء في حالة والإصغاء من الملوك راجع إلىٰ أقواله وأكابر الناس يخشونه مجتملين لكبره منقادين لأمره ولا سبب إلا اعتزاؤه إلىٰ هؤلاء القوم.

لما ورد الخبر باستيلائهما (إسحاق وجعفر القرمطيين)على الكوفة بدأهما أبو الريان بالمكاتبة وسلك معهما طريق الملاطفة والمعاتبة ودعاهما إلىٰ الموادعة والمقاربة وبذل لهما ما يحاولانه، وعول علىٰ أبي بكر ابن شاهويه في الوساطة معهما وكان قد أطلقه من الاعتقال وتلافىٰ بالإحسان إليه والإجمال، فعدلا في الجواب إلىٰ التعليل والتدفيع وجعلا ما كان من القبض علىٰ ابن شاهويه حجة في اللوم والتقريع وزاد الخطب معهما في بث أصحابهما في الأعمال ومد أيديهما إلىٰ استخراج الأموال حتى لم يبق للصبر موضع ولا في القوس منزع وحصل المعروف بابي قيس الحسن بن المنذر وهو وجه من وجوه قوادهم بالجامعين في عدد كثير فجرد إليهم من بغداد أبو الفضل المظفر بن محمود الحاجب في عدة من الديلم والأتراك والعرب، وأخرج أبو القاسم ابن زعفران إلىٰ إبراهيم بن مرح العقيلي

---

(١) الكامل في التاريخ ـ ج٩ ص٤٢.

لتسيره في طائفة من قومه، وحصل أبو الفضل الحاجب بجسر بابل والقوم بازائه فعقدوا جسرا علىٰ الفرات فإلى أن فرغ منه وصل إبراهيم وابن زعفران وحصلا مع القرامطة علىٰ أرض واحدة وتناوشوا وتطاردوا وفرغ الجسر وعبر سرعان الخيل من الأتراك وفرسان الديلم وحملوا مع إبراهيم بن مرح وأصحابه علىٰ القوم حملة واحدة انكشفت عن هزيمتهم وأسر أبو قيس زعيمهم مع جماعة من قوادهم وأسرع إليه إبراهيم بن مرح فضرب عنقه لثار له عنده وعاد الفل إلىٰ الكوفة. وجاء البشير إلىٰ بغداد فأظهرت البشارة بها.

لما عاد الفل إليهما هزتهما الحمية (وللقرامطة نفس أبيه) فجهزا جيشا جعلا عليه قائد من خواصهما يعرف بابن الجحيش واستكثروا معه من العد والعدة: ووصل الخبر بذلك بغداد فاخرج أبو مزاحم بجكم الحاجب في طوائف من العسكر وعبر إلىٰ القوم وهم بغربي الجامعين وواقعهم وقعة أجلت عن قتل ابن الجحيش وأسر عدد من قوادهم وانتهاب معسكرهم وسوادهم ونجا منهم هاربا إلىٰ الكوفة فرحل القرمطيان فيمن تخلف عندهما وولوا أدبارهما، ودخل أبو مزاحم الكوفة وقص آثارهم حتى بلغ القادسية فلم يدركهم وعاد إلىٰ الكوفة وزالت الفتنة وبطل ناموس القرامطة عند ذلك وذهبت الهيبة التي اشرأبت النفوس منها». انتهىٰ[1]

ولكن هناك من يرى أن مجلس السادة هم ليس من أحفاد أبو سعيد القرمطي إنما هم قرامطة من خارج هذه العائلة أغضبها تصرف عائلة أبو سعيد في حربهم ضد الفاطميين وقاموا بانقلاب ضد هذه الأسرة ونفوهم إلىٰ جزيرة أوال وهذا ما يراه المسلم قوله: وبعد وفاة الأعصم قام القرامطة بانقلاب ضد أسرة أبي سعيد الجنابي، فنفوهم بأجمعهم إلىٰ جزيرة أوال، وأعلنوا ولاءهم للفاطميين، واستبدلوا شعارات الدولة العباسية بشعارات الدولة الفاطمية، وشكلوا لإدارة شؤون الدولة مجلسا مؤلفا من ثمانية أعضاء، يسمى (السادة) وأسندت رئاسته إلىٰ اثنين منهم، وهما

---

(١) ذيل كتاب تجارب الأمم ـ مسكويه ج٣ ص١١٠.

إسحق وجعفر، ونكاية بموقفهم المعادي للعباسيين قام حكام بغداد بقطع الجرايات عنهم، وقبضوا علىٰ ممثلهم أبو بكر بن شاهويه، فتواترت العلاقة غيما بينهم، فقام القرامطة بتجهيز حملة عسكرية سنة ٣٧٥هـ فاحتلوا الكوفة». انتهىٰ[١]

ما ذكره المسلم يعارض ما أشار إليه خسرو في رحلته إلىٰ الاحساء خلال الحكم القرمطي وذكره مجلس السادة المتكون من أبناء أبي سعيد، حيث قال: وبرسالته وقد قال لهم أبو سعيد إني أرجع إليكم يعني بعد الوفاة وقبره داخل المدينة وقد بنوا عنده قبرًا جميلًا وقد أوصى أبناءه قائلًا يرعى الملك ويحافظ عليه ستة من أبنائي يحكمون الناس بالعدل وللقسطاس ولا يختلفون فيما بينهم حتى أعود ولهؤلاء الحكام الآن قصر منيف هو دار ملكهم وبه تخت يجلسون هم الستة عليه ويصدرون أوامرهم بالاتفاق وكذلك يحكمون ولهم ستة وزراء علىٰ تخت آخر ويتداولون في كل أمر كان لهم في ذلك الوقت ثلاثون ألف عبد زنجي حبشي يشتغلون بالزراعة وفلاحة البساتين». انتهىٰ[٢]

ولكن يبدو أن محمد سعيد المسلم ربط بين رأي خسروا في طريقة حكم مجلس السادة وبين ما ذكره ابن خلدون في أن مجلس الحكم ليس من أبناء ابي سعيد وإنهم أنكروا ما فعله الأعصم من البيعة لبني العباس واتفقوا علىٰ إخراج الأمر عن ولد أبي سعيد الجنابي، وقدموا رجلين منهم هما جعفر وإسحاق، كما سيأتي لاحقا من قول ابن خلدون.

---

(١) واحة علىٰ ضفاف الخليج القطيف ـ محمد سعيد المسلم ص٢١٢.

(٢) سفرنامه. ناصر خسرو.

الاصفر يهاجم الاحساء

في عام ٣٧٨هـ يهجم الأصفر علىٰ الاحساء ويحاصرها ثم يتجه إلىٰ القطيف ويسلب مافيها من الاموال وومتلكات القرامطة. وتعد حملة الاصفر تحول خطير أدى إلىٰ ضعف القوة القرمطية وهيبتها وكانت الانتكاسة التي أدت إلىٰ تمرد الاهالي وظهور زعامات محلية قامت باستلام زمام الحكم في مناطقها.

قال ابن الأثير: «في هذه السنة (ثمان وسبعين وثلاثمائة) جمع إنسان يعرف بالأصفر من بني المنتفق جمعًا كثيرًا، وكان بينه وبين جمع من القرامطة وقعة شديدة، قتل فيها مقدم القرامطة وانهزم أصحابه وقتل منهم وأسر خلق كثير، وسار الأصفر إلىٰ الأحساء فتحصن منه القرامطة، فعدل إلىٰ القطيف فأخذ ما كان فيها من عبيدهم وأموالهم ومواشيهم وسار إلىٰ البصرة». انتهىٰ[1]

وقال النويري واصفا حال القرامطة بعد هجوم الأصفر علىٰ الاحساء: «وانتقض أمر القرامطة وضعفوا، وكان مدة ظهور مذهبهم إلىٰ هذا التاريخ مائة سنة، ومنذ ظهر أمرهم واستولوا علىٰ البلاد وتجهزت العساكر لقتالهم خمسًا وتسعين

---

(١) الكامل في التاريخ ـ ج٩ ٥٨.

سنة، وكانت فتنتهم قد عمت أكثر البلاد والعباد؛ ولم أقف لهم بعد واقعة الأصفر علىٰ واقعة أخرى فأذكرها». انتهىٰ[١].

(١) نهاية الأرب في فنون الأدب النويري.

انتهاء حكم القرامطة

للأسف ان الغموض لازم بدايات تاريخ القرامطة وهكذا كان الأمر في انتهاء دولتهم فهناك الكثير من الآراء حول انتهاء دولة القرامطة وعلى يد من انتهت واستشهد بما ذكره العلامة الجاسر قوله: من أمثل الأقوال وأقربها للصواب ما يسوقه العلامة ابن خلدون ـ غالبا ـ في تاريخه، فلو بحثنا في هذا التاريخ عن زوال دولة (القرامطة) متى كان ذلك؟ وعلى يد من؟ لوجدناه يقرر أن هذه الدولة زالت في آخر القرن الرابع الهجري، وفي سنة ٣٩٨هـ علىٰ وجه التحديد (انظر كلامه في الملحق الخامس) ولوجدناه يقرر أن ذلك كان علىٰ يد الأصغر ـ او الأصفر ـ بن علي من قبيلة تغلب ولوجدناه يقول بأن حكم بلاد الاحساء بقيت بيد بني الأصفر هذا حتى انتزعها منهم بنو عامر في القرن السادس الهجري ولكننا حينما نرجع إلىٰ شعر ابن المقرب الاحسائي، وهو قبل ابن خلدون في الزمن، ثم هو من أهل البلاد أنفسهم، لوجدناه يفخر بكون أسرته من العيونيين هم الذين (شظوا جماجم القرامطة) وأزالوا حكمهم بعد أن جل بالبحرين خطبهم، ولوجدنا شراح ذلك الديوان يحددون زوالهم بسنة ٤٦٩ على يد عبد الله بن علي بن عبد الله بن إبراهيم العيوني العبقسي ـ من عبد القيس لا من تغلب ـ فكيف نستطيع التوفيق بين القولين؟ أو نرجح أحدهما علىٰ

الآخر؟ والمصادر التي بين ايدينا لاتسعفنا بدليل مرجح». انتهى[١]

في حقيقة الأمر أنني أقف مع رأي المرحوم / د الجاسر في الغموض التاريخي الذي لازم انتهاء الحكم القرمطي وما زاد الطين بلة أن الكل يدعي وصلا بليلى، فهناك آراء توضح كما ذكرنا أن نهاية القرامطة كانت علىٰ يد الاصفر وهجومه عليهم عام ٣٧٨هـ كما ذكر ابن الاثير وهناك آراء أخرى ومنها:

انقلاب الهيئة العقدانية على عائلة أبو سعيد القرمطي:

يذكر ابن خلدون كيف انهار حكم القرامطة في البحرين وانقلاب العقدانية علىٰ عائلة أبو سعيد وأسباب ذلك، والمتغلبين بالبحرين من العرب بعد القرامطة حيث ذكر حرب الأعصم القرمطي ضد القائد جوهر الفاطمي وانهزامه وعودته إلىٰ الاحساء حيث قال: «ثم أرتحل منها إلىٰ الاحساء وأنكروا ما فعله الأعصم من البيعة لبني العباس، واتفقوا علىٰ إخراج الأمر عن ولد أبي سعيد الجنابي، وقدموا رجلين منهم: وهما جعفر وإسحاق وسار بنوا أبي سعيد إلىٰ جزيرة أوال.

وكان بنو أبي طاهر قبلهم فقتلوا كل من دخل إليهم من ولد أحمد بن أبي سعيد وأشياعه.

ثم قام بأمر القرامطة جعفر وإسحاق هذان ورجعوا إلىٰ دعوة العلوية ومحاربة بني بويه، ورجعوا سنة أربع وستين إلىٰ الكوفة فملكوها. وبعث صمصام الدولة بن بويه العساكر إليهم فهزمهم علىٰ الفرات وقتل منهم واتبعوهم إلىٰ القادسية.

ثم أختلف جعفر وإسحاق وطمع كل منهما في الرياسة علىٰ صاحبه، وافترق أمرهم وتلاشت دعوتهم إلىٰ أن استولى الأصغر بن أبي الحسن الثعلبي سنة ثمان وتسعين عليهم، وملك الاحساء من أيديهم وأذهب دولتهم وخطب للطائع واستقرت

---

(١) مقدمة الشيخ حمد الجاسر لكتاب تحفة المستفيد ـ لمؤلفه آل عبد القادر ـ صفحة (ح).

الدولة له ولبنيه.

ذكر المتغلبين بالبحرين من العرب بعد القرامطة:

كان بأعمال البحرين خلق من العرب، وكان القرامطة يستنجدونهم علىٰ أعدائهم ويستعينون بهم في حروبهم، وربما يحاربونهم ويقاطعونهم في بعض الأوقات، وكان أعظم قبائلهم هنالك بنو ثعلب وبنو عقيل وبنو سليم وأظهرهم في الكثرة والعزة بنو ثعلب.

ولما فشلت دولة القرامطة بالبحرين واستحكمت العداوة بينهم وبين بني بويه بعد انقراض ملك بني الجنابي، وعظم اختلافهم عند القائم بدعوة العباسية وكان خالصة للقرامطة ودعاة إلىٰ إذهاب دولتهم فأجابه، وداخل بني مكرم رؤساء عمان في مثل ذلك فأجابوه، واستولى الأصغر علىٰ البحرين وأورثها بنيه واستولى بنو مكرم علىٰ عمان ثم غص بنو ثعلب بسليم واستعانوا عليهم ببني عقيل وطردوهم من البحرين، فساروا إلىٰ مصر ومنها كان دخولهم إلىٰ افريقية كما يأتي.

ثم اختلف بنو ثعلب وبنو عقيل بعد مدة وطردهم بنو ثعلب إلىٰ العراق فملكوا الكوفة والبلاد العراقية، وامتد ملك الأصغر وطالت أيامه، وتغلب علىٰ الجزيرة والموصل وحارب بني عقيل سنة ثمان وثلاثين وأربعمائة برأس عين من بلاد الجزيرة وغص بشأنه نصير الدولة بن مروان صاحب ميافارقين وديار بكر فقام له، وجمع له الملوك من كل ناحية فهزمه واعتقله، ثم أطلقه ومات وبقى الملك متوارثا في بنيه بالبحرين إلىٰ ان ضعفوا وتلاشوا، وانقرضت دولة بني عقيل بالجزيرة، وغلبهم عليها وعلى تلك البلاد أولياء الدولة السلجوقية، فتحولوا عنها إلىٰ البحرين مواطنهم الأولى، ووجدوا بني ثعلب قد أدركهم الهرم، فغلبوا عليهم.

قال أبن سعيد: سألت أهل البحرين حين لقيتهم بالمدينة النبوية سنة إحدى وخمسين وستمائة عن البحرين، فقالوا: الملك فيها لبني عقيل وبنو ثعلب من جملة

رعاياهم وبنو عصفور منهم أصحاب الاحساء». انتهى[(١)]

كما يذكر ابن خلدون أيضا: «لم يكن ولاة بني العباس ينزلون هجر إلىٰ أن ملكها أبو سعيد القرمطي بعد حصار ثلاث سنين، واستباحها قتلا وإحراقا وتخريبا. ثم بنى أبو طاهر مدينة الاحساء، وتوالت دولة القرامطة وغلب علىٰ البحرين بنو أبي الحسن بن ثعلب، وبعدهم بنو عامر بن عقيل. قال ابن سعيد: والملك الآن فيهم في بني العصفور». انتهى[(٢)]

كم أن شارح ديوان المقرب في شرحه للقصيدة الميمية التي قالها ابن المقرب العيوني وهو في بغداد مفتخرا بمتقدميه من أهل بيته وذلك عام ٦١٣هـ ويصف كيف استطاع العيونيين بزعمه أنهم انهوا حكم القرامطة في البحرين وذلك في شرح بيت الشعر:

حتى أناخ بباب الحصن تتبعه   عزم تهد الجبال الشم الاكما

يقول في شرح البيت: «وحلَ عندهم القصر رجال منهم وتسمى بعضهم بالأمير وإنما اشتركوا في الأمر عند ضعف القرامطة وسوء تدبيرهم وهلاك خلق كثير من ربيعة وكانت تعينهم القرامطة لينتزعوا الملك من أبي البهلول واسمه العوامر بن محمد بن يوسف بن الزجاج وكان قد غلبت قوته علىٰ القرامطة بجزيرة أوال من البحرين ودفع عمالهم عنها وخطب له فيها بالأمر فكانت الدائرة لأبي البهلول علىٰ العسكر الذين قد ركبوا البحر وذلك ان جمعهم كان في المكان الذي بهم يسمى كسكوس أوال وكان رئيس العسكر كله رجل يقال له بشر بن مفلح احد العيونيين وكان قيام عبد الله بن علي عليهم يحاربهم صباحا ومساء سبع سنوات حتى انتزع الدولة من القرامطة واليمن جميعا وملك البلاد ودفع عنها كل من كان يطمع فيها وأبار عامر بن ربيعة غاية البوار وأخذ جميع أموالهم وسبي نسائهم وذراريهم وبعد

(١) تاريخ ابن خلدون ـ ابن خلدون ص٩٥٧ إلىٰ ص٩٥٨.
(٢) المصدر السابق ص٩٥٨.

ذلك مر علىٰ الحرم والذراري وسيرهم إلىٰ أرض عمان وما وجد في أحاديث العرب وأخبارهم المدونة في الكتب الجاهلية وإسلاما بأشجع من يزيد الشيباني الخارجي ومن صاحبه ثم شبيب الخارجي ثم أبو طاهر القرمطي وأصحابه ومن بعد أبي طاهر عبد الله بن علي وأهل بيته وأصحابه بإزاء ألف فارس فيكثرون القتل فيهم والجراح حتى يهزموا الآلف وأكثر ما بلغت أصحاب شبيب ستماية رجل وكان يلقي بهم عشرين الفا وثلاثين الفا وخمسين الفا وماية ألف وأقل وأكثر ويهزمهم وكان قد خطب له بالخلافة في مدائن كسرى وغيرها واجتمعت عليه عساكر العراق والشام ولقيهم كلهم وقاتلهم وإما أصحاب ابو طاهر القرمطي فذكر أهل العلم في كتب التواريخ ان خيله تبلغ الشام والعراق ومكه وعمان وانه نهب البصرة ونهب الكوفة ونهب جانب بغداد وانقطع الجسر وإلا لكان دخل الجانب الشرقي أيضا وعسكره يومئذ الف رجل بين فارس وراجل ونهب الحاج وكان فيهم عشرون أميرا تحت يدي كل أمير الف فارس وكان أميرهم كلهم ابو الهيجاء ابن حمدان ومعه من بني تغلب الف فارس ومن بني شيبان الف فارس فحين التقاهم جيش القرمطي قد جعل لجيشه ميمنة وميسرة وقلبا وجعل ابو الهيجاء لأصحابه ميمنة وميسرة وقلبا وجعل جميع المرآء ومن تحته ميمنة وميسرة وجعل نفسه والفي فارس من تغلب وشيبان قلبا وحمل بعضهم علىٰ بعض فانهزمت ميمنة أبي الهيجاء وميسرته وهزم أبو الهيجاء عسكر القرمطي فحين نظر أبو الهيجاء ومن معه في القلب الهزيمة علىٰ ميمنته تداركهم فتلاحق الفريقان فاقتتلوا قتالا شديدا فكان ابو الهيجاء أسيرا ومعه من أشراف تغلب وشيبان أسرى ووفق الله عبد الله بن علي العيوني وهو في اربعماية رجل لازيادة وساعده الله فاستأصل القرامطة ومن وازرهم من اليمن وعامر ابن ربيعة فاستأصل الجميع وغنم أموالهم وسبى حريمهم وذراريهم ولم ينج من القوم إلا رئيسهم احمد بن مسعرو أبو فراس هربا علىٰ فرسين سابقين حتى بلغا البصرة علىٰ غاية الضر». انتهىٰ[1]

---

(١) ديوان ابن المقرب ـ الطبعة الهندية ص٤٤٥.

وفي تعليق للمرحوم محمد سعيد المسلم فيما يتعلق بانتهاء دولة القرامطة وتعليقه علىٰ ما ورد في شعر ابن المقرب أنهم أزالوا دولة القرامطة قال المسلم: «كانت تسانده (أبي سعيد الجنابي) في جميع غزواته مجموعة من القبائل من بني ثعلب وبني سليم وبني عقيل وغيرهم من الأعراب المرتزقة، وكذلك كان الحال في أعقابه الذين استولوا علىٰ الحكم من بعده، لذلك لما ضعف أمرهم بموت الأعصم تنفس الصعداء أهل البحرين فأعلنوا الثورة عليهم، ووجهوا اليهم كثيرا من النقد والتجريح، واجمعوا علىٰ إخراج الأمر من أسرة أبي سعيد الجنابي، ثم نفوهم بأجمعهم إلىٰ جزيرة أوال (البحرين حاليا) التي كانت منفى للسياسيين في ذلك الوقت، وبانتهاء دولة بني الجنابي انتهىٰ عقد القرامطة الاسماعليين بالبحرين وانطوت آخر صفحة من تاريخهم بحيث ورث ملكهم بنو ثعلب وبنو عقيل.

أما ما جاء في شعر ابن المقرب العيوني الاحسائي بأن أسرته هي التي قضت علىٰ حكم القرامطة في البحرين في قوله:

سل القرمط من شطى جماجمهم فلقا وغادرهم بعد العلى خدما

فانه لا يعدو عن كونه ترويجا لدعوى باطلة استغلها جده عبد الله بن علي مؤسس دولة العيونيين للتوصل إلىٰ الملك، بإثارة الحماسة والنخوة في السلجوقيين مناصري أهل السنة علىٰ الشيعة». انتهىٰ[1]

وذكر المستشرق جوان د.كول في انتهاء الدولة القرمطية في البحرين قوله: «وقد سيطرت دولة القرامطة لفترة وجيزة علىٰ العديد من طرق التجارة في الجزيرة العربية وكذلك الطرق المؤدية للحج، إلا أنهم إبتداءا من منتصف القرن الحادي عشر الميلادي فقدوا السيطرة السياسية المحلية لصالح قبائل سنية موالية للسلاجقة السنة، وقد تلا ذلك سيطرة متعاقبة علىٰ المنطقة من قبائل محلية أو قوى بحرية أجنبية

---

(١) ساحل الذهب الأسود ـ محمد سعيد المسلم ص٩٤.

في الخليج بحيث تفاوتت نسبة سيطرتها ونفوذها السياسي». انتهىٰ[1]

أما عن الأسباب الحقيقية التي أدت إلىٰ انتهاء دولة القرامطة فيذكر ابن حوقل في كتابه الذي فرغ منه في عام ٤٧٩هـ قال: «وأما البحرين ومدنها وهي هجر والاحساء والقطيف والعقير وبيشه والخرج وأوال وهي جزيرة كان لأبي سعيد الحسن بن بهرام ولولده سليمان بها الضريبة العظيمة علىٰ المراكب المجتازة بهم وإلى وقتنا هذا هي لمخلَفيها ونسلهما ويكون نسل أبي سعيد لظهره بين مرة ورجل نحو الأربع مائة نسمة، وبها أموال وعشور ووجوه مرافق وقوانين ومراصد وضروب مرسومة من الكلف إلىٰ ما يصل إليهم من بادية البصرة والكوفة وطريق مكة بعد إقطاع ما بالبحرين من الضياع بضروب ثمارها ومزارعها من الحنطة والشعير والنخل لأتباعهم المعروفين كانوا بالمؤمنين، ومبلغها نحو ثلثين ألف دينار وما عدا ذلك من المال والأمر والنهي والحل والعقد وما كان يصل إليهم من طريق مكة ومال عمان وما وصل إليهم من الرملة والشام فمتساو فيه آراء ولد أبي سعيد الباقين ومفاوضة أبي محمد سنبر بن الحسن بن سنبر وكان أكمل القوم وأشدهم ثم تمكنا من نفسه فإذا هموا بقسمة مايصل إليهم من مال السنة كان ذلك ليوم معلوم مذ لم يزالوا فيعزل منه الخمس بسهم صاحب الزمان والثلثه الأخماس لولد أبي سعيد علىٰ قوانين وضعوها بينهم وكان الخمس الباقي للسنابرة مسلما إلىٰ أبي محمد ليفرقه في ولد أبيه وولده ويكونون نحو عشرين رجلا، وكان ولد ابي طاهر فيهم يعظمون ويكرمون وكان أجلهم سابور فلما قتله أعمامه تشتتت كلمتهم وتغيرت أحوالهم، وكان لهم من الثلثة الأخماس مال معلوم دون الجرايات عليهم من الغنائم بحسب منازلهم دون مالهم من الضياع والنعمة المختصة بهم إلىٰ سنة ثمان وخمسين فإنهم لما فتكوا بسابور استوحش بعضهم من بعض وانقبضوا عن الالتقاء بالجرعاء وغيرها». انتهىٰ[2]

---

(١) الامبراطوريات التجارية المتصارعة والشيعة الامامية في شرق الجزيرة العربية . ص٣.

(٢) كتاب صورة الأرض ـ أبي القاسم ابن حوقل ـ ق١ ص ٢٥ ـ ٢٦.

..إلى أن قال: «ثم أن المطيع سل سخائمهم وسعى في تأليف قلوبهم وجمع كلمتهم في سنة ستين علىٰ ما بلغني سنة إحدى وستين من مشافهة أبي الحسين علي بن أحمد الجزري صاحب أبي الحسين علي بن محمد بن الغمر ورأيته بصقلية وكأنه ورد المغرب ليقرأ الأخبار بها وأخبرني بأشياء كالسر عنده ثم خمش وجه الحديث وقال ومن بقى من العقدانية بالاحساء وغيرها هلكوا كلهم، وكان في جملتهم رجال جلة ذوو حلوم وعقول دون من صحبهم من الجفاة الاغتام الاغفال الطغام كبني الغمر وأجلهم كان المقيم بالجعفرية من ظاهر البصرة وهو أبو الحسين علي بن محمد بن الغمر ويتلوه أخوه المقيم بالكوفة أبو طريف عدي بن محمد بن الغمر وأبو الحسن علي بن أحمد بن بشر الحارثي المتولى رجالهم وأموالهم من سائمتهم وكراعهم وكان المقيم فيهم الحدود علىٰ من وجبت منهم وكان قد ناهز المائة سنة، وثور بن ثور الكلابي صاحب جيشهم مسن أيضا كاف مع كبر سنهوكان صاحب سراياهم إلىٰ كل مكان وكان أكبر منه حالة وأتم دراية أبو الحسن علي بن عثمان الكلابي كان يزعم أن سنيه مائة وعشرون سنة وكان ممن لقى أبا زكريا الطمامي وشاهد دعوتهم الأولى وماموسهم القديم فصيح اللسان حسن البيان جريء الجنان وترسل لهم إلىٰ غير مكان وناب منابة قاضيهم ابن عرفة في اسباب المراسلة إلىٰ بني حمدان وغيرهم (فعقد عليه بيعتهم وأخذ عليهم العهود بموالاتهم)وقد انتشر حبلهم وقل حولهم وفل حدهم (بما جروا اليه من قتل سابور بن سليمان وأمورهم كالواقفة فيما بينهم)». انتهىٰ[1]

مهما اختلفت الآراء في كيفية انهيار وانقراض دولة قرامطة هجر في البحرين، إلا أن هناك سنة طبيعية، تمر بها المراحل الزمنية لكل دولة حتى انهيارها وقد أشار إلىٰ ذلك ابن خلدون في مقدمته قوله: أعلم أن ما يقع من آثار الهرم في الدولة انقسامها. وذلك أن الملك عندما يستفحل ويبلغ من أحوال الترف والنعيم إلىٰ غايتها، ويستبد

---

(١) كتاب صورة الأرض ـ ابن حوقل ق١ ص٢٧.

صاحب الدولة بالمجد وينفرد به، يأنف حينئذ عن المشاركة، ويصير إلىٰ قطع أسبابها ما استطاع، بإهلاك من استراب به من ذوي قرابته المرشحين لمنصبه. فربما ارتاب المساهمون له في ذلك بأنفسهم، ونزعوا إلىٰ القاصية، واجتمع إليهم من يلحق بهم، مثل حالهم من الاغترار والاسترابة، ويكون نطاق الدولة قد أخذ في أتضايق ورجع عن القاصية، فيستبد ذلك النازع من القرابة فيها. ولا يزال أمره يعظم بتراجع نطاق الدولة، حتى يقاسم الدولة أو يكاد.. إلىٰ أن يقول ابن خلدون: أعلم أن مبنى الملك علىٰ أساسين لابد منهما، فالأول الشوكة والعصبية وهو المعبر عنه بالجند، والثاني المال الذي هو قوام أولئك الجند، وإقامة ما يحتاج إليه الملك من الأحوال والخلل إذا طرق الدولة طرقها في هذين الأساسين.[1]

وما ذكره ابن خلدون هي المراحل الطبيعية التي مرت بها دولة القرامطة، حيث كانت تجمعهم العصبية في بداية دولتهم ومن ثم تم انقسام البيت القرمطي من أحفاد أبي سعيد وطرد أبناء أبي طاهر بعد فتنة ابنه سابور إلىٰ جزيرة أوال، مما أدى إلىٰ ضعف دولتهم. وكذلك أصابها الخلل الثاني الذي تطرق إليه ابن خلدون وهو المال، من حيث بداية الدولة القرمطية البدوية كان فيها القصد في النفقات والتعفف عن الأموال، ولكن بعد كثرة الاتاواة التي كان يتقاضاها القرامطة تغيرت أحوالهم إلىٰ الترف وكثرة الإنفاق والإسراف، مما أدى إلىٰ تغير أحوال الرعية أيضا من البداوة التي كانوا فيها إلىٰ التحضر والترف، بالرغم أن الدولة القرمطية في نهايتها مرت بظروف مالية صعبة من توقف الإتاوة القادمة من الشام ومصر ومن أراضي السواد، بسبب تغير الظروف وظهور دول قويه منافسة للقرامطة في تلك المواقع وهذا ما دفع الأعصم إلىٰ قتال الدولة الفاطمية في مصر والشام وكانت هزيمته في تلك المواقع أذان لانتهاء دولة قرامطة هجر.

---

(١) مقدمة ابن خلدون ـ عبد الرحمن ابن خلدون ص٢٦٩.

انتهاء القرامطة والهجرة إلى مدن البحرين

منذ أن انهارت مملكة القرامطة بدأ التنافس بين القبائل الأعرابية التي كانت تمثل القوة العسكرية للقرامطة وهم في الحقيقة مرتزقة يعملون مع القوة الغالبة التي تشركهم في الغنائم ومن ثم بدأ الصراع بين فلول القرامطة وفي الحقيقة أن القبائل الأعرابية (البدوية) كان ولائهم إلىٰ أسيادهم من أحفاد أبو سعيد القرمطي وكانوا يشاركون في الهجوم علىٰ المدن والحجاج ويقطعون الطريق ويسلبون وينهبون ويرجعون إلىٰ مرابعهم في صحراء نجد ولكن بعد سقوط تلك الدولة توقفت تلك الأعمال وعظمت قوة الدولة العباسية وأصبح من الصعوبة الهجوم علىٰ سواد الكوفة، ومن هنا بدأت الهجرة إلىٰ عاصمة القرامطة وهي الهجرة الطبيعية حيث كانت الاحساء والقطيف تمثل جنة عدن بالنسبة لهؤلاء الأعراب.

وكانت تلك الهجرة في القرن السادس الهجري بعد سيطرة الدولة العباسية علىٰ منطقة البحرين ونتذكر هنا قول ابن المقرب في شعره:

وسوا قط أضعافهم قذفت بهم … نـجد من الآكـــام والغيطـان

لا يعرفون الـه جـلَ ولا لهم … علـم بيوم البعث والميزان

قـد بــأن عجزكم وكلكم يد … عنهم فكيف وانـتـم حـزبان

إلى أن قال:

اخذوا من الاحســاء الكثيب إلىٰ محاديث العيون إلىٰ نبا حلوان
والخط من صفواء حاذوها فما أبقوا بها شبرا إلــىٰ الظهران

وفي الواقع لم تكن هناك هجرة بدوية فقط بل كانت هناك عودة للمهجرين البحرانيين من أهل المنطقة الأصليين بعد أن استعبدهم القرامطة وعملوا كفلاحين في مزارعهم في الكثير من المناطق.

وهناك أيضا هجرة من قبل أتباع المذهب الشيعي في الكثير من المدن والقرى المتوزعة في أنحاء الجزيرة العربية وأصبحت البحرين كمنفى طبيعي لهم بعد سيطرة القوة العباسية بشكل مباشر علىٰ مفاصل المنطقة ومحاولة الانتقام من كل ماله صلة بالقرامطة. وهكذا نستذكر حكام بني الاخيضر في نجد وهم من سادة من سلالة أهل البيت، يبدو أن جميع أتباع أهل البيت في منطقة اليمامة رحلوا بعد انتهاء دولة القرامطة إلىٰ مواقع شيعية جديدة وهي كما أتوقع أما إلىٰ البحرين أو سواد الكوفة، كما انتقل بعضهم إلىٰ إفريقيا نحو الدولة الفاطمية كما تنقل كتب التاريخ.

كلمة الختام

أيها القارىء الكريم وضعت بين يديك ثمرة جهدنا الذي عملت فيه عدد من السنين في البحث والتقصي عن المعلومة التي تكشف لاول مرة تاريخ قرامطة ساحل هجر وموقع تلك المدينة المأساة (هجر) التي دمرت ودرس ذكرها واختلف المؤرخون في تحديد موقعها، لاول مرة يستطيع القارىء أن يشبع نهمه في ايجاد الاجابة الشافية لمجموعة من الاسئلة كان يصعب علىٰ الكثير من المؤرخين الخوض في غمارها، بسبب التعتيم الاعلامي الذي قام به أعداء القرامطة، وهم كثر، إضافة إلىٰ ذلك مجموعة من النصوص التاريخية المتضاربة، حتى اصبح من الصعوبة علىٰ الباحث ان يتوصل إلىٰ حقيقة لايشوبها الضبابية، ولكن كل ذلك لم يمنعنا ونحن ابناء منطقة هجر من الابحار في عالم القرامطة واستكشاف المجهول فيه والاقتراب من الحقائق قدر المستطاع. وقد انتهيت من كتابة آخر اسطر هذا الكتاب في منتصف شهر رمضان من سنة ١٤٢٨هـ ونشكر سبحانه وتعالى علىٰ هذا العطاء، ولله الحمد.

المصادر والمراجع

- السيرة النبوية «سيرة ابن هشام» لابي محمد عبد الملك بن هشام المعافري ـ المكتبة العصرية ـ صيدا بيروت ـ شركة ابناء شريف الانصاري للطباعة والنشر والتوزيع ١٤٢٤هـ ٢٠٠٤م
- التنبيه والإشراف، للمسعودي ـ دار صادر بيروت مطبعة بريل ١٨٩٣م & والنسخة الاخرى لدار ومكتبة الهلال بيروت - لبنان ١٩٩٣م.
- السيرة الحلبية في سيرة الامين المأمون انسان العيون ـ علي بن برهان الدين الحلبي ـ دار المعرفة.
- المعجم الجغرافي للبلاد العربية السعودية المنطقة الشرقية (البحرين قديمًا) حمد الجاسر الطبعة الأولى، ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م، دار اليمامة - الرياض.
- أخبار القرامطة في الاحساء الشام العراق اليمن ـ الدكتور سهيل زكار ـ دار الكوثر ـ الرياض ١٤١٠ـ١٩٨٩م.
- الفهرست لابن النديم ـ محمد اسحاق النديم ـ دار قطري ابن الفجاءة ـ الطبعة الاولى ١٩٨٥م ـ تحقيق الدكتورة ناهد عباس عثمان.

- التشيع نشأته.. معالمه ـ هاشم الموسوي ـ الغدير للدراسات والنشر ـ بيروت ـ لبنان.
- الملل والنحل ـ لابي الفتح محمد بن عبد الكريم الشهرستاني ـ الطبعة الاولى ١٩٩٨م ـ دار مكتبة الهلال للطباعة والنشر.
- الروض المعطار في خبر الاقطار ـ معجم جغرافي ـ محمد بن عبد المنعم الحميري ـ حققه الدكتور احسان عباس ـ مكتبة لبنان ـ الطبعة الثانية ١٩٨٤م.
- أخبار مكة وما جاء فيها من الآثار ـ أبي الوليد محمد بن عبد الله بن أحمد الأزرقي ـ تحقيق رشدي الصالح ملحس ـ مكتبة الثقافة ـ مكة المكرمة ـ الطبعة العاشرة ١٤٢٣هـ ٢٠٠٢م.
- الاسماعيليون بين الاعتزال والتشيع ـ محمد أمين ابو جوهر ـ التكوين للطباعة والنشر ـ دمشق ـ حلبوني ـ الطبعة الثانية ٢٠٠٦م.
- أعيان الشيعة ـ السيد محسن الامين ـ دار التعارف للمطبوعات ـ بيروت ـ لبنان.
- اثار البلاد وأخبار العباد ـ زكريا ابن محمد بن محمود الغزويني ـ دار بيروت للطباعة والنشر ـ ١٤٠٤هـ ١٩٨٤م.
- الفهرست ـ شيخ الطائفة أبي جعفر محمد بن الحسن الطوسي ـ منشورات مكتبة احمد عيسى الزواد ـ سيهات ـ السعودية.
- الانساب ـ ابي سعد عبد الكريم بن محمد السمعاني ـ دار الجنان للطباعة والنشر ـ بيروت لبنان ـ الطبعة الاولى ١٤٠٨هـ ـ ١٩٨٨م.
- اتعاظ الحنفاء باخبار الائمة الفاطميين ـ المقريزي ـ المصدر موقع الوراق ـ
- الجزيرة العربية في الخرائط الاوربية القديمة ـ خالد العنقري ـ معهد العالم

العربي ـ ٢٠٠١م

- الأغاني لابو الفرج الاصفهاني ـ المصدر موقع الوراق.
- الطبقات الكبرى ـ ابن سعد.
- الخليج العربي في العصور القديمة ـ دانيال بوتس ـ ترجمة: ابراهيم خوري ـ منشورات المجمع الثقافي ـ ابو ظبي ـ الامارات العربية المتحدة، ٢٠٠٣م.
- الخلافة العباسية في عهد تسلط البويهيون ـ الدكتور وفاء محمد علي ـ المكتب الجامعي الحديث ـ محطة الرمل / اسكندرية.
- العقد الفريد ـ الفقيه أحمد بن محمد بن عبد ربه الاندلسي المتوفي سنة ٣٢٨هـ ـ المكتبة العصرية ـ صيدا بيروت ـ الطبعة الثانية ـ ١٤٢٠هـ ١٩٩٩م.
- الفصل في الملل والأهواء والنحل ـ ابن حزم ـ موقع الوراق.
- المواعظ والاعتبار ـ المقريزي ـ موقع الوراق.
- الامبراطوريات التجارية المتصارعة والشيعة الامامية في شرق الجزيرة العربية ١٣٠٠ ـ ١٨٠٠م ـ تأليف جوان د. كول ـ ترجمة جعفر الشايب.
- ديوان ابن المقرب ـ تحقيق وشرح ـ عبد الفتاح الحلو ـ مكتبة التعاون الثقافي ـ الاحساء المملكة العربية السعودية ـ الطبعة الثانية ١٩٨٨م ـ ١٤٠٨هـ.
- ديوان الفرزدق ـ دار صادر بيرؤوت.
- دليل الخليج ـ جي جي لوريمر ـ اعداد قسم الترجمة بمكتب أمير قطر ـ الطبعة الثانية ـ الدوحة ـ قطر.
- هوية التشيع ـ الدكتور الشيخ أحمد الوائلي ـ دار الكتبي للمطبوعات ـ بيروت لبنان ـ حارة حريك ـ الطبعة الثالثة ـ ١٤٠٧هـ ـ ١٩٨٧م.

■ واحة علىٰ ضفاف الخليج ـ محمد سعيد المسلم. الطبعة الثانية ١٤١١هـ / ١٩٩١م مطابع الفرزدق ـ الرياض.

■ كتاب بلاغات النساء ـ الامام أبي الفضل أحمد بن أبي طاهر طيفور ـ المكتبة العصرية ـ صيدا بيروت ـ الطبعة الاولى ١٤٢١هـ ـ ٢٠٠٠م.

■ كتاب تجارب الامم ـ لابي علي أحمد بن محمد المعروف بمسكويه ـ مكتبة الثقافة الدينية ـ بور سعيد.

■ الكامل في التاريخ، ابن الأثير، دار صادر - بيروت، الطبعة السادسة، ١٤١٥هـ - ١٩٩٥م.

■ كتاب صورة الارض ـ ابي القاسم ابن حوقل النصيبي ـ دار صادر بيروت ـ طبع في مدينة ليدن بمطبعة ابريل سنة ١٩٣٨م.

■ كتاب الغيبة ـ شيخ الطائفة ابي جعفر محمد بن الحسن الطوسي ـ دار الكتب الاسلامية ـ طهران ـ الطبعة الاولى ١٤٢٣هـ.

■ كتاب تقويم البلدان ـ عماد الدين اسماعيل بن محمد بن عمر المعروف بأبي الفداء صاحب حماه ـ دار صادر بيروت ـ طبع في مدينة باريس ـ دار الطباعة السلطانية ١٨٤٠م.

■ لسان العرب ـ ابي الفضل جمال الدين محمد بن مكارم ابن منظور الافريقي المصري ـ دار صادر بيروت ـ الطبعة الاولى ١٤١٠هـ ١٩٩٠م.

■ معجم البلدان ـ شهاب الدين الحموي ابي عبد الله ياقوت بن عبد الله الحموي ـ دار صادر بيروت.

■ معجم ما ستعجم من اسماء البلاد والمواضع ـ عبد الله بن عبد العزيز البكري الاندلسي ـ حققه وضبطه السقا ـ عالم الكتاب ـ بيروت ـ الطبعة

الثالثة ١٤٠٣هـ

- مرآة الجنان وعبرة اليقطان في معرفة ما يعتبر من حوادث الزمان - ابو محمد اليافعي اليمني المكي - الفاروق الحديثة للطباعة والنشر - الناشر دار الكتاب الاسلامي - الطبعة الثانية ١٤١٣هـ.
- مروج الذهب ومعادن الجوهر للمسعودي، شرح د. مفيد محمد قميحة، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، الطبعة الأولى ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م.
- المنتظم - ابن الجوزي - موقع الوراق.
- المسالك والممالك - لابي القاسم عبيد الله بن عبد الله المعروف بابن خرداذبه - مكتبة الثقافة الدينية.
- المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، الدكتور جواد علي الطبعة الثانية ١٤١٣هـ - ١٩٩٣م.
- المعرفة والتاريخ - البسوي - موقع الوراق.
- مسند أحمد بن حنبل.
- من سواد الكوفة إلىٰ البحرين (القرامطة من فكرة إلىٰ دولة) - مي محمد الخليفة - المؤسسة العربية للدراسات والنشر - الطبعة الأولى ١٩٩٩م.
- مقدمة ابن خلدون - عبد الرحمن بن محمد ابن خلدون - تحقيق - درويش الجويدي - المكتبة العصرية - صيدا بيروت - طبعة ١٤٢٤هـ ٢٠٠٣م.
- نهاية الارب في فنون الادب للنويري - موقع الوراق.
- نشوار المحاضرة، القاضي التنوخي، موقع الوراق.
- ناصر خسرو ياقوتة بدخشان، اليس هنزبيرغر، ترجمة سيف الدين القصير،

دار المدى للثقافة والنشر، الطبعة الاولى سنة ٢٠٠٣م سوريا ـ دمشق.

- ساحل الذهب الأسود، محمد سعيد المسلم، الطبعة الثانية، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت.
- سفرنامة، ناصر خسرو، دار الكتاب الجديد، بيروت، الطبعة الثالثة ١٩٨٣م.
- عقد اللآل في تاريخ أوال، الشيخ محمد علي التاجر، مؤسسة الأيام للصحافة والطباعة والنشر، البحرين ١٩٩٤م.
- عنوان المجد في تاريخ نجد، عثمان بن بشر النجدي الحنبلي ـ دار الحبيب ـ الطبعة الاولى ١٤٢٠هـ.
- فاطمة الزهراء والفاطميون ـ عباس محمود العقاد، منشورات المكتبة العصرية ـ بيروت، صيدا ١٩٨١م.
- فتوح البلدان، ابي الحسن بن يحيى بن جابر البلاذري، دار الكتب العلمية بيروت، لبنان الطبعة الاولى، ١٤٢٠هـ ٢٠٠٠م.
- صحيح مسلم ـ للامام أبي الحسين مسلم بن الحجاج ابن مسلم القشيري النيسابوري، المكتبة العصرية، صيدا بيروت ١٤٢٤هـ ٢٠٠٣م.
- صبح الأعشى ـ القلقشندي، موقع الوراق.
- صفة الجزيرة العربية، الهمداني، موقع الوراق.
- رسائل اخوان الصفا، موقع الوراق.
- شرح نهج البلاغة، عز الدين ابي حامد عبد الحميد بن هبة الله مدائني ـ ابن ابي الحديد ـ دار احياء التراث العربي للطباعة والنشر والتوزيع، الطبعة الثانية ١٣٨٧هـ.

- شرح المعلقات العشر، أحمد الامين الشنقيطي، دار الشرق العربي، لبنان بيروت، طبعة عام ١٤٢٤هـ٢٠٠٣م.
- شرح ديوان ابن المقرب، الطبعة الهندية، ١٣١١هـ
- شرح القصائد السبع الطوال الجاهليات، لابي بكر محمد بن القاسم الأنباري، المكتبة العصرية، صيدا بيروت ١٤٢٤هـ٢٠٠٤م.
- تاريخ الامامية وأسلافهم من الشيعة، الدكتور عبد الله الفياض، مؤسسة الاعلمي للمطبوعات، بيروت، لبنان، الطبعة الثالثة ١٤٠٦هـ.
- التصحيف في اسماء المواضع الواردة في الأخبار والأشعار، الشيخ حمد الجاسر، المجمع الثقافي، ابوظبي، الامارات العربية المتحدة، ٢٠٠٢م.
- تاريخ ابن خلدون، العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الاكبر، ابن خلدون، بيت الافكار الدولية، المؤتمن للتوزيع، الرياض.
- تاريخ اليعقوبي، أحمد بن ابي يعقوب بن جعفر بن وهب ابن واضح الكاتب العباسي المعروف باليعقوبي، دار بيروت للطباعة والنشر، بيروت ١٤٠٠هـ ١٩٨٠م.
- تاريخ الاسلام، الذهبي، دار الكتاب العربي، لبنان بيروت، الطبعة الاولى ١٤٠٧هـ١٩٨٧م.
- تحفة المستفيد بتاريخ الاحساء في القديم والجديد، محمد عبد اللّٰه العبد القادر الأنصاري، مكتبة المعارف ومكتبة الأحساء الأهلية، الطبعة الثانية ١٤٠٢هـ- ١٩٨٢م
- تاريخ هجر، عبد الرحمن بن عثمان آل ملا، مكتبة التعاون الثقافي، الاحساء،

الهفوف، الطبعة الاولى ١٤١٠هـ ١٩٩٠م.

- تاريخ الخلفاء، الحافظ جلال الدين، عبد الرحمن بن ابي بكر السيوطي، المكتبة العصرية، صيدا بيروت، ٢٠٠٧م ـ ١٤٢٨هـ.
- تاريخ الاحساء السياسي، د ـ محمد عرابي نخلة، منشورات ذات السلاسل، الكويت ١٤٠٠هـ ١٩٨٠م.
- تاريخ الطبري تاريخ الأمم والملوك، لابي جعفر محمد بن جرير الطبري، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان ١٤١٥هـ ـ ١٩٩٥م.
- ثلاثية الحلم القرمطي، د محي الدين اللاذقاني، مكتبة مدبولي، القاهرة الطبعة الاولى ١٩٩٣م ـ ١٤١٣هـ.

المحتويات

توزيع دار الرافدين للطباعة والنشر والتوزيع E-Mail: daralrafidain@yahoo.com
لبنان - بيروت - ص. ب 25/309 - الغبيري - تلفاكس: 961 1 541980+ خليوي: 03/445510



هذا الكتاب يعتبر رائداً في استعراض تفاصيل أحداث الحكم القرمطي في منطقة البحرين وقد تناول الكثير من الروايات المختلفة والمتضاربة والتحقيق فيها بشكل تفصيلي وكانت النتيجة أن استطاع المؤلف الإجابة على معظم التساؤلات التي احتار في الإجابة عنها الكثير من المؤرخين.

"في الحقيقة أن هذا الكتاب يضع القارئ في الحدث القرمطي"

صورة الغلاف من أرشيف عبدالرسول الغريافي